الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف
محمد المنوني



مظاهر يقظة
المغرب الحديث

الخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
رقم الإيداع القانوني 1 ـ 1985

الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

مظاهر يقظة المغرب الحديث

تأليف

محمد المنوني

الجزء الأول



شركة النشر والتوزيع
المدارس
12، شارع الحسن الثاني ـ الدار البيضاء

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

طبع بالاشتراك

دار الغرب الإسلامي
ص.ب 113/5787 بيروت. لبنان

شركة النشر والتوزيع
المدارس
12 شارع الحسن الثاني. الدار البيضاء

رقم 56 / 2000 / 2 / 85

التنضيد : سامو برس

الطباعة : مطبعة المتوسط ــ بيروت ، لبنان ــ تلفون 811373 / 811385

كلمة افتتاحية

شهد مغرب القرن التاسع عشر حركة تجديدية ولو أنها محدودة ، وساهم فيها ـ الى جانب أولياء الأمور ـ طبقات شعبية متنوعة .

وسيعنى هذا الجزء الأول بتقديم ما طالت اليه اليد من ملامح هذه الحركة ، دون ان أبخس أيا من الاطراف المساهمة نصيبها من المشاركة في وضع اللبنات الأولى للمغرب الجديد .

وقد كان دور الحكم ـ في هذه الفترة ـ يهدف الى محاولات لادخال اصلاحات حديثة على أوضاع المغرب ، نظير الواقع في تركيا والشرق العربي .

وهكذا مست الاصلاحات الرسمية الجهاز الاداري ، والدفاع ، والاقتصاد ، والمواصلات .

وواكب هذه البارقة انبعاث في دراسة الرياضيات والفلك والفنون العسكرية ، واتجهت بعثات مغربية للدراسة بمصر و أوروبا ، وانبثق عن هذا وذاك بزوغ تجارب في الترجمة الى العربية ، وظهور ابتكارات لعدد من الأجهزة الفلكية ، وصنفت مؤلفات رياضية أو فلكية اقتبست من النظريات الحديثة ، كما أن الطباعة العربية دخلت الى المغرب لأول مرة .

ومن جهة أخرى لمع انبعاث ـ من طراز آخر ـ في صفوف العلماء ، وتمثل في تأثر أفراد منهم ببعض معطيات المعارف الجديدة ، كما اضطلع آخرون بالكتابة ضد

الامتيازات الاجنبية ، ولفائدة تنظيم الجيش أو الادارة ، وتارة للدعوة إلى الجهاد ، وفي الوقت نفسه بدأت الصحافة العربية في الظهور بالمغرب ، وساهم الأدباء ـ من جهتهم ـ في اذكاء مسيرة الانبعاث ، وأخيراً : برزت طلائع المعارضة الشعبية .

ومهما كانت العوامل التي أدت الى فشل هذه المحاولات الرسمية أو الشعبية ، فانها جديرة بتسجيل ملامحها ، وتجلية مظاهرها ، بعد أن ظل اكثرها مغموراً بالمرة .

* * *

وهذا ما حفزني إلى الاهتمام بهذا الموضوع بالذات ، حيث سبق أن نشرت أقساماً منه في المجلات المغربية ، وعلى العموم فقد تركت هذه الاقسام في صياغتها القديمة ، غير أني نقحتها وعدلت بعض ترتيباتها ، وأضفت لها زيادات تناهز نصف هذا الجزء الأول ، ثم نسقت ذلك كله تنسيقاً تأليفياً متكاملاً .

وقد حرصت في هذه الدراسة أن لا أتوسع في شرح بعض النقط التي نشرت من طرف مؤلفين سابقين ، واكتفيت بالاشارة لها والاحالة على مصدرها .

وبالنسبة الى المعلومات الجديدة وهي أكثر مواد هذا الجزء ، تتبعت البحث عنها ـ جهد الامكان ـ في الخزائن العامة والخاصة ولدى عدد من الأفراد ، ومن خلال بعض النقوش والكتابات الأثرية ، وتوسعت في عرض حصيلة ذلك كله ، وعند الاقتضاء : اثبت النص الوجيز أو البسيط بمجموعه ، سواء في ذلك الوثائق أو النصوص الأخرى ، حتى يخرج الباحث بالنتيجة المرضية ، ويطلع على المستندات التي تهمه ، والله ـ سبحانه ـ الملهم للصواب .

تحريراً بالرباط ، في يوم الجمعة : 24 شوال عام 1392هـ ، الموافق 1 دجنبر سنة 1972م .

المؤلـف

تَصْمِيمُ الكِتَابْ

ستعرض هذه الدراسات معطيات الانبعاث المغربي في أيامه الأولى : من احتلال الجزائر عام 1245هـ/1830م ، إلى فرض الحماية على المغرب عام 1330هـ/1912م .

وللتمهيد إلى الموضوع يكون من المفيد البدء بمدخل يحلل الحالة التي صار اليها المغرب في النصف الأول من المائة الميلادية التاسعة عشرة ، ويعد هذا تأتي ملامح هذه اليقظة في ثلاثة ادوار :

الأول : من احتلال الجزائر الى موقعة تطوان عام 1276هـ/1860م .

الثاني : من حرب تطوان الى وفاة الوزير أحماد عام 1318هـ/1900م .

الثالث : يمتد من التاريخ الأخير إلى عام 1908/1325 .

وسيتناول هذا المجلد الأول مدخل الدراسة ، ليأتي بعده الـدور الأول فالـدور الثاني .

حالة المغرب في النصف الأول من
القرن التاسع عشر م

مركز المغرب في هذه الفترة

الى اوائل القرن الثالث عشر الهجري الموافق أواخر القرن الثامن عشر الميلادي : كانت دول الغرب لا تزال تحفظ للمغرب هيبته ، لما تعلم من قوة أساطيله في البحر ، واستحكام دفاعه في البر ، ولم تنس أوروبا ان المغرب استطاع ان يحرر أكثر ثغوره من الاحتلال الأجنبي ، وآخر ذلك مدينة الجديدة التي حررها المغاربة من يد البرتغال عام 1768/1182 . أي خلال القرن الثامن عشر الميلادي الذي ازدهرت فيه قوة أوروبا .

وكانت دول الغرب التي تستفيد من المياه المغربية دأبت على ان تؤدي للمغرب ضريبة سنوية ليستديم الصلح بينها وبين المغرب في البحر ، وقد استمرت السويد والدانمارك على أداء هذه الضريبة حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

وسبب ذلك كله ان كثيراً من معدات الحرب وسائر وسائل الحياة كانت متقاربة في الجملة ، وكانت مدنية أوروبا لا تزال لم تخرج كثيرمن نظرياتها العلمية وأعمالها التجريبية الى المجال العملي وحيز التطبيق ، فلذلك لم يظهر قبل القرن الثالث عشر الهجري كبير تفوق للغرب على غيره .

حتى اذا حل القرن التاسع عشر م أخذت المدنية الغربية تأتي ثمراتها ، فاستخدمت القوة البخارية ، ثم القوة الكهربائية ، وتوصلت بهما الى مخترعات كثيرة وعظيمة ، قلبت الاوضاع ، وقربت الابعاد ، ورفعت مقام الغرب عالياً .

لم يقتبس المغرب أول الأمر من هذه المدنية ، شأنه في ذلك شأن سائر العالم الإسلامي الذي وقف كله حذراً من هذه الحضارة الجديدة ، حيث رآها تدشن تقدمها بانقضاض الغرب على الشرق : هذه جنود نابليون بونابرت تهاجم مصر والشام وتحتلهما ، بينما انجلترا تتوغل في الهند ، والادهى من هذا وذاك ان دولة الاسلام العظيمة دولة آل عثمان تشتبك منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري مع روسيا في سلسلة حروب تخرج منها الدولة العلية وقد انفصلت عنها أجزاء لصالح روسيا .

ومع هذا كله فيا ليت العالم الاسلامي ابتدأ إذ ذاك يأخذ من حسنات مدنية أوروبا ، ولو فعل لتغير مجرى تاريخ هذه المدنية ، ومجرى تاريخ الشرق كله ، ولكن المسلمين لما وقفوا من هذه المدنية موقف الحذر ولم يأخذوا بها ، انقلبت عليهم شراً مستطيراً لا يبقى ولا يذر . وقد وصف هذه الحالة بعض الكتاب الكبار[1] في العبارات التالية :

« . . . لهذا شقي الشرقيون المسلمون في أول أمرهم بالحضارة الغربية شقاء بالغاً ، وذاقوا من الاتصال بها بلاء شديداً ، حتى لم يقو الجميع على احتمالها ، فأخذت نواحي الحياة الشرقية تتهدم الواحدة تلو الأخرى. . . . ولا تكاد تمر العشرات الأولى من سني القرن التاسع عشر ، حتى يبدو للناس أن الشرق الإسلامي سائر ـ حتما ـ الى الزوال » .

وكان نصيب المغرب من شرر هذه المدنية التي تتطاير على من لم يأخذ بها ، ان اضطر السلطان سليمان لان يمنع المغاربة من التجارة لاراضي الغرب ![2] .

كارثة الاسطول المغربي

والادهى من ذلك ان هذا السلطان اضطر لحل الاسطول المغربي العتيد ! ففي عام 1817/1233 منع رؤساء الاسطول المغربي من الجهاد في البحر ، ووزع بعض قطعه على

---

(1) هو الدكتور حسين مؤنس في كتابه : « الشرق الاسلامي والعصر الحديث » ص 114-115 الطبعة الأولى .
(2) « الاستقصا » : الطبعة المصرية ـ ج 4ص 151.

الايالات المجاورة للمغرب مثل الجزائر وطرابلس ، والباقي أنزل منه المدافع وغيرها من آلات الحرب ، وأعرض عن أمر البحر رأساً ، بعد أن كـان الاسطول المغـربي أكثر وأحسن من أساطيل الجزائر وتونس[1] .

ما الذي حمل المولى سليمان على اتخاذ هذا القرار الخطير الـذي ترك شـواطىء المغرب مكشوفة ليس لها من أسطول يحميها ؟ هل حب العزلة بلغ به الى هذا الحد ؟ كلا . . . بدون شك هناك سبب قاهر هو الذي دفع به للاقدام على هذا العمل البالغ الغاية في الخطورة ، وليس ذلك الا ضغط ما كر من بعض الدول التي ضاقت بالاساطيل العربية العتيدة ، فصارت تستعمل مختلف الوسائل لتدميرها : مرة باسم منع القرصنة ، ومرة بهجوم سافر عليها ، حتى تبقى الشواطىء التي تقلق بال هذه الدول مكشوفة ، ولاجـل ان نقتنع بـوجود هـذا الضغط العنيف عـلى سلطان المغـرب ، نسـوق أمثلة للمؤ امرات التي كانت تبيتها طائفة من الدول الكبار للقضاء على الاسطول الإسلامي أينما كان بالمشرق أو المغرب :

جاء في « كتاب الجزائر » للأستاذ احمد توفيق المدني :[2]

« قـرر مؤتمـر « ايكس لاشـابيـل » في 30 سبتمبـر 1818 / [1234] : الغـاء القرصنة . وسافر وفد انجليزي فرنسي الى الجزائر ليقنع الباشا بوجوب العدول عن تلك الحرب البحرية . الا ان كل المحاولات ذهبت عبثاً ، وأصر حسين على أنه يستمر على حربه البحرية مع كل دولة لا تتعاقد معه بمعاهدة ، وفي 12 جويلية1824 جاء الاسطول الانجليزي لمحاربة الجزائر ، واستمرت الحرب الى يوم 29جويلية ، ولم يستطع الانجليز ان ينال من حصون الجزائر أو أسطولها اي منال فقفل راجعاً » .

واذا كانت انجلترا اندحرت هذه المرة أمام الاسطول الجزائري ، فقد نجحت الى حد بعيد بعد هذه الموقعة بأعوام ثلاثة فقط في إغراق الاسطول العثماني العتيد .

---

(1) المصدر ج 4 ص 151.

(2) الطبعة الأولى ـ ص 42.

ففي عام 1827/1243 ـ إبان ثورة اليونان على الـدولة العليـة ـ بينما الاسـطول العثماني وأساطيل الولايات التابعة للخلافة : مصر ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر : راسية للاحتراس بالسواحل اليونانية قبالة أساطيل الدول المعاضدة لليونان تحت قيـادة الأميرال الانجليزي : في هذا الوضـع ، ومن غير اعـلان بالحـرب ، ورد الاسطول الانجليزي على الاسطول العثماني في صورة المعاضـد ، لان السلم كان متـأكداً بـين الدولتين ، ولم يكن بينهما شائبة حرب بالمرة ، وأشـارت الاساطيـل بعضها الى بعض بعلامات السلم ، فلم تلبث ان تخللت بين الاساطيل العثمانية ، حتى اذا تم تمكنها منها أطلقت عليها النيران من جميع الجهات في آن واحد ، مع شدة الالتحام والتداخل ، والمسلمون في حالة الدعة اعتماداً على السلم المحقق ، فهلكت جميع تلك الاسـاطيل وغرقت في البحر دفعة واحدة بمن فيها . . [1] .

وبعد هذه الحادثة التي لا تحتاج الى تعليق ، لانعـدم شواهد أخرى تثبت تضايق هذه الدولة ومن على شاكلتها من الاساطيل الاسـلامية ، وتقيم بعض العـذر للمولى سليمان فيما أقدم عليه ، وسنجد ذلك هذه المرة في موقف الانجليز والالمان من الاسطول العربي في عمان وزنجبار والبحرين :

ففي عام 1809/1224 تمكنت « شركة الهند الانجليزية » من إرسال أسطول الى عمان ليحارب بعض العرب بتهمة القرصنة .

وكـرر الانجليز عملهم في عمـان مع طـوائف أخـرى من العـرب وصفـوهم بالقرصان .

ومن عام 1854/1271 صارت انجلترا تصارح بحقيقة مقاصدها . وهي أنها لا تطيق أن ترى على ثبج البحر مقاتلاً واحداً ان لم يكن تحت رايتها .

---

(1) انظر « صفوة الاعتبار ، بمستودع الامصار والاقطار » تأليف الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ج 4 ص 43 وج 5 ص 55 ، مع « تاريخ الدولة العلية العثمانية » تأليف محمد فريد بك ص 218 — 217 .

وكانت نهاية مأساة هذا الجزء من الشرق العربي ان هدم الانجليز والالمان دولة زنجبار ، كما هدموا دولة عمان ، ودمروا أسطولها ، كما دمروا أسطول البحرين[1] .

فهذه بضعة شواهد ناطقة بمدى خطورة الغارة التي شنتها بعض دول أوروبا ضد الاساطيل الاسلامية شرقاً ومغرباً .

ومما يكشف عن المؤامرة المدبرة ضد الاسطول المغربي بالخصوص مأساة هذا الاسطول أيام السلطان المولى عبد الرحمن خلف المولى سليمان .

فقد تجاهل السلطان الجديد المؤامرة المبيتة ، وأصدر قراره عام 1827/1243 بإنشاء بعض القراصين لتضم لما كان قد بقي من عهد جده السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، واذن لرؤساء البحر بالعدوتين في الخروج فيها ، فخرج الرئيسان الحاج عبد الرحمن بركاش والحاج عبد الرحمن بريطل ، وغنموا بعض مراكب النمسا لما لم يكن معها رخصة العبور . . .

فماذا كانت نتيجة هذا القرار الذي تجاهل فيه سلطان المغرب نيات أوروبا ؟ كانت النتيجة ان تعرضت إحدى موانىء المغرب لهجوم قطعة من الاسطول النمساوي ، حيث ضرب عام 1829/1245 مرسى العرائش ، وأنزل جنوده للبر لتحرق أسطول هذه المرسى ، وعلى الرغم من صد المغاربة لهذا الهجوم بقوة ، وطردهم للمهاجم : فقد تدخلت انجلترا مع المغرب حتى انتهى الأمر بما طالما تمنته هذه الدولة وأصدقاؤها من جعل حد لنشاط الاسطول المغربي[2] .

وقد علق مؤرخ المغرب الناصري[3] على هذا الهجوم النمساوي وبين الظروف التي حل فيها الاسطول المغربي وقال :

---

(1) توجد تفاصيل عن مأساة هذا الاسطول العربي في « حياة الشرق » لمحمد لطفي جمعه ص 86-102.

(2) راجع الاستقصاء ج 4 ص 183-184.

(3) المصدر نفسه ج 4 ص 184.

واعلم ان هذه الوقعة هي التي كانت سبباً في اعراض السلطان المولى عبد الرحمن عن الغزو في البحر ، والاعتناء بشأنه ، فانه ـ رحمه الله ـ لما أراد احياء هذه السنة صادف إبان قيام شوكة الفرنج ، ووفور عددهم وأدواتهم البحرية ، وصار الغزو في البحر يثير الخصومة والدفاع ، والتجادل والنزاع ، ويهيج الضغن بين الدولة العلية ودول الاجناس الموالية لها ، حتى كاد عقد المهادنة ينفصم ، وأكد ذلك اتفاق استيلاء الفرنسيين على ثغر الجزائر ، فوجم السلطان رحمه اللّه ، واعمل فكره ورويته ، فظهر له التوقف عن أمر البحر رعياً للمصلحة الوقتية ، ولقلة المنفعة العائدة من غزو المراكب الاسلامية ، وانضم الى ذلك إعلان الدول الكبار من الفرنج مثل الانجليز ، والفرنسيس : « بأن لا تكون المراكب الا لمن يقوم بضبط قوانين البحر التي يستقيم بها أمره ، وتحمد معها العاقبة ، وتدوم بحفظها المودة على مقتضى الشروط ، ومن مهمات ذلك ترتيب القناصل بالمراسي التي تريد الدولة دخول مراكبها اليها وتجارتها فيها أي دولة كانت ، ومن هذه المهمات ما قد لا يساعد الشرع او الطبع مثل الكرنتينات وما يترتب عليها ، الى غير ذلك مما فيه هوس كبير ، فاشتد عزم السلطان رحمه اللّه على ترك ما يفضي الى ذلك ، وتأكد لديه إهماله لتوفر هذه الأسباب . . . » هذا تعليق « الاستقصا » على هذا الحادث الشنيع ، وهناك جانب خطير في المؤامرة ضد الاسطول المغربي يشير له المؤرخ ابن زيدان[1] ويعلق به على حل هذا الاسطول في العبارات التالية :

« وحدثني من وثقت بخبره انه لما بويع المولى عبد الرحمن علق بعض الاجناس المجاورين للايالة المغربية الاعتراف بسلطنته على إبطال القوة البحرية فامتنع ، وبعد مراجعات وقع الاتفاق على بناء الابراج بثغر الرباط ، فأمر ببناء برج السراط ، وبرج السقالة ، وبرج الدار ، وبرج القصبة ، والسقالة .

ثم ان المترجم هو الذي أمر على وجه السر بتغريق الاسطول البحري المغربي لامر أوجبه » .

---

(1) الاتحاف ج 5 ص 153-154.

ولم يبين المؤرخ ابن زيدان « الأمر الذي اوجبه » وحقيقته ان فرنسا انتهزت فرصة انهزام المغرب في « موقعة ايسلي » ففرضت على سلطانه ان يلغي من البحر القراصين المغربية ، وتحت هذا الضغط العنيف لم ير سلطان المغرب بداً من ان يبادر فينزل بالاسطول المغربي نهايته الشنيعة[1] .

وهذا يفيدنا أيضاً تاريخ ذلك الحادث المشؤوم ، وانه كان اثر معركة ايسلي الواقعة عام 1844/1360 .

هكذا يختفي الاسطول المغربي من الوجود بعد تاريخ مجيد ، وماض حافل بجلائل الأعمال ، مليء بآيات البطولة والشجاعة المثالية .

وهكذا تنجح المؤامرات الدنيئة في القضاء على قوة المغرب البحرية بعدما قضت وستقضي على قوات بحرية اخرى في مختلف بقاع العالم الإسلامي .

ابتدىء بحل هذا الاسطول ايام المولى سليمان ، ثم اجهز عليه نهائياً ايام السلطان المولى عبد الرحمن ، بعدما كان الى عهد قريب جداً يغالب اساطيل الغرب فيغلبها ![2] فما

---

(1) توجد هذه الحقيقة في مذكرات للطاهر بن محمد ابن عبد السلام ابن الحاج الاودي احد أفراد البعثة الحسنية . اطلق عليها اسم : « الاستبصار » « نسخة خاصة » .

(2) مثال لذلك : « المعركة البحرية » التي دارت على شواطىء طرابلس الغرب بين الاسطول المغربي والاسطول الامريكي أوائل القرن التاسع عشر م ، حيث انتصر فيها الاسطول المغربي !

ففي عام 1218/1803 وجهت امريكا اسطولها الحربي لحصار « طرابلس » التي كانت سفنها تضر بالسفن الامريكية في ذلك الحين ، فهب المغرب لنصرة القطر الشقيق ، وسار الاسطول المغربي يسابق الرياح ، ويطير بأجنحة النسور والعقبان ، لكون سفنه كانت خفيفة ، جامعة بين الشراع : « القلوع » والمجاذف ، فكانت قوة سيرها مضاعفة ، فسبق الاسطول الجزائري عن نجدة اخوانه الطرابلسيين ، وما كاد الاسطول الامريكي يصل الى طرابلس حتى اعترضه الاسطول المغربي فقطعه عنها ، وابلى بلاء حسناً ، فلم تمر الا هنيهة حتى صيره على وجه الماء !.

ولما بلغ ذلك مسامع امريكا بعثت عمارة أخرى الى طرابلس ، ولكن لقيها الاسطول المغربي ثانياً فبدد تلك العمارة الامريكية ، ودام النضال بين الاسطولين زمنا الى سنة 1231/1815 ، حيث صار لأمريكا أسطول قوي لا يستهان به ، فركن الطرفان للمسالمة ، وربط المعاهدة الودادية .

من مقال للمؤرخ المغربي الكبير محمد بن علي الدكالي السلوي : نشره في جريدة « المغرب » عدد ممتاز رقم 346 السنة الثالثة.

السر في هذا التقهقر المفاجىء الذي جعل اسطول المغرب العتيد يستسلم لنهايته الشنيعة دون حرب ولا قتال ؟ السبب واضح : انه الشرارة الأولى من المدينة الغربية تطير على المغرب فتقضي على أسطوله ، وفي الأمر أيضاً درس قاس للمغرب الذي لم يأخذ بالصالح من هذه الحضارة الغربية ، لأن من طبيعة هذه المدنية انها تقضي على كل من لم يأخذ بأسبابها ، سيما من كان جاراً قريباً لها مثل المغرب .

سمع خير الدين التونسي[1] بعض أعيان اوروبا يقول ما معناه :

« ان التمدن الأوروباوي تدفق سيله على الأرض ، فلا يعارضه شيء إلا استأصلته قوة تياره المتتابع ، فيخشى على الممالك المجاورة لاوروبا من ذلك التيار الا اذا حذوه ، وجروا مجراه في التنظيمات الدنيوية ، فيمكن نجاتهم من الغرق » .

مأساة الجزائر

وكارثة ثانية او شرارة اخرى تطير على المغرب فتكون اكبر من سابقتها : انها هجوم فرنسا على الجزائر الشقيقة عام 1830/1246 ، ثم تدخل المغرب تدخلاً مسلحاً لنصرة الجارة القريبة دون جدوى عام 1844/1260 .

تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيان

فماذا كانت نتيجة هذا الحادث الجلل بالنسبة للمغرب ؟ كانت ابعد مما يتصور ، واكثر من ان يحيط بها وصف .

ظهر للملأ مدى الضعف والفوضى التي صار اليها الجيش المغربي في هذا العهد المظلم ، بعدما كان الاوروبيون لا يزالون ينظرون له نظرتهم يوم كان يحرر الشواطىء المغربية ويغالبهم فيغلبهم ، حتى اذا كانت موقعة ايسلي انكشف المرض الذي نزل بهذا

---

(1) ذكر هذا في كتابه : « أقوم المسالك ، في معرفة احوال الممالك » ص 50.

الجيش ، فانهزم ـ لأول لقاء ـ جنوده البالغون ثلاثين الف جندي ، امام الجيش النظامي الذي لم يكن يتعدى ـ فيما يقال ـ ثمانية آلاف جندي فقط .

ومن اهم اسباب هذا التأخر الذي طرأ على الجيش المغربي ، عدم اخذه بالانظمة الحديثة التي كان خصمه متوفراً عليها ، وكان هو على الضد من ذلك ، حتى ان قائد الجيش الفرنسي المارشال بيجو لما اشرف على الجيش المغربي من عل قال : « ليس هذا جنداً ، انما هو غوغاء » من كثرة ما كان عليه من الفوضى والضعف[1] .

وصاحب الاستقصا[2] هو الآخر لم ير بدا من أن يسجل على الجيش المغربي هذه الظاهرة المؤلمة في العبارات التالية :

« . . . فالحاصل ان جيش مغربنا اذا حضروا القتال وكانوا على ظهور خيولهم فهم في تلك الحال مساوون في الاستبداد لامير الجيش ، لا يملك من امرهم شيئاً ، وانما يقاتلون هداية من اللّه لهم ، وحياء من الامير ، وقليل ما هم ، وقد جربنا ذلك فصح ، ففروا عن السلطان المولى سليمان في وقعة ظيان اولاً ، وفي وقعة الشراردة ثانياً ، وكان السلطان المولى عبد الرحمن اهيب في نفوسهم منه ، فكانوا يلزمون غرزه ، لكنه لما بعثهم الى تلمسان فعلوا فعلتهم ، وسلكوا عادتهم ، ولما شهدوا مع الخليفة سيدي محمد بن عبد الرحمن وقعة ايسلي جاءوا بها شنعاء غريبة في القبح . . . » .

ويفيد هذا النص ان انحطاط الجيش المغربي انما ظهر ابتداء من ايام المولى سليمان ، وهو العهد الذي اخذت تتبدل فيه احوال المغرب نتيجة لتغير الاوضاع في اوروبا .

وتبع احتلال الجزائر وضعف المغرب عن نصرتها : ان أصبح المغرب المنيع الجناب بالامس القريب ، يعيش في هذا العهد المظلم تحت تهديد مستمر لاستقلاله ، فمن

---

(1) « كتاب الجزائر » ص 53.
(2) ج 4 ص 219.

مشاكل الحدود التي تثار في كل مناسبة ، الى اغتصاب لبعض اجزائه : من فرنسا تارة واسبانيا اخرى[1] ، الى تدخلات لا حد لها في شؤون المغرب الداخلية ، الى إثارة قلاقل وخصوصاً بالمغرب الشرقي ، بل كاد المغرب يفقد استقلاله نهائياً عقب موقعة ايسلي لولا التنافس الدولي الذي عاش في ظله استقلال المغرب حتى اوائل القرن العشرين .

واذا اردنا ان نستخلص مقدار ما اصاب البلاد في كارثة الجزائر وسابقتها : نجد المغرب اصبح فاقداً قوته البحرية ، مضيعاً هيبة جيشه البري ، مهدداً في استقلاله من طرف الجار الأوروبي القريب ، فماذا تبع هذا الوضع المقلق ؟

نشأ عن ذلك كله ان فتحت أبواب مراكش للاوروبيين بعدما كانت مغلقة في وجوههم الا في أحوال خاصة ، فأخذوا يتسابقون لاكتساب النفوذ فيها ، وكثر ترددهم عليها بالتجارات أولاً ، ثم بعد ذلك بالمشروعات ، الأمر الذي نشأت عنه عواقب وخيمة سياسياً واقتصادياً ، وقد تبسط صاحب الاستقصا[2] في شرح هذه العواقب الاقتصادية وقال :

وفي سنة إحدى وستين ومائتين والف أخذت السكة في الارتفاع . . . . ولما أخذت السكة في الارتفاع أخذت الاسعار في الارتفاع أيضاً ، وحاول السلطان ـ رحمه اللّه ـ حصرها فلم تنحصر .

وعلة ذلك ـ واللّه أعلم ـ أنه لما وقع مع الفرنسيين هذا الصلح (وهو الواقع بعد معركة ايسلي) ، واسقط السلطان عن الاجناس ما كانت تؤديه ، كثر خطارهم وتجارهم بمراسي المغرب ، وازدادت مخالطتهم وممازجتهم لاهله ، وكثرت تجارتهم في

---

(1) من امثلة هذا استيلاء اسبانيا على الجزائر المغربية الثلاثة الواقعة على ساحل الأبيض المتوسط ، شرق مدينة مليلية ، وهي المعروفة « بالجزر الجعفرية » ، وذلك عام 1266/1848

(2) ج 4 ص 198.

السلع التي كانوا ممنوعين منها ، وانفتح لهم باب كان مسدوداً عليهم من قبل ، فظهر أثر ذلك في السكة وفي السلع .

أما السكة فلان سكتهم كانت هي الغالبة ، وهي أكثر روجاناً من سكة المغرب ، فلا بد أن يكون الحكم والتأثير لها ، والتجار يعتبرون فيها من الفضول والارباح الناشئة عن تغاير القطرين ما لا يهتدي اليه غيرهم من العامة ، وتبعهم على ذلك تجار المسلمين .

وأما السلع فلان تجار النصارى يغالون في أثمانها اكثر من غيرهم كما هو مشاهد .

ثم ما دامت بلاد الفرنج مترقية في التمدن وحسن الترتيب واتساع الامن والعدل ، الا وسككنا وأسعارنا دائمة الترقي في الغلاء ، على نسبة كثرة المخالطة واتساع مادة البيع والشراء » .

هكذا يشرح صاحب الاستقصا الخطر الذي خيم على الاقتصاد المغربي في هذا العهد ، ويجعل ذلك نتيجة لانفتاح أبواب المغرب إثر وقعة ايسلي ، ونتيجة أيضاً لتقدم أوروبا وتأخرنا .

تدهور الاقتصاد المغربي

وخطر آخر أصاب الاقتصاد المغربي في الصميم لما وقع في أوروبا اختراع المناسج الميكانيكية التي تنسج بدون واسطة اليد ، فقد أخذت منسوجات هذا الاختراع الجديد تدخل للمغرب في اواخر دولة السلطان المولى سليمان ، ثم تكاثرت مع مر الزمن حتى قضت على المناسج المغربية اليدوية التي لم تتطور اذ ذاك بكل أسف .

وقد استطاع الغربيون ان ينسجوا على غرار المنسوجات المغربية لما وقع بيد تجارهم بالمغرب الملحم : (الخم) والمقصر المصنوعان بسلا والرباط ، فبعثوه الى

بلادهم ونسجوا على منواله ، فجاء ألطف من المغربي ، وأخف ، وأرخص ثمناً . وأقل كلفة ، فراج في مدن المغرب من حينئذ ، ويقال : أن اول مثال نسج عليه الافرنج : الصنفان المعروفان بالمرزاية والكتان . ذهب به بعض تجار سلا من رؤساء البحر بها إلى بلاد أوروبا آخر دولة السلطان المولى سليمان ، فإن هذا التاجر ذهب بالملحم : المقصر والخم ، ورجع ببدلها من منسوجات الافرنج .

ومن هذا الوقت أخذت صناعة القطن والكتان تضعف شيئاً فشيئاً ، ويجلب من بلاد الافرنج ما يستغنى به عما يصنعه المغاربة ويزهد فيه ، لرخص الافرنجي ولطافته ، بعدما كانت هذه الصناعة على غاية من الازدهار بالمغرب ، فإن معامل القطن والكتان وطرازاتها بعدوتي سلا والرباط ـ فقط ـ كانت تكاد ان لا تحصى كثرة ، ولما تقهقر أمرها في أيام المولى سليمان وما بعده من أيام المولى عبد الرحمن : كانت الطرازات التي بقيت في سلا فقط دون الرباط ستمائة معمل[1] .

وما أصاب هذه الصناعة أصاب باقي الصناعات المغربية الأخرى التي تقدمت عند الغرب وبقيت على حالها عندنا .

وكان من نتيجة هذا الغزو الاوروبي للصناعات الوطنية : ان افتقر أهلها وضعف حالهم ، ونزل بالمغاربة ضرر كبير بدفع ما في أيديهم من النقود ، والاحتياج إلى الاجنبي في الملبوسات والمصنوعات وغير ذلك .

وفي هذا الصدد يقول خير الدين التونسي في كتابه الجليل « أقوم المسالك ، في معرفة أحوال الممالك »[2] .

« . . . ولا يخفى ما يلحق الأمة بذلك ـ عدم مجاراة المدنية النافعة ـ من الشين ، والخلل في العمران ، وفي السياسة .

---

(1) « الاتحاف الوجيز ، بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز » ، تأليف المؤرخ المغربي محمد بن علي الدكالي السلوي المتقدم : الخزانة العامة بالرباط رقم D 42 و D.1320.

(2) ص 7-8.

أما الشين فبالاحتياج للغير في غالب الضروريات الدال على تأخر الأمة في المعارف .

وأما خلل العمران فبعدم انتفاع صناع البلاد باصطناع نتائجها الذي هو أصل مهم من أصول المكاسب ، ومصداق ذلك ما نشاهده من أن صاحب الغنم منا ومستولد الحرير وزارع القطن مثلاً : يقتحم تعب ذلك سنة كاملة ، ويبيع ما ينتجه عمله للافرنجي بثمن يسير ، ثم يشتريه منه بعد اصطناعه في مدة يسيرة باضعاف ما باعه به ، وبالجملة فليس لنا الآن من نتائج أرضنا الا قيمة موادها المجردة ، دون التطويرات العملية التي هي منشأ توفر الرغبات منا ومن غيرنا . ثم إذا نظرنا إلى مجموع ما يخرج من المملكة وقايسناه بما يدخلها ، فإن وجدناهما متقاربين خف الضرر ، واما إذا زادت قيمة الداخل على قيمة الخارج فحينئذ يتوقع الخراب لا محالة .

وأما الخلل السياسي فإن احتياج المملكة لغيرها مانع لاستقلالها ، وموهن لقوتها ، لا سيما اذا كان متعلق الاحتياج الضروريات الحربية التي لو تيسر شراؤها زمن الصلح لا يتيسر ذلك وقت الحرب ولو بأضعاف القيمة .

ولا سبب لما ذكرناه الا تقدم الافرنج في المعارف الناتجة عن التنظيمات المؤسسة على العدل والحرية ، فكيف يسوغ للعاقل حرمان نفسه مما هو مستحسن في ذاته ، ويستسهل الامتناع عما به قوام نفعه بمجرد أوهام خيالية ، واحتياط في غير محله .

ومما يحسن سوقه هنا قول بعض المؤلفين من الأوروباويين في السياسات الحربية : ان الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها فيما يستحدثونه من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية . يوشك ان تكون غنيمة لهم ولو بعد حين ، وخص التراتيب الحربية لأنها موضوع كتابه ، الا فالواجب مجاراة الجار في كل ما هو مظنة لتقدمه ، سواء كان من الأمور العسكرية او من غيرها » .

الطور الأول

1860/1276- 1830/1245

رأينا كيف اصطلحت الاحداث الجسام على المغرب ، وكيف ترادفت عليه الهزاهز حتى كانت كارثة الجزائر .

إن هذه الكارثة اطلعت المغرب بصفة خاصة على مدى التأخر والانحطاط الذي وصل إليه الجيش المغربي - الباقي على وضيعته القديمة - أمام الجيش الاوروبي المنظم والمسلح على أحدث طراز ، كما أن هذه الكارثة خلفت للمغرب جاراً قوياً لا حد لأطماعه التوسعية ، وأيضاً فرضت على المغرب ان يعين ويفك الجارة الاسيرة ، وهكذا خلق احتلال الجزائر ارتباكاً في النفوس ، وبلبلة في الأفكار ، تمخضاً عن ظهور حركة انبعاث جديد ، ويقظة في البلاد كانت النواة الاولى ، والحجرة الاساسية للوطنية المغربية الحديثة .

إن هذه اليقظة سببتنا ولها هذا البحث - ان شاء اللّه - ويدرس مختلف مظاهرها في الفترة الواقعة بين احتلال الجزائر واحتلال المغرب ، أي من عام 1830/1245 إلى عام 1912/1330 .

وكما أشرت له سابقاً : فقد مر هذا الانبعاث بثلاثة أطوار : بدأ ضعيفاً ومحدوداً في الطور الأول الذي يبتدىء من احتلال الجزائر إلى موقعة تطوان عام 1860/1276 .

ثم اخذت هذه النهضة توتي ثمراتها من حادثة تطوان حتى وفاة الوزير أحماد عام 1900/1318 ، وهذا هو الطور الثاني ، وفيه كان النشاط الحكومي أظهر من النشاط الشعبي .

على خلاف الطور الثالث الذي ينتهي عنه إعلان الحماية عام 1912/1330 : فقد كان النشاط الشعبي فيه أظهر من العمل الحكومي .

يقظة شعبية

ونبدأ الآن بالطور الأول الذي يمتاز بأنه لم تنجز فيه أعمال تذكر ، شأن الحركات الأولى ، وإنما وجد فيه شيء من اليقظة الشعبية أخذت تبدو في غير ما مناسبة .

ولم تتخذ هذه اليقظة شكل حزب وطني ، وإنما كان هناك بعض مؤلفين يبثون أفكاراً يقظة في مؤلفاتهم ، وكان أيضاً شعراء وخطباء يذيعون تلك الأفكار التي كانت تهدف إلى المطالبة بتجديد الجيش المغربي ، وتنادي بالجهاد لتحرير الجزائر .

الكردودي 1268/1851

ونجد في مقدمة شخصيات هذا الطور : محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلالي الشهير بالكردودي الفاسي ، مؤلف كتاب : « كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة » . ولنرى بعض أفكار المؤلف وروحه اليقظة : نورد فقرات من هذا الكتاب حيث يقول في أوله[1] :

« أما بعد فإني لما رأيت أسباب الجهاد قد أهملت ، وآلاته قد أغفلت ، وليله اعتم بعد ان كان مقمراً ، ونهاره أظلم بعد أن كان نيراء وغصنه ذوى بعد ان كان مورقاً ، وحسنه انطفأ بعد أن كان مشرقاً ، ورأيت العدو الكافر دمره الله وأهلكه ، وظفر أيدي المسلمين بجميع ما ملكه ، قد استولى على مملكة الجزائر ، وقهر كل ذي سطوة فيها من ملك أو ثائر : بحروب على هيئة مخصوصة ، وصفوف كأبنية مرصوصة ، ثم مد يد عزمه ، وكشف عن ساق حزمه ، لقتال أهل المغرب الاقصى ، وأخذ ثغوره التي لا يعد فضلها ولا يحصى ، فتوجه لقتاله جيش لا معرفة له بحقائق الحروب وأوصافها ، ولا علم عنده بتفاصيل انواعها واصنافها ، ومن كان منهم ببعض

---

(1) ص 2-3.

ذلك عارفاً ، كان له الجبن او ضعف الايمان عن مباشرة القتال صارفاً ، بل انهزموا جميعاً عند اللقاء ، واستبدلوا السعادة بالشقاء ، وجروا على الإسلام ذيل العار ، فاستوجبوا عقوبة الدنيا وعذاب النار . فإنا للّه وإنا إليه راجعون ، لعظيم ما نحن به مصابون .

على مثل هذا يقتل المرء نفسه ويحلو له مر الممات ويعذب :

حملتني الحمية الدينية ، والغيرة الاسلامية ، على ان وضعت هذا الكتاب ، الجامع لمحاسن اللباب ، المشتمل على صفة الحروب واسبابها ، وموجبات الظفر والهزيمة وآدابها ، مع ما تتوقف عليه من الشورى والعدة والشجاعة ، واحوال الجند التي بها ينتظم عقد الجماعة ، إلى غير ذلك من حكم ووصايا ، وحض في ميادين الهيجاء على احتساء كؤوس المنايا » .

ومن افكار هذا الكتاب في تنظيم الجيش : ما جاء في الباب الأول بعد ان قرر ان مرجع الحرب الى نوعين : نوع بالزحف صفوفاً ، ونوع بالكر والفر قال[1] :

« وقد اعتنى الروم لوقتنا هذا بأمر الصفوف وبالغوا في ترتيبها وتسويتها بما لا مزيد عليه ، فجعلوا في المقدمة صفوفاً اربعة او خمسة : صفاً وراء صف تتخللها مدافع كبار ، وفي الساقة والجناحين مثل ذلك ، والخيالة وراء الصفوف مما يلي القلب ، وملئوا القلب بالرجال والاثقال ، والجميع كبكبة واحدة ، رسنها بيد واحد في القلب ، يتكلم معهم في بوق ، او يقرع الطبل على هيأة يفهمون منها مراده ، فيصدر الكل عن رأيه . فإذا التقى الجمعان رمى اهل الصف الأول المقابل للعدو رمية رجل واحد ، ثم يجثون على الركب فيرمي من وراءهم كذلك، وهكذا، فيصير الرمي متتابعاً لا ينقطع، وبندق الرصاص يقع كالمطر الوابل . وهم في اثناء ذلك يرمون بالمدافع الكبار . فإذا رأت الخيل فرصة في عدوها اخترقت الصفوف لانتهازها ، ثم تعود لمحلها .

---

(1) ص 6.

وللمبالغة في تسوية الصف وإقامته ، لا تجد واحداً منهم خارج الصف فتختطفه خيل العدو ، فإذا سقط واحد من الصف الأول مثلاً خلفه من الصف الـذي قبله ، وخلف هذا واحد من الذي قبله ، وهكذا الى ان يصل ذلك إلى الأخير فيخلفه واحد من القلب ، ويحمل الساقط من هو معين لحمله لا غيره ، فيجعل في كراريط الموتى ان كان ميتاً ، او الجرحى ان كان جريحاً ، وكل هذا محافظة على إقامة الصف وتسويته ، وترتيب الجيش على هذه الصفة هو المسمى بالنظام . . . ثم قتال الزحف بالصفوف هو الذي دل الكتاب والسنة عليه » .

ومن صفحات الكتاب التقدمية تحدثه ـ في ذلـك العهد ـ عهـد السلطان المولى عبد الرحمن ـ عن قيام النظام البرلماني في اوروبا وتركيا ، ليلوح من وراء هذا إلى المطالبة بإقامة هذا النظام بالمغـرب ، ذكر هـذا في الباب الخـامس اثناء حـديثه عن الشـورى وقال: [1]

« قلت والروم لعهدنا ، وكذلك الترك فيما يبلغنا : قصروا الشورى على اربعين رجلاً ، فلا يبرم أمر عندهم الا ان صدر عن رأيهم واشارتهم ، وتسمى هذه الجماعة بالكرطي » .

وهذا الكتاب وضعه مؤلف باسم السلطان عبد الرحمن ، وطرز طعالته بذكره ، ورتبه على عشرة ابواب وخاتمة ، وهو مطبوع على الحجر بفاس في ص 111 ، راجع ترجمة المؤلف في « السلوة »[2] .

ابن عزوز أواخر القرن 13 هـ

يوجد بالخزانة العامة بالرباط رقم D 1623 طرف من رسالة مخطوطة منسوبة

---

(1) ص 46.

(2) ج 2 ص 333.

لابن عزوز ؟ الذي الفها للسلطان عبد الرحمن ، وسماها : « رسالة العبد الضعيف إلى السلطان الشريف » ، وموضوع هذه الرسالة في تنظيم الجيش المغربي . افتتحها بعد خطبة قصيرة بقوله يخاطب الملك المغربي :

« اما بعد فلا شك ان غرضك السديد . وتدبيرك المفيد . تعلق بالعسكر . واراد جمع الجيش الأكبر . مع علم سيدنا ايده اللّه ان العسكر يحتاج إلى التهيىء لما لا بد له منه . فحينئذ يقبض ويجمع على الهيأة المخصوصة له . والقانون الذي عليه مداره .

وها أنا ارتب لك ذلك في هذه الرسالة ، وارجو به الفوز يوم القيامة ، بشفاعة جدك صاحب العمامة ، صلى اللّه عليه وآله وسلم عدد الرياح الذارية ، والامطار النازلة ، ونفصل له اربعة فصول : الأول في ذكر التهيىء له ، والثاني في كيفية جمعه وكيف يجمع من المدائن والقرى البوادي ، وربما أشير إلى بعض المسائل من تعلمه مع اختصار ، والثالث في كيفية تهيئه وسفره لقتال العدو وصفة القتال ، والرابع أذكر فيه توبيخ بعض امراء الحوز ، وبعض امراء الجند ، واذكر فيه من يليق ان يتولى امر العسكر حال جمعه وسفره وتهيئه لقتال العدو اذا وجد وتوفرت فيه الشروط الآتية » .

وقال في الفصل الثاني :

« اعلم أيها المنصور بعون الله، المجاهد في سبيل اللّه، المخلص الأعمال للّه، أن النصارى ملكوا جزائر ، وسبوا نساءها ، واخذوا اولادها ، وغنموا أموالها ، فلم يكفهم ذلك ، وانتشروا في ساحتها حتى وصلوا إلى وهران ، وتلمسان ، وام عسكر ، ومغنية ، وتافنة ، وغير ذلك من المدائن القريبة منها والبعيدة عنها ، فغرسوا الاشجار ، واكلوا الثمار ، وشيدوا البنيان ، واتسعوا في الأوطان ، وركبوا الخيول ، وقتلوا الفحول ، وعجبتهم أنفسهم ، وفرحوا بكثرتهم ، وغلظت شوكتهم ، تجاسروا على القريب منهم والبعيد عنهم ، وطمعوا في هذا المغرب ، وفي الوصول إلى مدينة فاس ،

التي هي دار ملكك ومحل حكمك وولايتك . فوجب عليك ـ نصرك اللّه ـ التهيىء لهم ، وجمع العساكر للقائهم » .

والموجود في هذه الرسالة يقع في 11 ص ، ويقف اثناء الفصل الثاني .

التسولي 1258/1842

وممن يحق ان يذكر في صف المصلحين في هذا الطور : ابو الحسن علي بن عبد السلام التسولي المدعو مديدش المتوفى عام 1258 هـ ، فقد ضمن جوابه « البسيط »[1] الذي اجاب فيه عن الاسئلة التي رفعها ـ الى علماء فاس ـ محيي الدين الامير عبد القادر الجزائري عدة توجيهات وافكار تتناول واقع الحياة اذ ذاك بالمغرب ، ومما كتبه بخصوص تنظيم الجيش[2] :

« . . . ولذلك قالوا يجب على الإمام ان يهتم بأمور الجهاد ، فيأمر كل قبيلة بتعلم الحروب والتدريب ، وان رأى ان يعين من كل قبيلة مائة او اكثر تتعلم الحروب مهيئة نفسها لكلمة الأمير ، وتكون تلك المائة من الوجوه الذين لا يولون بالادبار ، وعند كل خمسة اشهر ونحوها يأمر بالضرب بين يديه بمرءا منه ، فمن رآه منهم كثير الاصابة والتدريب احسن اليه ، وقربه لديه . وهكذا حتى يعرف من كل قبيلة ابطالها وشجعانها ، فيعينهم حينئذ للاستنفار : الامثل فالأمثل ، ومن وجده من القبائل لم يعتن بما امره به من تعلم الحروب اهانها واهان قائدها ولامهم على مخالفة امره ، ولا يتكل في اختيارهم على غيره : فينتظم الأمر حينئذ .

فإذا احتاج الأمير إلى إقامة جيش لفجأ العدو ونحوه اقامه في ساعة واحدة من

(1) للتسولي « جوابان عن الاسئلة الجزائرية » : « بسيط » وهو الذي يقتبس منه هذا البحث . وهو مطبوع على الحجر بفاس . و« وجيز » وهو وارد « بالمعيار الجديد » في موضعين : ج 3 ص 42-46 التي ورد فيها على حدة ، وج 10ص 205-212 حيث ورد مع جواب القاضي عبد الهادي العلوي في المسألة .

(2) ص 3 ملزمة 6.

الأبطال ، لأنهم مكتوبون عنده في الديوان من كل قبيلة ، ولا يحتاج حينئذ إلى فريضة الحراك ، لأنهم اذا وكلوا لفرضهم لا يحركون الا اوباش الناس الذين اذا قاتلوا العدو ولوا الأدبار ، فيفسد الأمر ، ويختل الملك ، وربما كانوا لا يفرضون الحركة الا بعد انتهاز العدو في المسلمين الفرصة » .

ومما ورد في هذا الكتاب في موضوع الدفاع عن الجزائر[1] .

« تنبيه اذا نزل عدو الدين بأرض الإسلام او قريباً منها مريداً الدخول إليها فإن الجهاد فرض عين على اهل ذلك البلد وعلى امامهم : شيوخاً وشباناً ، احراراً وعبيداً ، بل وان على إمرأة ان كان لها قوة ، ولا يتوقف قتالهم للعدو النازل على مشورة الإمام ، ولا سيما ان بعد منهم ، بل وان لم يكن لهم امام تعين عليهم مدافعته ونصب الإمام ، فإن لم يقدروا[2] اهل ذلك البلد مع امامهم ـ على مقاومة العدو ـ تعين على اقرب الأئمة اليهم وعلى رعيته ان يعينوهم ، فإن لم تكن فيهم كفاية ومقاومة ايضاً وجب على من والاهم ، وهكذا حتى يأتي الوجوب منسحباً على جميع المسلمين .

فقطر الجزائر مثلاً حيث لم يقدروا على دفعه لعدم من يضبط كلمتهم ، ولعدم وجود القوة منهم ـ بدليل انه يتردد العدو اليهم ويأخذ مدائنهم شيئاً فشيئاً ـ فإنه يجب على من والاهم من ائمة المشرق وائمة المغرب الى سوس الاقصى والى بغداد بل والى الهند مثلاً : أن يعينوهم بالجيوش والعدة والعدد ، وان عصا من والاه ولم يعن تعين على من والى من والاه وهكذا . . . . » .

ذلك بعض ما ورد في كتاب التسولي ، هذا التأليف الذي يعد اول مظهر لليقظة الوطنية بالمغرب الحديث .

ونود الا نترك هذا الكتاب حتى ننقل عنه للمرة الأخيرة خطبة كان انشأها مؤلفه ،

---

(1) ص 8 «م» 8.

(2) كذا .

ثم خطب بها غب هجوم فرنسا على الجزائر ، حرض فيها على الاستعداد ، ودعا للجهاد ، ونثبت محل الحاجة منها كمثال لاحدى مظاهر تلك اليقظة ، وكنموذج لصدى احتلال الجزائر في المجامع المغربية[1] .

« . . . . فحرضوا انفسكم واشياعكم عليه (الجهاد) بقلب وقالب وجازم الاعتقاد ، واكثروا من الأهبة والنفر اليه وبادروا له بغاية الاستعداد ، فإن لم تشغلوهم شغلوكم ، وان لم تقاتلوهم قاتلوكم ، كيف وهم لكم بالمرصاد .

أو لا ترون انهم نزلوا على من بالقرب منكم واستولوا لهم على أعظم الثغور ، وصارت تخلي رعباً منهم المنازل والقصور ، ويغتالون لهم الرقاب والأموال والاولاد ، فانظروا ايدكم اللّه لانفسكم ، فإن فساد الكفر لا يعدله فساد ، يبث له الشرك والتثليث وينسخ كلمة التوحيد ويمحي اثر قائلها من الأرض والبلاد .

أو لا تتيقنون أن الله سبحانه أمرنا بالغلظة عليهم والتقوى وكثرة الاستعداد .

أو لا تعلمون أن الله وعدنا بالنصر عليهم وهو سبحانه ان وعد بشيء لا يخلف الميعاد ، فقال جل من قائل : « ان اتنصروا اللّه ينصركم » ، وقال : « وليجدوا فيكم غلظة » ، وقال : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، وقال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، وقال : « قاتلوهم يعذبهم اللّه بأيديكم » ، وقال : « وقاتلوا المشركين كافة » ، وقال : « ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم اللّه الذين جاهدوا منكم » ، أي أحسبتم أن تتركوا فلا تومروا بالقتال في الجهاد ، ولا تمتحنوا ليظهر الصادق في ايمانه من الكاذب ويتميز كل على الانفراد ، وقال : « ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين» ،أي لنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالقتال في الجهاد حتى يتبين الصابر على دينه من غيره ، ونظهر اخباركم للحاضر والباد .

فنتبهوا ـ أيدكم اللّه ـ فانكم بهذه الآيات القرآنية المخاطبون ، وبالأحاديث

---

(1) ص 2-3 «م» 8.

المصطفوية المقصودون ، إذ بيدكم الحل والعقد ، والرعية في طوعكم فكيف بـأمرهـا بالجهاد تبخلون ، وانتم خلفاء اللّٰه في ارضه فكيف على دينه لا تغيرون ، أأمنتم مكر اللّٰه فلا يأمن مكر اللّٰه إلا القوم الخاسرون ، أأتخذتم عند اللّٰه عهداً فأنتم عليه متوكلون ، أم تعتقدون أن كفاركم اليوم لا يقصدونكم بالقتال والجلاد ، أم تقولون نحن اشتغلنا اليوم بجهاد انفسنا ورعيتنا وبالخدمة على الاولاد ، والنبي عليه وآله الصلاة والسلام انما بعثه اللّٰه مجاهداً ، وفي هذا العرض الأدنى زاهـداً ، مقتنعاً بـاليسير ، وهـو يستعد لعـدوه الاستعداد الكبير ، فإذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون ، وإذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون ، وإذا لم تشمروا عن ساق الجد في هذه البرهة ففي أي وقت تشمرون ، وإذا لم تستعدوا في هذه الفسحة فمتى تستعدون ، أفلا تتذكرون ان اللّٰه سبحانه امرنا بالذهاب إليهم وقتالهم في اراضيهم ، فكيف ان قدموا إلى برنا هذا بالغي والفساد ، ام لنا براءة استثنانا اللّٰه تعالى بسببها من عموم دعوة الجهاد ، فالجهاد فريضة عين على من نزل بهم عدو الدين ، فإن لم تكن فيهم كفاية او لم تجتمع لهم كلمة فعلى الذين يلونهم ، وهكذا إلى أن تحصل الكفاية ولو اتصل ذلك من مثل المغرب لبغداد ، أو غير ذلك من الآفاق الحاضر والباد .

فأيقظوا انفسكم من وسن الغفلة ، وانتهزوا من العدو الفرصة ما دامت منكم فسحة الاستعداد ، قبل ان يتفاقم الهول ويحق القول ويسد الباب ، ويحق العذاب ، وتسترق بالكفر الرقاب ، ويحصل الفوت بسبب الأزدياد ، فإنكم ان لم تستعدوا فهم لكم بصدد الاستعداد ، والوقوف لكم بالمرصاد ، ولا تتكلوا على ما يخبركم به ضعفاء العقول من وفائهم باستمرار العهود ، وعدم نقضهم للميثاق المعقود ، فإن ذلك كله مردود ، إذ لا ميثاق ولا عهد لاعداء الدين وأهل الفساد ، ونحن لا نعتبر عهودهم وشهادتهم بالاضافة إليهم فكيف نعتبرها بالنسبة الينا باجماع اهل العلم والاجتهاد » .

راجع ترجمة التسولي في السلوة[1] .

---

(1) ج 1 ص 238.

محمد ابن ادريس 1264 / 1847

أما الشخصية الرابعة من رجال اليقظة في هذا الطور فهو الوزير الشهير محمد ابن محمد بن ادريس العمروي الفاسي المتوفي عام 1264/1847 .

له عدة قصائد في الدعوة إلى الجهاد لانقاد الجزائر من ذلك قوله :

يـا اهـل مغـربنـا حق النفـير لكم ... إلى الجـهـاد فـما في الحق مـن غـلط
فـالشرك من جنبـات الشـرق جـاوركم ... من بعـد ما سـام اهل الـدين بالشـطط
فـلا يـغـرنكـم مـن لـين جـانبـه ... مـا عـاد قبـل عـلى الإسـلام بـالسخط
فعنـده من ضـروب المكـر مـا عجـزت ... عن دركـه فكـرة الـشبـان والـشمط
فـواتـح المكـر تبـدو من خـواتمـه ... فعنـده المكـر والمكـروه في نمط
وانـتـم الـقـصـد لا تـبـقـن في دعـة ... ان السكـون إلى الاعـدا من السـقط
من جـاور الشـر لا يعـدم بـوائقـه ... كيف الحيـاة مـع الحيـات في سـفط
قـد يـغـبط الحـر في عـز يخـلده ... ولـيس حي عـلى ذل بـمـغـتـبط(1)

ومن ذلك أيضاً قصيدته النونية المسماة : « سرية النصر ، لأهل هذا العصر » تحتوي على مائتين وعشرين بيتاً يقول في أولها :

فـرض عـلى كـل مسكـين وسلطان ... حمـل السـلاح عـلى عبـاد اوثـان
فـحمـله شـرف عـال ومـفـخـرة ... خص الالـه بهـا اعـز عـبـدان
لا شيء أحسن من صوت السلاح على ... الاعنـاق في طـاعـة المولى ورضـوان
فهـو الـوسيلة في نصـر الالـه لـكم ... ونصـرة المصـطفى اجـل عـدنـان
ولـيس يجـحـد فـضـل حمله مـلك ... ولـيس يـأنف عنـه كـل خـاقـان
بـه نـبـيـكـم الالاه شـرفـه ... بـحمـله لامـتـثـال امـر رحمـان

---

(1) الاستقصاء ج 4 ص 196 مع « الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية » لمحمد المشرفي مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1463.

بـه ازيـلت لهـذا الـديـن غـربتـه ... وطـار صـيتـاً بـه بـكـل بـلدان
والانـتـهـاء كـالابـتـداء قـاعـدة ... في الفقـه مقـروة في كـل ديـوان[1]

ومن اشعاره في الموضوع : القصيدة الطنانة التي انشدها عندما استولت فرنسا على مدينة تلمسان ، وأولها :

يـا ساكني الغـرب الجهـاد الجهـاد ... فـالكفـر قـد شـارككم في البـلاد
والـشـرك قـد نـصـب اشـراكـه ... مـسـتـعـبـداً بـكـيـده لـلعبـاد
ويـا حمـاة الـديـن مـا صبـركـم ... والمـشـركـون يـطلبـون الـبـداد
مـا هـذه الـغـفـلة عـن ضـدكـم ... وانـتـم في الحـرب أسـد الجـلاد
ان بـني الأصـفـر اعـداؤكـم ... اطـعـمـهـم نـومـكـم في الـسـواد
ويـا ابـاة الـضـيـم هـل نهضـة ... تـسـربـل الكـفـر ثـيـاب الحـداد
قـومـوا لـنـصـر دينـكـم قـومـة ... تحطم اهـل الشـرك حـطم الجـداد
ايـن بنـوا الـعـرب الـذيـن لهـم ... قـدم صـدق في جـهـاد الاعـاد
وايـن اهـل الـبـر مـن بـربـر ... ومـن لهم في الـديـن بـيض أيـاد
وايـن مـن حـاز الـنهي والـتـقـى ... ومـن لـه في اللّه حـسـن اعـتـقـاد
وايـن اهـل الـديـن قـاطـبـة ... وسـادة النـاس الصـلاب الشـداد
وايـن سـكـان الحـواضـر مـع ... اهـل المـداشـر واهـل الـعـمـاد
ايـن الجـبـال وقـبـائـلهـا ... اهـل الـبـسـائط واهـل الـوهـاد
كـم وقـعـة تـتـلى لاسـلافـكـم ... بـألـسـن المـدح لـنـا وتـعـاد
فـأيـن مـا اعـددتـم لهـم ... مـن قـوة الـرمي وسـبـق الجـيـاد

إلى ان يقول :

واسـطة المـغـرب قـد حـازهـا ... والأمـر جـد والـبـلا في ازديـاد
حـوى الجـزائـر ووهـرانها ... وراع حـاضـراً بـذاك وبـاد

---

(1) « الحلل البهية في تاريخ الدولة العلوية » .

مصائب صبت على معشر ... يبكي من الاشفاق منها الجماد
يكاد يقضي المرء من حرها ... على حشاه ، وتذوب الصلاد
اخوانكم ديناً وجيرانكم ... اضحوا رعايا الشرك بين أعاد
ساموهم هونا ، وأزروا بهم ... في الدين حتى ركنوا لارتداد
وطمعوا فيكم فكونوا يداً ... فإن تثاقلتم فأنتم مراد
قد ملكوا الاحرار من غدرهم ... ودللوا بالكره صعب القياد
من حلقت لحية جار له ... فلتكنَنْ لحيته في اعتداد

ومنها :

تذكروا وقعة اندلس ... وأبصروا منها سبيل الرشاد
لتعلموا غدر العدو وما ... رمى به من كل خطب نآد
تحملوا من غدرهم سبة ... امرض حملها القلوب وآد
ان الخداع عنده سنة ... والنكث دينه متى ما اراد
سلوا الجزائر وما قد لقوا ... من غدره بعد عهود شداد
لا قرب الرحمن دار امرىء ... مال إلى الاشراك يوماً وماد. . .

ومنها :

آه على الاسلام قد ضعفت ... انصاره بعد قوى واشتداد
آه على مساجد رجعت ... بعد الصلاة خان خمر وناد
آه على صوامع ابدلت ... بعد الآذان نقر ناقوس صاد
آه على مدارس اصبحت ... بعد دروس العلم مأوى الوغاد
آه على مكاتب قد خلت ... وعادها بعد النفاق الكساد
آه على حواضر وقرى ... وجنة للكفر فيها مراد
آه على الابكار قد اصبحت ... بعد الصيانة دواعي فساد
آه على الحرم قد هتكت ... ولم يغر لهتكها ذو فؤاد

آه على ثغور عز غدت بعد التبسم كساها الحداد
اما لاهل الدين من واعظ أما لأهل العقل من ذي رشاد
يا أيها الناس اتقوا ربكم وجاهدوا في اللّه حق الجهاد[1]

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة التي بلغ عدد ابياتها 111 بيتاً .

راجع ترجمة هذا الشاعر في الاتحاف[2] والاعلام[3] .

محمد غريط 1280/1863

هو الوزير محمد بن محمد بن عبد اللّه غريط المكناسي ثم الفاسي ، المتوفي عام 1280هـ . وهو الخامس من رجال هذه اليقظة ، له اشعار في واقعتي الجزائر وتطوان ، وهذا نص القصيدة التي أنشأها بعد احتلال تلمسان :

ما لي أرى جفن أهل الغرب وسنانا من بعد ما أخذ الرومي تلمسانا
كأنهم ما دروا ماذا يريد بهم عدو دينهم ، لا نال امكانا
ولا على فعله في دفتر وقفوا بأهل أندلس يا بيس ما كانا
لا عذر للمسلمين في التكاسل عن جهاده حسبة منهم وايمانا
أين الكماة الحماة ما لهم رقدوا والكفر في اخذهم ما زال يقظانا ؟
اين الاباة لمس الضيم ما لهم اليه لم ينفروا رجلا وركابنا ؟
كأن اهل جزائر وغيرهم ليسوا لنا باعتبار الدين اخوانا
كأن ما هم به من الهوان على من قد عداهم من اهل الدين قد هانا
يا معشر المسلمين استيقظوا وخذوا من العدا حذركم سراً واعلانا

---

(1) عن نسخة من هذه القصيدة آخر مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم D 1388 ، مع تصحيحها على النسخة المطبوعة منها بفاس بذيل « كشف الغمة » المتقدم الذكر .

(2) ج 4 ص 189-239.

(3) ج 5 ص 263-292.

فليس يؤمن غدرهم وان بعدوا فكيف اذ اصبحوا للحد جيرانا

ان لم يفاجئه من تلقائكم مدد يمد نحوكم للكيد اشطانا

ويستهشهم ظناً بأنكم كمن له شيعة اضحوا واخذانا

فجددوا عزمكم على قتالهم واستخلصوا منهم قرى وبلدانا

تلك الجهات بها الاسلام يندبكم لتهدموا بيعا بها واوثانا

وتنقذوا اهلها من العدو فقد اراهم من شنيع المكر ألوانا

والدين اوجب أن نسعى لنصرتهم بالنفس والمال اشياخاً وشبانا

والله منا اشترى نفوسنا كرما بجنة جمعت حوراً وولدانا

وكم وكم آية في حضنا وردت على الجهاد فما اقل جدوانا

وكم وكم من حديث في فضائله يصير الجبنا النكاص شجعانا

موتوا كراماً فإن الحر يأنف من معيشة تدع الحليم حيرانا

لا موت افضل من موت الجهاد لمن يرجو من الله رحمة ورضوانا

ان تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا ولتخلعوا في ابتغاء القوم ارسانا

اخونكم قبل ـ مع نزور عدتهم ـ غزوا ، وأخلوا من الكفار اوطانا

وكم لهم في جهاد الشرك من اثر املى به الناس ديوانا فديوانا

ولستم بأقل منهم عدداً فكيف منكم يرى العدو إذعانا

كونوا صلابا على أهل الصليب فلا دين لمن لعدو دينه لانا

وليس يعطي الدنية الكريم ولو اضحى لنار عدو الدين قربانا

وكل ذي همة يستعذب الموت في ما يرفع القدر في الدارين والشانا

بيعوا نفوسكم واغزوا عدوكم كفى بصفقة من لم يغز خسرانا

وشمروا ، وانهضوا ، وسارعوا ، وعلى جلاده اخوة كونوا واعوانا

ما قصر العمر اقدام على خطر ولا أنال الخلود الجبن انسانا[1]

---

(1) ذيل « كشف الغمة » المتقدم ، مع نسخة مخطوطة من القصيدة .

ولهذا الشاعر ترجمة في الاتحاف [1] .

محمد بن الشيخ سيدي الشنجيطي 1284 / 1867

إلى جانب الآثار اليقظة المتقدمة : يكون من الطريف ان يسجل هذا البحث انه في هذا « الطور الأول » اخذ يظهر في شنجيط ايضاً نوع من الانبعاث يرمي إلى الدعوة للاستعداد لمقاومة التوسع الاستعماري ، ونستطيع ان نجد صدى هذا الانبعاث عند الاديب الشنجيطي محمد بن الشيخ سيديّ ابن المختار بن الهيب الابييري ثم الانتشائي ، المتوفي عام 1284هـ ، فقد كانت قصيدته الآتية : صرخة داوية لايقاظ النفوس من سباتها ، ودعوة صارخة للاستعداد لمقاومة كل تعد .

والقصيدة طويلة ، ومن عيونها :

ترانا عاكفين على المغاني	لفرط الشوق نندبها حيارى
اسارى لوعة وأسى ننادي	وما يغني النداء عن الاسارى
ولو في المسلمين اليوم حر	يفك الاسر او يحمي الذمارا
لفكوا دينهم وحموه لما	اراد الكافرون به الصغارا
حماة الدين ان الدين صارا	اسيرا للصوص وللنصارى
فإن بادرتموه تداركوه	والا يسبق السيف البدارا
بأن تستنصروا مولى نصيراً	لمن والى ومن طلب انتصارا
مجيباً دعوة الداعي مجيراً	من الاسواء كل من استجارا
وان تستنفروا جمعاً لهاماً	تغص به السباسب والصحارى

وبعدما افاض في وصف هذا الجيش قال :

فمن يك هكذا يحيي حميدا	ويستحلي بموطنه القرارا

---

(1) ج 4 ص 248-254.

ومن لا فالممات به جدير ... ولو للنار بعد الموت صارا
فيا للمسلمين لها امور ! ... لها الاكباد تنفطر انفطارا
تهاونتم بموقعها وما ان ... تهاونتم بها الا اغترارا :
لصوص لا تخاف البأس منكم ... ولا العقبى فترضى ان تدارا . . .
وروم عاينوا في الدين ضعفا ... فراموا كلما راموا اختبارا
فإن انتم سعيتم وانتدبتم ... برغم منهم ازدجروا ازدجارا
وان أنتم تكاسلتم وخمتم ... برغم منكم ابتدروا ابتدارا
فألفوكم - كما يبغون - فوضى ... حيارى لا انتداب ولا ائتمارا
وما ظنوا - لعظم جابروه ... كسارى بعد هيضته - انجبارا
وقالوا : ان للفرس انتهازا ... وثاروا كي ينالوا منه ثارا
ولم اعرف وسوف ترون عما ... قليل : صبح ليلكم استنارا :
مهى حور المدامع عاطفات ... تخوض بها القراقير البحارا
اذا التفتت لجانبها تلافت ... - حذار الموج - لوحا او دسارا
لئن كانت مراكبها المهارى ... وان كانت مراودها القفارا
تلطمها العلوج على خدود ... كسى الوانها الفرغ اصفرارا

وقد اطال في وصف الحالة المؤلمة التي يتوقعها ثم قال :

فيا للمسلمين لما دهاكم ... الى كم لا تردون الحوارا
اجيبوا داعي المولى تعالى ... او اعتذروا ولن تجدوا اعتذارا
اجيبوه بذنياكم تعزوا ... وتذخروا من الأجر اذخارا
فإحدى الحسنيين لكم اعدت ... حمالة قادر حاز اليسار
بجنة اشترى منكم نفوسا ... ومالاً يا رِبَاحُكُم تِجارا[1]

إلى آخر هذه القصيدة التي يبلغ عدد ابياتها 109 .

---

(1) القصيدة بطولها واردة في « الوسيط » بالطبعة الأولى ص 248-254 ضمن ترجمة صاحبها .

وهذا قاضي طنجة محمد بن عبد القادر الكردودي سالف الذكر ، يستنكر تصرفات بعض المحميين والاجانب ، مما دفع احد اليهود ان يعلن بالنيل من الاسلام ، كما أن بعض المسيحيين انتهك حرمة جامع نفس المدينة ، وفي هذا الصدد نظم القاضي المغربي قصيدة صارخة ، وكان الذي امدني بها هو حفيد الشاعر : الاستاذ الفاضل المرحوم السيد احمد الكردودي ، وهذا نص القصيدة :

سلام على أرض سلام مودع ... اقام بها دهرا على لهب الجمر
سلام على الاسلام فيها واهله ... حماة غريب الدين من صولة الكفر
سلام عليكم سدد اللّه رأيكم ... وعاملكم باللطف في السر والجهر
تخذتم بلاد الذل داراً وانها ... وان كملت حسنا تعامل بالهجر
بلاد غدا نور الوجود محمد ... يسب بها جهرا فيا له من خسر
وشأن اليهود في حماها معظم ... وحكم النصارى في جوانبها يجري
ومن لشعار الدين اصبح مظهرا ... يقابله الكفار بالهزء والسخر
وفيها امور لو أحاول شرحها ... لضاق نطاق النظم فيها مع النثر
فدين رسول اللّه فيها كما ترى ... غريب يحن للتعزز والنصر
على غربة الاسلام ابكي تأسفا ... واندب اهلا للمكارم والفخر
فهذه ارض قد صرمت حبالها ... وحولت عنها الرحل متقيّ الشر
وكيف يطيب العيش فيها لمسلم ... ونار غضى الكفار موقدة الجمر
بلاد بفلس لو تيسر بيعها ... لجادت بها نفسي وان كنت ذا فقر
سلامة دين المرء اولى لأنها ... دليل على نيل السعادة والخير
وسوف يحيق المكر قطعا باهلها ... وان جنحوا للسلم اذ هم ذوو الغدر
على انني قد قمت فيها بواجب ... وارغمت انفا للعداة ذوي المكر
فعاقبت من بالسب اصبح معلنا ... وفزت - وربي - بالجزيل من الاجر
ولو كنت في امري مطاعا قتلته ... ولكنّني في تركه بيّن العذر
وكنت سعيت في تنقل كافر ... إلى ارضه عنها بحكم ذوي الأمر

وذلـك لمـا ان تجـاوز حـده — وحـل محـلا لـلعـبـادة والـذكـر
مكـان رفيع الشـان جـامـع ديننـا — فـاكـرم بـه من جامـع شـامـخ القـدر
علـى حـالـة سـاءت نفـوسا كـريمـة — بحَمْـل سلاح والكـلاب على الأثر
فغـاظ جميـع الكـافـرين صنيـعنـا — وسـدد سهم الـطعن مني في الـنحـر
ونـلت ونـالـوا مـا أرادوا ببـغـيـهـم — وقـابلت مـا تبـدي الاعـاجم بـالصبـر
ولـست أبـالي بـعـدمـا نلت مـنهـم — بمـا قـد يقـال من مـلامـة او نكـر
رجـوت بمـا قـد نلتـه اليـوم مـنهم — شفـاعـة خـير الخلق في مـوقف الحشـر
عـليـه صـلاة الـلّه ثـم سـلامـه — وآلـه والاصحـاب طـرا مـدى الـدهـر

المحاولات الأولى لتجديد المغرب

الآن ـ وقد انتهى عرض ما طالت اليه اليد من آثار يقظة المغرب الشعبية في هذا الطور الأول ـ لا ننسى ان نسجل انه في الطور نفسه وعلى عهد السلطان المولى عبد الرحمن : بدأت ـ ولو ببطء وفي نطاق محدود ـ المحاولات الأولى لتجديد المغرب .

ففي هذا الطور بدأت تجربة تنظيم الجيش المغربي على طراز حديث ، وانما لم تدرس هذه التجربة هنا وتأخرت للطور الثاني لتتناسق مع المحاولات التي بذلت لتنظيم هذا الجيش من طرف محمد الرابع وابنه المولى الحسن الأول خلال «الطور الثاني»، ولنفس السبب سنرجىء للطور الثاني عرض الحركات التعليمية الأولى التي انبثقت مع الطور الأول .

شـكـوى

هذا ولتكن خاتمة حديث الطور الأول اثبات شكوى للسلطان المولى عبد الرحمن من الوضعية التي آل اليها المغرب ، وقد بث هذه الشكوى خلال قصيدة وجهت على لسانه إلى الجانب النبوي الكريم[1] فقد جاء في هذه القصيدة لدى ذكر الأمة المغربية ما يلي :

---

(1) القصيدة من شعر الوزير محمد بن ادريس العمري المتقدم وهي واردة في « الاتحاف » ج 5 ص 271-273.

«. . . واني قد استرعيت منهم رعية   وحملت من اعباء امرهم إصرا
أروم لها التوفيق والرشد والهدى   وأرجو لها الاسعاد والحفظ واليسرا
وآمل من جدواك كل عناية   ونصراً عزيزاً يهدم الشرك والكفر. .
وقد جاوروا من عصبة الكفر أمة   تريد بنصب الماكرين لها الجرا. .
واظهر لها من عز جاهل نصرة   ترد على الاعقاب من سامها ذعرا
وتخلي ديار المسلمين من العدى   وتكسبها من بعد نجسهم طهرا
وتتركهم صرعى بكل ثنية   وتملأها ديناً كما ملئت كفرا

الطور الثاني
1900/1318 — 1860/1276

يمتاز هذا الطور بأنه عهد اصلاح وتجديد من طرف الحكومة المغربية ، كما يمتاز بأن مركز المغرب فيه ازداد تحرجاً وضعفاً بعد حادثة تطوان التي هي مبدأ الطور الثاني ، فإن هذه الموقعة ازالت الهيبة عن بلاد المغرب ، واستطال الغربيون بسببها ، وانكسر المسلمون انكساراً لم يعهد لهم مثله ، وكثرت الحمايات التي نشأ عنها ضرر كبير[1] .

وفي هذا الطور بدا واضحاً تدهور الاقتصاد المغربي الذي بقي على وضعيته القديمة امام تقدم اوروبا المدهش في التجارة والصناعة ، وقد شرح هذه الظاهرة صاحب الاستقصا[2] في العبارات التالية :

« اعلم ان احوال هذا الجيل الذي نحن فيه قد باينت أحوال الجيل الذي قبله غاية التباين ، وانعكست عوائد الناس غاية الانعكاس ، وانقلبت اطوار اهل التجارة وغيرها من الحرف في جميع متصرفاتهم : لا في سككهم ، ولا في اسعارهم ، ولا في سائر نفقاتهم ، بحيث ضافت وجوه الاسباب على الناس ، وصعبت عليهم سبل جلب الرزق

---

(1) الاستقصا 4 ص 222.
(2) ج 4 ص 287.

والمعاش ، حتى لو نظرنا في حال الجيل الذي قبلنا ، وحال جيلنا الذي نحن فيه ، وقايسنا بينهما ، لوجدناهما كالمتضادين ، والسبب الاعظم في ذلك ملابسة الفرنج وغيرهم من اهل الاوروبا للناس ، وكثرة مخالطتهم لهم ، وانتشارهم في الآفاق الاسلامية ، فغلبت احوالهم وعوائدهم على عوائد الجيل ، وجذبته إليها جذبة قوية » .

هكذا يشرح المفكر الكبير حالة الاقتصاد المغربي في هذا الطور ، فإذا اضفنا هذا لما قبله ـ ندرك الحالة السيئة التي آل اليها المغرب في هذا الطور : سياسياً ، وعسكرياً واقتصادياً ، بينما الدول الأوروبية ـ وفي مقدمتها التي يهمها امر المغرب ـ بلغت في هذا الأوان : الأوج في التقدم والرقي .

ومما ينبغي ان يسجل هنا : ان المغرب في هذا الطور اشتد التنافس الدولي حوله ، فقد صار موضع اهتمام اربع من الدول الأوروبية : اسبانيا وانجلترا وفرنسا والمانيا الحديثة العهد بتوحيدها .

اما اسبانيا فكان اهتمامها بالمغرب راجعاً إلى الصلة التاريخية القديمة التي كانت تربط بين البلدين ، واما اهتمام انجلترا فكان اقتصادياً وحربياً ، وكان الاهتمام الاخير منحصراً في منع أية دولة اوروبية قوية من ترسيخ اقدامها في ساحل مراكش الشمالي الذي يطل على البحر المتوسط ، حتى لا يكون وجودها هناك مهدداً لحصن جبل طارق .

واما اهتمام فرنسا فكان استعمارياً محضاً ، لأن فرنسا لم تتطلع إلى ابتلاع تونس في شرقي الجزائر ومراكش في غربها ، إلا لكيما تؤسس في شمال افريقيا امبراطورية شاسعة ، تستعيض بها عن الامبراطورية التي كانت لها في اوروبا في عهد نابليون الكبير .

اما اهتمام المانيا فكان تجارياً بحتاً ، ولذا كانت تجارة تلك الدولة رائجة جداً ، وآخذة في النمو[1] .

---

(1) « مذكرات لورد غراي وزير خارجية بريطانيا العظمى سابقاً » تعريب علي احمد شكري : مقدمة المعرب ص 48-49.

وقد دام هذا التنافس حتى عام 1904/1322 ، حيث انسحب من الميدان انجلترا واسبانيا ، ثم انسحبت المانيا بعد ذلك عام 1911/1329 .

إلى هذه الحالة صار المغرب في هذا الطور ، فماذا فعله اولوا الأمر في المغـرب حينئذ ، وهما ـ بصفة خاصة ـ الملكان : محمد الرابع والمولى الحسن الأول .

وحقاً انهما بذرا البذور الصالحة ، ووضعا اللبنات الأولى لاصلاح الحالة بالمغرب ، ولو ساعدتهما الظروف وساعدت الذين اتوا بعدهما لتحول المغرب من ذلك التاريخ إلى أمة لها مكانتها ومقامها ، كما صارت اليابان امة عظيمة وهي التي كانت بعثاتها تدرس باوروبا في الوقت الذي كانت توجد هناك بعثات المغرب ، ولكن اليابان كان بعيداً عن اوروبا فلم تعمل هذه لعرقلته ما عملت في المغرب الجار القريب لاوروبا .

1 تنظيم الجهاز الحكومي

ان اول ما يلاحظ في هذا الطور : ان المغرب أصبح ذا حكومة منظمة تشتمل على عدة وزارات ، بعدما كانت ـ الى عهد قريب ـ لا تتوفر إلا على وزير واحد يكون بمثابة معين للملك في اشغاله ، والوزارات التي صارت تتألف منها حكومة المغرب الجديد هي :

1) ـ الصدارة وفي ضمنها وزارة الداخلية .

2) ـ وزارة الخارجية .

3) ـ وزارة الحرب ويطلق على صاحبها « العلاف الكبير » ، وهو الرئيس الأعلى للجيش .

4) ـ وزارة الشكايات : « العدلية » .

5) ـ وزارة المالية : « امين الامناء » .

وكان الذي احدث وزارتي الحرب والعدلية هو السلطان محمد الرابع ، ثم احدث السلطان الحسن الأول وزارتي الخارجية والمالية ، اما الصدارة فهي الوحيدة التي كانت موجودة من قبل .

وفي العهد الحسني صار تنظيم مصلحة الكتاب كما يلي :

فقد كانت هذه المصلحة مقسمة الى عدة دواوين للكتاب ، في كل واحد منها رئيس له عدة كتبة نحو الستة دواوين ، منها ما كتابه يبلغون الستين ، ومنها ما كتابه يبلغون

العشرين ففوق ، ومنها ما دون ذلك ، والجميع في شغل شاغل مما يصدر لهم عن السلطان المولى الحسن[1] .

وتوجد لائحة باسماء بعض هؤلاء الكتاب ، وقد وردت عناوينها هكذا :

طلبة الفقيه الحاجب . طلبة الفقيه الوزير الحاج المعطي : « رئيس الوزارة » ، طلبة الفقيه المسفيوي : « وزير الشكايات » . طلبة الفقيه السيد فضول غريط : « وزير الخارجية »[2] .

ومن الاصلاحات التي ادخلها السلطان الحسن الأول : ان احدث مصلحة تقوم بتخليص القوائم الواردة من المراسي وغيرها ، وتسجيلها بالدفاتر المعدة لها : وجعل على رأس هذه المصلحة الامين الحاج محمد الزبدي الرباطي ، وهو ايضاً الذي سن وقوف الوزير الداخل بالقضايا التي تهم وزارته حتى يخرج بها كلها موقعة بقلم الرصاص[3] .

وقد تبع تنظيم الحكومة المغربية احداث دفاتر جديدة لتسجيل حسابات المالية والجيش والنفقات الملكية الخاصة وما الى ذلك[4] .

وهناك دفاتر تبتدىء من العهد الحسني ، وتستخدم لتسجيل نسخ المكاتب الحكومية : من الظهائر والرسائل الصادرة الى مختلف الجهات والأفراد .

وفي المكتبة الملكية بالرباط يوجد عدد من هذه الدفاتر ، ومنها عن عهد الحسن

---

(1) البستان الجامع لكل نوع حسن ، وفن مستحسن ، في عد بعض مآثر السلطان مولاي الحسن » تأليف محمد بن ابراهيم السباعي المراكشي ، نسخة الخزانة العامة بالرباط ، رقم D 1346.

(2) انظر « العز والصولة في معالم نظم الدولة » لابن زيدان ج 1 ص 223-225.

(3) « نشاط الاذهان ، وتحفة الاخوان ، في استنباطات ومناقب مولانا الحسن » : اسم رسالة صغيرة من تأليف الحاج الطاهر بن بلقاسم بن العباس بن علي بن الحسن العماري ثم المراكشي ، مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقم 1707.

(4) انظر « اتحاف اعلام الناس » ج 3 ص 547-556 حيث توجد تفاصيل وافية في هذا الصدد ، وانظر ايضاً نفس المصدر ج 2 ص 458-461.

الأول ما يحمل الارقام الآتية : 348 ـ 353 ـ 360 ـ 364 ـ 397 . وعن عهد السلطان عبد العزيز : 328 ـ 370 ـ 422 ـ 424 ـ 429 ـ 432 ـ 439 ـ 442 ـ 452 .

كما يوجد بنفس الخزانة دفاتر اخرى لحسابات المالية والجيش ومختلف النفقات ، هذا فضلاً عن السجلات المودعة في مراكز متنوعة : حكومية او خصوصية .

ونذيل الآن بذكر لائحة كناشات واوراق وتفاييد مخزنية ، وهي واردة ضمن كناشة في حوزة العلامة الشريف ادريس بن الماحي الادريسي القيطوني الاستاذ بثانوية مولاي ادريس بفاس ، وتتفرع هذه اللائحة الى تجريدتين : الأولى ترجع الى الايام الاخيرة من عهد السلطان الحسن الأول ، والثانية تعود الى الايام الأولى بعد وفاة الوزير أحماد أيام السلطان العزيز ، ومنهما معاً نتبين مدى سير تنظيم الحكومة المغربية في هذا الطور ، وقد صدرت التجريدة الأولى هكذا :

« تجريد ما بداخل الصناديق السبعة : من الكنانيش والتقاييد المدفوعة لامناء البنيقة المراكشية عند نهوض سيدنا المقدس للغرب في اوائل قعدة عام 1311هـ » وسنقتطف من هذه التجريدة ما يلي :

يوميات المرسي .

كناش تعريب المنفشطوات عن الوضع والوسق ، خدمة الامناء : الحاج ادريس التازي ، واللبادي ، وأزطوط .

وآخر مثله ، خدمتهم ايضاً : الكل بمرسى العرائش .

باكيط يكون بداخله بطائق أو يوميات .

كنانيش بها الموضوعات بالمراسي .

كناش به نسخ الرئيس .

كناش به صائر البابور الحسني خدمة الحاج المدني التازي والزكاري والغسال بمرسى طنجة .

قوائم خرص دكالة ، والسراغنة ، وزمران ، والرحامنة ، وعبدة ، وأحمر ، والشاوية ، وبني حسن ، والغرب ، والخلط ، والطليق ، وعرب سايس ، والزراهنة ، واحواز فاس : عن عام 2 [130] .

قوائم صائر مكناس ، آلة فابريكة السكة التي بالعرصة قبالة القصير ، محاسبة بني حسن .

مكاتب المحتسب ابي عبد اللّه في شأن المكينة واختبار دقيق المئونة .

كنانيش الأروي السعيد .

* * *

وبعد هذا تأتي التجريدة الثانية التي صدرت هكذا :

« تجريد ما بداخل الصناديق الثلاثة عشر المدفوعة لامناء البنيقة المراكشية باواسط ربيع الأول عام 1318 : من الكنانيش والاوراق والتقاييد وغير ذلك » .

وسنقتطف من هذه التجريدة ما يلي :

كنانيش المستفاد .

كنانيش املاك المخزن : لكل بلد كناشها .

كنانيش 3 بها خدمة ابي المواريت بفاس : الحاج المفضل عمور .

كناش به امور مرس فاس .

كناش الداخل السعيد خدمة اللبادي .

كنانيش 6 بها نسخ محاسبات العمال .

كناش بوسطى فاس عن شهور 6 آخرها ربيع الأول عام 14 .

كنانيش 3 بها صائر بناء سور الدار البيضاء .

كناش به فصال دعاوي اهل الذمة بقبيلة هنتيفة .

كناش الزيت بفاس .

كناش املاك احباس مكناس .

كناش البنيقة المراكشية .

كناش السكة السعيدة : خدمة التازي ووالزهراء .

كناش به صائر دار المعطي الجامعي .

صائر البوسطى بالدار البيضاء : خدمة دنية .

آخر صغير به شروط مليلية .

آخر به تقييد املاك المخزن بقبيلة الشاوية .

آخر به تقييد املاك المخزن بقبيلة دكالة .

باكيط به صور مكينات وغيرها وتقاييد اسوامها ، وهي شغل مكينة فاس .

قوائم اسوام السلع بالرباط .

حسابات البرج بالرباط .

حسابات البناء بتغمرت .

بطائق امين البناء بفاس : المقري .

قوائم امين الفبركة .

كناشا السكة خدمة الزكاري ووالزهراء .

كناش الأمور الجهادية .

كناش امين الكنانيش بمرسى تطوان .

كناشا بوسطى فاس : خدمة الحاج عثمان ابن جلون .

كناش بوسطى الدار البيضاء : خدمة احمد فرج آخره حجة عام 13 .

كناش بوسطى آسفي : خدمة الحاج قاسم الديوري .

كناش املاك العرائش .

كناش به رسوم املاك عجرود .

كناش داخل الضرب بفاس .

كناش به صائر بابور المخزن بطنجة : في مدة خدمة الحاج محمد ابن جلون ورفيقه ؟ .

آخر به مستفاد املاك المخزن وفلائك اصطياد الحوت بالثغر المذكور ، على يد المذكورين .
كناش المكينات المشتراة من ايطالية .
كنانيش 2 بوسطى طنجة : خدمة الحساني .
كنانيش 3 بوسطى آسفي : خدمة ابن بوعزة .
حسابات البوسطة : مختلطة قديمة .
باكيط به صور العرائش والقصر وغيرهما .
صورة الطرفاية .
كنانيش الترتيب وقوائم خرص دكالة .
كناشي ركوب الحجاج بطنجة .
كناش به تعريب بطائق النواب بما يحوزونه لانفسهم ، والبطائق واليوميات وخطوط اليد .
وكناشين بهما تقييد البابورات الواردة لطنجة .
كنانيش ٦ بهم تعريب المنفشطوات .
كنانيش ٧ بهم املاك المخزن بحاحا .
كناشين 2 بوسطى فاس .
كناش امين البارود بفاس .
كناش بما احصاه امين الكنانيش بمرسى الجديدة : غلاب .
كناش امين الداخل .
كناش دعاوي الاجانب .

هذه هي المقتطفات من اللائحتين حسب تعبيرها ورسمها ولحنها حينا ، وهي تقدم لنا ايضاً مجموعة من الاسماء للقائمين بالجهاز الاداري في هذه الفترة .

ويلفت النظر - اكثر - في هذه الدفاتر والأوراق : كنانيش واوراق التعريب ، ومعامل السكة ، والرحي البخارية ، ومحاسبات العمال ، واعمال البريد ، وخرط المعامل والمدن وغيرها .

اصلاحات في الخارجية المغربية

والذي يستحق الدراسة كثيراً في موضوع الحكومة المغربية هـو « الخارجيـة » ، فلذلك ستتناولها في شيء من التبسط :

لقد ادخلت اصلاحات على الخارجية المغربية ، واحدثت لها وزارة على حدة كان صاحبها مكلفاً بالنظر في امور المحميين والوساطة بين السلطان وبين سفراء الدول ، وعقد الشروط والمعاهدات بينه وبينهم ، وكتابة الرسائل اليهم ، واصدار الأوامر للعمال فيما يتعلق باياالاتهم من دعاوى اهل الحماية ، ومباشرة امر كل وافد اجنبي للمغرب ، وكان الذي يتولاها في العهد الحسني : هو محمد المفضل غريط اول وزير للخارجية المغربية[1] .

وسوى وزارة الخارجية احدث بطنجة ـ مقر نواب الـدول ـ : منصب النائب السلطاني ، وكان مكلفاً بمفاوضة هؤلاء النواب ـ في عين المكان ـ في القضايا التي بينهم وبين المغرب ، وقد تعاقب على هذا المنصب السادات : محمد الخطيب التطواني ثم محمد بركاش الرباطي[2] ثم محمد الطريس التطواني .

وقد ورد في رسالة حسنية في صدد بعض اختصاصات الوظيفتين ما يلي : وقد كلفنا كاتبنا الطالب محمد المفضل غريط بمباشرة ما يرفع منها « الرسائل » لحضرتنا الشريفة ، وباجوبة النواب عنها ، وخصصناه بذلك اعتناء بشأنها . . . على ان كتابتهم لحضـرتنا الشريفة انما هي على وجه المحبة والسر ، وإلا فالأمور الرسمية المخزنية من وظيفة نائب المخزن بطنجة . . . والكثير منهم يراعي هذا ويكتب لحضرتنا الشريفة بتكليف نائب المخزن بطنجة بمباشرة فصل دعاويه » ، صح من اصل هذه الرسالة المحفوظ بالمكتبة العامة بتطوان ضمن وثائق الطريس ش 418 .

---

(1) الاتحاف ج 2 ص 514.

(2) المصدر ج 3 ص 570 ، وقبل محمد الخطيب كان يتولى اشغال النائب السلطاني : السيد بوسلهام بن علي ازطوط العرائشي ، ولكن بالتبع لوظيفته التي هي باشوية مدينة طنجة ، وكان تكليفه بهذه الاشغـال اواسط ايام السلطان عبد الرحمن عام 1258هـ/ 1842.

وفي هذا الطور صار للمغرب قنصلية بالقاهرة ـ وسنتحدث عنها بعد ـ كما كان له قنصلية اخرى بجبل طارق ، على ان هذه الاخيرة كان يقوم بها الحاج سعيد جسوس منذ عام 1260[1] ، ثم صار يقوم بها عام 1316 : عبد السلام بوزيان[2] .

والى جانب هذه الاصلاحات الشكلية ادخلت على سياسة المغرب الخارجية اصلاحات جوهرية ، كانت تهدف الى الدفاع « باللسان والقلم » ، وسلوك سياسة التوازن لتحقيق اهداف الخارجية المغربية .

وكانت سياسة التوازن تدور على استغلال التنافس الدولي حول المغرب ، ومماطلة نواب اوروبا في مطالبهم ، وكان بطل هذه السياسة هو السلطان المولى الحسن الأول ، وقد كان يسميها : « عدم تفضيل اجنبي على آخر في المغرب » .

سلك المغرب هذه السياسة ـ مؤقتاً ـ إلى ان تتقوى الدولة المغربية وتنهض من كبوتها .

اما اهداف سياسة المغرب الخارجية في هذا الطور فكانت هي التالية :

1) المحافظة على حدود المغرب التاريخية .

2) مقاومة التدخل الأجنبي .

3) تطوير علاقات المغرب مع بعض الدول .

1) الحدود المغربية

اما الحدود المغربية التاريخية فقد استطاع اولو الأمر في هذا الطور ان يحافظوا عليها في سائر جهاتها .

ونذكر اولاً اقليم شنجيط الذي استمر حتى هذا العهد نافذاً فيه حكم ملوك

---

(1) الاتحاف ج 5 ص 59 مع « مجموعة الظهائر العلوية » لتهليل لوحة 18.

(2) « الرحلة الطنجاوية الممروجة بالمناسك المالكية » تأليف الحسن ابن محمد الغسال الطنجي : مخطوطة .

المغرب الى نهر السنيغال ، ومن شواهد ذلك الرسالة التالية الصادرة عن السلطان المولى الحسن الأول :

« نامر من يقف عليه من عمالنا الى نهر السنغال ، يستوصي خيراً بماسكيه الطالب عبد اللّه بن العبد بن الحرطاني واخوته ، ويوقرهم ويحترمهم ويكف اليد العادية عنهم ، ويأخذ بايديهم فيما يعرض لهم في امور تجارتهم ، رعياً لانحياشهم للدين والصلاح ، وسلوك سبل النجاح ، واللّه ولي التوفيق ، والهادي الى سواء الطريق ، والسلام .

صدر به امرنا المعتز باللّه في الثاني من شعبان المبارك ، عام ثلاثة وثلاثمائة والف »[1] .

ومما ينبغي ان يذكر بعد شنجيط بيعة تيندوف ـ الاقليم المغربي الكبير ـ لملك المغرب ، فان العلامة الجليل الشيخ محمد المختار بن الاعمش الجكني الذي كان يقيم بتيندوف[2] ، بعث الى السلطان محمد بن عبد الرحمن برسالة يبايع فيها عن نفسه وقبيلته ، وجاء فيها في هذا الصدد :

« وقد بايعناك على السمع والطاعة ، ولزوم السنة والجماعة ، والتمسك بالدعوة ببقائها الى قيام الساعة : في الرضى والسخط ، والمكره والمنشط ، والعسر واليسر ، والقل والكثر ، والشدة والرخاء ، والسراء والضراء ، وعلى ما بويع عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وخلفاؤه الراشدون . . .

وما ثبطنا عن القدوم اليكم الا خوف نقض العهد من قتله الشرفاء كما خبره لديكم ، والا المرض والكبر الملازمان للشخص والغير ، وهات يدك يقبلها قرطاسي ، نائباً عني وعن جميع ناسي »[3] .

---

(1) « صحراء المغرب » السنة الأولى عدد 4.

(2) انظر عن ترجمته « المعسول » ج 18 ص 159-160.

(3) هذه الرسالة يوجد اصلها بمكتبة كاتب السطور .

وبعد شنجيط وتيندوف يأتي اقليم « توات » الذي استنفذ اولو الأمر في هذه الحقبة طاقتهم في الاحتفاظ به ، ولا سيما السلطان المولى الحسن الأول الذي اتصل به بتافيلالت وفد من « توات » عام 1311هـ[1] ، وهذا مسعى واحد من مساعي هذا الملك الديبلوماسية للاحتفاظ باقليم « توات » ، وهو الذي نجده في الرسالة التالية وملحقها :

« خادمنا الارضي الحاج محمد الطريس وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه ، وبعد : فتصلك مبيضة نأمرك ان تكتب بها لكل واحد من نواب الاجناس الأربعة : الالمان والانجليز والاستنبول والطليان ، وما يجيبونك به وجهه عزماً ، ثم من اقتضى الحال مشافهته قبل الكتابة له فشافهه ، والكتابة لا بد منها لكل من المذكورين ليحصل الجواب الذي هو المقصود ، واذا وصلك هذا الكتاب بطيه المبيضة المشار لها : فاجب بالوصول عزما ، والاجوبة وجهها بعد ذلك ، والسلام في 23 محرم عام 1309 » .

وهذا نص المبيضة :

« وبعد فان جنس الفرنسيس ادعى ان الصقع التواتي من حيزه ومن عديد رعيته ، مع ان ذلك لم يدعه من قبل ، ولا طمحت نفسه اليه ، ولا كان لهم في حساب ، حتى حدث ذلك الآن لما املوه ، ولم يعتبروا ما هو مقرر من الدلائل والحجج على كون ذلك الصقع من عمالة رعية سيدنا نصره اللّه في القديم والحادث .

منها ، وهو اقوى دليل ، واعدل شاهد على منع دعواه والحجة قائمة عليه به : ان كارطة « خريطة » العمران المجعولة بموافقة سائر الاجناس عام 1884 عجمية مذكور فيها ان بلاد توات من حساب رعية سيدنا ايده اللّه تحد برعية تونس ، وهذه الكارطة كما في علمكم سلمها الاجناس كلهم ، واعطوا خطوط ايديهم على صحتها وتسليمها ، ومنع كل من يريد نقضها ، ولا شك ان تحت يد دولتكم نظيراً من هذه الكارطة « الخريطة » .

ومنها ان اهل هذا الصقع ما برحوا يخطبون باسم مولانا نصره اللّه في الجمع ،

---

(1) الاتحاف (2) 271.

ويدعون لجنابه العالي باللّه على منابرهم الى الآن .

ومنها ان العمال من « جوارهم » هم الذين يتولون عليهم ، ويدفعون زكواتهم واعشارهم لبيت مال رعية سيدنا نصره اللّه ، وفي كل سنة كان الامناء يتوجهون لحيازتها ، ومكاتبهم تتوارد على الحضرة الشريفة ولم تنقطع وفودهم عنها ، وكانوا في طاعة سادتنا الملوك اسلاف سيدنا ايده اللّه ، ومكاتبهم ووفودهم لم تنقطع عنهم مدة حيازتهم كذلك ، ولا زالت موجودة قائمة العين عندهم .

وقد امرني مولانا نصره اللّه بالكتابة لك ولغيرك من نواب الدول المحبة بالتعريف بذلك ، لتتأملوا فيه ، ويظهر لكم عدم الحق للمدعي فيما يدعيه ، وتجيبوا بما ينقطع به طموحه لما يؤمله ، فانكم ـ مع هذا البيان ـ بالضرورة لا تخفى عليكم وجوه مدافعته ، وقطع نظره عن مراده ، والسلام »[1] .

هذا مثال واحد من عديد الامثلة للدفاع عن صقع توات الذي ابتدأ احتلاله من طرف فرنسا آخر هذا الطور ، ثم وقع احتلاله نهائياً اول الطور الثالث الذي سنتحدث فيه عن هذه القضية .

وبعد توات تأتي « حدود المغرب الشرقية » ، فقد كانت المحافظة عليها في نطاق معاهدة طنجة 1260/1844 من اهم ما تعتني به الدبلوماسية المغربية حينئذ .

ومن مظاهر ذلك الاعتناء انه في عام 1301هـ ارسل السلطان المولى الحسن الأول بعثة خاصة تحت رئاسة اخيه الامير عرفة بن السلطان محمد الرابع ،لتراقب حدود المغرب الشرقية حتى يتبين كيف يسير الفرنسيون في تطبيق معاهدة طنجة الآنفة الذكر ، وسارت البعثة حتى وقفت على الحدود المذكورة ، وأدت مهمتها على احسن حال .

---

(1) هذه الوثيقة توجد ضمن اوراق النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد بن العربي الطريس المحفوظة بالمكتبة العامة بتطوان ، وقد اثبتها مؤرخ تطوان الاستاذ الكبير محمد داود في « تاريخ تطوان » : القسم المخطوط ج 8 ، وثبت نصها ايضاً في « صحراء المغرب » السنة الأولى ، العدد 8.

وقد دون اعمالها احد اعضاء البعثة : « علي السوسي » ، في رحلة سماها : « منتهى النقول ، ومشتهى العقول » ، رتبها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمتين ، وذكر في اولها انه الفها لما ذهب للصحراء لقضايا ثلاثة :

(1) النظر في الشقاق الواقع بين قبائل بني يزناسن .

(2) الوقوف على الحدود الواقعة هناك بين المغرب وفرنسا .

(3) الوقوف على الحدود بين المغرب وفرنسا في ارض فجيج .

ومن هذه الرحلة نسخة بالخزانة العامة بالرباط رقم D 633 ضمن مجموع يشتمل عليها وعلى قصيدة للمؤلف نفسه في فتح السلطان المذكور للقطر السوسي ، مع نسخة أخرى بالخزانة الحسنية رقم 2/50 .

ومن قضايا الحدود التي اثارت اهتمام المغرب في هذه الحقبة مسألة « مرسي طرفاية » ، حيث أثارها تصرف شركة « نرف وست افرك » الانجليزية التي يرأسها المسمى مكينسي »[1] .

وخطورة المسألة اتت من كون هذا العمل انما وقع استناداً على اتفاق مع بعض رؤساء تلك الجهات : البشير بن بيروك الودنوني ، ودون سابق علم من حكومة المغرب الشرعية .

وقد قاوم المغرب هذا العمل منذ كان محاولة ومساومة ، هذه فقرات من كتاب للملك محمد بن عبد الرحمن يستنكر فيه أية محاولة من هذا النوع ، وذلك بتاريخ 1278[2] .

« . . ومن المعلوم ان اهل تلك البلاد من جملة رعيتنا واياالتنا ، فليس لاحد منهم ان يفعل في شبر منها ما شاء ، ولا تسلمها تلك القبائل ولو افناهم القتال عن آخرهم . . .

---

(1) توجد معلومات مهمة في هذا الموضوع بالاتحاف (1) 380-387.

(2) أصل الرسالة محفوظ في خزانة خاصة .

وان ذكروا لك[1] ان اهل تلك الجهة هم الطالبون لذلـك والراغبون فيه ، فاجبهم بأن الأمر بخلاف ذلك ، وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة ، وليس معه احد فيما رام فعله ، واذكر لهم في ذلك ما يليق ان يذكر . . » .

وبعد هذا الملك ها هو ابنه المولى الحسن الأول يعلن عن مقاومته للمشروع في كتاب وجه به للنائب محمد بركاش بتاريخ 1879/1297 : « . . . واما الفرنصيص فبصره واعلمه بأنا لم نسكت للنجليز على مكينسي ، بل لا زال الكلام معهم في ذلك ، وقد تكلمنا مع باشادورهم حيث كان بحضرتنا العالية بالله في شأن من ذكر، والمحل الذي نزل به فادعى ان ذلك المحل خارج عن ايالتنا فلم نقبل منه ذلك ، ورددناه عليه بما كنا وجهنا لك نسخة منه ، ومن جملته الاسترعاء على نزول المذكور هناك بغير اذننا ، وتعرفه مع قبائل ايالتنا افتياتا ، وجعل الدرك عليه في كل ما ينشأ عن نزوله بناحية مراكش من الضرر والخسارات : لا في الرعية ولا في الديوانات ، ولا في غير ذلك ، لمخالفته للشروط والقوانين ، وفي كل ما يقع له ولمن معه : لا في ابدانهم ، ولا في امتعتهم ، لنزولهم هناك من غير اذن ، ولا درك فيه على المخزن ، ولا على قبائل تلك الناحية ، والتأكيد عليه في الكلام مع دولته في غلق ابواب المضرة التي فتحها مكينسي بانهاضه من تلك الناحية ، ونحن على نية توجيه من يتكلم مع دولتهم . . .[2] » .

ومع هذا كله ابي عناد الشركة الانجليزية الا ان تنفذ الفكرة فبنت المرسى ، ولكن سلطان المغرب المولى الحسن الأول كان لها بالمرصاد ، فقاومها بكل وجـه حتى انتهت المشكلة بنجاح الجانب المغربي ، وتم الاتفاق على تسليم البناء المحدث بمرسى طرفاية للحكومة المغربية التي التزمت بان تؤدي للشركة تعويضاً عن بنائها ، وكان ابرام هذا الاتفاق اول عهد السلطان عبد العزيز ، الذي صادق عليه بتـاريخ ١٦ رمضـان عام 1312هـ ، وجاء الشرط الأول منه هكذا :

---

(1) المخاطب هو الامير المولى العباس أخ السلطان محمد الرابع .
(2) يوجد النص الكامل للكتاب بالاتحاف (2) 333-335 .

« اذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكبانية المذكورة ، لا يبقى كلام لاحد في الأراضي التي من وادي درعة الى راس بوخادورا المعروف بالطرفايا المذكورة ، وكذلك فيما فوق هذا المحل من الاراضي ، لكون ذلك كله من حساب ارض المغرب » .

ثم وقع تسليم البناء المحدث للوفد المبعوث من طرف ملك المغرب لهذه الغاية ، وذلك في محرم فاتح عام 1895/1313 ، وبذلك تم انتصار المغرب نهائياً في مسألة « مرسى الطرفاية » ، وقد حدث بعد هذا ان احتلتها اسبانية ، ثم عادت بعد الاستقلال إلى حظيرة المغرب .

2) مقاومة التدخل الاجنبي

كان الهدف الثاني لسياسة المغرب الخارجية : مقاومة التدخل الاجنبي ، اي مقاومة تدخل الدول صاحبة الامتياز بالمغرب ، وهي ألمانيا ، والنمسا ، وبلجيكا ، والدانمارك ، واسبانيا ، وأمريكا ، وفرنسا ، وانجلترا ، وايطاليا ، وهولاندا ، والبرتغال ، والسويد ، وهذه الدول هي التي شاركت في مؤتمر مدريد الآتي .

وان أول مظهر لذلك التدخل كان هو « مشكلة الحمايات » ، التي يقصد منها تميز بعض المواطنين الملحقين بالاجانب بكثير من الامتيازات التي يحرم منها بقية المواطنين .

ومنذ منتصف القرن 19م ـ حيث نشأت طائفة المحميين ـ كانت الحمايات لا تشكل خطراً كبيراً على المغرب ، وانما صارت كارثة بعد حرب تطوان ، حيث صار بالتدريج للدول المتقدمة امتيازات تجعل لممثليها في المغرب الحق في تعيين ما يشاءون من عدد المترجمين والخدم من المغاربة او غيرهم ، ولهم ان يتخذوا نواباً عنهم في كل ثغر من ثغور هذه البلاد ، ولكل واحد من هؤلاء النواب الحق في اتخاذ ترجمان واحد وبواب واحد وخادمين ، ويعفى هؤلاء جميعاً من جميع ما تفرضه الحكومة المحلية على رعاياها من تكاليف غير متفق عليها ، إلى آخر ما تضمنته معاهدة المغرب مع انجلترا سنة 1856/1273 ، التي كانت الحجر الأساسي للامتيازات التي نالتها الدول الأخرى .

وإلى جانب هذا كله استغل الاجانب الظروف السيئة التي احاطت بالبلاد ، فاغتصبوا كثيراً من الحقوق بالاكراه ، من غير اعتماد لا على نصوص من المعاهدات ، ولا على تشريع مغربي داخلي ، فتفاحش - بصفة خاصة - توزيع الحمايات على المواطنين المغاربة - على خلاف نصوص المعاهدات - بشكل واسع النطاق زاد من ارتباك الحكومة المغربية .

وقد صور السلطان المولى الحسن الاول هذه الحالة اصدق تصوير لما قال للنائب محمد بركاش : « ان ادارتنا تكاد لا تجد في البلاد من هو باق تحت سلطانها » ، من كثرة ما منحته الدول الاجنبية من حمايات غير مشروعة .

وقد انضاف لهذه المفسدة ان الحمايات صارت تقف حجر عثرة في سبيل ادخال الاصلاحات على المملكة المغربية .

لهذا كله اخذ السلطان المولى الحسن الأول بمجرد ما تسلم مقاليد الحكم يفاوض الدول الاكثر مصالحاً بالمغرب في تعديل أمر الحمايات ، وهذا كان أهم أهداف سفارة الحاج محمد الزبدي الرباطي التي بعثها هذا السلطان غب بيعته لأربع دول : فرنسا ، وبلجيكا ، وانجلترا ، وايطاليا عام 1876/1293[1] .

ثم ما زال هذا الملك يوالي المساعي لتعديل امر الحمايات ، حتى توصل إلى عقد « مؤتمر مدريد » ، الذي انعقد بعاصمة اسبانيا ، وحضر فيه إلى جانب المغرب 12 دولة ، وهي صاحبة الامتيازات الآنفة الذكر ، وقد صادق هذا المؤتمر على وثيقة تشتمل على ثمانية عشر فصلاً ، حررت بمدريد في 3 يوليه عام 1880م . الموافق 24 من رجب عام 1297هـ ، والوثيقة مذكورة بنصها في الاتحاف[2] ، وتوجد صورة فوتوغرافية منها « بمجموعة الظهائر الشريفة »[3].

---

(1) انظر كتاب « مركز الاجانب في مراكش » لمحمد ابن عبود ص 36-37 مع الاتحاف ج 2 ص 279-280 و301 و 311-312.

(2) ج 2 ص 421-428.

(3) لنهليل لوحة 49.

وان مقررات هذا المؤتمر ـ وان لم تستجب لرغبة المغرب ـ فانها أفادته في حصر عدد المحميين ، وتقييدهم في دائرة خاصة ، كما أنها منعت التجنس بالجنسيات الاجنبية على المغاربة ، واخيراً كان المؤتمر بمثابة اللبنة الاولى لتدويل « المسألة المغربية » .

وسوى مسألة الحمايات فهناك مظاهر أخرى للتدخل الأجنبي ، اخطرها الذي كان يأتي من الجمعيات اليهودية بأوروبا ، ذلك انه في عام 1862/1278م . تأسس في أوروبا : « الاتحاد الاسرائيلي العام » ، الذي كان يهدف إلى النهضة باليهود في سائر أنحاء العالم نهضة شاملة ، تأسس هذا الاتحاد في فرنسا ، ثم امتدت فروعه إلى ممالك اوروبا .

وكان في مقدمة أعماله ان صار يتدخل في شؤون اليهود الموجودين في الممالك الاسلامية ، ويتبنى مطالبهم وتظلماتهم ليقدمها للمسؤولين في هذه الممالك ، وكان يلقي اعانة وتأييداً من طرف بعض الدول الكبرى بأوروبا .

نال المغرب نصيبه من هذا التدخل ، فقابل كل قضية بما تتطلب من العلاج المستمد من دستور البلاد الشرعي الاسلامي ، وكان أول تدخل في شؤون يهود المغرب هو الذي يحدثنا عنه صاحب الاستقصا[1] ويقول :

« وفي هذه السنة (1280) : ورد يهودي من اللوندرة على السلطان بمراكش يطلب منه الحرية ليهود المغرب ، وذلك لأنه لما كانت وقعة تطوان ودهم الناس ما دهمهم من أمر الحمايات ، وأكثر من تعلق بها اليهود ، لم يقتصروا على ذلك ، وراموا الحرية تشبهاً بيهود مصر ونحوها ، فكتبوا إلى يهودي من كبار تجارهم باللوندرة اسمه روشاييل ، وكان هذا اليهودي قارون زمانه ، وكانت له وجاهة كبيرة في دولة الانجليز ، فكتب يهود المغرب إليه أو بعضهم يشكون إليه ما هم فيه من الذلة والصغار ، ويطلبون منه الوساطة لهم عند السلطان في الانعام عليهم بالحرية ، فعين هذا اليهودي صهراً له للوفادة على السلطان رحمه اللّه في هذا الغرض وفي غيره ، واصحبه هدايا نفيسة ، وسأل من دولة النجليز ان

---

(1) ج 4 ص 227-228.

يشفعوا له عند السلطان ويكتبوا لـه في قضاء غـرضه ، ففعلوا ، وقـدم على السلطان بمراكش ، وقدم هداياه ، وسأل تنفيذ مطلبه . فتجافى السلطان عن رده مخفقاً ، واعطاه ظهيراً فتمسك به اليهود ، يتضمن صريح الشرع ، وما اوجب اللّه لهم من حفظ الذمة ، وعدم الظلم والعسف ، ولم يعطهم فيه حرية كحرية النصارى .

ولما مكنهم السلطان من هذا الظهير اخـذوا منه نسخـاً وفرقـوها في جميـع يهود المغرب ، وظهر منهم تطاول وطيش ، وأرادوا أن يختصوا في الأحكام فيما بينهم[1] ، لا سيما يهود المراسي ، فانهم تحالفوا وتعاهدوا على ذلك ، ثم ابطل اللّه كيدهم ، وخيب سعيهم ، على ان السلطان لما احس بطيش اليهود ، عقب ذلك الظهير بكتاب آخر بين فيه المراد، وان ذلك الايصاء انما هو في حق اهل المروءة والمساكين منهم المشتغلين بما يعنيهم ، واما صعاليكهم المعروفون بالفجور والتطاول على الناس والخوض فيما لا يعني ، فيعاملون بما يستحقونه من الأدب » .

هذا ما جاء في الاستقصا باختصار ، ويفيد مصدر[2] آخر ان يهود المغرب رفضوا ذلك التدخل، وارسلوا الى اخوانهم باوروبا يطلبونهم ان يدعوهم على عادتهم المألوفة ، ولا يتدخلوا فيهم ، وإعلنوا للحكومة والشعب بذلك .

ثم بعد هذا تكرر تدخل « الجمعية اليهودية الانجليزية » في شؤون يهود المغرب مرات : من ذلك ما وقع أول عهد السلطان المولى الحسن ، فقد تقدمت له « الجمعية اليهودية الانجليزية » بتهنئته بالملك ، واردفت ذلك بأن طلبت منه تحسين احوال الرعايا الاسرائيليين .

ولما كانت السفارة الزيدية بلندرة عام 1876/1293 ، بعثت هذه الجمعية للسلطان

---

(1) كانت هذه النازلة موضوع سؤال بعث به السلطان الحسن الأول الى علماء فاس ، حيث أجاب عنه الشيخان جعفر الكتاني والقاضي حميد بناني ، ثم نشر الجوابان بالمطبعة الحجرية الفاسية آخر مجموع : ص 56-67.
(2) « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار » تأليف الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ج 1 ص 64 ، وفيها زيادة توضيح للموضوع .

المغربي بواسطة السفير الزيدي كتاباً ببعض المطالب المتعلقة بيهود المغرب ، وهو محرر في 25 شهر تموز سنة 1294/1876[1] .

وفي عام 1880/1297 نجد يهودياً انجليـزياً يـزور مدريـد اثناء انعقـاد « مؤتمر الحمايات » بها ، ليعمل على عرقلة اعمال النائب المغربي بالمؤتمر[2] .

وكما قلنا اولاً فقد عالج المغرب هذا النوع من المشاكل بمهارة ودهاء مستمدين من دستور البلاد الاسلامي ، وهذه رسالة كتبها وزير خارجية المغرب ليهود مراكش ، نقدمها كمثال لسياسة المغرب الحكيمة ازاء هذا المشكل .

« من عبد اللّه تعالى وزير الأمور البرانية بالحضرة العالية . اعز اللّه امرها ، وابد فخرها » .

إلى كافة يهود ملاح مراكش : اخص منهم حزانة جموعهم واساقفتهم وتجارهم واعيانهم .

أما بعد فقد بلغ لشريف علم حضرة سيدنا العالية باللّه ، اعزها اللّه : ان عاملكم القايد محمد ويدة السوسي لم يحسن السيرة معكم ، وعاملكم معاملة غير مليحة ، وشدد عليكم ، فلم يلق ذلك بسيدنا نصره اللّه ولم يعجبه ، لأنكم أهل ذمته ، ومن رعيته ، فلا يحب ـ أيده اللّه ـ ان يقع لكم تضييق او ظلم من أحد ، او معاملة بمكروه ، وإنما يحب أن تكونوا في أمن وأمان من ذلك ، وعلى حالة مليحة ، وفي عيشة مرضية ، وعز به الحال ـ دام تأييده ونصره ـ حيث بلغه ذلك عنكم من عند « الناس » ولم يبلغه من عندكم ، إذ كان من حقكم ان تكتبوا لاعتابه الشريفة بالاعلام بذلك ، كما يكتب بعض تجاركم

---

(1) ثبت نص هذه الرسالة بالاتحاف ج 2 ص 298-301.

(2) هذا يؤخذ من رسالة في « الاتحاف » ج 2 ص 416 ، وللمزيد من التفاصيل عن هذا التدخل: يرجع الى محمد المنوني : « ملاحظات حول بعض ردود فعل المغاربة تجاه الدعوة الى الاصلاح في القرن 19 : من خلال وثيقة موضوعية ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية » بالرباط ، العدد التاسع : ص 145-153.

ومقدميكم لها في الأمور ، وقد امرني نصره اللّه بالكتابة لكم بأن تكونوا تكتبوا لنا بما يقع لكم ، وذلك لنطالع به علمه الشريف ، كما امرني ايده اللّه باعلامكم بأنه اصدر امره الشريف للعامل المذكور ، بأن يحسن السيرة معكم ، ويعاملكم بمثل ما يعامل به من إلى نظره من المسلمين : من الحكم عليكم في الدعاوي المخزنية بما يقتضيه الحق فيها ، مثل ما يحكم به على المسلمين ، ويجريكم مجراهم في جميع الأمور من غير فرق ، ويرد دعاويكم الشرعية لاساقفتكم وخزانتكم ، ويمشي مع أهل الحمايات منكم على مقتضى الشروط والقوانين ، ومن حاد منهم عنها يطالع به شريف علم مولانا دام علاه ، والتمام في 7 جمادى الثانية عام 1310 »[1] .

هذا ولنذكر اخيراً ان يهود المغرب ـ بالرغم عن كل شيء ـ استمروا يدفعون الجزية للحكومة المغربية حتى أوائل القرن العشرين م .

3) تطوير علاقات المغرب مع بعض الدول

ان هذا الإصلاح تناول ـ بالخصوص ـ علاقات المغرب مع مصر ، والدولة العثمانية ، أما مصر : فمن أول هذا الطور أخذت تدخل علاقات المغرب معها في عهد جديد ، فقد حاول الملك محمد الرابع : أن يستعين بمصر ـ إلى جانب اوروبا ـ فيما يعتزم ادخاله على البلاد من اصلاحات .

وهكذا جلب هذا الملك من مصر صناعاً اختصاصيين للعمل في معمل السكر الذي احدثه بمراكش ، كذلك وجه بعض البعثات إلى مصر أيام سعيد باشا[2] واسماعيل باشا ، وتوجد بعض معلومات عن هذه البعثات في مراسلات[3] جرت بين الملك محمد الرابع والخديوي اسماعيل باشا .

---

(1) هذه الرسالة وردت بالاتحاف ج 2 ص 265-266.

(2) انظر ـ فيما سيأتي ـ موضوع : « بعثات الى مصر وأوروبة » : ص 156-166 .

(3) هذه المراسلات لم أقف منها الا على النص المصري ، وهما رسالتان صادرتان عن الخديوي اسماعيل باشا الى الملك محمد الرابع ، وقد وردتا في « الآثار الفكرية » ص 54-56 ، وهما من انشاء الكاتب المصري الشهير عبد الله فكري باشا ناظر المعارف المصرية اذ ذاك .

ويؤخذ من مكتوب مصري إلى ملك المغرب : أن هذا الاخير كان بعث برسالة للخديوي اسماعيل بشأن بعض الطلاب الذي أرسل من المغرب ليتدرب على أشغال الطبع بمصر ، ويؤخذ - أيضاً - من المكتوب نفسه : خبر رسالة ثانية بعثها الملك المغربي لعزيز مصر تتضمن الرغبة في تعليم ثلاثة طلاب مغاربة بعض الفنون العسكرية .

ويفيد مكتوب مصري آخر : أن هناك رسالة ثالثة بعثها محمد الرابع لاسماعيل باشا في غرض تهنئة .

ونرى من المفيد لهذا الموضوع : ان نقتبس من المكتوب المصري الأول موضع الشاهد منه ونثبته فيما يلي :

« . . . هذا وقد سررت بورود مشرفكم الكريم ، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم ، وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم ، وذلك لما فيها من الاعانة على طلب العلم الشريف وتعليمه ، وتسهيل السبيل في نشره بين البرايا وتعميمه ، وصيانة كتبه الشريفة من تحريف الكاتبين ، وتقريب تناولها إلى أيدي الطالبين والراغبين ، وهذا دليل ظاهر ، وبرهان باهر ، على مزيد عنايتكم فيما فيه المصلحة العامة ، ورعايتكم لما يعود على الناس بالفائدة التامة ، واهتمامكم بأمر العلم الكريم واهله ، وقيامكم بما يجب من حق فضله ، فمتع اللّه ببقائكم الملك والعليا ، ونفع بوجودكم وسعودكم الدين والدنيا ، وقد ارسلنا المومي إليه إلى دار الطباعة ، وأكدنا على مأمورها بإراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة ، والاعتناء بتمرينه على استعمال ادواتها ، وتوقيفه على كيفية إدارة آلاتها ، وسائر كيفياتها .

ثم ورد مشرفكم على يد الثلاثة المعلمين في صناعة البارود ، المراد تعليمهم صناعة التبرديج ورعايتهم ، حتى يتحصلوا على هذا الغرض المقصود ، فأرسلناهم إلى الباشا وكيل ديوان الجهادية المصرية في الحال ، وأوصيناه برعايتهم والاعتناء بتعليمهم كل ما يلزم لتلك الصناعة من الأعمال والاشغال ، وأخذها عن اهلها المتقنين ، وأربابها الماهرين المتفننين ، حتى يتحصلوا على البراعة ، في أشغال تلك الصناعة .

هذا : والمرجو مواصلة المراسلة على الدوام ، وكل ما لزم من هذا الجانب فهو رهين الاعلام ، والمسؤول لنا ولكم من اللّه الكريم المتعال : دوام حسن الحال وحسن المآل ، بجاه رسول الرحمة ونبي الكمال ، حرر في شوال سنة 1283 » .

ولقد بلغ تمتين العلاقات بين المغرب ومصر إلى درجة التمثيل السياسي ، حيث صار يوجد بمصر قنصلية مغربية تهتم بالنظر في أمور المغاربة بمصر والاسكندرية وأعمالهما ، وكان للقنصل المغربي الحق في ان يستنيب عنه بالاسكندرية وغيرها من المدن والقرى التي يستوطنها المغاربة ، كما سنراه في ظهيرتال .

وقد وجد أول قنصل مغربي بمصر من أواخر عهد السلطان سليمان العلوي .

وهناك رسالة من خلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام ، يخاطب فيها ابن عمه « مولاي محمد » ، ويخبره بوفاة سلفه وولايته هو للسلطنة بالمغرب ، كما يوصيه بالفقيه الكاتب العربي الدمناتي[1] ، الذي يمر بمصر في طريقه للحج والزيارة ، وفي كناشة هذا الاخير[2] ورد نص الرسالة مصدراً بالكلمة التالية :

« وكتب في معنى ما بمحوله لوكيل المغاربة بمصر في حينه :

1) مولاي محمد بن المهدي .

وهكذا نستفيد اسم أول قنصل مغربي في هذا الفترة ، اما الآخرون فهم :

2) الحاج محمد الحبابي عام 1286هـ .

3) الحاج عبد الغني بن الطيب التازي « فرفة المزعلك » الفاسي ، أيام السلطان محمد الرابع والحسن الأول ، وفي أوائل عهد هذا الاخير توفي بمصر عام 1294هـ[3] .

4) الحاج عبد الواحد بن الطيب التازي ابن أخي الذي قبله : أيام الحسن الأول ،

---

(1) ترجمته في « فهرس الفهارس » ج 1 ص 300-302.

(2) في المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 3718.

(3) « زهر الاس في بيوتات فاس » لابي محمد عبد الكبير بن هاشم الكتاني ، خ . ع ك 1281 ـ ج 1 ص 430-431 .

ثم أوائل عهد ابنه المولى عبد العزيز ، حيث توفي بفاس عام 1313هـ[1] .

5) الحاج محمد بن قاسم الحلو الفاسي ، وكان نائباً عند القنصل قبله ثم خلفه بعد وفاته : اوائل عام 1313هـ .

وهذه ثلاث وثائق في هذا الصدد ، وتتعلق الاولى بظهير تعيين الحاج عبد الواحد التازي قنصلاً للمغرب بمصر ، وهو صادر عن السلطان الحسن الاول ، ونصه :

« يعلم من كتابنا هذا اسما الله قدره ، وأعز أمره ، وجعل فيما يرضيه لفه ونشره ، اننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ، أسندنا النظر لما سكه خديمنا الأرضي ، الحاج عبد الواحد بن محمد التازي ، في خاصة امور المغاربة القاطنين بالايالة المصرية والمارين بها لبيت الله الحرام ، وعامتها : نيابة عن جانبنا العالي بالله ، وأقمناه في ذلك مقام عمه الحاج عبد الغني رحمه الله ، لما ثبت عندنا من حزمه ودينه ومروءته ، واهليته لذلك وصلاحيته .

فنأمرهم أن يكونوا عند اشارته ، كما نأمره بتقوى الله في امرهم ، ومراقبته ، والتحري فيه جهد استطاعته ، وحسن السيرة معهم ، ومعاملتهم بالجميل ، والكون في ذلك عند الظن والتأميل ، وأن يراعي فيهم القربة وتنظف التربة والانقطاع ، سيما المتوجهين منهم لاشرف البقاع ، وان لا يغفل عن ارشادهم ، وتنبيههم لطرق رشادهم ، ونطلب الله ان يهديه لاقوم طريق ، ويعلقه من التقوى بالسبب الوثيق ، والسلام .

في عاشر شوال الابرك ، عام اربعة وتسعين ومائتين وألف »[2] .

الثانية : رسالة من نفس السلطان إلى خديوي مصر إسماعيل باشا في موضوع

---

(1) المصدر الاخير ـ ج 1 ص 432-433.

(2) ورد نص هذا الظهير في زهر الاس الآنفة الذكر ـ ج 1ص 432-433.

تعيين القنصل التازي : ونصها :

إلى المحب الأمجد ، الرئيس الانجد ، أمير مصر وعين اعيانها ، وعمدتها المتصرف في ميدان الرئاسة والسياسة كما شـا ، المعظم المكرم السيد اسماعيل باشا ، آثر اللّه بمآثر الفضائل جلالكم ، وحفظ بعين الكلاءة كمالكم ، وسلام عليكم ورحمة اللّه تعـالى وبركاته .

اما بعد ، فانا نحمد اليكم اللّه الذي لا إله إلا هو مفيض النعم ، ومفيد الفضل الذي جلّ وغنم ، ونسأله لجنابكم العزيز دوام العافية ، وسبوغ أردية نعمه الضافية ، وننهي لحضرتكم العزيزية ، أننا قدمنا ماسكه خديمنا الأرضي الأنجد ، الحاج عبد الواحد التازي الفاسي وكيلاً عن جنابنا العالي باللّه ، في إيالتكم المصـرية المحـروسة بـاللّه ، وأسندنا إليه النظر في رعايانا السكان بها والوافدين على طريقها لحج بيت اللّه على العادة المألوفة ، والطريقة الجلية المعروفة : لدى أنظاركم التي هي بالسداد موصوفة ، وحررنا هذا المسطور لحضرتكم العزيزة تنبيهاً لهمتكم عليه ، واظهاراً لما شرفنـاه به من رفيـع الخدمات واسندناه إليه ، والظن بشيمكم الكريمة . وآرائكم المستقيمة ، ان تقابلوه بمزيد الاعتنـاء وتام القبـول ، وتبلغوا في اعـزازه غايـة المأمـول ، وتخصوه بمـلاحظة التجلة والاعتبار ، وتنزلوه منزلة أخص الاجناس في الايراد والاصدار ، اقتداء بسير سلفكم الابرار ، فقد كانت لسلفنا معهم رحم ومحبة ينبغي أن توصل ولا تقطع ، ونرجو من اللّه ان تكون بيننا اوصل وانفع ، واللّه يبقيكم رافلين في اردية السعادة ، مبلغين من مناكم منتهى الارادة »[1] .

الثالث : ظهير صادر للنائب الحاج محمد بن العربي الطريس ، في موضوع تعيين الحاج محمد بن قاسم الحلو الفاسي قنصلاً للمغرب ، وهو صادر عن السلطان عبد العزيز ابن الحسن الأول ، ونصه :

---

(1) هكذا ورد نص هذه الرسالة دون تاريخ في « العز والصولة في معالم نظم الدولة » للمؤرخ ابن زيدان ـ ج 1 ص 293.

« خديمنا الأرضي ، النـائب الحاج محمـد بن العربي الـطريس ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه .

وبعد : فقد كلفنا خديمنا الأرضي ، الحاج محمد الحلو القاطن بمصر ، بما كان ملكفاً به خديمنا المرحوم الحاج [محمد بن] عبد الواحد التازي : من النظر في أمور المغاربة بمصر والاسكندرية واعمالها ، واذنا له في استنابة من ترضى انابته عنـه بالاسكنـدرية وغيرها من المدن والقرى التي للمغاربة فيها القرار ، من تلك الديار ، وها ظهيرنا الشريف بذلك يصلك طيه مع كتابنا الشريف له بما ذكر .

فنأمرك ان توجههما له ، وتنبهه على ما يقتضي الحال تنبيهه عليه : من امر المصارفة مع الاجانب ثمة ، وغير ذلك من الكتب لنائب النجليز هنالك بتعريفه بذلك واعلامه به ، ليكتب لكبيرهم بمصر في شأنه ان كان الحال يقضي اعلامه بذلـك ، وإلا فأنت أعرف ، والسلام .

في 22 ربيع الثاني عام 1313 »[1] .

* * *

وبعد مصر نحاول ان نعرف التجديد الذي دخل على علاقات المغرب بالدولة العثمانية في هذا الطور :

ان هذا التجديد ـ في اطار اتحاد اسلامي ـ هو الذي كانت الدولتـان في العهد الحسني تعملان لتحقيقه ، وقد تبادلا في هذا الصدد بعض مراسلات وبعثات ، وأن هذا كان أحد أهداف سفارة الحاج العربي بريشة التطواني للاستانة ، حيث اقتبل بها بغاية الحفاوة من السلطان العثماني : عبد الحميد خان الثاني ، وهذا أيضاً كان موضوع زيارة السيد إبراهيم السنوسي ـ آتي الذكر ـ للمغرب ، وفي النهاية تم الاتفاق على تبادل التمثيل

---

(1) ورد نص الظهير في تاريخ تطوان للمؤرخ محمد داود : القسم المخطوط.

الدبلوماسي بين الدولتين ، ورشح لتمثيل المغرب الشيخ ابراهيم السنوسي الفاسي العلامة الشهير ، كما رشح لتمثيل الدولة العثمانية الأمير محيي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري ، ثم حال دون تحقيق هذه الغاية معارضتها من طرف اكثر قناصل الدول الموجودين بطنجة ووقوفهم ضدها ، الأمر الذي اضطر السلطان الحسن الأول إلى تأجيل هذه القضية حتى تسنح الفرصة ، ولكنه مات رحمه اللّه وما سنحت الفرصة[1] .

وقد كانت هذه المسألة موضوع تعاليق في الصحافة العالمية : وتثبت هنا تعاليق بعض الصحف العربية حسب سياق جريدة « الطان » الباريسية[2] :

« . . وقد نشرت جريدة « المغرب » التي تطبع بطنجة فصلاً مطولاً أعربت فيه عن الفوائد الدينية والتجارية التي تنجم من انشاء تلك المأمورية العثمانية بحكومة مراكش ، ومن غرائب التصادف ان جريدة « ثمرات الفنون » التي تطبع ببيروت ، كتبت ـ هي ايضاً في نحو الزمن عينه ـ مقالة ضافية الذيل ، واوضحت بها العوائد المادية والادبية التي لا بد ان تعود على الدولتين الاسلاميتين من انشاء تلك المأمورية ، وحسنت في عيني ملك مراكش أن يبعث بشبان مراكشيين الى عاصمة الدولة العلية لتلقي العلوم بمدارسها العليا ، وبثها في مراكش عند رجوعهم . .

وقد عضدت جريدة « الصباح » بالاستانة كلام الجريدة الشامية بقولها : إن انشاء المأمورية المذكورة يحصل منه فوائد تجارية ودينية لا تدخل تحت حصر ، وان اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ قد اجل بحكمه العزيز تحقيق ذلك إلى زمن السلطان الجليل الشان : عبد المجيد « كذا » خان ، لتعد هذه مأثرة من مآثره المفتخرة ، واعماله الممجدة . . . وبقي علينا ـ الآن ـ أن نترقب ما يقر عليه رأي الدولة في هذا الشأن ، وكل آت قريب » .

---

(1) « الحركات الاستقلالية في المغرب العربي » ص 87-88 ، مع بعض المحادثات الموثوق بها ، وانظر عن ترجمة السنوسي معجم المؤلفين لرضا كحالة ، ج 1 ص 11.

(2) « منتخبات المؤيد » : السنة الأولى ، عام 1307/1890 ص 423-424 ، ط. مطبعة المؤيد ، عام 1324 هـ .

ومن تعاليق بعض المؤلفين[1] في نفس الموضوع : هذه الفقرة التالية : « وقد كان المولى حسن لما رأى ضعف حكومته امام دول اوروبا . الساعية على الدوام في الحصول على المنافع التجارية والسياسية في بلاده ، والبحث على ما يكون به زعزعة اركان هذه الدولة : اشار رؤساء دولته عليه بتجديد العلاقات الودادية بينه وبين الدولة العثمانية ، ليكون في اتحادهما - معاً - مأمن له ولقومه . . . فأرسل من طرفه : (1293 هـ) السيد ابراهيم السنوسي . . . إلى الاستانة العلية للمخابرة بهذا الشأن ، وعقد اتفاقية بين الطرفين ، فسافر هذا المأمور السياسي ، وبينما كان يتخاير مع الحكومة العثمانية ظهرت علامات الحرب الروسية العثمانية ، التي سبقها قيام بعض الايالات التابعة للدولة ، فكان ذلك من الأسباب التي حالت دون بلوغ المرام ؛ وعاد المأمور الى بلاده » .

* * *

والآن نسجل ان المغرب تبادل مراسلات مع الباب العالي في هذا الصدد ، ومنها رسالة من الخليفة عبد الحميد الثاني إلى السلطان الحسن الأول ، الذي اجاب عنها برسالة في المستوى .

ثم رسالة من شيخ الإسلام ، المفتي الأول بالمملكة العثمانية حسن خير الله ، يخاطب فيها الوزير الحاجب موسى بن احماد باذن عبد الحميد ، وتحمل - مع الرسالة الأولى - تاريخ غرة ربيع النبوي عام 1294هـ ، وقد حملها معاً إلى المغرب الشيخ ابراهيم السنوسي .

الرابعة : رسالة من وزير خارجية الدولة العثمانية الى وزير خارجية المغرب ، في موضوع انشاء سفارة عثمانية بطنجة ، وتحمل تاريخ 15 ربيع الآخر ، عام 1304هـ .

ويحتفظ « اتحاف اعلام الناس »[2] بنص الرسالتين : الثالثة والرابعة ، اما الأولى

---

(1) « حقائق الاخبار عن دول البحار » ، تأليف اسماعيل سرهنك ؛ الطبعة الأولى بالمطبعة الاميرية بمصر ج 1 ص 350.

(2) الرسالة الثالثة : ج 2 ص 361 — 362 ، والرابعة : ج 2 ص 359-360 .

والثانية فنوردهما هنا[1] ، وهذا نص الرسالة العثمانية الى السلطان الحسن الأول :

« بسم اللّه الذي رفع من اتقى ، وأيد من لحدوده وقى ، ان ابـرك عنوان مـا بدىء به : بسم اللّه الذي لا واضع لما رفع ، ولا دافع لما حكم وقضى ووضع ، ولا واصل لما قطع ، ولا مفرق لما جمع ، سبحانه من مليك يفعل ما يشاء ان شاء ضر وان شاء نفع ، له الأمر فالكل حكمه كيف وقع ، ووصل من اراد ومن اراد قطع ، وجعل نظام هذه الامة المحمدية باتحاد كلمتها وان شط المزار بينهم وجمعهم كشع ، ولولا دفاع اللّه الناس بعضهم ببعض لوقع ما وقع .

أحمده على كل حال أعطى او منع ، واشكره على ان كشف للبصائر ما كاده عدو اللّه تعالى وخدع ، واصلي واسلم على سيدنا محمد الذي ارسله اللّه تعالى والكفر قـد علا وارتفع ، ففرق بمجاهدته البـاهرة من شـره ما اجتمـع ، وعلى صـاحبه ابي بكـر الصديق الذي نجم نجم شجاعته يوم الردة وطلع ، وعمر الفاروق الذي عز الاسلام به وارتفع ، وعثمـان ذي النورين الـذي رضي بالبـلاء والقضاء ومـا ابتدع ، وعـلي المرتضى الذي دحض الكفر وقمع ، وعلى جميع الآل والاصحـاب ، ومن تبعهم في مسالك الصواب .

أما بعد اهداء ما تتعطر به انوف الاسماع من نفحات التحية الـواردة من مورد الوداد ، واسداء صحيفـة المحبة الـدَّالة عـلى الاتحاد ، إلى جنـاب أخينا في اللّه عـلى الحقيقة ، ومن هو معنا ـ وللّه الحمد ـ على خير طريقة . وارث المجد والمفاخـر ، من جرثومة شريفـة المبدا والاخـر ، شمس فلك تلك الاقطار ، المضيء بضيـاء نجابتـه المصطفوية الفائقة الفخار ، وارث السلطنـة بالاستحقـاق ، معدل العـدل والاحسان المنتشر في الآفاق ، ذي الهمم العلية ، والشيم البهية .

---

(1) الرسالتان ـ معاً ـ وردتا بذيل مخطوطة ديوان الوزير محمد ابن ادريس ، خ .ع .ج 845 ـ ص 361-368 ، مع كناشة العباس بن الشيخ محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي ص 481-485

لــه همــم لا منتهــى لكــبــارهـــا وهمتــه الصغــرى اجـــل من الـدهــر

خاقان بني هاشم ، أهل الفصائل والمكارم ، الذين لا تعد ولا تحصى مفاخرهم بآلاف الآلاف ، واني كآل قصي وعبد مناف .

ألــستــم خــير مــن ركــب المــطايــا وانــدى الــعــالمــين بــطون راح

اخينا السلطان المعظم حسن ، المتخلق بكل خلق حسن ، ابن المرحوم محمد ، سلطان الممالك المغربية ، وفقه الله تعالى وايانا الى المساعي الحميدة المرضية ، آمين .

فالذي نعلم به جنابكم الرفيع المقدار ، ونخبركم بما وقع بتقـدير الله الحميـد الغفار ؛ هو انه بمقتضى الارادة الالاهية ، والمشيئة الربانية ، قد جلست على كرسي الخلافة الكبرى والامامـة العظمى إرثـاً عن آبائي الخلفـاء العظام ، واجـدادي ذوي الفتوحات المقرونة بإعلاء كلمة التوحيد بين الانام ، وذلك ببيعة اهل الحل والعقد من العلماء الاعلام ، والوزراء والامراء وعساكر الاسلام ، وكافة الخواص والعوام ، على وجـه الكمال والقبـول التام ، واسـأله تعـالى بجاه نبيـه الأمين ، وآلـه وصحبه ذوي اليقين ، ان يوفقني كما وفق اسلافي الى نصـرة الدين المبـين ، وترويـج شريعـة سيد المرسلين ، وخدمة الحرمين الشريفين بالاحترام ، ومزيد الاجلال والاكرام ، مقرونـاً باتباع السنة الغراء، والاجتناب من البدع والاهواء، وكذلك المأمول منكم الدعاء لنا بالتوفيق ، إلى حسن منهج الطريق .

هذا ونحن وان كانت المراسلة بيننا مقطوعة ، ومألكة المودة ممنوعة ، إلا ان عهد المودة التي بين اسلافنا دعا الى تجديد عهدها بين أخلافنا ، كما قيل وصحت بـذلك الانباء : محبة الاباء ترثها الابناء ، ومع ذلك فالاتحاد في الدين ومذهب اهل السنة ، يوجب كمال الالفة والتشابك في قهر الاعداء بسل الأسنـة ، فإن ما يزري بطائفة من ذوي التوحيد ، فقد يزري بالأخرى بلا مرية ولا ترديد ، وما يكون ذريعة لتقوية من تصدى للقيام باعباء الخلافة بين أظهر المشركين ، فلا ريب في انه مـوجب لعز سـائر الموحدين ، وان اختلفت مراكزهم بالمشارق والمغارب ، كما هو غير خفي على من ينظر

لعواقب الأمور ولا عازب ، كيف واتحاد المسلمين مما حثّت به الآيات الكريمة البينات ، والأحاديث الشريفة الواردة من سيد الكائنات ، قال اللّه تعالى لايقاظ كل ذي نخوة : ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾، وقال صلى اللّه عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ؛ وغير ذلك من الأحاديث المسطورة في الكتب الصحاح ؛ التي هي غير خفية عنكم ولا تحتاج الى البيان والايضاح ؛ ولا سيما في هذا العصر الذي ظهر فيه الكفر وعلا ؛ وقوى أهله بين الملا ؛ فيجب علينا معاشر المسلمين كافة ؛ الاتحاد والتعاضد والتناصر لدفع كيد المشركين ؛ وإبقاء شعائر الاسلام بين المؤمنين ؛ والاّ فعاقبة الأمر تئول إلى محذور عظيم لا ينحوا منه احد من المسلمين ولو كان في اقصى البلاد ؛ ولا يجدي التباعد والسكوت في دفع ما لاعداء الدين من المراد ؛ وتفصيل هذا الحال ، يفتقر الى تطويل المقال .

ولما حضر في الاستانة العلية ، صانها عن كل سوء رب البرية ، العالم الفاضل السيد ابراهيم السنوسي المعروف لدى حضرتكم البهية، وكان ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأمور المهمة الخفية ، اخترناه لتبليغ هذه الرسالة الى حضرتكم ، وتركنا التفصيل فيها اعتماداً على تبليغ المشار إليه ما يقتضي تبليغه شفاها إليكم ، حفظكم اللّه تعالى وايانا من جميع الحوادث والآفات ، ووفقنا وإياكم الى حسن الخيرات والمبرات ، وعليكم السلام ورحمة اللّه تعالى مع البركات ، في جميع الأزمنة والأوقات ، حرر في غرة ربيع الأول الأنور سنة أربع وتسعين ومائتين والف » .

وإثر هذا بخط الخليفة العثماني : « المستند بتوفيقات الربانية : عبد الحميد خان الدولة العثمانية » .

وبعد الرسالة العثمانية يأتي رد الحسن الأول ونصه :

« الحمد للّه الذي مكن في الأرض من اختاره من عباده المهتدين ، وانفذ حكمهم في البسيطة ليعلي بعدلهم منار الدين ، وينكس بصارمهم المسلول بالحق أعلام الكفرة المعتدين .

نحمده ـ سبحانه ـ على ان جعل منا خلفاء يهتدون به وبه يعدلون ، وصير زمام الشريعة المطهرة بيد أوليائه الذين حفظوا منهاج الشريعة فلا يغيرون لها رسماً ولا يبدلون ، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد الذي هدى من الضلالة ، وعلم من الجهالة ، وقام للحق بالحق ، وقال وقوله الحق : ﴿ لا تزال طائفة من امتي قائمة بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر اللّه وهم ظاهرون ﴾ ، وعلى خليفته سيدنا ابي بكر الصديق صاحبه في الغار ، ورفيقه في الاسفار ، وسيدنا عمر بن الخطاب الفاروق بين الحق والباطل ، وفاتح الحصون والمعاقل ، وسيدنا عثمان ذي النورين الذي صبر في اللّه ، ورضي بما قضاه ، وابن عمه مولانا علي بن أبي طالب ، ليث الكتائب، مبيد اهل الضلال ، الزاهد في الدنيا والمال ، الثابت في ذات اللّه حتى لقيه غير مخذول ولا مفتون ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، أمان الدنيا والدين ، فما داموا فينا ونحن آمنون ، وعلى جميع أصحابه القادة الهداة الابرار ، واتباعهم واتباع اتباعهم المتمسكين بالآثار ، الذين ادوها الينا سمحاء نقية لم يدنسها بزخارفهم المبتدعون .

ونهدي أزكى تحيات سنية ، تملأ شنوف الآذان نفحاتها المسكية الندية ، وتبث في الوجود أرواحها الخزامية الرندية، لتلك السدة العلية الشريفة، والحضرة الأمامية المنيفة ، حضرة اخينا في اللّه ، الخاقان المظفر الهمام المتوكل على اللّه ، المجاهد في سبيل اللّه ، المقدم بالجد والاجتهاد على ملوك الانام ، حامي حمى بيضة الاسلام ، والضارب دونها ببيض الظبى سود الهام . وارث كرسي الخلافة العظمى عن آبائه الكرام اعلام الاعلام ،

بدور سماء كلما انقض كوكب　　　بدا قمر تاوي اليه الكواكب

حائز شرف منصبها بالفرض والتعصيب ، والضارب بين ملوكها العظام بالسهم المصيب ، واسطة العقد ودرة التيجان ، ونخبة مجد آل عثمان ، المشيرة جميع الاكوان ، الى مفاخرهم بالأكف والبنان ، البينات آيات فتحهم في كل زمان ، حضرة اخينا السلطان المعظم المفخم عبد الحميد خان ، ابن المقدس المنعم عبد المجيد خان ،

سلطان الممالك العثمانية ، المؤيد بالفتوحات الربانية ، حباه اللّه النصر المؤزر المتين ، وفتح له في أعداء دينه الفتح المبين ، السلام عليكم ورحمة اللّه تعالى وبركاته .

أما بعد :

فأنا نحمد إليكم اللّه الذي وسعت الكائنات نعمته ، وشملهم فضله وطوله ورحمته ، ونسأله لنا ولكم مزيد العناية والتأييد ، والحفظ واللطف مع التأييد ، وأن ينصر بكم دينه المحمدي القويم ، ويهدي بسيرتكم الحسنى الى صراطه المستقيم ، ويجعل الظفر مصحوباً مع أعلامكم ، واعناق مناويكم خاضعة تحت أقدامكم ، حتى لا تبقى فضيلة إلا احرزتموها ، ولا مكرمة الا حزتموها ، ولا مفخرة للاسلام الا اظهرتموها للوجود وابرزتموها .

وقد وصل ـ واصل اللّه سعودكم ، وأدام في مراقي العز صعودكم ـ مسطوركم البهي المعرب عما تضمنه الفؤاد ، من خالص المحبة وكريم الوداد ، المحيي ـ بحسن مقاصده ـ لما سلف بين الآباء الكرام والاجداد ، الحاث الى ما دعت إليه السنة المصطفوية من الالفة وكمال الاتحاد ، متضمناً لما شرح الصدور ، وأقر الاعين في الورود والصدور ، وابهج الاسلام واهله ، واذهب عنهم كرب الحزن ومحله ، من جلوسكم على كرسي الخلافة العظمى ، وحيازتكم ـ بمنة اللّه ـ منصب الامامة الاسمى ، إرث اسلافكم الخلفاء الكرام الرفيع المقدار ، الحائزين في الذب عن الدين كمال الاعتبار ، المضيئين بفتوحاتهم الجليلة غياهب الايام ، الكائنين غرة منيرة في جبين الاسلام ، ولعمري لقد استردت عواريها ، واعطى القوس باريها ، وبلغت الرياسة الشريفة محلها ، ما أحسن الاشياء تحل محلها .

واذا سخر الالاه أناساً لسعيد فإنهم سعداء

فهنيئاً للدين والدنيا بكم ، وبشرى لكم بما خولتم من ربكم ، جعل اللّه

ملككم مقروناً بالطالع السعيد ، والفتح المديـد ، والنصر الـذي هو لـطوائف الشرك مبيـد ، وأدام نعمتـه عليكم ، وهـدى بكم وهـدى إليكم ، وجعلكم من الخلفـاء الراشدين ، الذي اذخرهم لتجديد الدين ، آمين .

هـذا وإن من شيمكم الكريمـة الواضحـة ، وعلامـات سعادتكم الـلائحـة . سبقيتكم الى البحث عـلى تجديـد عهود الاسـلاف الكرام ، واحيـاء مـودة الاجـداد العظام ، وتصحيح الانباء ، يتوارث محبة الآباء للأبناء ، والدعاية الى الالفة والتشابك على قهر الاعـداء ، وعلاج دائهم قبـل الاعتداء ، وتلك شجيـة يخص بهـا المـاجد الأحزم ، وشنشنة أعرفها من اخزم ، وما زالت تلك المـآثر تختلج في الصدر ، وتتردد ما بين السحر والنحـر ، وتوالي الأيـام تدني من املهـا ما تقصى ، ومـواعدهـا تلين ثم تستعصي ، حتى أتاح الله لكم أمرهـا ، واطلع في سماء فضلكم بـدرها ، وخصكم بآلائها ، وملككم زمام ولائها ، ولكم في ذلك مزية التقدم والأقدام ، وما على من بذل ما في وسعه من ملام .

فأما مـا شـرحتم من تمـالئي أهـل الاشـراك ، ونصبهم للمسلمـين الغـوائـل والاشراك ، ودعوتم اليه من الاتحاد على دفاعهم والاشتباك ، فما خلت ـ بحمد الله ـ ضمائرنا من تلك النية ، والتناصر في ذات الله عندنا غاية الامنيـة ، والسعي في جمع الكلمة متعين على جميع اهل التوحيد ، والدعاء اليه من خصال الموفق الرشيد ، ومـا نصر الله منا ومنكم ببعيد .

وقد ابلغ الفقيه العالم الفاضل الاديب الزكي ، الشريف ابراهيم السنوسي : ما حملتموه من ذلك شفاها ، وأدى الرسالة المباركة إلى منتهاها ، والله المسؤول جل وعلا أن يحفظ الدين الحنفي بكريم هـذه العصابـة ، ويؤيدهـا بالنصـر والفتح والتسـديد والاصابة ، بجاه سيد الانام ، ومسك الختـام ، ولبنة التمـام ، عليه افضـل الصلاة وأزكى السلام ؛ والسلام يعود على مقامكم ورحمة الله تعالى وبركاته » .

* * *

وبعد العلاقات المغربية الشرقية يأتي شمال افريقيا ، حيث وردت اشارة الى قنصل مغربي بتونس ، والمعنى بالأمر هو الكاتب الحاج محمد الشرقي المغربي ، المتوفى عام 1282هـ/ 1866م ، فقد جاء في ترجمته[1] انه صار - اخريات عمره - وكيل المغاربة بتونس .

---

(1) « إتحاف أهل الزمان » لابن ابي الضياف ج 8 ص 141-142.

2

تجديد الجيش

يمكن القول بأن إصلاح الجيش المغربي كان أول اصلاح تناول جهاز الدولة المغربية ، فبعد « موقعة ايسلي » : بدأت المحاولات الأولى لتجديد الجيش المغربي ايام السلطان عبد الرحمن ، حيث نظمت في عهده بعض فرق من الجيش على نسق نظام الجيش التركي الحديث ، وقد اسندت قيادة هذه الفرق لضابط مسلم يسمى علياً التونسي[1] .

وعلى ما يقول البعض[2] فقد كان عدد هذا الجيش النظامي يبلغ ستة عشر الفاً ، وكثيراً ما كان يطلق عليه اسم « العسكر » او « النظام »[3] .

والذي كان يرعى هذا الجيش ويتبناه هو الخليفة اذ ذاك سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي جاء في ترجمته[4] : « أنه ابتدأ تنظيم هذا الجيش الحديث أيام خلافته عن والده بعد موقعة ايسلي » .

---

(1) هكذا في الاتحاف ج 5 ص 238-239 : استناداً على ان مؤلفه وجد في قائمة الخارج لعام 1265 : « مرتب العسكر » ، وفي ص 77 منه : ان احداث هذا الجيش كان عام 1261 ، حيث كلف السلطان المذكور عامليه : اشعاش وازطوط بتنظيمه ، وعلى هذا يكون ابتداء تنظيم الجيش من هذا التاريخ ، وانظر « العز والصولة » ج 2 ص 214-215 حيث ورد اسم قائد آخر يسمى حمودة الجزائري .

(2) هو الشيخ محمد بيرم الخامس في كتابه : « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار » ج 1 ص 65 .

(3) تقدم ص 25 نقلاً عن كتاب « كشف الغمة » : « وترتيب الجيش على هذه الصفة هو المسمى بالنظام » .

(4) الاستقصا ج 4 ص 222 ، مع الاتحاف ج 3 ص 567 .

وقد اشتهر هذا الجيش النظامي حتى بلغ مسامع والي مصر محمد علي باشا الذي اهدى اليه 35 كتاباً فنياً[1] ، وعن هذا الجيش يقول في « فوصل الجمان »[2] :

« ولم تكن وزارة الحرب عند ملوك الغرب بولاية معروفة ، ولا الى شخص معين بمصروفه ، وكان الجيش كله على النهج القديم ، ليس له على الطريق الحديث ترتيب ولا تنظيم، إلى ان وقع للسلطان سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن زمن خلافته عن أبيه ما وقع من الكسرة القوية، بحادثة أبي هراوة[3] مع العساكر الفرنسوية، فعلم أن ما اصاب جيشه العديد ، هو من عدم تنظيمه على الطراز الجديد ، ولما رجع الى منصة خلافته . . . نظم من ابناء القبائل ثلة ، وجعل لها وزارة مستقلة[4] ، ورتب لها ضباطاً ، وابدى بها سروراً واغتباطاً ، فصارت يد قوتها بنحور العصاة دافعة ، وبنواصي اهل الزيغ سافعة ، وأصبحت دائرة نفوذها واسعة ، ممتدة الى الأنحاء الشاسعة » .

وتفيد الفقرات الأخيرة من « الفواصل » : أن هذا الجيش الحديث أتى أكله ، وصار يباشر مهمته إلى جانب الجيش المغربي القديم ، وهذا ما تنطق به الأشعار الآتية قريباً ، وايضاً تفيد ذلك الفقرات التالية الواردة أبناء ظهير[5] للسلطان المولى عبد الرحمن يخاطب فيه ولده سيدي محمد : « وهذا العسكر النظامي حيث ظهر ثباته واقدامه ونكايته في العدو ، استكثر منه على قانونه واعداد عدته » .

ونستطيع أن نجد بعض أوصاف هذا الجيش النظامي في القصيدة[6] الآتية : التي

---

(1) الاتحاف ج 5 ص 155.
(2) ص 88.
(3) لقب كان يعرف به الجنرال لاموريسير قائد الجيش الفرنسي في موقعة وادي إيسلي.
(4) هذه الوزارة انما احدثها بعد مبايعته .
(5) الظهير مؤرخ في 6 رمضان 1263 ، وهو وارد بتمامه في الاتحاف (5) 81-83.
(6) وردت هذه القصيدة بتمامها في « الحلل البهية في تاريخ الدولة العلوية » .

أنشأها الشيخ الكبير يوسف بن بدر الدين المدني في احدى قدماته[1] على المغرب ، وهو يصف فيها الجيش المغربي الجديد ، ويمدح منشئه السلطان المولى عبد الرحمن :

امير المؤمنين له مزايا — يضيق النثر عنها والنظام
واعظمها اذا ذكرت وعدت — ـ وان كانت بأجمعها عظام ـ
« نظام » عقده للدين عِقد — نفيس زان جوهره نظام
وان ذكرت جيوش النصر طراً — فهو لها المقدم والامام
يريك اذا نظرت له صفوفاً — لها بالنصر جد واهتمام
تطير لها قلوب الاسد خوفاً — ويفزع عند رؤيتها الحمام
فعند الرمي تصلى الجو ناراً — وعند الضرب ينـدق الحسام
وان صفت فتحسبها بناء — شديد الرص رصصه انتظام
وان نطقت فبرق او رعود — كساها من ملابسه الظلام
وان سارت لحرب فالمنايا — تسير وطبعها جثث وهام
فقل للدين جاء النصر فاهنأ — ولا تجزع ، فقد نظم « النظام »
وقل لابن الرسول ومن اليه — ملوك الارض تفزع اذ تضام
ليهنك اذ شددت بنظم جند — عرى مجد فليس له انفصام
وفاق نظام جندك كل نظم — وهل تحكي اسودكم الرئام
فكم جند تقدمه بجبن — وطال بارضه منه المقام
وسدت دونهم ابواب نصر — ولم يكمل لهم بهم مرام
فلما ان مننت بنظم جند — تولى الفكر وانقطع الملام
وتم لكم بهذا الدين نصر — ومدتكم ملائكة كرام
فعن قرب يكسر جيش كسرى — وترشق في قياصره السهام
فطب نفساً بجندك فهو جند — به الكفار طار لهم منام

---

(1) انظر عن قدماته للمغرب : الاتحاف (5) 156.

فـإن يكن غيـركم بـالبـدء يسمـو ... سـمـو البـدر زايـله الـغـمـام
فـإن بـدايـة الاشـيـاء سـهـل ... ولاكـن الـكـمـال هـو الخـتـام
وهـل فـضـل الهـلال اذا تبـدى ... كـفـضـله اذ يـتـم لـه الـتـمـام
فـدم في الملك بـدراً لست تخشى ... مـدا التـأييـد نـقـصـاً والسـلام

وسوى هذه القصيدة الشرقية ، هناك نتف ضمن قصائد مغربية تتحدث عن جيش المغرب النظامي في هذه المرحلة الاولى ، ومن ذلك قول بعض الشعراء[1] :

ولله في هـذا الـوجـود خـلاصـة ... هـداهـم ، لهم في كـل صـالحـة ذكـر
« عسـاكـر » فتـح عـود الله رفعهـا ... اذا قـوبلت ، يسري لنـا صبها الكسـر

ومن قصيدة[2] للشاعر الطيب بن عبد السلام التستري المكناسي المتوفى أواسط المائة الهجرية 13 .

جمعت هـذا الجيش تبـغي بـه ... اشـادة الـديـن وقـطع الخـنـا
فـجـاء وفـق نـيـة والـفـتى ... ثـمـار مـا يـغـرسـه قـد جـنى

ومن قصيدة[3] لمحمد اكنسوس الشهير في تهنئة السلطان محمد بن عبد الرحمن بالملك :

لـه العسكـر الجرار تبرق في الـوغـا ... صـوارم مـنـه والمـدافـع تـرعـد
يعـد الى الاعـداء كـل كـتـيـبـة ... من الـرعد يحدوهـا الـوشيـح المسـدد
وكـل كمي كـالغضنفـر مـغضبـاً ... وكـل صـقيـل وهـو مـاض مجـرد

---

(1) هذه القصيدة نسبت للوزير محمد بن ادريس كما بالاتحاف (5) 249 ، ويبعد هذه النسبة : ان القصيدة تتناول حركة السلطان عبد الرحمن لزمور الواقعة عام 1269هـ، في حين ان ابن ادريس توفي في عام 1264 ، وعلى هذا تكون القصيدة لشاعر آخر غير ابن ادريس .

(2) توجد هذه القصيدة ضمن « مجموعة أمداح في السلطان عبد الرحمن بن هشام » أصل المجموعة في المكتبة الاحمدية بفاس ، ونسخة منها بمكتبة كاتب السطور .

(3) وردت في « الجيش » ج 2 ص 66 ، وفي الاستقصا ج4 ص 211-213 .

يفيـد العـدا قبـل اللقـاء مهـابـة فصـارمـه يفـري الـطلى وهـو مغمـد

ومع الاستبشار ، البادي من هذه الاشعار يظهر ان تنظيم الجيش كـان يلاقي معارضة من بعض الجهات[1] ، وذلك من أسباب انخرامه في هذه المرحلة الأولى .

فلذلك لما وقعت حرب تطوان اعاد الملك محمد بن عبد الرحمن إثرها النظر في أمر الجيش النظامي ، وكان أول ما بدأ به في هذا الصدد : ان استشار عشرة من أئمة علماء المغرب في الحكم الشرعي في هـذا التنظيم ، فعـل ذلك ـ فيـما يظهـر ـ ليقطع بفتاويهم ـ التي كانت بالموافقة ـ كل جدال في المسألة ، وكان العلماء الذين استفتوا : هم 1 ـ قـاضي فاس محمـد بن عبد الـرحمن العلوي المدغـري . 2 ـ ابو العبـاس احمـد المرنيسي . 3 ـ أبو عبد ا لله محمد الصادق بن محمد الهاشمي العلوي المدغري قاضي سجلماسة ونواحيها . 4 ـ ابو محمد عبد السلام بو غالب . 5 ـ أبو عيسى المهدي ابن سودة . 6 ـ اخوه ابو حفص عمر ابن سودة . 7 ـ ابو عبد اللّه محمد بن محمد بن حمادي الحمادي المكناسي . 8 ـ ابو عبد اللّه محمد مسواك بن محمد التازي . 9 ـ الحاج محمد بن محمد الفيلالي . 10 ـ أبو العباس احمد بناني المدعو كلا[2] .

وبعد أجوبـة المعنيين بـالأمر شـرع الملك المذكـور في تجديـد الجيش المغربي ، والمعلومات التي توصلت إليها عن هذا التجديد هي التالية :

احدث هذا الملك للجيش وزارة على حدة يدعى صاحبها العلاف الكبير ، وهو أيضاً الرئيس الأعلى للجيوش المغربية ، وقد أسند هذه الوزارة ـ أولاً ـ للسيد عبد اللّه ابن احماد أخ السيد موسى بن احماد الحاجب الشهير .

كما أسند تدريب هذا الجيش الى السيد محمد خوجة التونسي الذي كانت رغبته

---

(1) بعدما كتبت هذا رأيت في « الجيش » الاشارة لهذه المعارضة ج 2 ص 80 ، وانظر كتاب « ذخيرة الأواخر والأول . . . » للحاج العربي المشرفي ، خ . ع ، ك 2659 ـ ج 2 ص 48.

(2) على هذا الترتيب رأيت الاشارة فقط لاسماء هؤلاء الاعلام بخط القاضي المهدي ابن سودة على هامش أول جوابه في المسألة .

قوية في السير بالجيش المغربي في طريق التقدم[1] .

وكان هذا الجيش النظامي يشتمل على الخيالة وبعض الرجالة الذين تأسسوا لاول مرة ، وكان ينقسم الى عدة فرق : كل فرقة تسمى (الطابور) الذي يشتمل على ٩٠٠ جندي فيه عدد من حملة الشواقير[2] .

ومن الفرق التي كان يتألف منها هذا الجيش : « فرقة الوصفان » رئيسهم الوصيف ابن المزوار ، « فرقة » اهل سوس رئيسهم الحاج منو الشهير ، « فرقة الحاج عزوز بن الفتوح » ، « فرقة الحاج محمد الزروالي » ، وغيرهم[3] .

ولباس هذا الجيش كان من الملف الرفيع ، وكسوة رؤ سائه مزركشة ومرصعة بخيوط الذهب ، ونعالهم من جلد أحمر ، اما سلاح الجيش فكان من أعلى طراز[4] .

ومن الوثائق المتعلقة بهذا الجيش : الرسالة[5] الملكية التالية الموجهة لأمناء مرسي الدار البيضاء ونصها بعد الأفتتاح :

« . . . وبعد فانا لما اخذنا في جمع « النظام » للمصلحة المتعينة ، الواضحة البينة ، المقرر امرها لدى الخاص والعام ، واجتمع منه عدد يسير ، واختبرنا ما صبر عليه في شهر واحد ، فاجتمع فيه عدد كثير ، فكيف إن جمعنا منه عدداً معتبراً يحصل به المراد ، ويكون قذى في أعين أهل العناد :

اقتضى الحال ذكر ذلك لكبراء التجار لينظروا فيما يستعان به على أمرهم ، إذ لا بد من كفايتهم ، وإلا انحل نظام جمعهم ، وفي ذلك ما لا يجهله من له أدنى عقل ومحبة في الدين ، فأشاروا بفرض اعانة لا ضرر فيها على الرعية ، وسطروها في ورقة ، وهي كلا

---

(1) انظر « الاتحاف » ج 3 ص 569 مع مجلة « المصباح » العدد الأول .
(2) « الاتحاف » ج 3 ص 568 .
(3) « الاتحاف ج 2 ص 500
(4) المصدر ج 3 ص 568.
(5) هذه الرسالة وردت في « الاستقصا » ج 4 ص 222.

شيء بالنسبة لما ارتكبه الملوك في مثل هذا للاستعانة به على المصالح المرعية ، وللضرورة احكام تخصها ، كما هو معلوم مقرر ، ومسطر في غير ما ديوان محرر .

ثم اقتضى نظرنا ان نسند الأمر في ذلك لاهل العلم ليقرروا للناس حكمه تقريراً تنشرح له الصدور ، ويعمل بمقتضاه في الورود والصدور ، وان كان جلهم يعلم هذا ، إذ من المعلوم أن الرعية لا يستقيم أمرها إلا بجند قوي باللّه . ولا جند إلا بمال ، وهو لا يكون إلا من الرعية على وجه لا ضرر فيه .

وقد اخذ الناس هذه مدة بحضرتنا العالية باللّه ، ومكناسة ، وتازا ، والعدوتين ، ومراكش : في ذلك ، وسلكوا في ترتيبه احسن المسالك ، ولا شك أن بركة ذلك تعود عليهم في امواهم واولادهم وانفسهم .

فبوصول هذا اليكم قوموا على ساق الجد في القبض من الناس بالباب على نحو ما في الورقة المشار إليها ، ولا دخل للنصارى في ذلك .

واللّه أسأل ان يبارك للمسلمين في مالهم ، ويعوضهم خلفاً ، آمين ، والسلام ، في الثاني والعشرين من رجب ، عام سبعة وسبعين ومائتين وألف » .

ومن الأشعار التي قيلت في جيش النظام في هذه الحقبة : الأبيات الآتية الواردة ضمن قصيدة للشاعر الكاتب محمد بن محمد غريط ، في تهنئة الملك محمد بن عبد الرحمن بانتصار احرز عليه :

« ... ورجال العسكر الساطي لهم	اعين عن أمره ما إن تنام
كلفوا بالضرب والطعن إذا	صار ليل النقع كالجون الركام
كيف ينجو في الصياصي منهم	كل جبار وزار بالذمام
كانصباب السيل ان شنوا على	زمر الأعداء غارات الحمام
وهم الأنصار للدين فما	اعظم الفخر بفرسان «النظام»[1]

(1) « فواصل الجمان » ص 164.

وقال المؤرخ أكنسوس المتقدم من قصيدة :

وعـدد امثـال الاسـود عسـاكـرا	تخـر لها الاسـد الضـراغم سجـدا
وتهـتز منهـا الأرض عنـد ركـوبهـا	وتـرجـف اطـواد الجـبـال تمـيـدا
وتحسـب أن الجـو نـار تـأججـت	يضـج لهـا بـاغي الفسـاد مشـردا
وتخفق ريـح النصـر بـين بنـودهـا	على غـرة المنصـور أكـرم من غـدا[1]

وقال الشاعر نفسه أيضاً من قصيدة :

اعـد عـدادا لـلعـدا بـعـسـاكـر	مسـومـة ركبـان خيـل ورجـلان
لـيـوث افـتـراس كـلما زأرت عـلى	ديـار أنـاس زارهـا كـل أحـزان
فـوارس تـغـتـال الـنـفـوس كـأنها	إذا صبحت ارضـا عصـائب عقبـان
تـراهـا كمثـل السيـل يخسف تحتهـا	تـراهـا وتـرمي كـالأثـير بشهبـان
تصـول بـأسيـاف تحيض ذكـورهـا	وتسـطو بـأرمـاح كـأنيـاب ثعبـان
وتـنـشـر رايـات تـنـوش ذيـولهـا	ريـاح سعـود من رخـاء سـليمـان
اذ اضـطربت في الجـو قـال هبـوبهـا	إلا ان نصـر اللّه والـفتـح وافـان[2]

* * *

ثم خطى الجيش النظامي بعض الخطوات أيام السلطان الحسن الأول ، فانه لما وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية ، ابتدأ ـ أولاً ـ بفرض الجيش على بعض المدن ، فألزم أهل فاس بخمسمائة ، وألزم أهل العدوتين بستمائة ، وألزم غيرهما من الثغور بمائتين مائتين[3] .

ثم بعد هذا اصدر امره لعمال الحوز والغرب بفرض العسكر عليهم ، وعين وزير

---

(1) الجيش ج 2 ص 79.

(2) المصدر ج 2 ص 90.

(3) الاستقصا ج 4 ص 243.

العسكر محمد الصغير الجامعي للتوجه لدكالة للاتيان بما فرض عليهم وهو الفان ، ومن الشاوية كذلك ، ومثلها لكل من الرحامنة ، وحاحا ، ومن قبائل أخرى ما عين لكل قبيلة ، هذا زيادة على عدد الطبجية[1] الذين كانوا يفرضون على كل قبيلة[2] ، وبسبب هذا ارتفع عدد الجيش النظامي في هذا العهد ، وصار مركباً من 25 ألف جندي تقريباً ، فيه الضباط المغاربة المدربون[3] .

واعتنى السلطان الحسن الأول بهذا الجيش: فكان يباشر عرضه وترتيبه بنفسه ، واستجلب له المدربين من انجلترا وفرنسا واسبانيا[4] ، وقد اشتهر من هؤلاء المدربين : ماك لين الانجليزي قائد الجيش النظامي ، وإيركمان الفرنسي قائد جيش المدفعية[5] .

وفي آخر حياة السلطان الحسن الأول كان هؤلاء المدربون قد أدوا مهمتهم في تدريب الجيش المغربي ، فصار هذا الملك يطلب من حكوماتهم سحبهم ، وكان جواب احداها وهي اسبانيا : أنها تساعد على هذا السحب بمجرد سفر مدربي الدول الأخرى[6] .

ومن التنظيمات التي سار عليها نفس السلطان في هذا الصدد ، تخصيص جيش كل جهة بدفتر على حدة ، لتسجل به اسماء المنخرطين في الخدمة العسكرية : كل واحد باسمه ونسبه ووصفه وموضع سكناه وحرفته[7] .

---

(1) هم رماة المدافع .

(2) الاتحاف ج 2 ص 500.

(3) البيان المطرب ص 40.

(4) هذا مع الاحتفاظ بالمدربين القدامى ، حيث ورد في أوائل عهد نفس السلطان ذكر السيد عمر التونسي ، ونعمان التونسي معلم الفرق الموسيقية ، وذلك بتاريخ 11 شعبان عام 1292هـ ، حسب دفتر مخزني بالمكتبة الملكية رقم 313 ـ ص 7.

(5) الاستقصا ج 4 ص 243 ، مع الاتحاف ج 2ص 493.

(6) الاتحاف ج 2 ص 494-495

(7) وردت الاشارة لهذا في طالعة الدفتر الذي يحمل رقم 310 بالمكتبة الملكية .

ولا تزال ـ بقيد الوجود ـ مجموعة من هذه الدفاتر محفوظة بالمكتبة الملكية بالرباط ، ومنها :

ـ دفتر المنخرطين من الودايا : رقم 310 .

ـ ودفتر المنخرطين من فاس العتيق : من اللمطين والاندلس والعدوة : رقم 308 .

ـ ودفتر المنخرطين من فاس الجديد: رقم 324 .

ـ ودفتر الشراردة : رقم 309 .

ـ ودفتر الرحامنة : رقم 302 .

ـ ودفتر قيادة القائد العربي بن الشرقي : رقم 304 .

ـ وغيرها وغيرها .

وعن لباس هذا الجيش الحسني وبعض نفقاته ، نقدم رسالة للسلطان عبد العزيز ، أصدرها أول عهده إلى امناء مرسي الصويرة، ونصها بعد الافتتاح :

« . . . وبعد : فنأمركم ان تكسوا عسكر وطبجية وبحرية ذلك الثغر المحروس بالله : النفر : بكسوته المعتادة : المشتملة على كبوط وبدعية من ألط وغليلة وسروال من الكتان وطربوش وبلغة .

والزباط « يقصد الضباط » : بكسوتهم المعتادة : المشتملة على كبوط وبدعية وسروال من الملف البندقي وغليلة من الكتان وطربوش : على نسبة مراتبهم .

وان تكسو الجيش السعيد بالكسوة المعتادة له على حسب قائمة رواتبهم .

كما نأمركم أن تزيدوا لكل نفر في مؤونته اليومية عشر موزونات ، بحيث تصير مؤونة النفر اربع اواقي ، والسلام في 8 ربيع النبوي عام 1312 »[1] .

---

(1) ثبت نص هذه الرسالة في الدفتر الذي يحمل رقم 328 من نفس المكتبة ص 86.

ومن تتمة حديث هذا الجيش ايام السلطان الحسن الأول ، أنه لما أراد أن يجدد تنظيمه سأل أهل العلم عن الحكم في توظيف المعونة لتنظيم الجيش المغربي ، فتصدى للجواب ـ بإشارة الباشا عبد اللّه بن أحماد ـ الفقيه السيد علي بن محمد السوسي[1] من تلاميذ ابي الحسن التسولي ، وكتب جواباً مطولاً رتبه على مقدمة ، وثلاثة ابواب ، وخاتمة ، وسماه بثلاثة أسماء : اولها : « عناية الاستعانة ، في حكم التوظيف والمعونة » ، يقع في ورقات 82 ، مسطرة 23 ، ويحمل رقم 480 د من الخزانة العامة بالرباط .

وقد شرح واقع هذا الجيش الجديد محمد السليماني[2] : في فقرة يقول فيها وهو يذكر محمد الرابع : « . . . فشرع في تنظيم الجيش على الطريقة المستعملة عند الأمم الأخرى ، وجد واجتهد في تنظيم فرقة ، وجلب المعلمين الماهرين لتعليمه وتدريبه على الأساليب المستعملة عند الدول .

ونجح في هذا العمل المفيد ، الذي تممه ولده ـ من بعده ـ السلطان المقدس مولانا الحسن ، فكانت كل قبيلة تدفع ـ لدائرة التعليم ـ حصة من أبنائها ، للانخراط في سلك العسكرية مدة معلومة ، ومن قضى منهم مدته أوتي ببدله ، على أن منهم من ترقى في الفنون العسكرية ، وسمت به همته للمناصب العالية .

واعتمدت الدولة هذا الجيش النظامي في المهمات ، على قلة عدده الذي لا يزيد ـ في الغالب ـ على العشرين ألفاً ، فكان بمثابة جيش الحرس السلطاني .

وأما في الحركات السلطانية والأعمال الكبرى : فلم تزل جيوش المخزن وقبائل العرب والبربر تقوم بتلك الشؤون على العادة القديمة ، كما أدركناه في العهد الأخير ، وذلك نظراً لميزانية الدولة ، وجبراً لخواطر رجال الحكومة الذين لم يزالوا ينظرون الى كل نظام جديد بالعين السخينة » .

---

(1) له ترجمة وجيزة في « سلوة الانفاس » 3/351-352.

(2) « زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ» : مصورة الخزانة العامة بالرباط ، د 3657 : ج 2 لوحة 342.

3 احياء الاسـطول

الى جانب الجيش البري انشيء في هذا الطور نواة قوة بحرية منظمة تنظيماً حديثاً ، لتسد الفراغ الذي تركه ضياع الاسطول المغربي أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام .

وكان ابتداء تأسيس هذه القوة البحرية الأولية في أيام السلطان الحسن الأول الذي اشترى من أوروبا عدة بواخر وزعها على مراسي المغرب ، بعضها كبير ، وبعضها صغير لنقل السلع(1) ، كما أوصى على صنع بعض البواخر الأخرى ، وفي أول عهد الدولة العزيزية اضيف لهذا الاسطول باخرة جديدة .

والمعروف لحد الآن من هذا الاسطول هي القطع التالية :

1 ـ الباخرة العظمى التي تحمل اسم « الحسني » ، اشتراها السلطان المولى الحسن الاول واستخدم بها ـ بمرسي طنجة ـ عدة وافرة من شباب العدوتين سلا والرباط : بحرية ومعينين . وقد استمر بعضهم يعمل بهذه الباخرة إلى ما بعد وفاة نفس السلطان(2) .

وقد تكون هذه الباخرة هي التي تسمى عند البعض : « احسان » .

2 ـ « قرصان حربي » وردت الاشارة له في بعض المقيدات(3) .

---

(1) زهر الافنان ج 2 ص 304.

(2) زهر الافنان ج 2 ص 304-305

(3) « الاستبصار » للطاهر الاودي .

3 ـ الباخرة التي تحمل اسم « البشير » ؛ واسمها الكامل : « بشير الاسـلام ، بخـوافق الاعلام » ؛ صنعت بـايطاليـا بأمـر السلطان المولى الحسن الأول ، ووردت للمغرب بعد وفاته أيام المولى عبد العزيز ، وكان بها من المدافع اثنا عشر ، ومن الطبجية اثنا عشر ، ومن البحرية أربعة وأربعون : شطر عدتهم من الرباط ، والشطر الآخر من سلا ، مع ما أضيف إليهم من طنجة وتطوان من البحرية والمستخدمـين بجهازهـا ، ورئيسها ألماني يدعى متي ، وأمين صائرها السيد عبد الكريم زيوزيو التطواني[1] .

وكان يتولى النظر في شؤون هذه الباخرة النائب المغربي بطنجة الحـاج محمد بن العربي الطريس التطواني ، اسند إليه هذه الخطة السلطان عبد العزيز بظهير مؤ رخ في 29 رجب الفرد عام 1317 — 1899 ، ويتضمن ارشادات لرجال الباخرة بالقيام بوظائفهم الدينية والبحرية[2] .

وقد كانت هذه الباخرة تستخدم أيضاً في ربط المواصلات بين المغـرب وبعض الجهات الأخرى ، وعليها سافـرت إلى الجزائـر لجنة الحـدود المغربيـة الجزائـرية عـام 1319[3] .

4 ـ الباخرة التي تحمل اسم « التريكي » ، اشتراها السلطان عبد العزيـز لاول عهده ، وفيها سافر إلى مرسى طرفاية الوفد المغربي الذي توجه لتسلم هذه المرسي من التجار الانجليز[4] .

هذا وقد وصف في « الدائرة الوجدية »[5] بعض قطع من الاسطول المغربي يمكن أن تكون من المتقدمة أو غيرها ، فقد تحدث عن قطعتين مغربيتين ترجعان لأواخر العهد

---

(1) « مقدمة سوق المهر » ص « لز » .
(2) الظهير وارد بالاتحاف ج 2 ص 505-508 ، ومنه نسخة اخرى بمكتبة كاتب السطور .
(3) يؤخذ هذا من الظهير رقم «95» الوارد ضمن « مجموعة ظهائر علوية » لنهليل .
(4) يؤخذ خبر هذه الباخرة من الاتحاف ـ ج 1 ص 385 مع « الاستبصار » .
(5) ج 8 ص 719-720

العزيزي : الاولى « طراد طوربيدي » من الفولاذ طوله سبعون متراً ، وعرضه عشرة امتار ، وحمولته ألف ومائتا طن ، وقوته البخارية تعادل 2500 حصان بخاري ، وسرعته في الساعة 18 عقدة ، وبه عشرة مدافع من عيار اثني عشر متراً .

الثاني : « مركب آخر » من ذوات الرفاس طوله 37 متراً ، وعرضه 11 متراً ، وحمولته 1164 طناً ، وقوة آلاته تعادل 140 حصاناً ، وسرعة سيره نحو 10 عقدة في الساعة . ويسمى « إحسان » .

ومن الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع : رسالة[1] وجهها السلطان المولى الحسن الاول الى عامله بسلا لما حاول احياء الاسطول المغربي ، وفيما يلي نصها بعد الافتتاح .

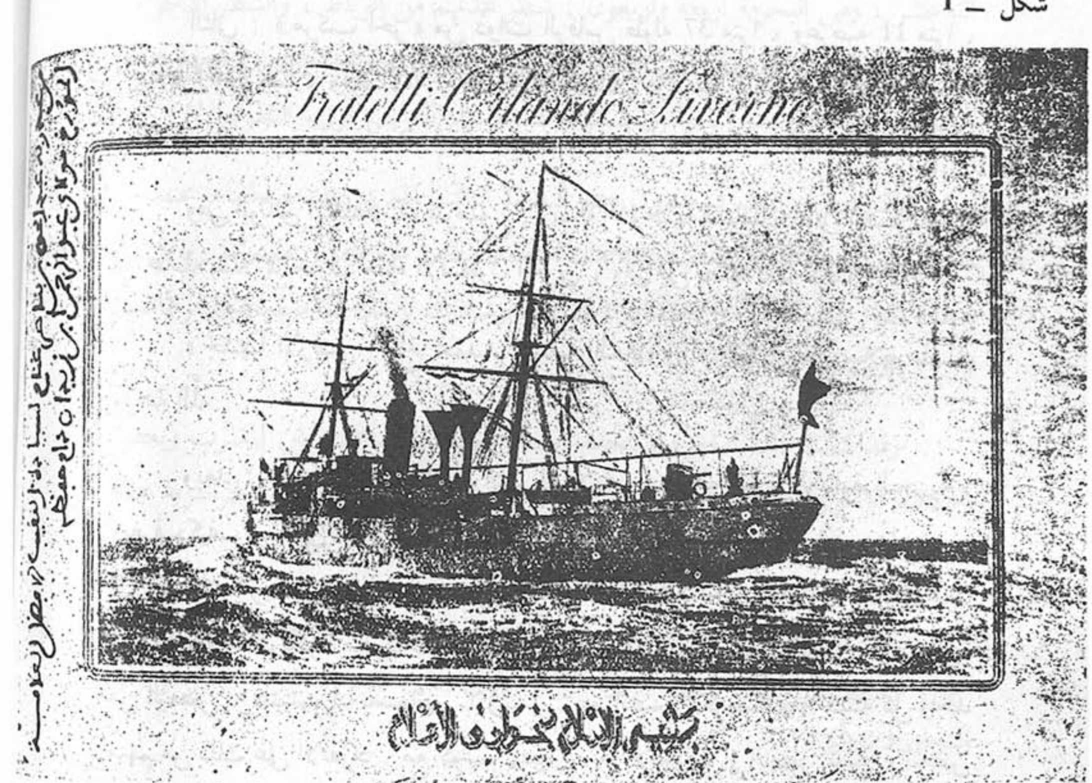
« خديمنا الأرضي الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك اللّه وسلام عليك ورحمة اللّه .

وبعد : فنأمرك أن تبحث في الثغر السلاوي عمن له خبرة بالرياسة البحرية ، ويعرف كيف يسافر في البحر ببابور الكوشطة ، ماهراً بذلك ، بحيث لا يخفي عليه شيء من أمر تلك الرياسة ، فإذا وجدت من قامت به الصفة المذكورة ، فلا يخلو اما ان يكون متعدداً ، واما ان يكون منفرداً ، وعلى فرض التعدد فلا بد ان يكون البعض أقوى مهارة من البعض ، فلتبينهم لنا بأسمائهم ، وأنسابهم ومراتبهم في الرياسة وما يحسنه كل واحد منهم من ذلك على الانفراد . مع كونهم بلديين ، أو آفاقيين ، أو البعض بلدي والبعض آفاقي ، حتى نكون على بصيرة من امرهم ، واجعل يدك عليهم ، وليكونوا على أهبة لما يرد عليك من قبلنا . بحيث إذا ورد عليك أمرنا الشريف بما يكون فيهم كانوا متيسرين ، وان لم تجد من قامت به تلك الصفة متعدداً ، فان وجدت واحداً فقط فسمه أيضاً باسمه ونسبه ورتبته في الرياسة ، وليكن متهيئاً لما يرد عليك من حضرتنا الشريفة ، وان لم تجد من قامت به تلك الصفة ولكنه اذا اريد تعليمه يقبل التعليم بسهولة : اما لتقدم معرفة له

---

(1) وردت في « زهر الافنان » ج 2 ص 305.

شكل ــ 1



الباخرة « البشير » تمخر عباب البحر   من « إتحاف أعلام الناس » ج

بذلك ، واما لكونه فطناً ، فكذلك بينهم لنا بأسمائهم وأنسابهم ، ومراتبهم في الذكاء والفطنة ، آفاقيين أو بلديين ، واطلع عملنا الشريف بكل ذلك ـ على تفصيله ـ عزماً ، والسلام ، في ثالث صفر الخير ، عام تسعة وتسعين ومائتين وألف » .

ومن ذيول هذا الموضوع : ان هناك رسالة رفعها الرؤساء البحريون بسلا والرباط ، وفيها يلفتون نظر السلطان محمد الرابع إلى الاهتمام باحياء الاسطول المغربي واعادة تنظيمه ، ويوجد من بين الموقعين عليها : ستة رؤساء بحريين من عائلة عواد الشهيرة بسلا[1] .

---

(1) جاءت الاشارة لهذه الوثيقة في « رسالة عائلات سلا » ، تأليف عشاش بلقاسم بن العربي ، مخطوطة خاصة .

4 بناء المعامل الحربية

وقامت في البلاد حركة نشيطة لبناء المصانع الحربية ، وقد بنى منها في هذا الدور أربعة :

1 ـ معمل لصنع البارود : يحمل اسم « فابريكة الحبة »[1] ، اسسه محمد الرابع بالموضع المعروف بالسجينة قرب جامع الفنا من مدينة مراكش ، وكان يصنع به البارود المزدج[2] .

2 ـ معمل صنع القرطوس : بأكدال من نفس المدينة ، حيث لا تزال اطلاله قائمة ، وهو من انشاء السلطان الحسن الأول[3] ، وهناك خمس رسائل تتعلق ببناء هذا المعمل .

ويتضمن أولها ـ وهو الملحق الأول ـ تكليف محتسب مدينة مراكش مولاي عبد اللّٰه ابن إبراهيم البوكيلي ، بالاشراف على بناء هذا المصنع ، وذلك في 12 شعبان ، عام 1304هـ ، كما يستفاد من الملحق الأخير أن هذا المصنع كمل بناؤ ه ـ تقريباً ـ في أواخر عام 1310هـ، أما أدوات استخدامه فقد استجلبت من فرنسا بمبلغ 83.900 فرنك فرنسي ، وهي

---

(1) الفبريكة تعبير اسباني عن المصنع ، والحبة كريات صغيرة من الرصاص .
(2) « الاتحاف » ، ج 3 ص 565 ، مع رسالة واردة في « العز والصولة » ج 2 ص 223.
(3) « الاتحاف » ج 2 ص 499.

مفصلة في لائحة مطولة سيرد نصها من بعد ، ومن الجدير بالذكر أن هذا المعمل كان يستخدم بالبخار[1] .

والآن نورد نصوص الرسائل الخمس متسلسلة حسب تواريخها[2] ، ثم يأتي بعدها نص اللائحة[3] .

الوثيقــة الاولـى

يعلم من كتابنا هذا اعلا الله في جو اليمن والاسعاد بناءه وشيد اركانه ، اننا بحول الله المتعـالي عن المستقر والمـأوى ، العالم السـر والنجوى ، كلفنـا خديمنـا الأرضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله بن ابراهيم البوكيـلي ، بالـوقوف عـلى بناء المحـل لمكينة القرطوس باكدال السعيد ، فنأمره بالقيام في مقابلة ذلك على ساق ، والسلوك في امره احسن مساق ، كما نأمر الواقف عليه من خدامنا العمال والامناء بإعماله ، والجريان معه على منواله ، والسلام . في 12 شعبان الابرك عام 1304

الـوثيقة الثـانيـة

خديمنا الأرضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله البوكيلي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فنأمرك ان تخبر بما كان من امر المكينة التي كلفناك بالوقوف على بنائها ، وما آل اليه ذلك من كمال اوغيره ، والسلام .

في 24 صفر الخير عام 1305

---

(1) هذا ذكره الطاهر بن الحاج الاودي ، في موضوعه : « الاستبصا ر » مخطوطة خاصة .

(2) توجد اصول هذه الرسائل في مجموعة وثائق : خ.ع ، د ، 3410 ، الأولى : رقم 11، والثانية : 279 ، والثالثة : 224 ، والرابعة : 210 ، والخامسة : 117 .

(3) وردت هذه اللائحة في البقية الغير المنشورة من كتاب « العز والصولة » المتكرر الذكر ، مخطوط المكتبة الملكية . رقم 8049 ـ ص 206-209.

الوثيقة الثالثة

خديمنا الأرضي ، المحتسب ، مولاي عبد اللّه البوكيلي ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه ، وبعد : وصل كتابك صحبة حساب صائر بناء مكينة القرطوس عن الاثنين والعشرين شهراً التي آخرها رجب الفارط ، وطلبت تنفيذ التسعة آلاف ريال والسبعمائة ريال والستة والعشرين ريالاً والربع ريال ، المدركة لك على الصائر المذكور ، ودفعها لولدك باعتابنا الشريفة ، وصار بالبال ، فالواجب في العدة المذكورة من المثاقيل بحسب اثني عشر مثقالاً وخمس اواقي للريال : هو مائة الف مثقال ، وخمسة وثلاثون ألف مثقال ، وثمانية وسبعون مثقالاً ، وخمس موزونات ، وقد دفعت لولدك كما طلبت ، ولا تعد لجعل الاعداد ريالاً في هذا او مثله ، لأن المصارفة فيها انما هي بالمثقال ، واعداد الريال مقصورة على المسائل البحرية ، والسلام . في 19 رمضان المعظم عام 1306

الوثيقة الرابعة

خديمنا الأرضي ، المحتسب ، مولاي عبد اللّه بن إبراهيم البوكيلي ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه ، وبعد : وصل كتابك بأنك وجهت ورقة صائر بناء مكينة القرطوس عن خمسة أشهر آخرها ذو الحجة ، ذاكراً ان قدره سبعة واربعون ألف مثقال ومائتا مثقال وسبعة وسبعون مثقالاً وثلاث اواقي ، يسقط ذلك من الموجه لك يبقى داركاً عليك ثلاثة آلاف مثقال وخمسمائة مثقال وتسع وثلاثون اوقية وربع اوقية ، طالباً تنفيذ خمسة آلاف ريال بقصد الصائر المذكور ، وذكرت ان الخدمة في غاية الاجتهاد ، وصار ذلك بالبال ، فورقة الصائر المذكورة وصلت وصرنا من مضمنها على بال ، والعدد المذكور صائر له بال ، واما ما طلبته من تنفيذ خمسة آلاف ريال الى آخره : فقد نفذنا لك اربعة آلاف ريال عينا لدى امناء البنيقة المراكشية مما يفضل تحت ايديهم عن الصائر ، وكتابنا الشريف لهم بتنفيذها يوافيك ، والسلام . في 4 صفر الخير عام 1307

الوثيقة الخامسة

خديمنا الأرضي ، المحتسب مولاي عبد اللّه البوكيلي ، وفقك اللّه ، وسلام

عليك ورحمة اللّه ، وبعد : وصل كتابك بان مكينة القرطوس تم بناؤ ها ، ولم يبق الا جص ارضها واقامة الحديد لدفوف سراجيمها ، وتوقف الغرض في ذلك علـى المعلم ادريس زولوا ، ليحضر على ذلك على مقتضى نظره في تسوية ترتيب المكينة ، طالباً من جنابنا الشريف اصدار الأمر بتوجيهه لهناك ، وتنفيذ ما صير على المكينة عن ثلاثة وعشرين شهراً بشهر قعدة عام ثمانية ، الذي قدره ستمائة ريال وتسعة وتسعون ريالاً وربع ريال وثمنه ، حسبما تفصيله بورقات الحساب التي وجهت ، وصار بالبال ، فلترفع يدك عن الخدمة في المكينة حتى نقدم لهناك بحول اللّه ، وقد اصدرنا امرنا الشريف لامناء البنيقة المراكشية والوصيف ويدة بتنفيذ الصائر المذكور ، ومكاتبنا الشريفة لهم به تصلك طيه ، والسلام . في 28 حجة عام 1310

الوثيقـة السادســة

« زمام مكينة القرطوس

نمرة		فرنك
1	مكينة لتقصيص النحاس	600
2	مكينة امجرة لترقيق النحاس	1375
3	مكينة لتقصيص النحاس وتبويط القرطوس	2640
4	مكينات 2 لتبويط القرطوس : الاول والثاني	4840
5	مكينات لتجفيف الاول والثاني	4840
6	مكينات لتقريص القاع الاول	1320
7	مكينات لبرم الفم على القياس	825
8	مكينات لتقريص القاع الثاني	3740
9	مكينات 2 لثقب قاع القرطوس : يخدمان باليد	825
10	مكينة لتضييق الفم	1650
11	مكينة لتنظيف القرطوس	275
12	مكينات «2» للصقل، مع كركبات من عود للتخليطة	2200

13	مكينة فرن الطبخ	825
	واقامة عشر طواجن لحمي القرطوس	140
	وجفنات للغسل	90
14	مكينات «2» لخرط القاع على القياع يخدمان باليد	880
15	مكينات لتركيب الحبة في القرطوس يخدمان باليد	440
16	مكينات لتعمير البارود في القرطوس	770
	وإقامتها : أيادي لتعمير البارود في القرطوس	500
17	مكينة الخفيف	3135
	وإقامتها : جفنة لتذويب الرصاص	80
	وعشرون قالباً للخفيف ومغرفتان حديدا	660
18	مكينات «2» لبرم الكاغد على الخفيف[1]	
19	مكينات لتبليغ الخفيف في القرطوس	
	يخدمان باليد	660
	الجمع اسفل يمنته	33310
20	مقص يقصص نحاس الحبة	600
21	مكينة المجرة لنحاس الحبة	1375
22	مكينة لتبويط الحبة	1100
	واقامتها : عشر ايادي لتعمير تخليطة الحبة	215
	ومائة وستة وعشرون لوحة من النحاس الاصفر	830
	وستون طباصيل صغارا من الكاغد تجعل فيها الحبة	110
23	مكينة للحبة : تخدم باليد	880
24	مكينة للحبة : تخدم بالرجل	935
25	مكينة لسحق البارود للحبة	500

(1) اهمل مرجع هذه اللائحة ذكر ثمن مشتريات رقم 18.

26	مكينة لتبليغ السجن للحبة	4400
27	ايادي لسجن القزدير على الحبة	330
28	ايادي من نوع آخر لتبليغ السجن وتعصيره	355
29	رخامات «2» يدلك عليها تخليطة الحبة	35
30	مكينة لسجن البارود للحبة أيضاً	500
31	مكينة لتقصيص النحاس وتبويطه لقرطوس الصيد	1595

واقامتها : رخامات(4) ، وعلباب نحاس (4) .

تلصق باجعاب نحاس (4) ، وداخل العلباب طاسات من الزنك (4) ، وشطاطيب من الشعر (4) .

وقضبان حديد 8 ، ولوحات خشب 10، فيها : مسامير واقفة ليبس الكاغد المبوط .

ثمن هذه الاقامة كلها :	495
فرنك	47465
الجمع حوله	47465

نمرة

32	مقص لتقصيص الكاغد : يخدم باليد	275
33	مكينة لتجفيف الكاغد	825
34	مكينة لتقصيص اجعاب الكاغد	550
35	مكينة لتقصيص الكاغد فلكات لداخل القرطوس	385
36	مكينة لتقريض قاع القرطوس	330
37	مكينة لضرب قاع القرطوس	3740
38	مكينات لثقب قاع القرطوس باليد	385
39	مكينة لتقصيص مسمار السلك باليد	2200
40	مكينات (2) لتركيب الحبة	275

41	مكينة تبويط الورقة التي داخل القرطوس	1100
42	مكينة لثقب قاع القرطوس باليد	275
43	مكينة تلاقي النحاس مع الكاغد	1100
44	مكينة لثقب قاع القرطوس	220
45	مكينة لقطع قاع القرطوس	660
46	مكينات (2) لسد القرطوس مع القاع	275
47	مكينات (2) لتركيب الحبة في القرطوس	220
48	مكينة لتبويط الحبة	1100
	وإقامتها : عشرة ايادي لتعمير تخليصة الحبة	715
	ومائة وستة وعشرون لوحة من النحاس	830
	وستة طناجير للغسل	1320
49	أيادي لسجن الحبة على القزدير	330
50	أيادي لتعصير الحبة	350
51	مكينة لسجن البارود	275
	مغازل 16 ، وعجلات 12 ، وكراسي 20	3900
	مكينة الافوار محتوية على قطع 18	7500
	برمة النار	6300
	الجميع فرنك	83900
	فيه ريال عدد 16600	

انتهى زمام الفبريكة »

واخيـراً : فقد حـالت وفاة الحسن الاول دون ان يكـون هـذا المعمـل يؤدي مهمته .

وبعد هذا ننتقل من مراكش الى فاس ونقدم :

3 ـ معمل السلاح بفاس الذي كان يسمى « مكينة العدة » ، وقد انشيء قبل دار السلاح[1] .

4 ـ « دار السلاح » بفاس ، وموقعها داخل باب الساكمة يمين المار منه لباب المكينة ، حيث يتراءى لك مظهر المعمل الخارجي الفخم ، الذي يشخص اهميته كأكبر معمل بالمغرب في عهده ، وترى بابه مكتوباً باعلاه :

« دار السلاح منشئها الأمير مولاي الحسن » ، وكان تأسيسها على يد المهندس الايطالي لوطري من عام 1305 حتى عام 1308هـ حيث انتهى العمل فيها[2] ، وفي عام 1309هـ كان افتتاحها في مهرجان عظيم اقامه السلطان الحسن الاول ، بعد حفلات عيد المولد النبوي الذي احتفل به في فاس[3] ، وقد ورد ذكر هذه الدار اثناء قصيدة مولدية للشاعر الحاج ادريس بن الحاج علي السناني ثم الفاسي ، حيث جاء ضمن ذكر الحسن الأول هذا البيت :

وشيدت داراً للسلاح عظيمة   وشيدت حباً للعبادة مسجدا[4]

وكانت تشتمل على ثلاثة معامل كلها تستخدم بالماء : الاول معمل صنع البنادق تامة الأدوات : من حديد وعود وغيرهما ، الثاني معمل صنع القرطوس ، الثالث معمل ضرب السكة المغربية[5]، وبهذا الأخير وقع ضرب بعض قطع من السكة المغربية أيام مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز من فئة : 10 ،5، 2، 1 موزونات ، ونصف الموزونة[6] ، وهي القطع النحاسية المكتوب على أحد وجهيها أنها ضربت بفاس .

---

(1) ورد ذكر هذا المعمل مع معمل القرطوس المراكشي اثناء رسالة حسنية في الاتحاف (2) 495-497.
(2) الاتحاف (2) 495 وغيره .
(3) « البستان الجامع لكل نوع حسن ، وفن مستحسن ، في عد بعض مآثر السلطان السلطان مولاي الحسن » ، نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم 1346 د ، ومؤلفه هو محمد بن ابراهيم السباعي ثم المراكشي .
(4) القصيدة واردة في ديوان المذكور ، المسمى : « الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح » ، خ، ع، ك 1678 ـ ص 128 .
(5) هذا مأخوذ من الاستبصار ص 184 وغيرها .
(6) « الاستبصار » مع الاتحاف (2) 499

هذا وفي « الاتحاف »[1] تفاصيل اخرى عن « دار السلاح » تثبت المهم منها فيما يلي :

« قد استخدم بهذه الدار طلبة البعثة المتخرجة من مدارس فرنسا ، وبلجيكا ، وكان رئيسها الكولونيل الايطالي بريكلف . وكبارها هم : محمد الصغير ، والمختار الرغاي ، ومحمد بن الكعاب ، وادريس الفاسي ، والطاهر بن الحاج الاودي[2] ، ومحمد المنقري ، وعباس بن قاسم[3] ، وعدد جميع العملة الذين كانوا بها ثلاثمائة عامل : من فاس ، ومكناس ، ومراكش ، والرباط ، وسلا ، وغيرها .

وكانوا ينقسمون الى اقسام : لكل قسم قائد مائة، ومقدم ، وملازم ، واجرتهم اليومية من اثني عشر مثقالاً الى مثقال واحد ، وكان يصرف لهم اللباس سنوياً ، وكذلك اللباس الذي يباشرون به العمل ، وكانوا لا يخرجون منها الا بإذن الكولونيل رئيسها ، وقد وقفت ـ يقول ابن زيدان ـ على اذنين اصدرهما لبعض العملة بالعربية والفرنجية بتوقيعه ، وكان عدد ما يقبضه الامناء من مصنوعات الدار في كل جمعة صندوقين ، داخل كل واحد منها ثمانية عشر بندقية بحرابها ، ويبلغ عدد ما كانت تدفعه من القرطوس شهرياً : ثلاثمائة ألف ، وكان نوع سلاحها يسمى باللسان الدارج « بو حفرة » ، وبالافرنجي « مرطني » ، وبقي العمل مستمراً بها إلى حدود سنة 1321 » .

هذا آخر المحتاج له من كلام « الاتحاف » ، وفي « الاستبصار »[4] ما يفيد ان « دار السلاح » كان العمل جارياً فيها إلى اول العهد الحفيظي .

---

(1) ج 2 ص 498-499.

(2) هو رئيس العملة بهذه الدار « الاتحاف » ج 2 ص 468.

(3) هذا ومن قبله انما وردا « بالاتحاف » ج 2 ص 468 ، وقد كان الأول رئيس قسم صناعة الزنادات بالدار ، والثاني رئيس قسم صناعة الجعاب بها .

(4) ص 91.

5

اصلاحات بالشواطىء

يضاف لما تقدم الاهتمام الـذي بدأ في هـذا الطور بـاصلاح الشـواطىء وبناء التحصينات عليها ، حتى ان السلطان الحسن الاول عين بكل مرسى مهندسـاً لتفقد قوتها والطواف عليها واخبار المسؤولين في اقرب وقت بالصالح منها والمفتقر للاصلاح ، وعين المولى أحمد الصويري ـ الذي كان رئيس قواد المدفعية وخليفة وزير الجيش ـ واسطة بين أولئك المهندسين وبين الملك ، الذي كان بمجرد ما يتصل بالواقع يبادر بتنفيذ ما تتطلبه الحالة[1] .

ومن مظاهر ذلك الاهتمام : برج الفنار الذي بناه الملك محمد بن عبد الرحمن على ساحل البحر بأشقار قرب طنجة ، ليسرج ليلاً حتى يهتدي به السيارة في البحر[2] .

وقد وقع الشروع في بنائه اواسط سنة 1861م عـلى يد مهنـدس فرنسي ، وفي اوائل سنة 1864 تم البناء ولم يبق الا اشتراء آلة النور وتركيبها في اعلاه ، وفي خامس عشر ابريل من نفس السنة انبعثت الأضواء من اعلى اول منار عصري بني في السواحل المغربية . وقد كانت قوة هذه الاضواء مقدرة بستة او سبعة آلاف شمعة ، فزيد فيها الى عشرين الفاً ، وكان مجموع المبلغ الذي انفق على هذا المنار ـ بجميع مرافقه ـ يناهـز

---

(1) الاتحاف ج 2 ص 500 مع « الاعلام » بمن حل بمراكش واغمات من « الاعلام » ج 2 ص 268.
(2) الجيش ج 2 ص 81 . « الاستقصا » ج 4 ص 234 . « الاتحاف » ج 3 ص 565 .

ثلاثمائة وثلاثين الف فرنك[1] .

كـذلك قـام المولى الحسن الأول بـاصلاح ابـراج طنجة وبنـاء خزائنهـا المعـدة للذخائر ، وتركيب مدافعها ، وقد تم هذا على يد بعض المهندسين الانجليز بمساعدة الزبير سكيرج المهندس المغربي[2] .

والمولى الحسن هو الذي بنى البرج العظيم خارج باب العلو من الربـاط الذي يسمى بـالبرج الكبـير ، او البرج الالمـاني[3] ، لكونـه بني على يـد بعض المهندسـين الالمانيين بمساعدة المهندس المغربي سكيرج الآنف الذكر ، وقد بني على هندسة جديدة لم تكن معروفة بالمغرب قبل ، وجهز باحدث المدافع اذ ذاك المجلوبة من معامل كروب بالمانيا[4] .

وهو ـ كما في « مقدمة الفتح »[5] ـ الباني لمرسي الرباط الحالية قبل ان تتناولها يد الاصلاح الحديث : جدد بناء ديوانتيها الكبرى والصغرى ، وزاد في رصيفها ، وشيد عدة اهرية ومستودعات لحفظ البضائع .

وإذا تركنا الرباط الى مدينة « الجديدة » نجد الاصلاح يتناول ابراجها واسوارها منذ عهد الملك محمد بن عبد الرحمن[6] ، الذي اعتنى ـ ايضاً ـ بشأن الثغور وبعث من نوابه من يتفقد احوالها[7] .

---

(1) هناك مقال عن هذا المنار في مجلة « فرنسا والمغرب » ، وعنه كتبت جريدة « السعادة » مقالا في الموضوع ، عدد 2403 ، السنة 9,18 حجة عام 1340هـ/ 3 غشت 1922م .

(2) انظر تفاصيل تحصينات طنجة من طرف نفس السلطان : في « التحفة السنية للحضرة الحسنية » اسم رحلة لاسبانيا من تأليف احمد بن محمد الكردودي ، « المطبعة الملكية » بالرباط ص 25-29.

(3) هذا البرج صار تابعاً للملجأ الخيري بالرباط .

(4) الاتحاف ج 2 ص 489 ، مقدمة الفتح لمحمد بوجندار ص 134 .

(5) ص 135.

(6) السلوة ج 3 ص 232 . الاستقصا ج 4 ص 234.

(7) المصدر الاخير ج 4 ص 234.

وقد تبدو هذه التحصينات تافهة ازاء ما كان يتطلبه المغرب اذ ذاك ، ولكن يجب ان نلاحظ أن المغرب في هذا الأوان كانت يده مغلولة عن بناء التحصينات الحربية كما يريد ، حسبما اعلنت عن هذه الحقيقة وزارة الخارجية الحسنية في بعض مكاتبها[1] .

وفي الأخير : نذيل هذا الموضوع بظهير مهم يعطينا مثالاً من اهتمام الحسن الاول بتفقد الشواطىء المغربية ، حتى انه عين لجنة لتفتيشها ثغراً ، ثغراً ، وهذا نص الظهير[2] بعد الافتتاح .

« خالنا الأرضي ، الطالب محمد ولد أب محمد ، وخدامنا أمناء مرسي العرائش حرسها الله ، وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد وجهنا حملته : كاتبنا مولاي أحمد بن العربي البلغيثي ، وخديمنا مولاي عبد الرحمن بن أحمد البوكيلي ، والمهندس الطالب : أحمد الشاذلي البخاري ، والطالب المختار الرغاي ، لمعاينة أبراج الثغور ، وتفقدها واختبار أحوالها ، ثغراً بعد ثغر حتى تفتر مباسمها عن درر هاتيك الثغور ، ويصير طيها لديهم في حيز النشور ، ويعرفوا الصالح منها وغيره ، وكذا المطافي وما هو من ذلك مفتقر للاصلاح ، وقدر ما يقام به بتقدير أرباب البصر العارفين بذلك الاصطلاح ، ويعرفوا عدد المدافع في كل برج ، والمهراس ، وفرمة كل منهما ، وكونهما من المدبر ، أو خالص النحاس ، والصالح والفاسد ، والمستعمل والكاسد ، وعدد المدافع الفاسدة المنبوذة في الفضاء والأزق وبالصقاقيل وغيرها ـ نحاساً وحديداً ـ التي لا تصلح لصالحة ، وما هو منها صالح وانما يتوقف على الكراريط والعمائر فقط ، كل نوع على حدته ، وكذلك عدد الكراريط وما يطابق منها كل فرمة من فرم مدافع تلك الأبراج كما وكيفا ، وصلاحاً وفساداً ، وما يعمل فيه العلاج ، وسائر الآلات الجهادية ، وما يحتاج اليه كل برج من الأجزاء المادية ، وما هو معين لكل مدفع في كل برج أو في الخزائن من البنت والكور الموجودة فرمته في المدافع والمهارس : المستعمل وغير

---

(1) هذا الكتاب ورد في « الاتحاف » ج 2 ص 503-505.

(2) هذا الظهير يوجد اصله بمكتبة كاتب السطور .

المستعمل لفقدان فرمته فيهما ، وفق ما يقع عليه العثور ، ويعرفوا قناطير البارود التي بخزائنه بأنواعه ، أخذا من الكناش ، لاباعادة وزنه ، لتعسره أو امتناعه ، وجميع العدة بكل خزين : الصالح منها والمتلاشي ، وما فيها من التوافل والسكاكين وميزان الخفيف المفروغ ، والبارة ، وميزان ملحة البارود ، حتى يعرفوا من الكل نهايته ومقداره ، ويسردوا جميع الطبجية والعساكرية في كل ثغر ، ويعرفوا منهم الاسم والعين ، والقادر والعاجز ، والمعلم والمتعلم ، من غير تلبيس ولامين .

فنأمركم ان تقفوا مع الموجهين المذكورين لثغر العرائش ، حتى يستوفوا الغرض المذكور ، على الوجه المبين في هذا المسطور ، وان تبينوا لهم كل ما أمرنا ببيانه ، ليكون لديهم واضحاً فيرتبوه في تقييده وعنوانه ، كما نأمركم ان تنبهوا الطبجية على ضرب الاشارة مرتين في كل جمعة ، لتحصل الدراية للمتعلمين وتقع بهم المنفعة ، جعل الله ذلك في طاعته ومرضاته ، ومن العمل المتقبل المبرور ، العائد بالثواب المذخور ، والسلام ، في 3 ربيع الثاني عام 1300 » .

وبعد هذا الظهير الحسني نحيل على تفتيش من طرف كمندور فرنسي ، اجراه على ابراج العدوتين : الرباط وسلا ، وعلى الرماة المدفعين بهما ، وقد ثبت ملخص هذا التفتيش ـ مع ملحق له ـ في كتاب « العز والصولة »[1] .

---

(1) ج 2 ص 197-202.

6 محاولات لتطوير بعض الصناعات

ولم يخل هذا الطور من محاولات لتطوير بعض الصناعات المغربية ، كتجارب في هذا الميدان وقعت على عهد السلطان محمد الرابع الذي انشأ المعامل البخارية التالية :

معمل السكر

تأسس هذا المعمل في مؤخرة « اكدال » بمدينة مراكش عند باب احمر ، وبذل فيه مؤسسة محمد الرابع المال الطائل ، وجلب له اختصاصيين من اوروبا لبنائه حتى جاء على عمل متقن وهيئة ضخمة .

وفي اول الأمر كان معلمون اوروبيون هم القائمين في هذا المعمل بعصر قصب السكر وتصفيته ، ولما عجزوا عن اتمام العملية حل محلهم اختصاصيون شرفيون جلبوا من القاهرة ، ويؤخذ من بعض الوثائق أن هذا المعمل ادى مهمته حيناً من الدهر ، ثم آل امره بعد ذلك إلى التعطيل لقلة المادة ، ومما قاله في « الجيش »[1] عن هذا المصنع لدى تعداد بعض مآثر محمد الرابع :

« . . من ذلك الآلة التي يعصر فيها السكر ويعقد ، حتى يوجد في كل حين ولا يفقد ، ويغني عن جلبه من اقاصي البلدان ، لما اجرى الله العادة اليوم باستعماله في

(1) ج 2 ص 80.

سائر الاوقات لاستصلاح الابدان ، فأراد مولانا ـ نصره الله ـ ان يكفي الناس مؤونة اجتلابه ، ورأى ان هذه البلاد ـ لكثرة مرافقها دون غيرها من الآفاق ـ اولى به ، فأمر بغرس القصب الحلو واستنباته ، وتهيئة المزارع الطيبة واختيار اطيب اوقاته ، ووجه على من يحسن اعمال اخراجه من القوة الى الفعل بغاية ما يطلب من الاجارة او الجعل . . . » .

وكان الذي اسند اليه انشاء هذا المعمل هو السيد محمد الدكالي الرباطي العارف ببعض اللغات الاوروبية ، والمكلف من طرف ملك المغرب بتنمية مؤسسات الاشغال العمومية المختلفة ذات الأهمية ، وقد ابرم بتاريخ 8 أكتوبر 1279/1862 اتفاقية مع ميكانيكي انجليزي ليقوم بتركيب الآلات اللازمة لعصر السكر ، ويشرع في استعمالها على احسن ما يرام ، وليقوم ايضاً بتأسيس المعامل وتركيب جميع الآلات كيفما كانت[1] .

وهناك رسالة حسنية مؤرخة في 22 فعدة عام 1310هـ ، وهي تتعلق بتكليف المهندس عبد القادر العلج بادارة معمل السكر هذا ، بدلاً من مديره السابق : عبد الله العلج المتوفي ، ومن تاريخ الرسالة نتبين ان هذا المعمل استمر قائماً حتى اواخر عهد السلطان الحسن الأول ، وهذا نصها بعد الافتتاح :

« خديمنا الارضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله البوكيلي، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد كلفنا المهندس عبد القادر العلج بمقابلة مكينة السكر ، عوضاً عن عبد الله العلج المتوفي ، فنأمرك بالحضور انت . والوصيف ويدة . والخديم الحاج ادريس ابن جلون الفاسي ، واحصاء ما فيها من الآلات الآن : سواء الغليظة والرقيقة ، ومقابلته مع تقييد ما كان بها حين تكليف العلج المتوفي ، وبيان الفرق بينهما ، واين ذهب وصار ذلك الفرق ، وادفع ذلك لعبد القادر المذكور بإشهاد عليه بعد

---

(1) حديث هذا المعمل مقتبس من الجيش ج 2 ص 80 ، مع الاستقصا ج 4 ص 234 ، والاتحاف ج 3 ص 563-556

توجيه تقييد بما ذكر لشريف حضرتنا ، وبيان ما تلاشى منها من الطرنبات وموازين الحرارة ونحو ذلك .

ثم نأمرك برد البال لما كلف به العلج المذكور : من صقل آلاتها ودهنها وصيانة آلاتها حتى لا يضيع منها شيء ، وقد امرنا الوصيف ويدة والحاج ادريس بن جلون بمثله ، والسلام ، في 22 قعدة عام 1310 »[1] .

معمل القطن

هذا المصنع ـ الذي كان مقره بمدينة مراكش ـ وردت على المغرب ادواته اوائل دولة الملك محمد الرابع عام 1279هـ او قبله ، ومن وقت تأسيسه لا يسمع عنه حديثاً او خبر حتى عام 1288هـ ، حيث تتحدث رسالة : بان مهندساً اوروبياً قام بهذا المصنع وبمعمل السكر احسن قيام .

هذا : وتفيد وثيقة اخرى بان محمداً الرابع اوصى باستيراد جهاز خدمة القطن ليكون في مدينة الرباط[2] ، ولا يدري هل وصل لهذه المدينة ، واذا كان وصل فهل ادى مهمته ؟

وهذه رسالة من الحسن الاول في شأن توجيه تاجر اسباني لمراكش ، للقيام بتفتيش معامل : « السكر » و « القطن » و « القرطوس » ، وهي بتاريخ 29 ربيع الاول عام 1309هـ ، ونصها بعد الاستفتاح :

« خديمنا الارضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله البوكيلي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد وجهنا حامله التاجر خيم طور الصبنيولي لرؤ ية فابركات 3 : السكر والقطن والقرطوس ، التي هناك وتقليبها ، وتقييد التي وجدها منها كاملة غير خاص

---

(1) وردت هذه الرسالة ضمن مجموعة وثائق ، خ . ع، د3410 رقم 130.

(2) انظر عن هذا والمعمل قبله : الاتحاف ج 3 ص 564 و 560 .

فيها شيء من آلاتها ، والتي وجدها غير كاملة خاص من آلاتها شيء ، وبينـان الآلة الخاصة منها ، وهو يصير على نفسه في سفره من هنا ومقامه هناك وايابه .

فنأمرك ان تتوجه معه بنفسك لمحال الفابركات المذكورة ، وتقف حتى يقيد ذلك على نحو ما ذكر ، والسلام ، في 29 من ربيع الاول النبوي ، عام 1309 »[1] .

طـاحـونـة بخـاريـة

استجلبها محمد الرابع عام 1862/1279 ، ونصبها لفائدة السكان بمدينة طنجة لينتفعوا بالطحن فيها[2] .

وفي عهـد السلطان الحسن الاول : يتحدث مصـدر[3] معـاصـر ـ كتب عـام 1299هـ ـ عن الشروع في نصب رحا نارية بمدينة مراكش ، ويحدد موقعها بأنها كانت تقوم في الجهة العليا من مشهد سيدي عمارة .

ومن المؤكد انه تم بناء هذا الجهاز ، وصار يستخدم في عملية الطحن ، وهذا ما يستفاد من رسالة حسنية الى محتسب مدينة مراكش ، ونص المحتاج له منها :

« خديمنا الارضي ، المحتسب ، مولاي عبد الله بن إبراهيم البوكيلي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : وصل كتابك مبيناً تام النجابة (كذا) ، في خدمة مكينة الطحن والتابع له واستقامة امرها . . . . وان اعتذرت عن استخدام المكينة بعدم الحطب فقد بينا لك مستفاد المكينة . . . .

نعم لا يطحن فيها لـدارنا العـالية بـالله الا عند الضـرورة ، وإنما يـطحن لها بالأرحي ، كما ان المكينة لا تبطل ويطحن فيها لسائر الناس ، لتوجـد عند الاحتيـاج اليها على اكمل حال ، والسلام ، 2 ربيع الأول عام 1301 »[4] .

---

(1) مجموعة الوثائق الآنفة الذكر ـ رقم 172.

(2) الاتحاف ج 3 ص 563-564.

(3) « رسالة نشاط الاذهان » : المخطوطة السالفة الذكر.

(4) مجموعة الوثائق المتكررة الذكر ـ رقم 318 .

7 تقدم نسبي في التجارة الخارجية

الى جانب هذه المحاولات الصناعية ـ فان التجارة المغربية في هذا العهد أخذت تتطور بما انفتح أمامها ـ أكثر من ذي قبل ـ من الأسواق الخارجية ، نتيجة لتقدم المواصلات في الخارج ، وللتسهيلات المحلية ، وقد أم هذه الأسواق في أوروبا وغيرها مغاربة مقتدرون أسسوا تجارات واسعة ، وأداروها بشكل أثار اعجاب الملاحظين ، وقد تحدث عن نشاط المغرب التجاري في هذه الحقبة رحالة تونسي[1] وقال :

« . . . ولهم ـ المغاربة ـ اليد الطولى في التجارة ، بحيث أن تجارة داخل المملكة ـ أعني غير المراسي التي على البحر ـ هي بيد الأهالي ، ويرسلون منهم الى أقاصي الممالك لمعاطاة الأشغال التجارية ، ووصلها بمملكتهم ، حتى لا تكاد تجد مدينة شهيرة للتجارة في إحدى قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا الا وفيها من تجارهم من له مزيد الرواج والثروة ، ولهم براعة في إدارة التجارة يناكبون بها الأورباويين » .

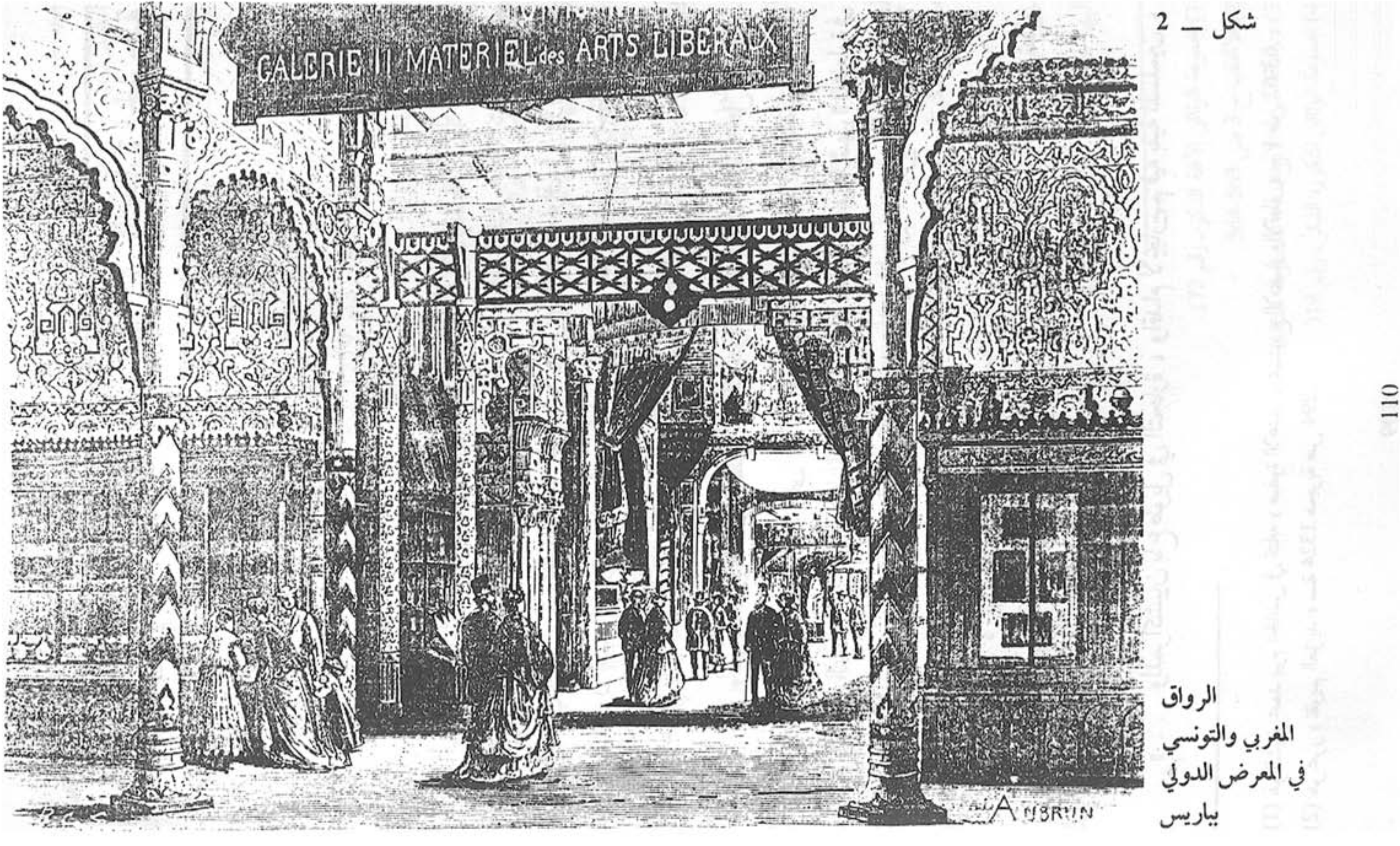
ويعد هذا الرحالة التونسي : ها هو كاتب شرقي مشهور[2] يسجل هو الآخر تطور تجارة المغرب الخارجية في العبارات التالية :

« . . . وللمراكشيين باع طويل في التجارة ، واقدام لايجاريهم فيه بقية المسلمين ،

---

(1) هو الشيخ محمد بيرم الخامس في كتابه « صفوة الاعتبار ، بمستودع الامصار والاقطار » ج 1 ص 62-63

(2) هو محرر « تقويم العؤيد » سنة 1324 هجرية ص 294.



شكل ــ 2

الرواق المغربي والتونسي في المعرض الدولي بباريس

فانك تجد من المشتغلين الرابحين بها : أبناء البناني في « منشستر » منذ 40 سنة ، وعائلة بو هلال في « جنوة » ، وعائلة بنيس في « ليفربول » ، وعائلة الحلو في « مرسيليا » ، وعائلة جسوس في « لندرة » ، وعائلة القباج في « همبورغ » .

ومن مظاهر التطور الذي طرأ على التجارة المغربية ، مشاركة المغاربة في المعارض الدولية بأوروبا ، ففي هذا الطور استدعى المغرب لثلاثة معارض في سنوات مختلفة .

الأول : « معرض باريس الثاني » ، فقد كتب نابليون الثالث للسلطان محمد الرابع يرجوه مشاركة المغرب في المعرض العالمي الذي اعتزم اقامته بباريس عام 1867 — 1285 ، ولبى ملك المغرب الدعوة ، فبعث الحاج محمد بن العربي القباج الفاسي من كبار التجار ، وبعث معه كل غريب مما اختص به المغرب : من سروج مذهبة ، ومناطق مزخرفة ، وقطائف منمقة ، وغير ذلك من الأعلى الى الأدنى ، حتى الزليج الفاسي والمعلمين الذين يباشرون ترصيعه في محاله[1] .

ويوجد بالمجموعة المعنوية بـ« معرض سنة 1867 العمومي » : فصل عن الرواق المغربي في هذا المعرض ، وفي ظهر الصفحة المكتوب فيها هذا الفصل : صورة قلمية للرواق المغربي تمثل بناء خشبياً قائماً على أقواس وأساطين ، في يساره دكان يرى ببابه رجل عربي الشكل ، بين يديه أثواب كأنه يهش في وجه فتيات من زائرات المعرض ، وينوه لهن بسلعته ، وبجانب هذا الدكان - وسط واجهة الرواق - سقاية على الشكل المغربي الأندلسي الجميل ، ينبع الماء من أنابيبها الكثيرة ، وبجانب السقاية يظهر قوسان وقف باحداهما عسكري ، ولعل هناك كان الأروى الذي به جياد عربية بعث بها سلطان المغرب ، لتعرض على أنظار الزائرين[2] .

ثم شارك المغرب للمرة الثانية في معرض باريس الثالث المقام عام 1878 — 1295 ، ومن أغرب ما أرسله سلطان المغرب المولى الحسن الأول لهذا المعرض دار كلها

(1) الاستقصاج 4 ص 231-232.

(2) « جريدة السعادة » عدد 4474 السنة 34.

من خشب على هيئة ديار فاس ، وبها النقش حديدة وغيرها ، وكذلك فرشها[1] .

وفي عام 1306 — 1889 شارك المغرب للمرة الثالثة في معرض باريس الرابع ، حيث عرض منتوجات وطنية[2] .

وقد تحدث عن هذا المعرض المغربي محمد أمين فكري[3] وقال :

« . . . . ثم انتقلنا من هذا المحل الى معرض مراكش ، وقد عرض بضائعهم فيه نحو ستين شخصاً في نحو الفي متر مربع ، وهو عبارة عن قصر ملوكي ، وفسطاط بجواره ، وسوق بالبعد عنه بأوائل سكة مصر ، كل منها على طراز مراكشي .

أما القصر الملوكي فقد عرضت فيه المصنوعات الوطنية بأصنافها : من بسط لطيفة ، وأسلحة محلاة بالذهب والفضة ، وغير ذلك من المصنوعات الظريفة .

وأما السوق المراكشي فجميع ما به معروض للبيع بخلاف ما في القصر ، وقد احتوى على أشياء كثيرة من مصنوعات البلاد : مثل أقمشة الصوف والحرير ، والسجاجيد ، ومنسوجات متعددة في الشكل والاستعمال ، وكثير من الجلود المصنوعة : كالمخدات والمداسات المعروفة بالبلغ ، وكثير من النحاس المنقوش : كالصواني ، وغيرها من الأواني والخناجر والسكاكين المذهبة والمفضضة .

وتجاه السوق محل أكل على الطراز المراكشي ، فيه من الموسيقى الأهلية ما يسمونها بالنوبة » .

ومن الوثائق المتعلقة بالمعرضين الأول والثالث : رسالة مغربية في صدد الجواب عن استدعاء المغرب من طرف وزير خارجية فرنسا للمشاركة في معرض 1878 م ، ورغم خلو الرسالة عن الامضاء ، فهي ـ دون شك ـ صادرة عن وزير الخارجية الحسنية : محمد

---

(2) « صفوة الاعتبار » ج 3 ص 81.

(3) الاستطلاعات الباريسية اسم رحلة محمد السنوسي التونسي ـ ص 201.

(4) ارشاد الألبا . الى محاسن أوروبا ، مطبعة المقتطف ـ ص 374-375.

المفضل غريط ، وهي ـ أيضاً ـ تمدنا بمعلومات عن المعروضات المغربية في معرض 1867 ، وهذا نص الرسالة بعد التصدير :

« المحب العاقل ، الناصح الكبلير ، الساعي في الخير بين الدولتين المحبتين ، منيسطر دولة الفرنصيص الفخيمة ، المعتبر ، شارل فيرو .

بعد مزيد السؤال عن أحوالك ، ومحبة أن تكون بخير دائماً ، فقد وصلنا كتابك بأن دولتكم الفخيمة ، كانت جعلت سوقا بباريز حياة سيدنا المقدس بالله ، في العام [1] 1283 الذي بينت ، وأتى اليه الناس من سائر الأقاليم بسلع بلدانهم ، وحتى سيدنا المقدس بالله ، كان وجه اناساً لذلك السوق ، من جملتهم الحاج محمد القباج الفاسي ، وصحبوا معهم السلع المغربية ، كالزرابي ، والفخار ، والصطارم المطرزة ، وورد معهم أناس بناءون ، وبنوا هناك داراً وقبة تعجب في صناعتها كل من حضر بذلك السوق .

وذكرت أن مراد دولتك أن تجعل سوقاً آخر مثل السوق المذكور في التاريخ 1306 الذي بينت ، وكتبت لجميع الأجناس بالاعلام بذلك ليتهيئوا له ، وقبلوا ذلك وفرحوا به .

وحيث كنت أنت الواسطة بين سيدنا ـ نصره الله ـ وبين دولتك الفخيمة ، أعلمت بذلك ليجعل ـ أعزه الله ـ مثل ما كان جعله سيدنا والده المقدس في السوق المذكور ، ويقتدى به ـ رحمه الله ـ في ذلك ، لكون مراد دولتك هو اتصال المحبة بين الأجناس .

واطلعت بكتابك شريف علم مولانا ، وصار ـ نصره الله ـ على بال من جميع ما ذكرته فيه ، وأمرني ـ دام تأييده ـ أن نجيبك عن ذلك بأنه نشط بما عرفت به في ذلك من جانب سيدنا ـ رحمه الله ـ من الاعتناء بذلك ، وقد وافق عليه نصره الله ، وهو ـ أعزه الله ـ بصدد تعين من يتوجه للسوق المذكور بسلع الايالة ، ويصحبه بالمعلمين الذين

(1) سبق قلم عن 1285.

يصنعـون فيه مثـل ما ذكـر وأغـرب ، ودمت بخـير ، وختم في 2 ربيـع الأول عـام 1304 »[1] .

وأن هذه البارقة التي برقت على الاقتصاد المغربي في هذا الطور أخذت توتي ثمراتها الأولى ، فمثلاً في أيام محمد الرابـع لاحت على المغـرب سمة اليسـار ، فغلت الدور والأملاك ، حتى كانت في بعض السنين لاتسمسر ، ومن يشتري داراً انما يشتريها بالتنقير عنها ، والطلب من ربها بالثمن الجافي ، واتخذ ذوو اليسار المراكب الفارهة ، والكسى الرفيعة ، والذخائر النفيسة ، وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع ، لا سيما بفاس ورباط الفتح ، ولاحت على المغاربة حضارة جديدة مطبوعة بالطابع الأوروبي[2] .

ومما يدخل في باب انعاش الاقتصاد المغربي . ونختم به هذا الموضوع : ما قام به السلطان الحسن الأول من رفع المكوس في سائر الأبواب بالمدن والقرى المغربية كلها ، واسقاط ذلك بالمرة ، وقد تحدث في الاستقصا[3] عن هذا الحادث فكتب ما ملخصه :

« وفي أواسط ربيع الأول من سنة 1303 : ورد أمر السلطان أيده الله بتسريح ما كان موظفاً على أبواب المدن والقرى ، مما كانت تؤديه العامة على احمال السلع والتجارات من المكوس ، وكتب في ذلك إلى عامل سلا وقته ، ولما ورد كتاب السلطان فرح الناس به ، ودعوا للسلطان بالنصر والتأييد من خالص نياتهم ، نطلب الله تعالى أن يتم نعمته على المسلمين بتسريح ما بقي موظفاً من مبيعات الأسواق ، ويريح الناس من شؤمه ، فانه لا شيء أشأم من هذه المكوس على الدول ، نسأل الله العافية » .

---

(1) الرسالة واردة في مختارات من رسائل مغربية ، اختيار أوجين فومي ، ط. باريس سنة 1903م ـ ج 1 لوحة 75.
(2) الاستقصا ج 4 ص 233.
(3) ج 4 ص 264.

8

تجديد العملة

من القضايا التي كانت تتطلب علاجاً في هذا الطور : مشكلة « العملة المغربية » التي كان يروج الى جانبها عملات أجنبية مختلفة ، لاحتياج المغاربة لها في شراء حاجياتهم من الخارج ، وفي بعض المعاملات الداخلية .

ومنذ عام 1845/1261 أخذت العملة المغربية في التدهـور : ارتفاع في العملة الأجنبية ، وهبوط في السكة الوطنية ، وهذا ما حفز المغرب في هذا الطور : أن يحاول تأسيس عملة مغربية جديدة لا تتأثر بتقلبات السكة الأجنبية .

وكان الذي أسس أول الأمر هذه العملة : هو الملك محمد الرابع ، الذي أمر عام 1285 بضرب « الدرهم الشرعي » ، وحاول ضبط السكة به ، وحمل الناس على أن لا يذكروا في معاملاتهم وأنكحتهم وسائر عقودهم الا الدرهم الشرعي ، وأذاع في ذلك منشوراً على سائر ولاة الأمصار جاء فيه :

« . . . . ولما رأينا ما حدث فيها ـ السكة المغربية ـ من التغيير وعدم الضبط ، ونشأ عن ذلك من الضرر للمسلمين وبيت مالهم ما لم يخف على أحد ـ اقتضى نظرنا السديد ردها لأصلها الأصيل ، الذي أسسه أسلافنا الكرام سنة ثمانين ومائة وألف ، اذ لنا فيهم أسوة حسنة في الاجمال والتفصيل ، فردنا الدرهم الكبير المسكوك على وزن الـدرهم الشرعي ، والمنهاج المرعي ، كما كان على عهد جدنا سيدي الكبير[1] قدسه الله ، وجدد

(1) السلطان محمد بن عبد الله .

عليه وابل رحماه ، بحيث تكون عشرة دراهم منه هي المثقال كما هو معلوم : أن عشرة دراهم من الدراهم التي كانت تروج قبل على عهد أسلافنا ـ رحمهم الله ـ هي المثقال ، وبهذا العدد الذي هو عشرة منه في المثقال تكون جميع المعاملات والمخالطات في البيع والابتياع وغيرهما بين جميع رعيتنا السعيدة في كل البوادي والحواضر ، وبه أمرنا جميع العمال ، ومن هو مكلف بعمل من الأعمال ، واشاعته ليبلغ الشاهد الغائب ، وبه يقبل لجانب بيت المال ، وأمرناهم بالعمل بهذا الأمر الذي أصدرناه ، وأبرمناه بحول الله وأمضيناه ، وأن يعاقبوا كل من عثروا عليه ارتكب خلاف ذلك ، وبان يسلكوا به أضيق المسالك ، جزاء وفاقاً على مخالفته ، وتعديه الحد وافتياته[1] .

هذه خلاصة محاولة الرابع لانقاذ العملة المغربية من الأزمة التي صارت اليها ، ومن سوء الحظ أن تفشل هذه المحاولة وتعود السكة المغربية الى حالتها الأولى من التدهور وعدم الضبط ، ومثال واحد لذلك ـ بين أمثلة عديدة ـ نجده في الاستقصا[2] أثناء حوادث عام 1294 هـ ، وفي هذا يقول من فقرة مطولة :

« . . . فانعكس الحال على التجار ، وتقاعدوا على الريال والبسيطة ، وفاضت الفلوس في الأسواق حتى صارت معاملة الناس ليست الا بها ، وحصل للتجار من الضرر في رخص الريال ، ما كان حصل للضعفاء في قلة الفلوس . . » .

وأن هذا ما حدا بالسلطان المولى الحسن الأول أن يعمد ـ عام 1298 / 1881 للعمل على تأسيس عملة مغربية أخرى ، تكون ـ في وقت واحد ـ مؤسسة على الدرهم الشرعي ، ومساوية للسكة الفرنسية ، وهذه هي التي صارت ـ بعد ضربها ـ تعرف بالسكة الحسنية التي تتكون من خمس قطع : الريال الحسني ، ونصفه ، وربعه ، وعشره الذي وزنه درهم شرعي ، ونصف العشر ، وقد شرح السلطان تصميم العملة الحسنية

---

(1) الاستقصا ج 4 ص 231.

(2) ج 4 ص 254-255.

الجديدة في رسالة[1] بعث بها للنائب السلطاني بطنجة نص المراد منها :

« . . . وبعد : فقد اقتضى نظرنا الشريف ضرب سكة شرعية تتصارف بها رعيتنا في ايالتنا السعيدة ، وتكون على كيفية مخصوصة ، وعمل خاص ، موافق للشرع ، مبني أصلها على الدرهم الشرعي الذي كان في أيام جدنا الأكبر مولاي اسماعيل رحمه الله ، وجدنا الأقدس سيدي الكبير نعم الله روحه ، والمنصور السعدي ، وأبي الحسن المريني ، وغيرهم من ملوك دول المغرب السالفة رحمهم الله ـ جارية على عرف البلد الجاري بين الناس في المعاملات ، والزكاة ، والقسامات ، والفرائض ، والبيوعات ، والشراءات ، ونحو ذلك ، وأن يضرب منها مقدار عشرين مليوناً من الفرنك الفرانصيصي .

فنأمرك أن تعقد « كنطردتها » مع من يظهر لك من التجار الذين لهم المجال في ذلك ، وترضي ذمتهم ، ويقبلها « باشادور » الفرنصيص بطنجة ووزير الأمور « البرانية » بدولته . . . نعم ، من اتفقت الآراء على عقدها معه لا من المخزن ولا من التجار حتى التاجر المذكور ، يكون عقدها معه على شروط وهي :

أن يضرب مقدار خمسة ملايين من العشرين مليوناً من الفرنك المذكور : ريالاً وزنه عشرة دراهم شرعية يكون مماثلاً لريال الفرنسيس في المعيار والصفاء ، ومقدار مليونين منها يضرب نصف ريال وزنه خمسة دراهم شرعية يكون مماثلاً للفرنك الفرنسيسي في المعيار والصفاء ، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب ربع ريال وزنه درهمان شرعيان ونصف درهم شرعي يكون مماثلاً أيضاً للفرنك الفرنسيسي فيما ذكر ، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب عشر ريال وزنه درهم شرعي مماثلاً للفرنك المذكور في المعيار والصفاء ، ومقدار خمسة ملايين منها تضرب نصف عشر الريال وزنه نصف درهم شرعي يكون كالفرنك الفرنصيصي في المعيار والصفاء .

وأن يكون طرف هذه السكك مشرطاً ، وكتابته من الجهتين على المثال الواصل اليك .

---

(1) الرسالة واردة بالاتحاف ج 2 ص 431-433.

وأن يكون ذلك على قانون البحر وما جرى به الحكم والعرف هناك عند الجنس المذكور ، ولم يكن ممنوعاً في شرعنا .

وأن يعين المخزن أو التاجر الذي تعقد معه « كنطردة » ذلك نائباً عنه بطنجة . . . » .

تلك جلمة الخطوط الكبرى لتصميم ضرب السكة الحسنية الذي لو نفذ باخلاص لحقق تقدماً في الاقتصاد المغربي ، هذا التقدم الذي كان هدف تجديد العملة المغربية ، ولكن حدث ـ مع الأسف ـ ما عكس النتيجة ، فان الدولة التي ضربت هذه العملة بدار سكتها بباريز لم تستطع أن تنفذ التصميم المتفق عليه بدقة ، ولم تجعل العملة المغربية الجديدة مساوية للفرنك الفرنسي ، وإنما جعلتها تزيد على الفرنك الفرنسي خلافاً للمتفق عليه . فصار الريال المغربي يساوي خمس فرنكات فرنسية وثمانين سنتيما ، بدلاً من خمس فرنكات فقط المشترطة ، وهكذا النسبة في باقي قطع العملة الحسنية ، وقد رفض المغرب قبول هذه السكة المخالفة للمتفق عليه في شأنها ، ولكنه أرغم في النهاية على قبولها على علاتها ، ومن هنا جاءت الكارثة ، فإن هذه العملة لما أخذت تروج بالمغرب صارت قيمتها تنحط شيئاً فشيئاً عن الريال الفرنسي ، مما أدى الى أزمات حلت بالاقتصاد المغربي ، وآلت محاولة الاصلاح الى فساد ، ولكن الاصلاح أتى من الداخل ، والفساد هجم من الخارج[1] .

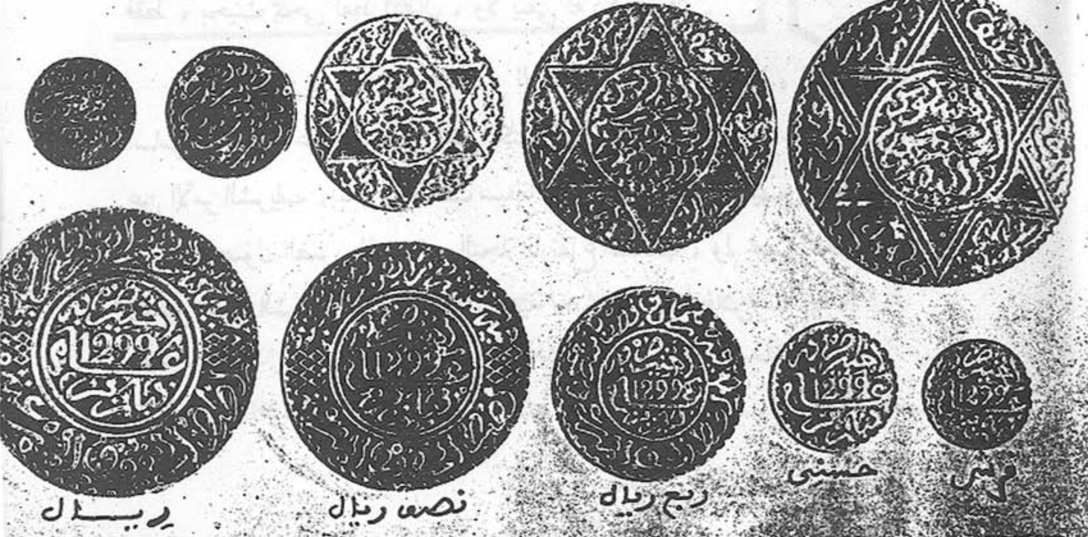
ونذيل هذا الموضوع بالإشارة إلى قطعة من رسالة « خاصة » ، متلاشية وضاع منها آخرها ، فلم يعرف إسم كاتبها الذي خاطب بها الوزير الأكبر ، فيلاحظ على تسمية العملة الحسنية بالريال ، ويلح على الاحتفاظ باسم « الدرهم » ، مع إلغاء التعبير بـ « المثقال » وتركه نهائياً . . . وهذا نص الباقي من الرسالة :

« الحمد لله وحده ، محبنا ووزير مولانا المعظم، الأرضي الفقيه : سيدي محمد

---

(1) حديث هذه النكسة التي وقعت في ضرب السكة الحسنية ورد بأبسط مما هنا في « الاستبصار » للطاهر الاودي ص 147 و 148 و 174 و 200.

شكل 3



قطع العملة الحسنية

من « إتحاف أعلام الناس » ج 2

ابن العربي ، رعاك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فإني لما رأيت سيدنا ـ نصره الله ـ وجه على السكة الجديدة السعيدة تأتي لحضرته العالية بقصد روجانها إن شاء الله تعالى : تعين على الخديم أن يتكلم بها ظهر له على سبيل الحكاية :

وذلك أن سكة سيدنا السعيدة هي أكبر من جميع السكك وزناً ، ولا يخفى أن لكل سلكة من السكك حكماً بلفظ مخصوص : فسكة الصنيول بلفظ «البليون» الذي منه في الريال 20 ، وبلفظ البليون ينطقون في مصارفتهم في البيع والشراء جليله وحقيره .

وسكة الفرنصيص بلفظ « الفرنك » الذي منه في الريال خمسة ، كذلك به يتصارفون ، وكذلك غيرهم .

وسكة سيدنا ـ نصره الله ـ حكمها حكمها : « درهم شرعي » الذي منه في الريال عشرة ، فينبغي أن تكون المصارفة في البيع والشراء والأخذ والعطاء بلفظ الدرهم وعدده فقط ، بحيث يمحى لفظ المثقال ، ولا يبقى له ذكر أصلاً .

ولا بد من ترتيبها قبل صدور الأمر الشريف بروجانها ، ليبنى روجانها على أساس ، وترتب على فصول : تقع الكتابة لنائب سيدنا بطنجة أن يجمع نواب الأجناس عن الأمر الشريف ، بعد أن يكتب سيدنا لجميعهم كتاباً يقرأ عليهم ، يتضمن أن سيدنا لما رأى حصول الضرر للرعية والتجار بارتفاع السكك ، ولم يحصل لحصرها ضابط : إقتضى نظره الشريف ضرب سكة شرعية ، ويحضر لهم برقاش أنواعها »[1] .

---

(1) الرسالة في خزانة خاصة .

9 تشريع لموظفي الديوانات

الى جانب ما تقدم نتابع ذكر الاصلاحات الادارية القليلة التي وضعت في هذا الطور : ومن ذلك التشريع الذي قننه السلطان محمد الرابع لموظفي الديوانات الشاطئية ، وأصدره في شكل ظهير[1] يحمل تاريخ متم رمضان عام 1861/1278 ، ويتضمن الفصول التالية :

أولاً : أن الأمناء الموظفين بالمراسي المغربية لا يكون بينهم وبين الملك واسطة في شؤون وظيفتهم .

ثانياً : عمال المراسي لا يتدخلون في قليل ولا كثير من شؤون الأمناء ولو عن طريق الاعلام ، وحسبهم أن يقتصروا على الأحكام .

ثالثاً : تقرر لكل أمين مرتب شهري كاف يعينه على القيام بمهمته ، واجتناب ما يزرى بجانبه ، ومن عثر له بعد هذا على خيانة يقام عليه حد السارق ، ويهان ويزجر زيادة على ذلك .

رابعاً : يمنع على الأمناء أن يتجروا بالمرسى التي يتوظفون بها ، وليتجاوزوها الى غيرها .

---

(1) ورد هذا الظهير الذي خوطب به عامل الدار البيضاء في « مجموعة الرسائل الشريفة لنهليل » لوحة 9 ، ومثله مع اختلاف في الأواخر ورد في الاتحاف ج 3ص 379-380 موجها للنائب محمد بركاش .

خامساً : يوظف بكل مرسى أمين من أهلها وآخر من بلدة غيرها .

سادساً : أنشىء منصب أمين أعلى يسند الى شخصية معروفة بالحزم ، والأمانة ، والعفاف، والصدق، والصيانة ، واجراء الأمور على مقتضاها ، وسلوك طريق النصح التي يحبها الله ويرضاها ، ووظيفة هذا الأمين هي :

أ) أن يكون مشرفاً على جميع أمناء المراسي ، ليتفقد أحوالهم ويراجع أعمالهم في كل ما يرجع للداخل والخارج .

ب) يراقب السلع التي تظهر في الأسواق المغربية : حرير ، صقلى ، جوهر ، مرجان ، وغير ذلك مما هو رائج ، ليعلم هل أدى عليها بالمرسى حقوق الديوانة ، أو أغفلت من الأداء[1] .

سابعاً : تقرر لكل من رئيس المرسى ، وخليفته ، والعدول مرتب شهري كاف .

هذا وفي أواخر الظهير الذي خوطب به عامل البيضاء تقدير مشاهرات موظفي مرساها على النحو الآتي :

1 ـ لكل واحد من أميني المرسى : تسعون ريالاً .
2 ـ لكل واحد من العدلين : عشرون ريالاً .
3 ـ لرئيس المرسى : خمسة عشر ريالاً .
4 ـ لخليفته : سبعة ريال .

---

(1) اسندت هذه الوظيفة ـ ايام نفس السلطان ـ الى الحاج محمد ابن المدني بنيس ، صاحب الوقعة الشهيرة في صدر العهد الحسني ، قال عنه في « زهر الاس » المتكرر الذكر ج 1 ص 319 : « وكان ـ بالامر المولي ـ رئيس الامناء بالمراسي وغيرها » .

10 تنظيم البريد

وسوى تنظيمات الديوانة المغربية لانعدم في هذا الطور مثالاً آخر للاصلاحات الحديثة التي أخذت تجري ـ ولو ببطء ـ في بعض الادارات المغربية الأخرى ، ومنها « البريد المغربي » الذي وضع له السلطان الحسن الأول تنظيماً محكماً ابتدأ تطبيقه عملياً من مدينة الجديدة الى مدينة مراكش ، ثم بعد نجاح هذه التجربة وضع تصميماً كاملاً لتعميم هذا التنظيم بين سائر مدن المغرب من أقصاه الى أقصاه ، وعهد بتنفيذ هذا المشروع الى الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون الفاسي ، وتفاصيل المشروع نجدها في هذه التعليمات الموجهة للمكلف بتسيير البريد المغربي ، في شكل ظهير[1] حسني مؤرخ بعام 1892/1310 ، وهذا نصه :

« . . . خديمنا الأرضي الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد كان بلغ شريف علمنا : ان بعض الاجانب تشوف لاحداث بوسطة من الجديدة لمراكش ، وكان اقتضى نظرنا العالي بالله هدم ما شيدوه ، بعكس ما املوه ، واطلاق ما قيدوه ، فأصدرنا شريف امرنا لامناء مرسى الجديدة ، وامين مستفادها ، وامناء مستفاد مراكش : بجعلها هنالك نيابة عن المخزن ، وبينا لهم كيفية العمل في اجرائها وترتيبها بقصد اختبار امرها ، فشرعوا في العمل ، واطلعوا علمنا

(1) ورد في مجموعة الرسائل الشريفة لنهليل لوحة 79 .

الشريف بصدق نتيجة المؤمل ، ثم لما ظهرت مخايل المصلحة فيها ، وثمرة نتيجة سد الذرائع في انشائها ، امعنا النظر فيما ينشأ عنه قوة الضبط والاحتياط ، من تداخل المتشوف لسلوك ذلك المناط ، مع ما توسمناه فيها من المصلحة للرعية ، فيما يحاولونه من الأمور المتجرية ، التي مدار انتاج ربحها على تعجيل المراسلة ، والسعي في ذلك من المصالح المرسلة .

فاقتضى نظرنا المعتز بالله : نشرها في سائر مدن ايالتنا المحروسة السعيدة ، وجعل ضوابط لها مكينة عتيدة ، حتى تكون محكمة الشرط ، تامة الضبط ، وتكون سائر الاخبار بالايالة المحوطة بالله مرتبطة ببعضها بعضاً ، وفيح نشر نسيمها طرياً غضاً ، فرتبنا امرها واسسناه ، واوضحناه وبيناه ، على مقتضى ما يذكر من الفصول والشروط، التي حكم ذلك بها منوط، وطوقناك بذلك العمل وقلدناك امره، وكلفناك طيه ونشره ، فلتتمش فيه على الشروط المذكورة .

وهي ان يكون امين الرباط ينهض كل يوم اثنين وخميس : اربعة رقاقيص بما يجتمع لديه من المكاتيب ، اثنان للحوز : احدهما للصويرة بمكاتب الغرب التي للدار البيضاء وآزمور والجديدة وآسفي والصويرة ، وبما يجده من المكاتب بالمراسي التي يمر عليها للتي امامها الى الصويرة ، وكذلك ما يجده بالجديدة من مكاتيب آزمور ومكاتب مراكش التي تتوجه من آزمور مع الرقاص الذي يمر به لمراكش ، والآخر لمراكش ماراً على الدار البيضاء وآزمور ، ليحمل من كل منهما ما يجده به من المكاتيب لمراكش ، على ان يصل المنهض لكل منهما في اليوم الثامن من يوم نهوضه ، وان يكون يرجع غد الوصول بما يجده من المكاتيب .

فالراجع من الصويرة يحمل مكاتيب آسفي والجديدة وآزمور والدار البيضاء ، والعدوتين والغرب ، وكل بلد يمر به يدفع مكاتبه لامينه ، ويحمل ما يجده فيه من المكاتيب لما بعده ، الى ان يصل للرباط المنهض منه بمكاتيبه ومكاتيب الغرب التي تتوجه منه على يد امينه ، والراجع من مراكش يحمل ما يجده بها من مكاتيب آزمور ومكاتيب

الجديدة التي تتوجه لها من آزمور والدار البيضاء والعدوتين، ومكاتيب الغرب التي تتوجه على يد امين الرباط ، فيكون خروج الرقاص الذي يرجع من مراكش والذي يرجع من الصويرة كل يوم جمعة ويوم ثلاثاء ، وان حدث عذر لبعض الرقاقيص منعه من التوجه في ذلك اليوم المعين ، كالمرض وشبهه ينهض امين البلد رقاصاً غيره للرباط في ذلك اليوم ، ويكتب لامين الرباط بالعذر المانع من رجوع المنهض من قبله ليصير له اجرة الذهاب فقط التي هي نصف اجرته المعتادة للذهاب والاياب ، وهو يصير اجرة ذهاب المنهض من قبله بدلاً .

واثنان للغرب احدهما لتطوان بمكاتيب الحوز التي للعرائش وطنجة وتطوان ، وبمكاتيب القصر التي تتوجه له من العرائش وبما يجده بالعرائش من مكاتيب طنجة وتطوان ، وبطنجة من مكاتيب تطوان ، والآخر لفاس بمكاتيب الحوز التي لفاس ومكناس ، على ان يصل الذي لتطوان في اليوم الخامس من يوم نهوضه ، والذي لفاس في اليوم الرابع ، ويرجع كل منهما بما يجده من المكاتيب .

فالراجع من تطوان يحمل ما يجده بها من مكاتيب طنجة والعرائش ومكاتيب القصر التي تتوجه له من العرائش ومكاتيب فاس التي تتوجه له من طنجة ، ومكاتيب العدوتين ، ومكاتيب الحوز التي تتوجه من الرباط ، وبما يجده امامه بطنجة او العرائش لما بعدهما ، والراجع من فاس يحمل مكاتيب العدوتين ومكاتيب الحوز التي تتوجه من الرباط على يد امينه ، فيكون خروج الذي من تطوان كل يوم ثلاثاء ويوم سبت ، وخروج الذي من فاس كل يوم جمعة ويوم الاثنين ، الا ان حصل عذر لواحد منهم فينهض بدله على نحو ما قرر قبل ، لينضبط الامر بكل ارض في يوم الدخول والخروج .

تبقى مكاتيب الصويرة ومكاتيب آسفي لمراكش ، فأمين كل منهما يكون ينهض رقاصاً بما يجتمع لديه من المكاتيب لمراكش كل يوم اثنين ويوم خميس ، ويرجع رقاص الصويرة بما يجده من مكاتيبها بمراكش ، ويرجع رقاص آسفي بمكاتيب آسفي كذلك .

وتبقى ايضاً مكاتيب مكناس لفاس وغيرها ، ومكاتيب فاس للقصر والعرائش وطنجة وتطوان ، ومكاتيب القصر للعرائش وطنجة وتطوان كذلك : فاما مكاتب مكناس فأمينها ينهض رقاصاً بها لأمين فاس كل يوم اثنين ويوم خميس ، فيحوز ما لفاس ويوجه ما لغيرها على يده ، ويرجع بما يجده مجتمعاً بفاس من مكاتيب مكناس ، وامين فاس ينهض رقاصاً لطنجة بما يجتمع لديه من المكاتيب كل يوم اثنين ويوم خميس ، حاملاً مكاتيب القصر ومكاتيب العرائش التي تتوجه لها من القصر ، ومكاتيب طنجة ، ومكاتيب تطوان التي تتوجه لها من طنجة ، ويرجع بما يجده بطنجة من مكاتيب فاس والقصر وبما يجده بالقصر من مكاتيب فاس ، وبهما من مكاتيب مكناس التي تتوجه له من فاس ، على ان يصل لطنجة في اليوم الخامس ، ويخرج منها في أوبته لفاس في اليوم السادس ، الا ان حصل عذر فينهض امين طنجة غيره ويعلم به امين فاس ، فيكون خروج الرقاص من طنجة كل يوم ثلاثاء ويوم سبت ، وأمين القصر ينهض رقاصاً للعرائش كل يوم اثنين ويوم خميس بما يجتمع لديه من المكاتيب للعرائش ولغيرها مما يتوجه منها ، ويرجع بما يجده بالعرائش من مكاتيب القصر ومكاتيب فاس ومكناس التي تتوجه من القصر لفاس .

والمكلف بمكاتيب فاس الخديم الحاج عثمان بن الحاج عبد الكريم ابن جلون ، وبتطوان والعرائش : امناء مرساهما ، وبطنجة : امين نائب عن امناء مرساها ، وبمكناس والقصر والعدوتين والدار البيضاء وآزمور والجديدة وآسفي والصويرة ومراكش : امناء مستفاداتها .

وجعل لكل ارض طابعان : احدهما يطبع به على المكاتيب ، والآخر يطبع به على الشكارة ، وكل من الأمناء المأمورين بانهاض الرقاقيص يتخذ ما يكفيه من شكائر الجلد ، ويصير ثمنها في حساب المكاتيب .

وكل امين انهض رقاصاً يوجه بداخل الشكارة تقييداً بما فيها من عدد مكاتيب كل ارض ، وكلما مر الرقاص بارض يحوز امينها ما بالشكارة من مكاتيب تلك

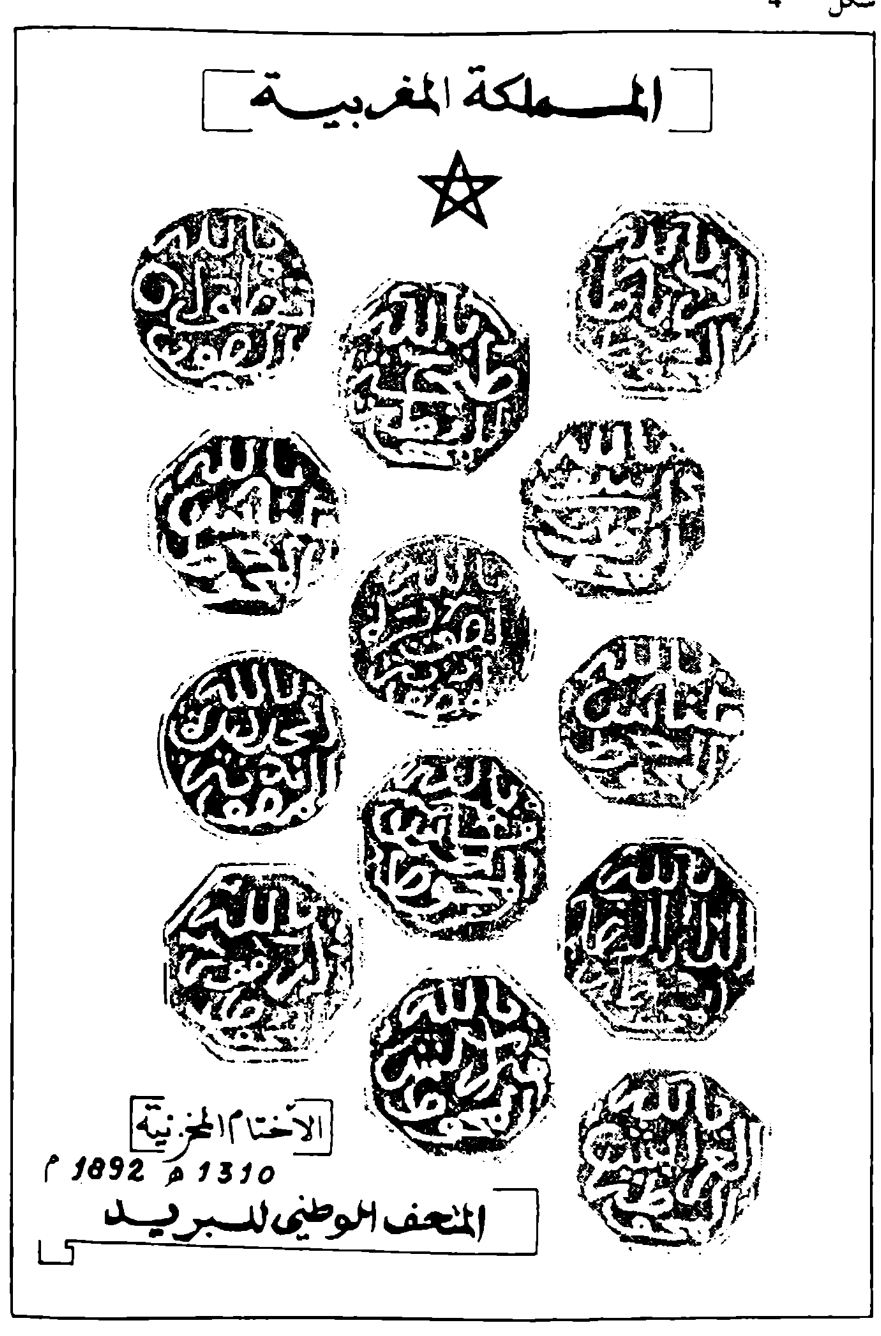
الارض ، ويعلم على مجموعها في ذلك التقييد بوصل ، ويطبع عليه بطابع المكاتيب ، ويزيد فيها ما يجتمع لديه من المكاتيب لغيرها مما يمر به ذلك الرقاص او يتوجه اليه ويزيد عددها في التقييد كذلك الى ان يصل للمحل المنهض اليه ، والتقييد يبقى عند الامين الذي انهض اليه الرقاص حجة على من انهضه ومن مر عليه، وهو يجعل تقييداً بما يرجع به ذلك الرقاص من المكاتيب ، ويسلك من يمر به في ايابه عمل ما تقدم في ذهابه الى ان يصل في اوبته للذي انهضه ، فيحوز ذلك التقييد حجة على من دفع مكاتيب الاياب .

وكل امين يتخذ كناشاً ببيان من وجهه بكل تاريخ لكل ارض من مكاتيب ارضه ، والمكاتيب الواردة ليده من ارض اخرى ، وبيان واجباتها ، كما يقيد الصائر عليها في الشكائر ، واجرة الرقاقيص ونحو ذلك .

واجرة المكاتيب : فعلى التي وزنها نصف اوقية فأقل: ثمان موزونات، وعلى التي زادت على نصف أوقية الى اوقية: اربع أواقي، وعلى التي زادت على أوقية الى اوقية ونصف : ست اواقي ، وهكذا ، واجرة الرقاص يحدها امين كل ارض ممن كلف بانهاض الرقاص على يد كبيرهم والعامل ، ويبرم معهم الامر فيها ويحدها معهم في قدر معلوم لا يزيد ولا يكون عليهم ضرر فيه ، كما يحد معهم ايام الغيبة لكل ارض ذهاباً واياباً ، وان حصل له عذر فله اجرة الذهاب فقط التي هي نصف الأجرة المنهض بها ، ويشترط عليهم بمحضر العامل ان لا يحمل احد منهم مكاتيب الغير الخارجة عن الشكارة وطابعها ، وان لا يحمل امانة لأحد ولا لفافة ، ويتوعد من ارتكب منهم شيئاً من ذلك بالعقاب ، ومن ادعى عند دفع كتابه للامين المكلف بتوجيه المكاتيب ان بداخله اطرة فيقبله منه بشرط كونه مطلق كتاب لادرك فيه ، وعند رأس ستة اشهر يوجه كل من الامناء المكلفين بذلك حسابها داخلاً وصائراً لحضرتنا الشريفة .

فنأمرك بالشروع في ذلك ، على مقتضى ما بيناه لك من الطرق والمسالك ، وطابعا المكاتب والخنشة الموعود بها يصلانك صحبته ، وقد امرنا العامل بشد عضدك واتباع سبيل ما قرر لك ومحجته ، والسلام في 2 جمادى الأولى عام 1310 » .

شكل 4



اختام البريد المغربي القديم

والى هنا ينتهي هذا الظهير الذي اهتم ـ ايضاً ـ باحداث طابع بريدي ، ليس على الطريقة المتعارفة ، ولكن في شكل اختام خاصة يطبع باحدها على المكاتب والطرود ، وبالثاني على الكيس البريدي الذي يسميه الظهير باسم « الشكارة » ، وكانت طوابع المكاتب والطرود عبارة عن خاتم مستدير وقد يكون مثمن الشكل ، وبداخله نقش اسم البلد المصدر مع اضافة تعبير : المحوط او المصون بالله .

وتبعاً لتعداد البلدان الواردة في الظهير ستصل اعدادها الى ثلاثة عشر . وهي مراكش ، والصويرة، وآسفي ، والجديدة، وآزمور ، والبيضاء، والعدوتان : الرباط وسلا ، ومكناس ، وفاس ، وتطوان ، والعرائش ، وطنجة ، والقصر الكبير .

أما عن تطبيقات هذا النظام واسماء القائمين به ، فهذا ما تمدنا به الوثائق المعاصرة ، وهنا نعيد الى الذاكرة ما ورد في هذا الكتاب عند باب « تنظيم الجهاز الحكومي » ، وبالضبط نشير الى لائحتين للمستندات المخزنية ، وقد ورد بشانيتهما الاشارة الى اكثر من عشرة دفاتر تتعلق بسير البريد المغربي القديم ، وحساباته وبعض اسماء القائمين به في مدن فاس والبيضاء وآسفي وطنجة ، حيث ينتهي بعض هذه الدفاتر عند آخر عام 1313هـ او اوائل 1314هـ[1] .

ومن الدفاتر التي لا تزال بقيد الوجود ، نقدم ثلاثة من ايام السلطان عبد العزيز ، حيث لا تزال تحفظ بالمكتبة الملكية .

وأولها : هو الذي يحمل رقم 430 ، ويبتدىء هكذا :

« . . . وبعد : فهذا كناش صائر بوسطى المخزن ـ اعزه الله ـ بالدار البيضاء ، على يد الامين بها : الطالب الأرضي ، السيد احمد بن السيد الحاج محمد فرج الرباطي ، وعدد المكاتب الخارجة منها ، والمشتملة عليهم الورقة التي ترد في شكارة البوسطى من المدن وغيرها . . . » .

---

(1) انظر ص 46 ، 47 ، 48 .



ساعي البريد المغربي القديم أثناء سيره وهو يتقلد الكيس البريدي . المتحف الوطني للبريد المغربي

وهو يبتدىء من فـاتح رجب عام 1315 ، وينتهي عنـد جمادى الآخـرة عام 1318هـ .

وهذه ابواب الدفتر ، نعرضها كنموذج للطريقة التي سارت عليها دفاتر اشغال البريد المغربي القديم ، حيث صنفت حسب العناوين التالية :

ـ بيان عدد الرقاقيص الخارجين من الدار البيضاء .

ـ تقييد عدد المكاتب الخارجة من الدار البيضـاء لما بعـدها من المـدن الحوزيـة وقبض ثمنها .

ـ تقييد عدد المكاتب الخارجة من الدار البيضاء لما بعدها من المدن الغربية وقبض ثمنها .

ـ تقييد عدد المكاتب المشتملة عليهم الورقة الواردة في شكارة بوسـطى المخزن اعزه الله ، الخارجة من الرباط . . . عام 1315 صحبة الرقاص مولاي عمر الفلالي .

ـ تقييد عدد المكاتب المشتملة عليهم الورقة التي ترد داخل شكارة المخزن اعزه الله ، الخارجة من الجديدة . . . عام 1315 صحبة الرقاص العلمي .

ـ مجموع المكاتب الواردة من المدن الغربية الموجهة للمـدن الحوزيـة ، الى متم ربيع النبوي عام 1318 .

الدفتر الثاني يحمل رقم 434 ، وقد ورد في طالعته :

« لما صدر امر مولانا . . . للامين الاجل السيد احمد بن عبد الله مدينة التطواني بـالتصرف في مستفـاد الثغر الـطنجي . . . وكان من وظيفتـه التصـرف بـالبـوسـطى السعيدة ، اتخذ هذا الكناش لبيان ما يخرج بها من المكاتب التي من طنجة ، مع بيان واجبهـا ، وعدد مـا يخرج معهـا من المكاتب التي من تـطوان لمدن الحـوز والغرب ، والواردة منها لتوجه لتطوان مع التي له من طنجة ، وبيان واجبها كذلك . . . » .

وقد استمر استخدام هذا الكناش 29 شهراً : من فاتح صفر عام 1316 حتى جمادى الآخرة عام 1318هـ .

الدفتر الثالث : يحمل رقم 435 ، وجاء في أوله :

« . . . وبعد : فهذا بيان حساب البوسطى السعيدة بثغر العرائش . . عن شهر صفر الخير الفارط ، على يد الامين . . . السيد محمد العربي بن احمد الزكاري التطواني ، وهو اول شروع خدمة عمله فيها على مقتضى الضابط الشريف المقرر فيها ، ووقع الشروع فيها في 2 صفر الخير ، عام 1316 . . » .

ثم كانت نهاية هذا الكناش في جمادى الآخرة ، عام 1318هـ .

* * *

هذا ولا ننسى ان نسجل في آخر قائمة التنظيمات الادارية في هذا الطور : محاولة قام بها السلطان الحسن الاول لتنظيم الجباية بالمغرب على طراز عصري . ذلك انه حاول سن التنظيم المالي المعروف بالترتيب الذي ستنبسط في الحديث عنه في موضعه الذي هو الطور الثالث .

وقد ابتدأ بالتجربة الأولى في قبيلتي دكالة والشاوية وما إليهما، لكنه لاقى معارضة فأوقف العمل به الى فرصة مناسبة ، وقد سجل هذه المحاولة محمد بن ابراهيم السباعي في « بستانة »[1] في العبارات التالية :

« وفي تلك المدة وجه جيش تدبيره ـ القائم في بعض الأحيان مقام مسيره ـ للقبائل الغربية وبعض الحوزية : كدكالة والشاوية ، واحدث فيها ترتيباً عجيباً لو بقي على اصله الذي اصله : ابتدأ من ضبط القبائل وما لدى كل بالحساب والتقييد ، بحيث تجري الوظائف والتكاليف على حسب حال كل ، بحيث لا يبقى حيف ولا

---

(1) نحو ما في البستان ورد في فواصل الجمان ص 98 .

سبيل في ذلك للمزيد ، ويحصل به الرفق للرعية ، وتنحسم مادة جور العمال بالكلية ، فاستحسن ذلك وان لم يعم ، لكنه انخرم ولم يدم . . وقد عين للترتيب المذكور الامين الطالب محمد التازي الرباطي هو والطالب الكاتب السيد محمد الجباص الفاسي » .

* * *

والى هنا يكون الطور الثاني من هذه الدراسة قد عرض عشر منجزات ولو الى حد ، كنماذج من مظاهر يقظة المغرب الحديث في الميادين التي يغلب عليه الطابع الاداري ، وقد عرضت حسب العناوين التالية :

- تنظيم الجهاز الحكومي .
- تجديد الجيش .
- احياء الاسطول .
- بناء المعامل الحربية .
- اصلاحات بالشواطىء .
- محاولات لتطوير بعض الصناعات .
- تقدم نسبي في التجارة الخارجية .
- تجديد العملة .
- تشريع لموظفي الديوانات .
- تنظيم البريد .

وسيأتي ـ بعد هذا ـ موضوعات يغلب عليها الطابع التثقيفي ، وتبرز فيها المساهمة الشعبية او تطغى على بعض الميادين ، وهي تتدرج مع العناوين التالية :

- انبعاث في ميدان التعليم .
- الترجمة الى العربية .
- موضوعات فلكية جديدة .

- موضوعات جديدة متنوعة .
- خرط وتقنيات حديثة .
- اطر حديثة من افراد البعثات ومن اليهم .
- الطباعة الحجرية الفاسية .
- الطباعة السلكية .

11 انبعاث في ميدان التعليم

وهـذه حركـة انبعاثيـة كـان من اهـدافهـا انعـاش دراسـة العلوم الـريـاضيـة والعسكرية ، وتقريبها من الدراسات الحديثة .

وقد ابتدأت هذه الحركة من أيـام السلطان عبد الرحمن بن هشام ، ثم استمرت على عهد ثلاثة ملوك من بعده : محمد الرابع ، والحسن الاول ، وصدرا من ايام المولى عبد العزيز .

اما الاساتـذة الذين قـامت على ايـديهم هذه الانبعـاثة : فقـد كان معـظمهم مغاربة ، ويذكر ابو اسحاق التادلي[1] ان سلطان وقته : « المولى عبد الرحمن » جبر احد اعلام الميقات والتعديل بفاس : « المكي الجنان » على اقراء هذه العلوم ، فكان ـ على حد تعبير ابي اسحاق ـ ان رحم الله به المسلمين بعد انقطاع هذه العلوم من فاس .

والى جـانب هؤلاء كـان هنـاك بعض اسـاتـذة وفـدوا من الخـارج ، وستـرد اسماؤهم من بعد ، وقد تمثلت هذه اليقظة في :

1 ـ احداث دروس للرياضيات والفلك .

(1) . ني اختصاره لتذكرة داود الانطاكي الذي سماه : « التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار » : قطعة منه ضمن كناشه بمكتبه العلامة الجليل محمد بن ابي بكر التطواني بسلا ، حيث وقفت عليها اثناء عام 1374 هـ/ 1955م .

2 ـ مدرسة المهندسين بفاس .
3 ـ المدرسة الحسنية بطنجة .
4 ـ دراسة بعض الفنون العسكرية .
5 ـ بعثات الى الشرق وأوربة .

* * *

وقد كان ارسال بعثات مغربية الى اوروبة من مميزات عصر الحسن الاول ، واذا استثنينا هذه الميزة ، فان أكثر المظاهر التعليمية الأخرى لهذه اليقظة ، يعود الفضل الاكبر فيها الى محمد الرابع ، ايام ولايته للعهد ثم بعد جلوسه على عرش المغرب ، حيث اكتست هذه الفترة بالذات طابعاً علمياً اكثر ، وفي هذا الصدد يقول احمد ابن المواز في « تاريخ الدولة العلوية »[1] عن محمد الرابع :

« واحيا ما اندثر بالمغرب من العلوم : كالحساب ، والتعديل ، والهندسة ، والنجوم ، واخترع العسكر النظامي السعيد » .

كما يسجل محمد بن المفضل ابن كيران[2] اهتمام نفس الامير بالرياضيات ، والموسيقى ، والتنظيم العسكري الحديث ، ويصفه عبد السلام العلمي[3] بانه احيى مدارس العلوم الرياضية .

كذلك تذكر عنه بعض المصادر الاوروبية[4] : انه جلب للمغرب ادوات علمية مستحدثة : من ساعات فلكية ، ومجاهر ، وكان ملماً باللغة الفرنسية ، وستتحدث بعد : عن الآلة الميقاتية التي ابتكرها هذا الامير ، مع الكتاب الفلكي الذي اشرف على

---

(1) اسمه : المقالة المرضية في الدولة العلوية ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم 493 .
(2) في خاتمة شرحه على رسالة في الهندسة ، خ . ع، د 1051.
(3) في افتتاحية رسالته : « ارشاد الخل . لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل » ، المطبوعة ـ على الحجر ـ بمصر دون ذكر اسم المطبعة وتاريخ النشر ـ ص 4.
(4) « تاريخ المغرب » للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ـ ج 2 ص 65.

ترجمته الى العربية ، ونذكر ـ الآن ـ من نشاطه :

ـ قيامه بتحقيق الذراع ، ليكون الاعتماد على المقياس الهاشمي في الممسوحات ، وعلى الذراع الرشاشي في التجارات ، مع العمل في الميل على تحديده بألفي ذراع هاشمي[1] .

ـ كذلك قام بتحقيق عرض مراكش بمعاونة عبد الرحمن العلج آتي الذكر ، واستمرت العملية أربعة أشهر ليلاً من عام 1260 ه هـ ، حتى تحرر هكذا : 31-38 [2] .

ـ وفي فاس : اهتم بتحقيق قبلة القرويين ، وانتدب لاختبار محراب جامعها جماعة من الفلكيين والمهندسين ، حيث تبين لهم انه ينحرف بسبع وثمانين درجة ونصف درجة ، فرسموا سمت القبلة بزاوية من زوايا المحراب[3] .

1 ـ احداث دروس للرياضيات والفلك

أولاً : الحساب والفلك والهندسة

ان هذه الدروس كانت اول مظهر لهذه الحركة الانبعاثية ، وقد بدأ بعضها من اوائل ايام السلطان المولى عبد الرحمن ، واتجهت حسب المدن التالية :

في فاس : حيث كان الفلكي الحاج محمد بن الطاهر الحبابي الفاسي يأخذ عنه عدد من افراد الجيش السلطاني كثيراً من العلوم التي يحسنها على حد تعبير « سلوة

---

(1) رسالة « غنية الطالب وتذكر اللبيب » ، لابي العباس احمد الصويري : مخطوطة خاصة ـ الفصل 18 من المقالة الثانية .

(2) « شد الرحلة » تأليف السيد عمر بن محمد بن السعيد المراكشي ، عند الباب الرابع ، مخطوط خاص ، وستحدث عنه مع الرسالة الاخيرة عند باب : « موضوعات فلكية جديدة » .

(3) « شد الرحلة » عند الباب الرابع عشر .

الانفـاس »[1]، وقد كانت وفاته عام 1267 هـ / 1851 م، وبعده انتصب لتدريس التوقيت بجامع القرويـين ـ بأمـر من محمد الـرابع ـ الفلكي عبـد السلام العلمي آتي الذكر .

في مراكش : وبها درس جملة من الطلبة وجههم لهـا السلطان عبد الـرحمن بن هشام ، ليتعلموا الهندسة مع ولده الأمير محمد الرابع ، وقد كان من بين هؤلاء الطلبة ابو العباس احمد بن عبد الرحمن بورقية المكناسي ثم الرباطي ، آتي الذكر ، حيث قرءا معاً على استاذ مغربي لم يعلن عن اسمه المصدر المعني بالأمر[2] .

كما كان من بـين هؤلاء الطلبـة احمد بن عبـد اللّه الادريسي التناني المعـروف بالصويري آتي الذكر ، وقد درس مع محمد الرابع على عبد الرحمن العلج[3] آتي الذكر أيضاً .

وفي طنجة : كان يقوم بهذه المهمة موقتها السيد المصطفى ـ الذي لم يذكر نسبه ـ ، وقد عين في خطة التوقيت ـ في منتصف ذي الحجة عام 1244هـ/1829م ـ بظهير اوصى فيه السلطان عبد الرحمن والي المدينة بان يختار عشرة من صبيان طنجة ليتعلموا على المذكور الحساب والتوقيت والتعديل ، ومن ظهرت نجابته منهم يحسن إليه[4] .

وفي مكناس : امر نفس السلطان باشا المدينة بانتخاب عشرة من طلبة الجيش البخاري ، ليتعلموا التوقيت والحساب عـلى الفلكي أبي زيد عبـد الرحمن بن محمـد البصري المكناسي ، المتوفي عام 1268هـ/1852م ، وذلك بعد وقعة جيش الودايا[5] عام 1247هـ/1831م .

---

(1) ج 2 ص 360 حيث توجد ترجمته .

(2) « للمبتدى تبصرة . وللمنتهى تذكرة » : اسم تأليف في الحساب لمحمد المهدي متجينوس الاندلسي الرباطي ، خ.ع ، د 2094 ـ الجزء الثاني ، الباب الرابع ، الفصل الثالث .

(3) « الاعلام . بمل حل بمراكش واغمات من الاعلام » ـ ج 2 ص 267.

(4) « حوالة احباس طنجة » : مصورة باريس سنة 1914 ـ لوحة 83.

(5) « اتحاف اعلام الناس » ج 2 ص 77 ، وانظر عن ترجمة المذكور نفس المصدر ج 5 ص 287-288.

وفي تطوان : امر هذا السلطان المدفعيين بدراسة الحساب ، وكان استاذهم هو ابو الحسن علي بن محمد السوسي [1] المتوفي عام 1311هـ/1893م .

وقد استمر هذا التقليد بعد العهد الرحماني ، فكان الميقاتي محمد بن بوسلهام الخلطي البخاري المكناسي المتوفي عام 1345هـ/1926م : يقوم بتعليم الحساب والتوقيت لطلبة العرائش . وفي عام 1294هـ كان قد انهى هذه المهمة ليخلفه استاذ اختصاصي في دراسة الهندسة[2] .

ثم صار نفس الاستاذ يقرأ الحساب والتوقيت مع 12 طالباً من ابناء الجيش بجامع المنصور من مدينة مراكش عام 1316 هـ/1898م[3] .

وإلى نفس المدينة توجه فوجان من طلاب الجيش بالصويرة ، لاتمام دراستهم في الحساب والفلك والهندسة : الفوج الأول أيام السلطان محمد الرابع ، والثاني في عهد الحسن الاول[4] .

وفي مكناس : أمر السلطان الحسن الأول باشاها باختيار عشرة من نجباء طلبة الجيش ، لقراءة الحساب والتوقيت على ميقاتي هذه المدينة وموقتها : الجيلاني بن عزوز الرحالي ابتداء من عام 1302هـ حتى وفاته عام 1309هـ/1891م[5] .

وخلفه في نفس المهمة متولي التوقيت من بعده : محمد السعيدي بن محمد بن

---

(1) « مطالع الحسن واتباع السنن . بطلوع راية مولانا الحسن » تأليف علي السوسي المذكور : مخطوطة المكتبة الملكية رقم 81 ـ عند الباب السادس ، وهي بخط المؤلف فيما يظهر ، وانظر عن ترجمته : « سلوة الانفاس » ج 3 ص 351-352.

(2) رسالة في هذا الصدد في « العز والصولة في معالم نظم الدولة » ، ج 2 ص 149 .

(3) رسالة واردة في « سجل مكاتب عزيزية » ، بالمكتبة الملكية رقم 439 ـ ص 179.

(4) « ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة » لمحمد الصديقي ـ ج 1 ص 24-25

(5) « اتحاف اعلام الناس » ج 2 ص 241 ، وانظر عن ترجمته نفس المصدر والجزء ـ ص 212-214.

المهدي المنوني ، المتوفي عام 1334هـ/1916م ، مع إضافة الفرائض للحساب والتوقيت[1] .

وفي الرباط وسلا : كان يوجد الحيسوبي المهندس ابو العباس أحمد بن عبد الرحمن بورقية بها يعرف المكناسي ثم الرباطي ، المتوفي عام 1324هـ/1906-1907م ، وبأمر الحسن الأول صار يقوم بتعليم الحساب والهندسة بهذه المدينة[2] .

وهناك رسالة صادرة عن السلطان الحسن الاول الى عامل سلا ، وفيها ان نفس الاستاذ كان مكلفاً باقراء الهندسة بسلا مع طلبة العدوتين ، ولما سافر اناب عنه عبد الرحمن ابن عبد العزيز عواد ، وكان ـ بدوره ـ حيسوبياً ·دساً ، وهذا نص الرسالة :

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته .

وبعد : فقد وصل كتابك بأن الطالب أحمد بن رقية المكلف باقراء علم الهندسة هنالك مع طلبة العدوتين ، تشوف للوفود على اعتابنا الشريفة ، لما بلغه من ان ابن عم له بتازا توفي ولم يترك وارثاً سوى العصبة وهو من جملتهم ، واراد التوجه للكلام في ذلك ، وانه استكتبك وساعدته ، بعد ان عين نائباً عنه في اقراء ما ذكر ، وهو الطالب عبد الرحمن ابن عبد العزيز عواد ، طالباً منا ان نساعده على ذلك ، فقد قدم وساعدناه على مطلبه ، والسلام ، في 15 ربيع الثاني عام 1301 » .

وهذه رسالة اخرى في شأن طلبة الحساب والهندسة بسلا ، وهي صادرة عن الحاجب موسى بن أحمد إلى نفس العامل ، ونصها بعد الافتتاح :

« . . . وبعد : فقد اخبر الناظر ان الطلبة الذين يتعلمون الحساب والهندسة

---

(1) رسالة في هذا الموضوع « بالنهضة العلمية في عهد الدولة العلوية » لابن زيدان : مقتبسات خاصة منها ، وانظر عن ترجمة المذكور « اتحاف اعلام الناس » : القسم المخطوط .

(2) في ترجمته من « مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط » لمحمد بن علي بن أحمد دنية الاندلسي الرباطي ، نسخة المكتبة الملكية رقم 779 ـ ج 2 ص 131 .

هناك ، بعضهم صار يتكاسل ويعطل بعض الأيام من القـراءة ، وبعضهم امتنع من التعليم بالكلية ، وقد امرهم « كذا » مولانا ـ ايده اللّه ـ بأن لا يعطوا الراتب إلا لمن لازم القراءة ، ومن عطل يوم « كذا » يسقط عنه راتب ذلك اليوم ، ومن امتنع من التعليم يقطع عنه بالكلية وينظر غيره.

واعلمناك لتكون على بصيرة ، وتجري العمل على ذلك في تعيين بدل من امتنع من التعليم ، ولا بد ، وعلى المحبة ، والسلام ، في 23 شوال ، عام 1293 »[1] .

واخيراً نذكر ان السلطان عبد الرحمن بن هشام جهـز غريفـة التوقيت بجـامع القرويين بفاس . بكرتين اثنتين : سمائية وارضية[2] ، ولا تزالان ـ معاً ـ على قيد الوجود بنفس المكان ، حيث وقفت عليهما ، وعاينت الكتابة فيهما بالحروف اللاتينية ، وذلك قرب زوال يوم الاحد 11 شوال عام 14/1384 يبراير سنة 1965م .

ثانياً : الموسيقى

من المحقق ان « الموسيقى الاندلسية » انبعثت ـ قليلاً ـ في هذه الفترة ، وفي أيام السلطان محمد الرابع بالذات ، وقع اجتماع لاصحاب هذه الموسيقى ، شارك فيه كبراء الفن وحداق المعلمين ، حيث اختاروا ترتيباً جديداً لصنائع كل ميزان من كل نوبة ، وهذا الترتيب هو الذي نقح وهذب ـ بعد ـ باقتراح الوزير الكبير محمد بن الوزير العربي بن الوزير المختار الجامعي بالحضرة العالية ؟ عام 1303 هـ/ 1885 — 1886م ، ثم وضع على اساسه « مختصر مجموعة الحايك » المتداولة ، والمضافة لهذا الوزير[3] .

ومن الطريف ان يوجد من بين اعلام هذه الفترة من يهتم بذكر اساتذته وتلامذته في الموسيقى الاندلسية ، وذلك هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمـد التادلي الـرباطي شيـخ

---

(1) الرسالتان ـ معاً ـ من وثائق آل ابن سعيد بسـلا ، بواسطة الاستاذ الفاضل الحاج أحمد معنينو .
(2) « الحوالة السليمانية » فيلم ، خ . ع ، رقم 23 ـ ص 25.
(3) خطبة (لتأليف في الموسيقى) ، خ . ع د 1031 .

جماعتها ، والمتوفي عام 1311هـ/1894م[1] .

فقد ذكر[2] انه لما ذهب لفاس ـ للدراسة بها ـ كان ينتهز فرص العطل ، فيتفرغ لدراسة علوم الفلسفة بما فيها الموسيقى الاندلسية ، وهذه اسماء اساتذته في هذا الفن بالخصوص بفاس :

1 ـ الحاج حدو إبن جلون الفاسي ، أخذ عنه نفقة رمل الماية الصغيرة ، وهو شيخ جماعة الموسيقيين بفاس ، وآخر المحسنين للتوقيع على العود[3] .

2 ـ رشيد الجملي الفاسي ، من ذرية الشيخ سيدي علي الجمل ، تعلم منه الصنائع الكبار التي لا توجد إلا عند الشيوخ الماهرين ، ومن ذلك نفقة رمل الماية الكبرى ، وكان آية في ضرب الرباب[4] .

3 ـ محمد الصبان الفاسي ، الفقيه المؤدب ، قال عنه : كان يأتيني للمدرسة وأذهب إليه ، ويعلمني ما عنده ، ولا ألذ من صوته ، وهو اعجوبة في يده في العود وحده ، فإذا انسك بالموسيقى وفرغ منها ، انسك باخبار الأمم وأيامهم أيضاً ، ولم أر هذا في شيخ من شيوخ الموسيقى[5] .

4 ـ المكي محروش الفاسي ، قال عنه ـ أيضاً ـ كان اعجوبة في حفظ أشعار الموسيقى وطبوعها ونغماتها ، وخصوصاً ميزانها ، لم يتقنه احد ـ فيما رأيت ـ سواه ، وهو آية في ضرب الطر وحده ، لأن صاحبه هو رئيس الموسيقى . . اخذت عنه جل الموسيقى[6] .

---

(1) ترجمته في « مجالس الانبساط » : « النسخة الأنفة الذكر ، وفي « الاغتباط بتراجم اعلام الرباط » لمحمد بوجندار الرباطي ـ خ . ع ، د 1287 .

(2) في « أغاني السقا ومغاني الموسيقى » ، نسخة خاصة .

(3) « أغاني السقا » مع « اختصار أبي اسحاق التادلي للتذكرة الانطاكية » ، القطعة السابقة الذكر .

(4) المصدران الأخيران .

(5) اختصار التذكرة الانطاكية .

(6) المصدر الأخير .

ومن اساتذته ـ أيضاً وهو الخامس ـ الحاج احمد العسراوي التطواني ، أخذ عنه بعض طبع الاصبهان ، وكان يحسن ضرب العود وحده[1] .

اما تلامذة الشيخ التادلي في هذه الموسيقى الأندلسية فيذكر منهم شيخ الصنعة بالرباط :

1 ـ محمد الرطل الرباطي ، الفقيه الطبيب المعدل ، تعلم منه هو واصحابه بسيط رصد الذيل وغيره ، وكان من جملة اصحابه :

2 ـ الشريف سيدي المكي الفجيجي الرباطي[2] .

3 ـ شريف تطواني ـ لم يذكر اسمه ـ كان يأتي اليه يسمع بعض الصنائع الكبار ويتعلمها[3] .

وبعد أبي إسحاق التادلي كان يوجد في فاس العالم الاديب ، محمد بن محمد الايراري الفاسي ، المتوفي عام 1329هـ/1911م ، وقد كان يدرس أصول قواعد الموسيقى بظهر صومعة القرويين من فاس[4] .

2 ـ مدرسة المهندسين بفاس

وجدت هذه المدرسة أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام ، وكان الذي تبناها هو ابنه الامير محمد الرابع ، وقد جاء موقعها في نفس المدرسة المرينية بفاس الجديد جواراً للقصر الملكي ، وحسب المجلة الاسيوية[5] فقد ابتدأت الدراسة بها من سنة 1844م/1259-1260هـ ، ثم كانت لا تزال قائمة في عام 1296هـ/1879م[6] .

---

(1) نفس المصدر .

(2) « أغاني السقا » مع « اختصار التذكرة الانطاكية » .

(3) « اختصار التذكرة الانطاكية » .

(4) مجلة المغرب ، عدد جمادى الأولى على 1351 هـ / سبتمبر سنة 1932 م ـ ص 23 .

(5) المجلد العاشر ص 152 : « الكتابات العربية بفاس » ، انظر « المعجم التاريخي » ص 63 .

(6) هذا يوخذ من « سجل نفقات مخزنية » بالمكتبة الملكية رقم 331 . ص 10 ، 14 ، 24 ، 39.

ونستطيع ان نعرف المواد التي تدرس بها من الفقرة التالية الواردة في « اتحاف اعلام الناس »[1] عند ترجمة محمد الرابع :

« له باع طويل . وقدم راسخ في العلوم العقلية : كالحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، والهندسة ، والهيئة ، والموسيقى ، درس تلك الفنون بالنقد والتحرير ، وختم كتاب اقليدس في الهندسة عام احدى وسبعين ومائتين وألف ، وأسس مدرسة لتلك الفنون في خلافته على عهد والده المقدس : جوار القصر السلطاني من فاس الجديد » .

فهذه الفقرة تبين ان العلوم التي كانت تدرس بهذه المدرسة . هي : الحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، والهندسة ، والهيئة ، والموسيقى ، كما تفيد ان كتاب اقليدس احد المواد التي كانت تدرس بها ، وانه ختم من عام 1271هـ/ 1854 / 1855 م ، وهناك قصيدتان انشدتا بمناسبة هذا الختم : الاولى لاحمد بن الامين الوداني آتي الذكر ، والثانية للشاعر في الموزون والملحون : التهامي المدغري ، وفيهما تنويه بالامير وباتجاهه في ميدان الهندسة[2] .

ويظهر ان طبع كتاب اقليدس بالمطبعة الحجرية الفاسية من طرف الحسن الاول . له علاقة بدروس هذه المدرسة ، حيث كان تمام طبعه في 23 شوال عام 1293هـ/1876م ، كما يظهر ـ أيضاً ـ ان كتاب اقليدس هذا هو الذي يسميه البعض « كتاب لوجندر »[3] .

أما اساتذة هذه المدرسة فالمعروف منهم :

1 ـ أبو العباس أحمد بن الامين الوداني الوطن ، اليعقوبي النسب ، درس بها كتاب

---

(1) ج 3 ص 367.

(2) القصيدتان معاً في « الحسام المشرفي » لمحمد العربي المشرفي ، خ . ع ، ضمن مجموع يحمل رقم ك 2276 ، وقد وردت القصيدة الأولى ـ على حدة ـ في « الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام » ، ج 2 ص 216 - 218 ، كما وردت القصيدة الثانية في « اتحاف اعلام الناس » ، ج 3 ص 575 - 576 .

(3) جاء هذا الاسم في تاريخ المغرب للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 88 .

أقليدس[1] ، وفي الترجمة التي كتبها لنفسه أبو إسحاق التادلي ، يذكر أنه قرأ على هذا : الهندسة[2] ، دون ان يعين المركز الواقعة به هذه الدراسة ، حيث لا يبعد ان يكون بهذه المدرسة ، كما لم يعين الكتاب الذي درس فيه ، وقد ذكر في « اختصار التذكرة الانطاكية »[3] أنه اخذ بعض اقليدس على بعض فقهاء سوس ، ولا شك أنه يقصد أبا العباس الوداني هذا ، وانه درس عليه الهندسة بكتاب اقليدس ، ولم اقف على تاريخ وفاة هذا الاستاذ .

2 ـ السلطان محمد الرابع الذي ناب عن سابقه في بعض الدروس[4]، وكانت وفاته عام 1290هـ/1873م .

3 ـ ادريس بن الطايع العلوي البلغيثي الحسني الفاسي ، المتوفي عام 1322هـ/1904م ، كان استاذاً بها أواخر عام 1293هـ/1876م ، حيث يصفه البعض بانه عارف بفن الهندسة ومتقنه بالاقراء والتدريس ، والمتصدي لنشره بالأمر الشريف[5] .

4 ـ ولا يبعد ان يكون من بين اساتذتها عبد الرحمن العلج ، وهو من عائلة فرنسية يقال لها دوستلي ، وقد اعتنق الاسلام ، وورد على السلطان عبد الرحمن ابن هشام ، ثم استمر بالمغرب إلى أيام السلطان الحسن الأول حيث توفي بمراكش سنة 1879 م[6] / 1296-1297 هـ ، وسيأتي ان هذا نشر بالمغرب العلوم الرياضية والعسكرية الحديثة ، حيث أخذها عنه جماعة بفاس ومراكش وغيرهما .

5 ـ وكذلك أبو العباس أحمد بن عبد اللّه الادريسي التناني المعروف بالصويري ،

---

(1) انظر الحسام المشرفي : المخطوطة الآنفة الذكر .

(2) انظر « الاغتباط . بتراجم أعلام الرباط » ، للمؤرخ محمد بوجندار ، خ . ع ، د 1287 ـ ج 1 ص 14 .

(3) القطعة السالفة الذكر .

(4) الحسام المشرفي .

(5) ورد هذا في كلمة التصحيح الختامية لطبعة « تحرير أصول الهندسة » لأقليدس : بالمطبعة الفاسية ، « 23 شوال عام 1293 » ـ ج 2 ص 453 ، وانظر عن ترجمة المذكور : النهضة العلمية لابن زيدان : تعليق .

(6) الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام : القسم المخطوط ـ عند ترجمته .

والمتوفي عام 1320هـ/1902م ، فقد جاء في الاعلام[1] ذكر عدد ممن اخذوا عنه علم الهندسة .

وقد تحدث عن طلبة هذه المدرسة محمد العربي المشرفي في « نزهة الابصار »[2] وقال في صدد حديثه عن محمد الرابع : « وانتقى من ايالته طلبة لتعليم علم التوقيت والهندسة فكانوا في هذين الفنين من نجباء اهل زمانهم » .

وفي « اتحاف اعلام الناس »[3] اثر حديثه السابق عن هذه المدرسة : « تخرج منها جماعة من الطلبة النجباء النبلاء ، منهم الفئة الموجهة لتتميم دروسها بعواصم أوروبا ، كالفقيه أبي عبد اللّٰه محمد الجباص الوزير الصدر سابقاً : بانكلترا ، وأبي عبد اللّٰه محمد العلمي الشهير ببناني : بايطاليا ، وآخرون في فرنسا والمانيا ، وذلك في حدود 1300 .

والغالب ان من طلاب هذه المدرسة ـ أيضاً ـ أبا زيد عبد الرحمن عواد السلوي مار الذكر ، حيث تذكر عنه « رسالة عائلات سلا »[4] : انه كان مهندساً ماهراً ، حافظاً لكتاب اقليدس في الهندسة ، وقد كان بقيد الحياة أيام السلطان الحسن الأول .

وحسب « سجل نفقات مخزنية »[5] فقد كان عدد طلبة الهندسة من 58 إلى 44 طالباً ، وذلك بين اعوام 1284 — 1287هـ .

وكانت لهم مرتبات يومية[6] ، كما كان لهم رئيس : هو ابو العباس أحمد الصويري[7] آنف الذكر .

---

(1) للقاضي عباس بن ابراهيم ، آخر ترجمة المذكور ـ ج 2 ص 266 - 268
(2) خ . ع. ك 579 ـ ص 528 .
(3) ج 3 ص 367 .
(4) تأليف عشاش بلقاسم الجزائري ، مخطوطة خاصة للبعض .
(5) بالمكتبة الملكية رقم 295 .
(6) نفس السجل .
(7) الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ـ ج 2 ص 267 - 268 .

واخيراً فان المتخرج من هذه المدرسة ـ في الهندسة ـ كان يحمل لقب « مهندس » ، ومن درس بها التوقيت يحمل لقب « موقت » ، وسنرى ـ عند حديث البعثات المغربية ـ عدداً من طلبة هذه المؤسسة يذهبون لأوروبا لاتمام دراستهم ، كما ان الذين استمروا منهم بالمغرب شغلوا اطراً متنوعة في الحاشية الملكية .

وهكذا يتبين ان هذه المدرسة ـ بالنسبة لزمانها ومكانها ـ كانت صالحة لأن تكون نواة لانبعاثة مغربية .

3 ـ المدرسة الحسنية بطنجة

وهي من تأسيس السلطان الحسن الأول حسب الطاهر الاودي في كتابه الاستبصار[1] ، حيث يذكر انه درس بها ست سنوات ضمن البعثة المغربية التي كان ينتسب إليها، وكانت المواد التي تلقوها بهذه المدرسة هي : الحساب ـ الهندسة ـ التنجيم ـ الجغرافية ـ اللغة العربية ـ المبادىء الدينية الأولية ـ لغة اجنبية .

والغالب ان هذه المدرسة كانت تكميلية ، حيث يقع بها اعداد طلبة مدرسة المهندسين ، الذين سيذهبون لاكمال دراستهم باوروبة ، وفي « اتحاف اعلام الناس »[2] يشير لهذه المدرسة في شيء من المخالفة لما في « الاستبصار » ، فيذكر عن بعض البعثات انهم اقاموا بطنجة ثلاث سنين اخذوا فيها مبادىء الحساب واللغات الاجنبية .

وهذه رسالة صادرة عن الحسن الأول ، ورد فيها الاشارة لهذه المدرسة :

« وصيفنا الأرضي ، القائد الجيلاني بن حم ، وفقك اللّه ، وسلام عليك ورحمة اللّه .

وبعد : فقد وجهنا صحبته خمسة عشر من نجباء الطلبة ، بقصد التوجه لبر

---

(1) مخطوطة خاصة ، ص 83 ، وسنحدث من بعد : عنها وعن مؤلفها .

(2) ج 2 ص 466 .

النصارى لتعلم طبجيت والهندسة وغير ذلك من أمور الحرب ، **بعد تعلم الكتابة واللسان بطنجة** ، ليسهل عليهم مباشرة التعلم ببر النصارى ، وامرنا خديمنا الطالب محمد بركاش بأن يقر كل فريق منهم بالمحل الذي يناسبه حتى يتعلموا ذلك ، ويوجه لكل فريق منهم المعين له ، كما أمرنا الامناء ان ينفذوا لهم مدة اقامتهم بطنجة .

واعلمناك لتكون على بال ، وتنزلهم بالمحل الذي يناسبهم ، والسلام ، في 25 رجب ، عام 1292 »[1] .

وبعد حوالي عامين من هذا التاريخ ، نعثر على رسالة اخرى ترد فيها ـ مرة ثانية ـ الاشارة إلى مدرسة طنجة ، وهذا نصها :

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بي سعيد السلاوي ، وفقك اللّٰه ، وسلام عليك ورحمة اللّٰه تعالى وبركاته .

وبعد : فنأمرك ان تعين خمسة من اولاد اعيان خدامنا اهل سلا ، يكون سنهم من الخمسة عشر سنة إلى الثمانية عشر ، واخترهما « كذا » من النجابة والفطنة بمكان ، وممن يعرف الكتابة ، وان كانوا من الذين كانوا عينوا ـ سابقاً ـ لتعلم علم البحر وكانوا يتعاطونه : فهو اولى .

وحين تعينهم اعلمنا لنأمرك بتوجيههم لبر النصارى بقصد تعلم علم البحر والرياسة ، وذلك بعد ان **يتعلموا ما يكفيهم في ذلك من اللسان بطنجة** .

وقد كتبنا لخديمنا الطالب عبد السلام السويسي بتعيين مثلهم من خدامنا أهل رباط الفتح، والسلام ، في 10 رمضان المعظم ، عام 1294 »[2] .

---

(1) « النهضة العلمية » لابن زيدان ، مبيضة المؤلف بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3177 .
(2) من وثائق آل ابن سعيد بسلا .

4 ـ دراسة بعض الفنون العسكرية

اولاً : دروس تعليمية

إلى جانب التدريبات العسكرية ، كانت هناك دروس تعليمية اهتمت بالمدفعية بصفة خاصة ، وأول مثال لهذا فقرات من رسالة[1] للسلطان عبد الرحمن بن هشام ، وفيها يخاطب عامل سلا ويقول :

« . . . وآكد ذلك الرماية ، وخصوصاً بهذه الآلة الموجودة اليوم : من مدافع وغيرها ، فصرف البال اليها آكد ، والحاجة إلى معرفة استعمالها والتصرف بها أشد . . . وعليه فبوصول كتابنا هذا إليك ، كلف من هو رئيس عالم عندكم في هذا الفن ، بتعليم المعيّنين منكم في ديوان الطبجية[2] : بأن يتولى كل واحد تعليم طائفة في برج من الابراج ، يكون يعلمهم فيه ويقوم بحراسته وحفظه وصيانته ، ثم يوم الشارة يجتمعون إليها على العادة القديمة ، وامرهم ان يجعلوا هذا الأمر من أهم أمورهم ، وآكد اشغالهم ، بجد وحزم، واعتناء وعزم، ومن ظهرت نجابته ، واتضحت درايته ، اعلمنا به أنت والأمناء ، لنزيد له في العطاء ، ونمنحه ما يظهر عليه من جميل الاحتفاء والاعتناء . . . » .

وقد كان تاريخ هذا الكتاب في 28 صفر عام 1269هـ/1852م ، ويبدو أنه ـ بعد هذا التاريخ ـ تقدمت فكرة هذه الدروس المدفعية ، ويفهم هذا من الخطاب التالي[3] لعامل سلا ـ أيضاً ـ في 20 قعدة عام 1273هـ/ 1857 م ، وهذا نصه بعد الافتتاح :

« . . . . وبعد ، فبوصول كتابنا هذا اليك عين عشرين من الولدان النجباء لتعلم علم تاطبجيت ، وانظر لهم معلماً ماهراً أو معلمين من طبجية البلد ، يعلمهم ويشرعون في التعلم الآن ، فيبدأون بمقدماته ، ثم يتدربون منها إلى الأخذ في تعلم رماية المدفع

---

(1) نهليل : مجموعة الرسائل الشريفة ـ لوحة 1 .

(2) الرماة بالمدافع .

(3) ورد نصه في « الاستقصا » ، ج 4 ص 206 .

والمهراس ، وهكذا حتى ينجبوا ويمهروا في الصنعة ، ويصيروا قادرين على الخدمة ، ونطلب الله أن يعينهم ويفتح بصائرهم .

وهؤلاء العشرون يكونون زائدين على من هنالك من الطبجية ، ونأمر الأمناء أن يرتبوا لهم ـ اعانة على ذلك ـ خمس عشرة أوقية في كل شهر للواحد ، ثم من ظهرت نجابته منهم وفاق غيره فانا نزيده في المرتب ، كما نأمرهم أن يرتبوا لمعلمهم واحد أو اثنين : ثلاثين أوقية للواحد في كل شهر زيادة على راتبهم المعلوم ، واعتن بأمرهم غاية الاعتناء ، وقد كتبنا لغيركم من المراسي مثل هذا ، وسننظر من تظهر ثمرته واعتناؤه » .

ذلك هو نص الكتاب الذي يعلن ـ في آخره ـ أن نفس التعليمات الواردة به صدر مثلها لعمال المراسي المغربية الأخرى ، وهكذا يتبين أن هذه الحركة الثانية كانت مطبوعة بطابع الشمول مع مزيد من التنظيم .

ومن واقع مدينة الرباط بالخصوص : أن عامل هذه المدينة كان يخرج ـ بعد صلاة العصر من كل يوم جمعة بهيئته الرسمية ـ الى خارج المدينة عند المصلى القديم قرب ضريح سيدي السعيدي ومعه باش الطوبجية ، لاجراء تمرينات على الرماية بالمهراس أمامه : عادة مقررة ، وكان به من شيوخ الرماة عشرة أو أحد عشر ، ولكل واحد عدة تلاميذ يدربهم على الرماية ، ويأمرهم أن يقولوا ـ أول العمل ـ أن ذلك بنية الجهاد في سبيل الله ، كما كان به فريق المصاقرية ، وهم المتمرنون على الضرب بالسيوف ، وذلك بواسطة عصي يتمرنون عليها ، وكانوا يتقاضون مرتباً من الديوانة[1] .

هذا : ويظهر أنه وجدت دروس عسكرية أكثر تنظيماً أوائل عهد الحسن الأول ، يدل لذلك هذه الفقرة الواردة في « سجل نفقات مخزنية »[2] وضمن صوائر 28 رجب عام 1292هـ/ 1875م . وقد جاءت كما يلي :

---

(1) من بحث لفقيد العلم محمد السائح ، مجلة « دعوة الحق » السنة 3 العدد 2 ـ ص 30 - 31.
(2) المكتبة الملكية رقم 313 ـ ص 5 .

« وفيه ـ أيضاً ـ دفع كسوتين للطلبة الذين ظهرت فيهما النجابة ممن يقرأون على الخوجة » .

والخوجة هذا هو السيد محمد بن أحمد الخوجة التونسي أحد مدربي العسكر النظامي المغربي ، وقد ذكره محمد العربي المشرفي في « الحسام المشرفي »[1] ضمن رؤساء هذا الجيش في عهد محمد الرابع ، وحسب « سجل نفقات مخزنية الآنف الذكر[2] ، فان الخوجة كان في عداد الأموات ـ بمراكش ـ في 21 حجة عام 1292هـ/1876م .

وأخيراً فان الحسن الأول ـ أيضاً ـ أسس ما يشبه مدرسة مركزية للمدفعية بمدينة الجديدة[3] .

كما يبدو أن هذا السلطان أحدث مؤسسة أخرى لنفس الغرض بمدينة طنجة ، وهذا ما تفيده الرسالة التالية الصادرة عن الحسن الأول ، ونصها :

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فنأمرك أن تعين عشرة من صغار الطبجية أهل الذكاء والفطنة والصحة في الجسم ، وتوجههم لطنجة بقصد التعلم على طبجية من النجليز أمرنا بجلبهم للتعليم هناك ، واستخدام المدافع الكبار الجديدة التي أمرنا بجلبها لمراسينا السعيدة ، ليجدهم ودها عارفين باستخدامها ، ماهرين فيه ان شاء الله .

وقد أمرنا أمناء العدوتين بتزويدهم وكراء البهائم لهم ، ولعامل طنجة وأمنائها بأن ينزلوهم وينفذوا لهم مئونتهم ، والسلام ، في 23 من ذي القعدة الحرام ، عام 1294 » .

وهذه رسالة حسنية أخرى في موضوع تعليم الرماية المدفعية ونصها :

---

(1) المخطوطة السالفة الذكر .

(2) ص 13 .

(3) « تاريخ المغرب » للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 88.

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فنأمرك أن توجه خمسة عشر من الطبجية الذين هنالك من أنجب أهل خطتهم ، وممن تتوسم فيهم قبول التعليم : كصغر السن ، وجودة الذهن وصحته ونحو ذلك ، بقصد الأخذ عن المهندس لوبلو الفرانصيصي .

وقد أمرنا الأمناء ثمة بتزويدهم وكراء حمولتهم واصلين لعلي أعتابنا ، والسلام ، في 13 ربيع الثاني ، عام 1301 »[1] .

ثانياً : موضوعات عسكرية

هناك موضوعات كتبت في هذه الفترة للاستعانة بها في تعليم وتنظيم الجيش ، وسأستعرض ما وقفت عليه منها فيما يلي :

أ ـ رسالة في تنظيم الجيش المغربي : لمحمد بن أحمد الخوجة التونسي آنف الذكر ، ألفها برسم الأمير محمد الرابع أيام خلافته عن والده ، وهي تشتمل ـ بعد الخطبة ـ على مقدمة في لغة الجيش التي صارت ـ آنذاك في البلدان العربية ـ هي اللغة التركية المزيجة بالفارسية ، وبعد هذا يتخلص للموضوع حسب العناوين التالية :

الفصل الأول في رتبة المائة .
الفصل الثاني في رتبة الألف .
الفصل الثالث في مرتبة الجيش من العسكر .

وهو يشرح في كل فصل الرتبة المعنية ، فيحدد مدلولها ، ويذكر رؤساءها ومهمتهم ، وترتيب وقوف كل فرقة ، ويأتي بأسماء درجات الجيش بثلاث لغات : العربية والتركية والفرنسية ، وفي الفصل الثاني ذكر صفة نصب محلة العسكر ، كما ذكر في الفصل

---

(1) الرسالتان ـ معا ـ من وثائق ال ابن سعيد بسلا .

الثالث نظام سفره في الطريق .

وهو يوضح أنظمة الجيش برسوم موسعة ، يذيل بها الموضوع المعنى بـالأمر في صفحة على حدة ، وقد بلغت خمسة ، على الترتيب الآتي : رسم وقوف المائة ـ رسم وقوف الألف ـ رسم المحلة ـ كيفية وقوف الجيش وترتيب كباره ـ رسم سفر الجيش في الطريق ، وقد ذيل هذا الرسم الخامس هكذا : « صنعة محمد بن أحمد الخوجة ، لطف الله به » ، ومن هنا ـ فقط ـ استفدنا اسم مؤلف هذه الرسالة ، التي فرغ من تأليفها في 23 ربيع النبوي ، عام 1267هـ/1851م .

منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط ، رقم ك 2733 ، في 78 ص عدى الرسوم ، مسطرة 10 ، مقياس 115/170 ، خط مغربي مبسوط مستحسن مشكول مجدول ، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وهذه خطبة الرسالة :

« الحمد لله الحميد المجيد ، الفعال لما يريد . . وبعد : فاني لما نظرت في أحوال العسكر السعيد ، المصحوب بالسعادة والنصر والتأييد ، المحسوب على الجانب العالي بالله . . . . مولانا الخليفة أيده الله ، وأدام عز طلعته وأبقاه ، وجدت قلة المعرفة مع أربابه المكلفين به ، مع جهل القوانين الجارية فيه ، تذكرت البعض مما رويناه عن أربابه ، وشاهدناه في بلاد الترك وفي بلاد الروم ، ودارسناه في كتب المهندسين من أرض مصر ، وجعلناه مختصراً لطيفاً في خدمة العسكر وقوانينه وحروبه ، لأن الحرب خدع ، فينبغي للمعلم أن ينظر في أحوال القتال ، فكلما أتى العدو بحيلة في الحرب لا بد له أن يصنع حيلة ضدها ، ليبطل له عمله بها ، والقتال له أصناف عديدة : قتال في الجبال ، وقتال في الأودية والشعاب ، وقتال في الأرض المستقيمة ، هذا اذا كان القتال بالعسكر مع عسكر العدو ، واذا كان مع القبائل والعربان فله قوانين أخر ، وسأبين لك ذلك ـ ان شاء الله ـ على التفصيل ، قاصداً بذلك نية الجهاد ، وتحصيل الأجر والثواب ، وصالح الدعاء من الأمير ، وعلى الله القبول ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير ، وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت ، وهو اللطيف الخبير .

أعلم يا أخي ـ وفقني الله واياك لما يحبه ويرضاه ـ أن الجهاد في بعض المواضع فرض عين واجب على كل أحد ولو على المرأة ، ومعظم الجهاد في زماننا هذا انما هو بالبارود ، فلا بد له من معلم رئيس حافظ لجميع القوانين ، لأن صنعة العسكر اذا لم تكن لها الرياسة والمعرفة والقوانين صار وجودها كالعدم ، فالواجب على العسكر التعليم والمسايسة والملاطفة فيه ، حتى ترسخ صنعة الحرب في عقولهم ، ويثبتون على القوانين والحيل اللازمة لهم عند مقابلة العدو ، فاذا أراد مولانا نصره (الله) بهم قضاء أمر مهم من الأمور السلطانية وجدهم في غاية الحزم والعزم . . .

فينبغي لكل من تعلقت نفسه بهذا الفن أن يعتني بتعليمه ، والتسليم لمعلمه ليحصل هذه السنة ، لأنها من أعظم السنن ، والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب » .

ب ـ نزهة المجالس ، في علم احكام المدافع والمهاريس

ـ أرجوة من نظم عبد النبي بن العباس الشديد الصنهاجي الرباطي ، حسب تسميته في خاتمة المنظومة .

وهي مهلهلة التركيب والوزن ، وفي آخرها يعتذر الناظم ـ باميته وجهله ـ عما يوجد فيها من لحن وتصحيف ، ويذكر أن الحامل له على نظمها هو السلطان عبد الرحمن بن هشام ، عدد أبياتها 394 ، ووقع الفراغ من وضعها ليلة 27 رجب عام 1266هـ/1850م .

وقد تناول فيها الرماية بالمدفع والمهراس[1] والباز[2] ، فذكر هيئات هذه وأنواعها وطرق استخدامها ، كما ذكر البنب[3] والبارود .

---

(1) مدفع الهاوون .

(2) نوع خاص من المدافع .

(3) القنابل الثقيلة .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، أول مجموع يحمل رقم 1043 ، من ص 1 الى ص 30 ، مسطرة 20 ، مقياس 195/240 ، خط مغربي جميل واضح ملون ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، ومن الرسوم التوضيحية .

ورد ذكر هذا الناظم في رسالة ملكية مؤرخة في 5 ربيع الثاني عام 1276هـ/1859 م . حيث سُمي فيها : « المعلم عبد النبي الشديد الرباطي » ، حسب « اتحاف أعلام الناس »[1] .

ج ـ الباز في علم المدفع والمهراز ـ رسالة لمؤلف مجهول الاسم ، يذكر في أولها اسم السلطان المعاصر له هكذا : « وأمام غربنا البطل الهمام ، مولانا عبد الرحمن » .

وهي مبتورة الآخر ومن أوائلها بنحو ورقة ، ويقف الموجود منها على الباب 18 .

منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط ، ضمن مجموع يحمل رقم د 3368 : من ص 177 الى ص 185 ، مسطرة مختلفة ، مقياس 150/210 ، خط مغربي سريع متوسط .

د ـ تذكرة المجالس ، في علم المدافيع والمهاريس « كذا » ـ أرجوزة مهلهلة النظم ـ أيضاً ـ لصاحبها المكي بن قصابة بن محمد الرباطي ، نظم فيها قواعد لمحمد بن محمد سباطة الأندلسي الرباطي ، ووضعها في شعبان عام 1288هـ/ 1871 م . في 532 بيتاً ، وتناول فيها ـ تقريباً ـ نفس موضوعات المنظومة الآنفة الذكر ، مع توضيح مواضيعها برسوم عديدة .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط آخر المجموع الذي يحمل رقم 1043 من ص 67 الى ص 112، مسطرة 20، مقياس 195/240، خط مغربي : نفس خط النظومية الثانية .

---

(1) ج 3ص 409 .

5 ـ بعثات الى مصر وأوروبة

أولاً : الى مصر

توجهت بعثات مغربية الى مصر ـ وان كانت قليلة ـ خلال هذه الفترة ، وكانت في أيام محمد الرابع أنشط منها على عهد الحسن الأول ، ويمكن تصنيفها في ست ارساليات :

الأولى : ذهب فيها ـ حسب ابن زيدان ـ[1] ثلاثة أفراد :

1 ـ أحمد شهبون[2] .

2 ـ محمد ابن كيران الفاسي[3] .

3 ـ عبد السلام العلمي[4] .

وحسب نفس المصدر فقد كان ارسال هؤلاء الأفراد من طرف السلطان محمد الرابع ، وفي أيام خديوي مصر محمد سعيد باشا ، وعلى هذا يكون ذهاب هذه البعثة بين عام 1276 هـ الى عام 1280 هـ ، حيث أن هذه الحقبة هي التي تعاصر فيها الملكان : محمد الرابع الذي بويع عام 1276 هـ ، وسعيد باشا المتوفي عام 1280 هـ .

ويلاحظ في هذا الصدد أن ابن زيدان لم يذكر مصدره عن هذه البعثة ، كما يؤخذ عليه ادراج عبد السلام العلمي ضمن أفرادها الثلاثة ، مع أن هذا انما توجه للقاهرة أوائل عهد الحسن الأول ، يدل لهذا أن العلمي نفسه في مقدمة كتابه « البدر المنير »[5] يذكر أنه

---

(1) في « الدرر الفاخرة » ص 95 - 96.

(2) لم يذكر نسبه ، ويوجد هذا اللقب في بعض قبائل شمال المغرب ، وسيرد ذكر مؤلفه في الجغرافيا عند « موضوع خرط وتقنيات حديثة » .

(3) انظر بحث « موضوعات فلكية جديدة » .

(4) ستر د ترجمته وآثاره وشيكا .

(5) اسمه الكامل : « البدر المنير في علاج البواسير » وهو مطبوع على هامش ضياء النبراس آتي الذكر ، المطبعة الحجرية الفاسية عام 1318 هـ ـ ص 3 .

درس الطب بمصر بمدد السلطان الحسن الأول ، كما يذكر في كتابه الآخـر : « ضياء النبراس »[1] عند مادة سبستان أنه كان يدرس الطب بمصر عام 1291 هـ ، بعدما كان الحسن الأول قد بويع في رجب عام 1290هـ/ 1873 م . وثالثاً : فان الاجازة الطبية التي أحرز عليها عبد السلام العلمي من المدرسة الطبية المصرية ، تصرح بأنه بعث بأمر من الحسن الأول ، وكان دخوله لهذه المدرسة عام 1291 هـ ، فلهذا سيكـون من اللائق تصنيف هذا في بعثة آتية .

الثانية والثالثة : بعثتان من طرف محمد الرابع أيضاً ، يشير لهما معاً رسالة[2] من الخديوي المصري اسماعيل باشا الى السلطان محمد الرابع ، وهي تتحدث عن رسالتين مغربيتين : الأولى في شأن طـالب بعثه سلطان المغرب ليتمرن عـلى اشغال الـطبع بمصر ، والثانية ترغب في تعليم ثلاثة صناع مغاربة بعض الفنون العسكرية .

وهناك بعثة رابعة كانت بصدد التوجه لمصر عام 1283 هـ ، لتتعلم خطط الجهاد والفنون البحرية والمدفعية ، وتتركب من ثلاثين طالباً مختارين من أبناء الجيش البخاري ، ومن مدائن فاس وسلا والرباط والصويرة ، حسب الرسالة التالية الصادرة عن السلطان محمد الرابع ، ونصها :

« خديمنا الأرضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد : فان هذه الخطط الجهادية من علم البحر وتطبجيت ضعفت في الغرب حتى كادت أن تفقد ، وقد اعتنى بها ملوك الاسلام في هذا الوقت فانتفعوا بها انتفاعاً بيناً ، وأدركوا منها ما لم يدركه غيرهم .

وقد بلغ اسماعيل باشا اهتمامنا بالأمور الجهادية ، حيث وجهنا له من يتعلم عمل

---

(1) اسمه الكامل : « ضياء النبراس ، في حل مفردات الأنطاكي بلغة أهل فاس » ، الطبعة الآنفة الذكر ـ ص 59.

(2) ورد نص هذه الرسالة في « الآثار الفكرية » ، تأليف فكري افندي باشا ، ط . بولاق ، 1315 هـ ـ ص 54 .

البارود وغيره على الكيفية المعروفة عندهم ، فأجاب بأنه اعتنى بأمرهم ، وطلب تكليفه بما يتعلق بهذا الأمر ، ووعد بالوقوف فيه ، غير أنه طلب أن يكون المتعلمون صغاراً نجباء ، لأنهم أقبل للتعليم ، وأسرع نجابة من الكبار .

فاقتضى نظرنا تعيين ثلاثين من الأولاد الصغار النجباء ، وتربيتهم بحضرتنا الشريفة في تعلم ما لا بد منه من مقدمات ذلك : من حساب وتوقيت وهندسة وشبه ذلك ، ثم نوجههم بعد لمصر ، وأردنا انتخابهم من أولاد الجيش البخاري وأهل فاس وأهل العدوتين وأهل الصويرة .

فنأمرك أن تنتخب من أولاد خدامنا أهل سلا الصغار ثلاثة ، وقد أمرنا عامل الرباط بانتخاب ثلاثة من أولاد الرباط ، ليكون ثلاثة طبجية ، وثلاثة بحرية .

وليكن سنهم من أربع عشرة سنة الى خمس عشرة ، ممن يعرف الكتابة والقراءة ، وظهرت عليهم مخايل النجابة والذكاء والفطنة .

وعدهم وأهلهم بالاحسان التام من جانبنا العالي بالله في حال التعلم ، زيادة على ما يترقبونه من احراز المزية ، والمرتبة العلية ، لمن برع منهم فيما عين له .

وحين تعينونهم وجهوهم لحضرتنا الشريفة ، بعد أن يدفع لهم الأمناء ما يتزودون به ، ويكتروا لهم ما يركبون عليه ، واصلين لحضرتنا العالية بالله ، فأطلعهم على كتابنا هذا ليعلموا بمقتضاه ، والسلام ، في 5 حجة الحرام ، عام 1283 »[1] .

***

والآن : نذكر البعثة الشرقية الخامسة ، وهي التي ذهبت لمصر في اوائل عهد الحسن الأول ، وقد كان في هذه البعثة طلبة واثنان من رجال الصناعة ، ويبدو ان الطلبة كانوا كثرة ، حيث قسموا ـ بالنسبة للمنحة ـ الى ثلاث رتب أولى ، وثانية ، وثالثة ، ودفع الى كل رتبة ما حدد لها ، وذلك بتاريخ 28 رجب عام 1292هـ/ 1875م[2] .

---

(1) من وثائق آل ابن سعيد بسلا .

(2) « سجل نفقات مخزنية » بالمكتبة الملكية رقم 313 ـ ص 5 .

وسادساً وأخيراً : عبد السلام العلمي ، الذي تبين ـ آنفاً ـ انه ذهب لدراسة الطب بالقاهرة عام 1291هـ ، من طرف الحسن الأول ، وهناك اجازة احرز عليها هذا الطبيب المغربي « من المدرسة الطبية المصرية »[1] وسنذيل بنصها موضوع هذه البعثات المغربية للقاهرة .

ان هذه الاجازة صادرة عن « حسين بن مصطفى عودة الدمشقي »[2] ، احد أساتذة المدرسة الطبية المصرية بقصر العيني بالقاهرة[3] ، وهي مكتوبة بخط شرقي نسخي عام 1291هـ/1874-1875 م ، وفيها يشهد بحضور الطالب المغربي على اساتذة المدرسة الطبية المصرية ، ويذكر مواظبته واجتهاده ، ويعترف بتفوقه ازاء اقرانه .

وقد توسط اعالي صك الاجازة طابع صغير بيضوي الشكل ، ومكتوب بداخله اسم المجيز ، وتحت هذا الطابع رسم شكل هلال كتب بداخله خمسة اسطر كالتالي :

« تذكار مودة ـ طبية ـ من حسين افندي عودة الحكيم من دمشق الشام ، الذي تلقى العلوم الطبية بمصر ـ بالمدرسة الطبية من احسانات خديوي مصر وعزيزها ـ اسماعيل باشا » .

واسفل هذا جاء نص الاجازة التي ذيلت ـ في آخرها من جهة اليمين ـ بطابع مماثل للذي صدرت به ، يتصل به توقيع المجيز الذي وضع تحته طابع اصغر .

والاجازة محررة باسلوب علمي عربي ، تتخلله بعض تعابير تركية ، حيث تضاف كلمة « لو » لبعض التحليات ، وتكتب متصلة بتائها الأخيرة ، مثل سعادتلو ، وحضرتلو ، ودولتلو . . . كما انها لم تسلم من بعض الاخطاء النحوية التي سيقف عليها القارىء ..

---

(1) جاء مصور هذه الاجازة ضمن كتاب « أعيان المغرب الأقصى سنة 1357 هـ » ، لمؤلفيه ـ بالفرنسية ـ مارتي مع ادماند كوفيون ، طبع بباريس ، سنة 1939 م ـ ص 574 .

(2) ترجمته ومراجعها في « معجم المؤلفين » لرضا كحالة ، ج 4 ص 63 .

(3) تأسست في « أبي زعبل » سنة 1826 م ، وفي سنة 1837 م نقلت الى القاهرة ، ووضعت في « قصر العيني » ، ومعها « المستشفى » ، انظر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، ج 4 ص 37 - 43 .

وتتجلى قيمة هذه الشهادة فيما تقدمه من معلومات عن دراسة الطبيب العلمي للطب بالقاهرة ، وفيما تلقيه من ضوء على فترة من حياته ، وهي ـ أيضاً ـ تقدم نموذجاً لاجازات هذه المؤسسة الشرقية الجديدة ، كما تقدم لوناً من العلاقات العلمية بين المغرب ومصر في مطلع عصر اليقظة المغربية .

واخيراً فان من محاسن صك هذه الاجازة ان الصق باعلاه ـ من جهة اليمين ـ رسم « ربع الشعاع والظل » الذي ابتكره صاحب الاجازة ، وللتعريف بهذا الرسم كتب باعلاه بخط شرقي مماثل في اربعة اسطر هكذا :

« هذه صورة « ربع الشعاع والظل » ـ لمخترعه الشريف عبد السلام ـ العلمي المغربي الفاسي ، اخترعه ـ سنة 1283 للهجرة النبوية ، على صاحبها ازكى التحية »[1] .

وبعد : فها هو نص الاجازة الطبية :

« الحمد للّه الذي اطلع من شاء على عوارف سره ، وأظهر كل معدوم من خزائن علمه ، اللطيف الشافي الذي جعل لكل داء دواء تفضلاً منه ورحما ، وأمر بتعاطيه على لسان أنبيائه الذين بينوا من أصول الطب وفروعه قسماً جما ، والصلاة والسلام على طبيب القلوب سيدنا ومولانا محمد المفضل عن كل ما سواه من خلقه ، وعلى آله وأصحابه وحزبه وجنده .

أما بعد : فلما كان في أيام خديوية من غمرني بالاكرام ، وعمني بالجود والانعام ، صاحب العزم الذي عز من يحاوله ، والكرم الذي علا أن يكون في الكرام من يطاوله ، وأضحت في زمنه حدائق العلم يانعة الأزهار ، كأنها جنات تجري من تحتها الانهار ، وعذبت بالديار المصرية موارد فضله ، وأمطر على الصغير والكبير وافر كرمه وعدله ،

(1) موضوع الحديث عن هذا الابتكار عند باب : « مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة » .

فأضحى وهو قبلة المجد التي لا تزال حولها الآمال طائفة ، ولا تبرح تسعى طائفة بعد طائفة ، أفندينا المعظم المحروس بعناية ربه العلي ، خديوي مصر وعزيزها اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ، ولا زال سعده بأقماره منشوراً ، وجيش عزه بأنصاره منصوراً :

أنه قد وفد من مدينة فاس المحروسة بالديار المغربية ، الى الديار المصرية ، ـ بأمر سيدنا ومولانا العالم العادل المؤيد المظفر سيف الدنيا والدين ، ناصر السلام والمسلمين ، **السلطان مولانا الحسن بن السلطان سيدي محمد بن السلطان مولانا عبد الرحمن** ، أدام اللّه أيامه ، وقرن بالنصر أعلامه واجلاله ـ حضرة الخليل الذي تحلى بالمجد ، وحصل المعالي بالاجتهاد والجد ، الزكي الالمعي ، والطبيب اللوذعي ، السيد الشريف ، عبد السلام أفندي ، نجل المرحوم السيد محمد العلمي ، بل الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، لاجل التمرين على نفائس العلوم المستجدة الطبية ، بالمدرسة الطبية الخديوية المصرية ، المتداولة الآن ، في جميع البلدان .

وكان دخوله في سنة احدى وتسعين ومائتين بعد الألف ، فحضر على حضرات أساتذتنا الكرام ، الذين اشتهر فضلهم لدى الخاص والعام ، جملة علوم نذكر طرفاً منها ، وهي : جراحة الصفرى على حضرة رئيس الاسبتالية والمدرسة الطبية ، سنعادتلو محمد علي باشا[1] ، والباتولوجيا الخاصة ـ أي علم الامراض الباطنة ـ على حضرة عز تلو سالم بيك سالم[2] معلم العلم المذكور ، وحكيم باشي حضرة دولتلو عصمتلو والدة الحضرة الفخيمة الخديوية ، وعلم الكيميا والنباتات على كل من حضرة احمد بيك ندى[3] معلم المواليد الثلاث ، وعلى حضرة جاستينل بيك الفرنساوي كشاف باشي ورئيس الاجزاجية ، والاقربازين والعمليات الاقربازينية على حضرة علي افندي رياض[4] رئيس

(1) أصل اسمه محمد بن علي بن محمد الفقيه البقلي ، وانظر عن ترجمته ومراجعها « الأعلام » للزركلي ج 7 ص 193 .

(2) ترجمته ومراجعها في « معجم المؤلفين » ج 4 ص 202 - 203 .

(3) ترجمته ومراجعها في « معجم المؤلفين » ج 2 ص 193 - 194 .

(4) « الأعلام » للزركلي ج 5 ص 101 .

شكل — 6



الاجازة الطبية التي احرز عليها عبد السلام العلمي من القاهرة .

« كتاب أعيان المغرب الاقصى سنة 1937 » .

المعمل الكيماوي ، وخلافهم ، فشمر الافندي المذكور عن ساعد الجد والاجتهاد ، وهجر الاوطان والبلاد ، وسهر الليل لنيل المعالي ، وغاص البحر لطلب اللآلي ، وقد تميز من ابتداء دخوله ومباشرته في الدروس ، واشتهر بمواظبته الحقيقية والغيرة الكلية في بذل الجهد والاجتهاد ، ونال بذلك طريق الرشد والسداد .

ولا يخفى أن مثل هذه الاشغال التي اشتغل بها الافندي المومى اليه : فهي فعل جميل لا تخلو عن اشهار فضل ومنفعة ، وكان احياناً يحضر مجلسنا للمذاكرة ببعض من العلوم السابق نشرها ، والفنون المتقدم ذكرها ، فأقول مع الاختصار : اني من منذ ما كلفت بتعليم علم الطب بدمشق الشام المحمية ، قبل مجيئي الى المدرسة الخديوية المصرية ، على الاستاذين : الوالد مصطفى أفندي أبو عودة رحمه اللّه ، وعلى الأخ سعيد أفندي عوده حرسه اللّه ، فلم أجد أحداً اشتغل بغيرة شديدة ، وطريقة مستمرة حميدة ، مثل هذا الطبيب النحرير ، الذي هو بالمدح جدير ، وأشكر صائب رأي السلطان مولانا الحسن ، وفطنته الحميدة العلية ، أن جعلت منفعة هذه المعارف العلمية والعملية ، المختصة بطبيبها الجديد المحضر من المدرسة الطبية الخديوية المصرية ، لالقاء ما تحصل عليه بتدريس العلوم الطبية ، ومن حظي الأوفر أني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر ، فوجدته في العلم والعمل وحيد « كذا » ، وفي المعارف بالنسبة لاقرانه فريد ، لانه ذاق من منهل علوم الطب ما فاق وراق ، وشرب من سلسبيل الحكمة كأساً دهاق « كذا » ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، تحريراً في محروسة مصر القاهرة ، سنة 1291 » .

واثر هذا طابع بيضوي الشكل ، يتصل به امضاء المجيز ـ في أربعة اسطر ـ هكذا : « كاتبه ـ حسين عوده الحكيم ـ الدمشقي ، المقيم الأن ـ بمصر » ، وأسفل هذا الامضاء وضع طابع صغير .

هذه هي الاجازة التي أذيل عليها بنص كتبه عبد السلام العلمي المجاز ، واستوعب فيه أساتذته ـ العرب والاجانب ـ بالمدرسة الطبية المصرية ، مع ذكر المواد التي

تلقاها عنهم ، وهو يقول في هذا عند آخر كتابه : ضياء النبراس[1] :

« وحيث ذكرنا في بعض المواضع من هذا الكتاب ، أشياء غريبة من بعض الفنون التي تلقيناها من أشياخنا بالاسبطار المصري ، سنح لي أن نختم هذه الخاتمة بذكر أشياخنا في تلك الفنون :

الأول : شيخنا في علم الجراحة علما وعملاً ، رئيس الاسبطالية المذكورة المعروفة بالقصر العيني ، العـلامة الحكيم ، المتـرجم ، المدرس الفصيـح ، المؤلـف ، سيدي محمد ـ بفتح الأول ـ علي باشا البقلي .

الثاني : شيخنا في العملية الجراحية : الحكيم محمود به نجل الرئيس المذكور .

الثالث : شيخنا في الجراحة بعمل اليد الحكيم محمد ـ بفتح الأول ـ فوزي .

الرابع : شيخنا في الامراض الباطنة علماً وعملاً على أسرة المرضى رئيس اطباء ام افنديهم ، وهو العلامة الحكيم ، المترجم الفصيح ، الدكتور سالم به سالم .

الخامس : شيخنا في الامراض الباطنة على أسرة المرضى عملاً الحكيم المترجم القطاري .

السادس : شيخنا في الامراض الباطنة على أسرة المرضى عملاً الحكيم ابراهيم افندي .

السابع : شيخنا في الامراض الباطنة على أسرة المـرضى عملاً الحكيم مـوسى عيسى نائباً عن شيخنا سالم به سالم المذكور .

الثامن : شيخنا في عيادة الامراض الباطنة عملاً على أسرة المرضى الحكيم محمد ـ بفتح الأول ـ أفندي شكري .

---

(1) اسمه الكامل : « ضياء النبراس ، في حل مفردات الانطاكي بلغة فاس » ، المطبعة الحجرية الفاسية .

التاسع : شيخنا في علم التشريح الهيكلي والعضلي والمفصلي علماً وعملاً ، العلامة الحكيم ، المترجم ، محمود به أفندي مصطفى .

العاشر : شيخنا في علم التشريح العصبي والعروق الحكيم محمد ـ بفتح الأول ـ أفندي دري : علماً وعملاً .

الحادي عشر : شيخنا في علم المواليد الثلاثة : الحيوان ، والمعدن ، والنبات المعروف بالتاريخ الطبيعي ، العلامة الحكيم ، المترجم الفصيح ، المؤلف ، محمد أفندي ندا المصري .

الثاني عشر : شيخنا في علم الكيمياء الطبية المعلم كستيل الفرنصاوي القائم بالمعمل الكيماوي ، بواسطة المترجم : العلامة الحكيم ، الفصيح ، معلم علم المواليد الثلاثة محمود أفندي ندا المصري المذكور .

الثالث عشر : شيخنا في علم الاقرباذين علماً وعملاً الحكيم المترجم المؤلف الاقرباذيني علي أفندي رياض .

الرابع عشر : شيخنا في علم الرمد الحكيم المترجم المؤلف حسين بيك عوف ، مبرىء الرمد بالاسبطالية المذكورة .

الخامس عشر : شيخنا في أمراض الجلد الحكيم علي أفندي رضوان .

السادس عشر : شيخنا في الداء الزهري والامراض الباطنة على أسرة المرضى الحكيم عبد الرحمان به الهراوي .

السابع عشر : شيخنا في مشاهدة الحيوانات المصبرة وأحجار المعادن البرية والبحرية الحكيم زهران أفندي .

الثامن عشر : شيخنا في تشخيص أمراض النساء والاطفال في اسبطالية أمراض النساء العلامة الحكيم الجرائحي » .

هؤلاء أساتذة عبد السلام العلمي الذين تلقى عنهم الطب بالقاهرة ، ولنا عودة لتتميم الحديث عن هذه الشخصية ، وانما نشير هنا الى قصيدته التي انشأها وأنشدها بمناسبة ختم دروس الجراحة من طرف أستاذه محمد علي باشا البقلي الذي يتصدر لائحة أشياخه ، وفيها ينوه الطالب المغربي بالمدرسة الطبية المصرية ، ويشيد ـ بالخصوص ـ بمقدرة أستاذه .

والقصيدة على روي الدال من بحر الكامل ، في 26 بيتاً ، ومطلعها :

يــا لائمي في تـنـقــلي وبـعــاد وفــراقــي لــلاوطــان والاولاد

وقد أثبتها ناظمها برمتها في كتابه : « ضياء النبراس » عند مادة « هواء » .

ثانياً : إلى أوروبـــة

يرتقي البعض[1] بهذه البعثات الى عصر المولى عبد الرحمن بن هشام ، ويذكر عنه أنه بعث بأربعة طلبة الى أوروبة لدراسة الهندسة وما اليها ، ويسمي منهم أحمد المدعو حيدة بن عبد الله بن المهدي بن عبد السلام كراو الاسفي ، المتوفي عام 1293هـ/ 76-1877م ، كما أن مؤلف الحلل البهية[2] يسجل أن محمداً الرابع بعث بمجموعة من الطلبة إلى أوروبة ويقول في هذا عن نفس السلطان :

« . . ووجه لتعلم الهندسة والحرب عدداً من الطلبة أبناء المسلمين لبلاد الروم ، فتعلموا ما يكفي من ذلك وما يحتاج إليه من علم الهندسة وكيفية حرب النظام » .

ولكن البعثات المغربية إلى أوروبة انما ازدهرت على عهد الحسن الأول ، وكانت هذه الظاهرة من أبرز ميزات عصره ، وقد كان الاتجاه الغالب على تعليم هذه البعثات هو الناحية العسكرية ، وهناك عدد منهم درسوا مواد مدنية ، وكما سنرى في اللائحة الآتية ، فانهم ـ بعد اتمام دراستهم ـ كانوا يشتغلون في بعض مرافق الدولة حسب خبرتهم ، وقد

---

(1) هو المؤرخ الكانوني في « جواهر الكمال ، في تراجم الرجال » ج 1 ص 13 - 14 .
(2) مخطوطة المكتبة الملكية رقم 1019 ـ ص 223 .

كانت فرقة منهم في حاشية الحسن الأول ، ويطلق عليهم اسم « طلبة الالسن »[1] .

ولا يزال غير معروف ـ بالضبط ـ عدد أفراد هذه البعثات وتفاصيل دراساتهم ، وأهم ما لدينا ـ في هذا الصدد ـ هو اللائحة الواردة في « العز والصولة »[2] لابن زيدان ، وقد اقتطفها من بعض السجلات المحفوظة بالمكتبة الزيدانية بمكناس ، وهذا نص اللائحة :

تقييد من توجه لبر النصارى بالامر الشريف أسماه الله

في تاريخ 1291 :

أمر مولانا أيده اللّه بتعيين خمسة عشر مهندساً يتوجهون لبر النصارى لتعلم اللغات العجمية ، ولما وصلوا لطنجة أقاموا بها يتعلمون مبادىء الالسن ، ثم فرقوا على أجناس أوروبا ، فتوجه منهم لبلاد اللنجليز ثلاثة :

السيد محمد الجباص الفاسي ، والسيد ادريس بن عبد الواحد النسب ، والسيد الزبير سكيرج النسب ، فأقاموا بها أعواماً خمسة ورجعوا للحضرة الشريفة ، ثم كلف منهم ادريس بن عبد الواحد بطبجية طنجة ، وهو الآن بها ، والزبير سكيرج مكلف بتركيب الموازين بالمراسي السعيدة وما زال بها ، والسيد محمد الجباص في الخدمة الشريفة .

وتوجه منهم للطليان ثلاثة : السيد المختار الرغاي البخاري ، والسيد محمد بناني الفاسي ، والسيد عبد السلام الوديي ، فأقاموا بها أعواماً تسعة ، ورجعوا للحضرة الشريفة ، وهم الآن حاضرون في الخدمة الشريفة .

وتوجه منهم لاصبانيا ثلاثة : السيد أحمد بن الحاج العباس ابن شقرون الفاسي ، والسيد عبد السلام الرباطي ، والسيد محمد الشرادي الرباطي ، فأقاموا بها أعواماً تسعة

---

(1) جاء ذكر هذه الفرقة في العز والصولة ج 1 ص 221 .

(2) ج 2 ص 150 - 160 .

ورجعوا للحضرة الشريفة ، منهم السيد محمد الشرادي حاضر في الخدمة ، ورفيقاه سرحا لصلة الرحم .

وتوجه منهم لفرنصا ثلاثة : السيد قاسم الوديي ، والسيد الطاهر بن الحجاج الوديي ، والسيد محمد بن الكعاب الشركي ، فأقاموا بها الى الآن ، سوى واحد منهم بالحضرة الشريفة ، وهو قاسم الوديي ورفيقاه ، يترجمون على المعلمين .

وتوجه منهم للبرص ثلاثة : السيد الميلودي الرباطي ، والسديد الحسين الوديي ، والسيد عبد السلام الدسولي ، فأقاموا بها أعواماً 12 ، ورجع منهم للخدمة الشريفة اثنان : السيد الميلودي الرباطي ، والسيد الحسين الوديي .

وهؤلاء الخمسة عشر يدعون بخطوط أيديهم أنهم بعد تحصيل اللسان حصلوا جل العلوم الحربية والهندسة ، وحيث أنهم ما زالوا لم يستخدموا في شيء مما تعلموه لم يتحقق عندنا صدق ما يدعون ، وانما تظهر ثمرة الاعمال بتطبيق القواعد على الأعمال .

ثم في تاريخ ربيع الثاني عام 1293 :

أمر مولانا أيده الله بتوجيه 25 من شبان العسكر لجبل طارق لتعلم حرب العسكر باللغة اللنجليزية ، فعينوا وضباطهم ـ حينئذ ـ قائد المائة الأول سي علال بن بلا المراكشي ، وقائد المائة الثاني سي بناصر بن عبد الرحمن أغافي القصابي ، والمقدم الأول المختار بن بناصر المراكشي ، والمقدم الثاني العربي ابن التاودي السقاط الفاسي ، فتوجهوا وأقاموا أعواماً2 ، وورد منهم 12 للحضرة الشريفة في رفقة ماكلين الحراب ، ثم بعد مجيئهم في تاريخ 1294 أمر مولانا أيده الله بتعيين 70 من العسكر كذلك يلحقون بالثلاثة عشر الباقين بجبل طارق ، وهم طبجية 10 ، وطلبة 5 ، وهم : مولاي أحمد بن الحسن الطيب ، والسيد حمان الجامعي ، والسيد ادريس الشرادي ، والسيد الجيلالي البخاري ، والسيد الجيلالي الشرادي ، وانتخبوا على يد ماكلين ، الجميع 85 ـ وقبضوا بفاس الكسوة والفراش وسافروا .

ثم بعده مدة أمر مولانا أيده الله بتعيين 170 من العسكر يتوجهون لجبل طارق بقصد التعليم بدل من هناك من العسكر ، ثم عينوا وكان رئيسهم القائد محمد الزروالي الحارك الآن بزيان ، وتوجهوا ، ولما وصلوا رجعت الاربعة والثمانون التي فرغت من التعلم مع الثلاثة عشر التي كانت بقيت من الخمسة والعشرين الأولى ، فيهم القائد علال ابن بلا رحمه الله، وتركوا هناك الحاج علي المومني من الأولين في عشرة منهم بقصد تبصير المئة والسبعين ، فأقاموا مدة تعلموا ورجعوا للحضرة الشريفة ، فجملة من تعلم الحرب بجبل طارق : 280 .

ثم في تاريخ 1301 :

أمر مولانا أيده الله بتوجيه خمسة طلبة وخمسة عشر عسكرياً على يد الحاج محمد بركاش لتعلم حرب المدفع الجديد الذي يعمر من وراء بفابركة كروب من أيالة البروص ، فالطلبة هم : السيد العربي بن الصديق ، والسيد أحمد بن القايد رحمه الله ، وزاد عليهم بركاش سبعة طلبة ، منهم من طنجة ثلاثة : وهم السيد محمد الدردب ، والسيد محمد بن الفقيه ، والسيد محمد الفيلالي ، ومن سلا السيد محمد النجار ، وأحمد الحجام ، ومن الرباط السيد محمد سباطة ، والسيد أحمد الشديد . والعساكرية هم : السباعي البرطاعي ، وأحمد الرحماني ، ومحمد القصري ، وابن ميلود المكناسي ، ومحمد العوني ، وأحمد الحمري ، ومبارك العبدي ، ومحمد الداودي ، والعربي المكناسي ، ومحمد السوسي ، ومحمد المسفيوي ، وسعيد الحمري ، ومحمد بن الحاج الهشتوكي ، ومحمد الوعدودي ، وابن أبي شعيب الدكالي ، الجميع 27 ، فتعلموا ورجعوا كلهم ، أما العساكرية فهم في الخدمة ، ومنهم توجه حرابان لآسفي والصويرة ، وأهل طنجة وسلا والرباط سرحوا لصلة الرحم ، والمهندسون منهم هنا اثنان ، واثنان توجها للمراسي يقفان على اصلاح الابراج ، وواحد توفي رحمه الله .

ثم في تاريخ شعبان عام 1302 :

أمر مولانا أيده الله بتعيين 12 لبلاد الفرنصيص لتعلم بارود الديلاميت

وتلكراف ونصب القناطر وصنع الحدادة والنجارة لصنع سرائر المدافع وكراريط الاثقال ، وكذا صناعة الخرازة لصنع اقامة الجر وسباط الطبجية والعسكر ، وفيهم طلبة خمسة ، وصناع سبعة ، ومعهم السيد محمد العلج البردقيزي ترجمان .

فالطلبة هم السيد محمد بن عبد الرحمان العلج ، والسيد عبد الله بن العربي الوديي ، والسيد صالح التدلاوي ، والسيد علال بن محمد البخاري ، والسيد محمد بن سعيد القرقوري الفاسي .

والصناع هم : محمد بن عبد الرحمان التطواني ، وأحمد بن عبد الرحمان التطواني ، ومحمد بن أحمد الاصيلي ، والعربي بن عبد السلام الجديدي ، ومحمد بن الهواري المسفيوي ، وعمر بن محمد المسفيوي ، ومحمد بن عبد الرحمان المسفيوي .

فتوجهوا وما زالوا في التعليم ، سوى اثنين منهم رجعاً ، واحد من الجديدة ، وواحد من آسفي ، فالجديدي حاضر ، والآسفي توجه لسوس لهد أرض معدن الخفيف بمينة الديلاميت .

ثم في تاريخ 1301(*) :

أمر مولانا أيده الله بتعيين عدد من المتعلمين لتعليم الحرب ببر النصارى على يد الامين الحاج محمد بركاش ، والامين التازي ، فعينوا وتوجهوا من مكناسة وأقاموا في التعلم عامين ، وكان سرح منهم بركاش لصلة الرحم بفاس 13 ، وبمكناس 10 ، وحاضر منهم هنا في الخدمة 23 ، وباقي غياب 16 ، جميع 62 ، وهؤلاء كلهم تعلموا ، فمنهم من تعلم صنعة استخراج الحديد من المعدن ، ثم استخراج الهند من هذا الحديد ، ومنهم من تعلم صنعة المدافع وما يتعلق بها ، ومنهم من تعلم صنعة جعاب المكاحل ، ومنهم من تعلم سرائرها ، ومنهم من تعلم زناداتها ، ومنهم من تعلم حل المكاحل وتركيبها وطلاء جعابها ، ومنهم من تعلم صنعة قرطوسها ، ومنهم من تعلم صنعة قرطوس الصيد وقرطوس الكوابيس .

(*) علق المؤلف هنا بقوله : كذا بالاصل ، وهو مخالف لما سلكه من ترتيب التواريخ .

تفصيل الثلاثة والعشرين الحاضرة بالخدمة

منها مع المعلم ادريس زولو سبعة ، وهم الحاج ابن جبارة ، وادريس البخاري ، والعرفاوي البخاري ، ومحمد حيات البخاري ، والجيلاني بن مبارك البخاري ، والمختار البطاحي ، والمحجوب البزيوي ، وهؤلاء السبعة تعلموا صنعة المكينات .

وفي الحرابة أربعة تعلموا صنعة القرطوس : أحمد بن موسى ، والحسن الخلطي ، وعبد السلام الوديي ، وأحمد المراكشي رحمه الله .

وفي المؤونة مع حرابة البروص وهم 12 : قدور الميلودي البخاري ، تعلم صنعة جعاب المكاحل بالمكينة ، محمد بن ميمون الفاسي ، تعلم حل المكاحل وشدها وطلائها ، عبد السلام العلمي كذلك ، ادريس بن الحاج العربي الفيلالي تعلم صنعة جعاب المكاحل ، صاحبه : الحاج محمد لفيتة كذلك ، عيسى بن محمد البخاري ، تعلم صنعة سرائر المكاحل بالمكينة ، عبد النبي البوحلي البخاري تعلم صنعة سرائر المكاحل بالمكينة ، محمد الرامي البخاري كذلك ، المكي بن عبد السلام ولد العنبر ، تعلم صنعة القرطوس ، عبد القادر الركاني كذلك ، المعلم حمان المراكشي تعلم صنعة استخراج الحديد من المعدن ، ثم استخراج الهند من ذلك الحديد بالمكينة ، صاحبه المعطي بن ابراهيم كذلك ، الجميع : 23 .

يزاد عليها من فاس 13 ومكناس 10 وغياب 16 ، الجميع : 62 .

يزاد السبعة والعشرون التي تعلمت حرب المدفع والعسكر بالبروص 27 : جميع 89 .

منها على يد بركاش 83 ، وعلى يد الامين التازي 6 : الحاج محمد التاغزوتي ، الحاج محمد لفيتة ، ادريس الكيسي ، أحمد بن العربي الفيلالي توفي ، محمد بن ميمون ، عبد السلام العلمي .

انتهى تقييد من تعلم ببر النصارى .

تقييد المتعلمين الواردين من البلجيك وبيان أسمائهم والحاضر منهم والغائب

في متم ربيع النبوي عام 1305 :

1) المعلم محمد بن علي الفاسي ـ تعلم صنعة تحدادت وتركيب المكينات ، وهو الآن بباب سيدنا نصره الله .

2) محمد المنظري الفاسي ـ تعلم صنعة تحدادت وتركيب المكينات وتخديم المخاريط ، وهو حاضر بالحضرة الشريفة .

3) الحسن الجنذي ـ تعلم صنعة تحدادت وتركيب المكينات ، وهو حاضر .

4) أحمد الجنذي ـ تعلم صنعة تفصيل مكينة النجارة وتركيبها ، وهو حاضر .

5) محمد الودغيري ـ تعلم كيفية فرغ المدبر وتركيب المكينات ، وهو حاضر .

6) عبد الرحمن البغدادي ـ تعلم كيفية تصفية المعادن ، وهو حاضر .

7) حمان بن التهامي ـ تعلم صنعة فرغ النحاس ، وهو حاضر .

8) علي بن قدور الحياني ـ تعلم صنعة فرغ المدبر وتركيب المكينات ، وهو حاضر .

9) محمد بن ميمون ـ تعلم صنعة المدافع وتركيب المكينات ، حاضر .

10) ادريس بن وحود ـ تعلم صنعة فرغ المدبر ، وهو حاضر .

11) محمد الحمدي الصفريوي ـ تعلم صنعة تفصيل مكينة النجارة وتركيبها ، وقد وقع به لطف الله وقطعت يده .

12) حمان المراكشي ـ تعلم صنعة فرغ المدبر وفرغ المعادن وتصفيتها وتخديم مكينة النجارة ، وهو الآن بمراكش .

13) المعطي بن ابراهيم صاحبه ـ تعلم صنعة تصفية المعادن ، وهو بمراكش .

14) ادريس زولو ـ تعلم صنعة القرطوس ، وهو بمراكش .

15) الجيلاني بن مبارك ـ تعلم تخديم مكينة القرطوس ، وهو بمراكش .

16) المختار المكناسي كذلك .

17) العرفاوي بن الطاهر كذلك .

18) محمد حيات كذلك .

19) المكي بريطل كذلك .

20) الحاج عبد القادر الركاني كذلك .

21) أحمد بن موسى ـ تعلم صنعة قرطوس الصيد وهو بمراكش .

22) المحجوب البزيوي كذلك .

23) الوعدودي البيضاوي ـ تعلم تخديم مكينة النجارة وسبك الحديد وهو الآن بالبيضاء .

24) أحمد بن الحسن ـ تعلم تركيب بابورات البر وسائر المدافع ، وهو حاضر .

25) محمد بن الحفيان ـ تعلم تركيب المكينات وتخديم مكينات النجارة ، حاضر .

26) أحمد بن علي العلج ـ تعلم تركيب المكينات وتخديم برمات البخار ، حاضر .

27) محمد بن الموذن ـ تعلم تركيب بابورات البر وسائر المدافع وتخديم برمات البخار ، وهو حاضر .

28) عبد الله الزموري ـ تعلم تخديم المزرات وفرغ المدبر ، حاضر .

29) أمان العباس ـ تعلم تخديم بابورات البر ، حاضر .

30) سالم بن إبراهيم كذلك .

31) عباس بن المصطفى كذلك .

32) العرفاوي بن الحاج كذلك .

33) محمد بن زروق كذلك . (*)

34) ابن عيسى بوروابن كذلك ، توفى رحمه الله .

35) أحمد المراكشي ـ تعلم صنعة القرطوس رحمه الله .

36) الحسن الخلطي ـ تعلم صنعة القرطوس ، حاضر بطابور الحرابة .

37) عبد السلام الوديي كذلك .

38) المعلم محمد المكناسي ـ تعلم صنعة الزنادات ، حاضر .

39) العباس بن قاسم كذلك .

40) عبد القادر بن الميلودي كذلك .

41) محمد بن العربي ـ تعلم صنعة السرائر ، حاضر .

42) ابن عيسى بن محمد ، كذلك .

43) محمد بن الرامي ، كذلك .

44) عبد النبي البوحلي ، كذلك .

45) أحمد بن صالح ـ تعلم صنعة الجعاب ، حاضر .

46) بوسلهام بن حم ، كذلك .

47) أدريس الحداد ، كذلك .

48) محمد بن العباس كذلك ، هؤلاء كلهم عينوا على يد بركاش . وعلى يد التازي :

49) الحاج محمد التاغزوتي ـ تعلم صنعة الزنادات ، وهو بالعرائش .

50) الحاج محمد لفيتة ـ تعلم صنعة جعاب المكاحل ، وهو بالعرائش .

(*) ـ هذا ثامن ثمانية تعلموا ـ حسب هذه اللائحة ـ تركيب أو استخدام بابورات البر ، ومن هنا ندرك احدى خطوط الاصلاحات التي كان مزمعاً اجراؤ ها في عهد الحسن الأول ، حيث توقفت أكثر المشاريع الاصلاحية بوفاته .

51) محمد بن ميمون ـ تعلم حل المكاحل وشدها وطلائها ، حاضرها .

52) عبد السلام العلمي ، كذلك .

53) ادريس بن الحاج العربي الفيلالي الجعايبي رحمه الله .

54) ادريس الجيسي الزنايدي ، بالعرائش .

55) أحمد بن العربي الفيلالي الجعايبي رحمه الله .

انتهى تقييد المتعلمين الواردين من البلجيك . صح منه » .

* * *

واذا انتهت هذه اللائحة نذيل عليها ببحث مفيد حول احدى هذه البعثات ، وهي التي توجهت لفرنسة في شعبان عام 1302هـ . فقد نشرت مجلة هسبريس « عام 1954 مجلد 31ص 121 » ، بحثا بقلم جاك كايي حول المغاربة المتمرنين في مدرسة الهندسة العسكرية في مونبيليي بفرنسا ، « من عام 1885 الى 1888 » ، وكانت هذه البعثة تحتوي على اثني عشر مغربياً ، توجهوا الى فرنسا في 24يونيه 1885 صحبة ميكيل دوكاسترو قنصل البرتغال السابق ، الذي أسلم ودخل في خدمة السلطان .

وبعد مرور سنتين رجع دوكاسترو الى المغرب ، لأن الطلبة المغاربة كانوا قد حذقوا ـ في نظره ـ اللغة الفرنسية ، ولم يعودوا في حاجة إلى ترجمان ، وقد سكن الطلبة القلعة ، أي ثكنة الهندسة العسكرية ، وقد جاءوا الى فرنسا بلباسهم المغربي ، فاضطروا الى التكبط على الطراز الغربي ، مع الاحتفاظ بالطربوش ، وكان السلطان يدفع فرنكين اثنين في اليوم لكل طالب .

وكانوا يدرسون صباحاً ومساء ما عدا يومي الجمعة والأحد ، فيقضون الصباح في دراسة اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية ، وفي شهر مايو 1886 رجع اثنان منهم الى المغرب .

أما دروس العشي فقد كانت مخصصة ـ مبدئياً ـ للأعمال التطبيقية : من تمارين

نارية ، وتحصينات ، وبناء خنادق وأجهزة الدفاع ، وضـرب الأخبية ، وصنـع آلات الحصار ، وكان الطلبة المغاربة الخمسة يسجلون الملاحظات ، ويحررون مـذكرات في الموضوع ، نظراً لمستواهم الثقافي المناسب ، وصار اثنان منهم يتلقيان ـ بطلب منهما ـ دروساً في التلغراف الجوي مع الجنود الفرنسيين ، ثم أضيفت الى الدروس النظرية النحو الفرنسي ، ودروس الاشياء ، والتعمق في الحساب والهندسة ، ثم خمسون درساً في علوم الهيئـة والريـاضيات والكيميـاء ، ثم دروس في التلغراف والتلفـون وعلم البصريـات والكهرباء والضغط الجوي وترصيف الطرق والسكك الحديدية ، ثم اثنا عشر درساً في مساحة الأراضي وتحرير التصميمات الهندسية ، وكان معظم الطلبة يتابعون الدروس بعناية ، وقد لاحظ دوكاسترو نفسه سوء اختيار الموظفين المغاربة لبعض أعضاء البعثة .

وبقي في المدرسة تسعـة شبان واصلوا دراستهم الى خـريف 1886 حيث تقرر ارجاعهم ، ولكن وزير فرنسا في طنجة الذي كان يرى أن البعثة المغربية يجب أن تثير في ذهن أعضائها فكرة عظمة الحضارة الفرنسية ، أوعز باطالة مقام الوفد المغربي ، وكان ذلك من السهل ، حيث ان الحسن الأول كان قد قرر عدم عودة الشبان المغاربة من مدرسة الهندسة إلا بعد الحصول على تكوين تام ، لهذا وقع تحضير برنامج جديد لعام 1887 أطول وأدق من برامج السنوات الأخرى ، وما كادت تهل سنة 1888 حتى كان المتمرنون قد وعوا وحذقوا كل ما يمكن في الهندسة العسكرية ، وفي شهر مايه من نفس السنة أنهت فرنسا الى علم الصدر الأعظم أن من المناسب عودة البعثة الى المغـرب ، وتعويضها بفوج جديد من الطلبة ، ووصل الطلبة الى طنجة في دجنبر ، حيث اقتبلهم مندوب السلطان محمد الطريس ، وعبر لممثل فرنسا باسم السلطان عن كامل الارتياح الذي يشعر به ازاء التطور الفكري ، والثقافة التي حصل عليها مواطنوه بفرنسا ، وكان الصدر الأعظم قد كتب الى باريس ، طالباً أن يظل بفرنسا أربعة أو خمسة من الطلبة بضعة شهـور أخرى ، للتـدريب في الكهـربـاء ، من أجـل تسيـير دواليب الآلات المهـداة للسلطان .

وفي يونيه 1888 تبودلت المذاكرة في شأن تعويض المتمرنين المتخرجين بخمسة عشر

من الشبان المغاربة ، يوجهون الى فيرساي ، حيث ترابط فرقة للمدفعية ، وأخرى للهندسة ، ولكن كل ذلك لم يتم لاسباب مجهولة[1] .

* * *

والآن نأتي بثلاثة ظهائر للحسن الأول ، في صدد ثلاث بعثات الى أوروبة ، نص الأول [2]. بعد الافتتاح :

« خديمنا الارضي ، الطالب ، محمد بركاش ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس ترايست [3] والمكينة [4] وعلم البحر ، وان يفرقوا على نواب بابورات النجليز والفرنصيص والصبنيول والالمان والطليان ، وعددهم ستة لكل جنس ، واثنان من الستة المذكورين يخصون بتعليم ترياست والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند كل جنس ممن ذكر ، وأربعة لتعلم علم البحر ، وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين ، ويكون صائرهم على جانب المخزن ، اذ المقصود هو تعلمهم ، وعليه فكلم نواب الأجناس المذكورين في ذلك وتفاوض معهم فيه ، وأعلمنا بجوابهم لك فيه ، لنأمر بما يكون عليه العمل في ذلك ، وعجل ولا بد ، والسلام ، في عاشر رجب عام 1299 » .

ونص الثاني[5] بعد الافتتاح يخاطب الامبراطور غليوم عاهل المانية :

« أما بعد : فان المحبة والصحبة والصداقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل ، أوجبت توجيه أشخاص نجباء أخيار من هذه الآيالة لبلادكم الرفيعة المصونة

---

(1) تاريخ المغرب للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ج 2 ص 88 - 89 .

(2) العز والصولة ج2 ص 148 — 149 مع الاتحاف ج 2 ص 470 — 471 ، وأصله عند نهليل : لوحة 59 .

(3) قيادة السفن .

(4) الميكانيك .

(5) « العز والصولة » ج 2 ص 154 ، مع « الاتحاف » ج 2 ص 468 - 469 .

بقصد الزيادة في تنقيح ذكائهم ، وتهذيب أخلاقهم ، بآداب السياسات العالمية ، من العلوم العسكرية والطبجية ، وما في معناهما ، التي فقتم بها ، وانفردتم بتحرير علومها وتدقيقها ومعرفتها على حقيقتها ، وانتخبنا من يتوجه معهم ، وهو خديمنا الارضي ، الانجح ، الحاج محمد ، ابن خديمنا الارضي ، الانصح ، الارشد ، الخير ، النائب ، محمد بركاش ، ونحن على يقين من أنكم تقابلونه بزائد القبول ، وتبلغونه من الاعتناء والمبرة غاية المأمول ، ويحظى من معه من المتعلمين المشار اليه من جانبكم الرفيع بتمام القبول ، والبرور والاعتناء ، حتى يحصلوا ـ في أقرب مدة ـ على المراد ، كما ينبغي ويراد . . وحرر في 24 من المحرم ، فاتح 1302 » .

ونص الثالث[1] بعد الافتتاح :

« خديمنا الأرضي ، القائد الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد كلفنا الخديم الطالب عبد الرحمن بركاش ، بتوجيه الطبجي الحاج محمد زنيبر السلاوي لبلد الالمان ليتعلم بها تطبجيت .

فنأمرك أن تدفعه له ليتوجه لذلك على يده ، والسلام ، في 15شوال عام 1306 » .

* * *

وهذه بعثة أخرى لم يرد ذكرها من قبل ، وكانت توجهت إلى ايطالية من عام 1306هـ/1888م ، ومن حسن الحظ أن نتوفر على مذكرة لاحد طلبة نفس الارسالية ، وهو المرحوم السيد الحسين الزعري السلاوي ، الذي تأخرت وفاته الى عام 1375هـ/1955م .

والى جانب سير دراسة البعثة ، فان المذكرة تضيف لذلك معلومات قيمة عن مشاريع وظروف المغرب حوالي سنة 1900م .

---

(1) من وثائق آل ابن سعيد بسلا .

وكانت البعثة تتركب من فتيان مغاربة تتراوح أعمارهم بين 13 و 16 سنة ، وقام السفير الايطالي جنطيلي Gentité بجولة لانتخاب الطلبة المرشحين للذهاب إلى ايطالية ، فاختار من مدينة الرباط عشرة ، ومن سلا خمسة ، ومن العرائش أربعة ، ومن طنجة ثلاثة ، ومن فاس اثنين ، وهذا نص المذكرة[1] في شيء من التصرف :

توجهنا الى طنجة في فاتح سنة 1306 ـ الموافق لسبتمبر 1888م ـ ومكثنا بها 18 يوماً ريثما هيئت لنا الكساوي ، وفي اليوم الثامن عشر من نفس الشهر رست الباخرة الحربية : ضانضولو «Dondolo» الايطالية ونقلتنا الى ايطالية ، وبعد يومين رست بنا في مدينة جنوة ، وهناك وجدنا في استقبالنا مدير المدرسة التي سنلتحق بها وهو السنيور « أوغستين دي قروصي » ، وبعد أن بتنا ليلة بالفندق اتجهنا على طريق السكة الحديدية الى مدينة « طورينو » ، الكائنة بسفح « بيمنطي » بين نصف دائرة جبال الالب ، وعند الوصول أقيمت لنا حفلة بالمدرسة بمجرد دخولنا اليها ، واستقبلنا التلاميذ والاساتذة .

وقد كان مرورنا من المحطة الى المدرسة محط التفات الانظار الينا بكامل العجب ، خصوصاً وقد كنا ما نزال نرتدي الزي المغربي : « كساوى المحصور من ثوب الملف » التي لبسناها في طنجة .

المدرسة الملكية الدولية الايطالية :

هذا هو اسم المدرسة ، وشعارها : « الاخاء الاجنبي » Frate Exaovenis . أي « ان كل الاجانب الموجودين بهذه المدرسة هم اخوة » .

والمدرسة مربعة الشكل ، طبقتها السفلية تحتوي على بيوت للدراسة ، وعلى قبة بمدخل الباب تعلو قاعة فسيحة لاستقبال الناس ، وقاعة فسيحة أخرى لجلوس التلاميذ وقت الراحة ، والطبقة العليا عبارة عن حجرات من الخشب : هي بيوت لنوم التلاميذ

---

(1) يعود الفضل في الكشف عن هذه المذكرة ونشرها الى الاستاذ الحاج أحمد معنينو ، حسب مجلة دعوة الحق ، العدد الأول ، السنة الثانية عشرة ، ص 143 - 148 .

الداخليين الاجانب مثلنا .

وهناك تعرفنا بعدد من الشبان جاءوا من أمريكا الجنوبية ، ومن روسيا ، ومن ألمانيا ، ومن فرنسا ، ومن مصر ، والتحقت بنا البعثة الحبشية التي أرسلها الملك « ليقوس منليك » ، كما كان هناك وفد من بلاد البلقان من بينهم ابن أخ ملك الجبل الاسود[1] ، وهذه العائلة كانت لها مصاهرة مع البيت المالك ، من حيث تزوج ولي عهد ايطالية بهيلينة ابنة ملك الجبل الاسود .

وتعرفنا في هذه المدرسة بولي عهد مصر سمو الامير أحمد فؤاد .

الدراسة وتوجيه الطلاب :

بدأنا في أول الأمر بتعلم مبادىء اللغة العربية ، وذلك على يد أستاذ لبناني يعرف بـ « دون ماركس » ، وبتعلم اللغة الايطالية على يد أستاذ ايطالي ، وأخذنا ننتقل من طبقة الى طبقة .

وفي السنة الثالثة استدعانا مدير المدرسة ، وقرأ علينا أمراً ورد من جلالة مولانا السلطان عن طريق نائبه بطنجة وسفير ايطالية . وأخبرنا أن مولانا يريد أن نتفرق على ثلاث فئات :

1 ـ فئة لدراسة تربية الجنود .
2 ـ وفئة لتعلم علوم البحار .
3 ـ وأخرى لتعلم صناعة السلاح .

وكذلك كان الأمر ، فاختار الطلبة :

1 ـ أحمد الجبلي العيدوني	الرباط	المدفعية
2 ـ محمد الحريزي	الرباط	الخيالة
3 ـ علي السوسي	العرائش	المشاة

(1) جمهورية مستقلة من جمهوريات يوغوسلافيا.

4 ـ الحسين الزعري (كاتب المذكرة)[1]	سلا	المشاة
5 ـ محمد الوزاع	الرباط	المشاة
6 ـ محمد التدلاوي	الرباط	المشاة
7 ـ محمد طجة	الرباط	البحرية
8 ـ محمد بن سالم	الرباط	البحرية
9 ـ محمد الشرقاوي البهالي	الرباط	البحرية
10 ـ محمد ولد الباشا	الرباط	البحرية
11 ـ التهامي امبيركو	الرباط	السلاح
12 ـ فضول ابن صالح	العرائش	السلاح
13 ـ مصطفى الاوديي	العرائش	السلاح
14 ـ محمد البرجالي	العرائش	السلاح
15 ـ محمد بن اسماعيل	سلا	السلاح
16 ـ احمد حرضان	طنجة	السلاح
17 ـ العربي حركات	سلا	
(لكنه كان منصرفاً الى النحو والشعر !)		
18 ـ عبد الله التيال	سلا	
هو أنجب الطلاب ، لكنه أصيب بمرض ومات هناك .		
19 ـ محمد القجيري	سلا	
كانت همته فقط منصرفة الى التسطير والتوريق .		
20 ـ مصطفى لحلو	فاس	قانون التجارة والحساب
21 ـ محمد القباج [2]		قانون التجارة والحساب

(1) هو والد السيد مصطفى الزعري الموظف بادارة الامن وأخيه الدكتور ادريس الطبيب الرئيسي الاقليمي ببني ملال .

(2) مجموع ما ذكر الكاتب من قبل هو 24 طالباً ، وهو في هذه القائمة لم يذكر الا 21 طالباً ؟

تفقد البعثة :

وصل الى ايطاليا وفد يترأسه عبد السلام برشيد الشاوي ، وذلك خلال سنة 1892 بأمر مولانا السلطان الحسن الأول ، وكان يحمل هدية ثمينة الى ملك ايطالية تشتمل على أنفس المصنوعات المغربية من الذهب والفضة مرقومة منقوشة ، مما جعل الصحف الايطالية تشيد بذلك مفتخرة ، فلما عزم السيد عبد السلام برشيد على مبارحة رومة قدم الامبراطور هدية ثمينة فاخرة لمولانا الحسن وذكرت الصحف ذلك ، وقال لنا مدير المدرسة ان الامبراطور نزع خاتما من أصبعه وأعطاه للسيد عبد السلام برشيد قائلاً له :

ـ إجعل هذا في أصبع جلالة السلطان ملك المغرب، مغزى للمحبة والوداد اللذين بيننا ، ثم أذن للسيد برشيد بالتجول في المدن الايطالية ، فلما وصل الى مدينة ميلانو اتصل تليفونيا بمدير المدرسة ، وطلب منه أن يأتي مصحوباً بكافة الطلاب المغاربة ، وفعلاً ركبنا في الغد قطار السكة الحديدية ومعنا المدير والأستاذ مدرس اللغة العربية « ماركس » ، وكان استقبالنا بأعظم فندق موجود بساحة « الدومو » ، وأقيمت لنا مأدبة فاخرة ، وزودنا قبل الافتراق بـ « لويز » ذهبي لكل واحد منا ، ورجعنا الى أعمالنا وسافر السيد عبد السلام الى ألمانيا .

تعاون مع إيطاليا :

تعلمنا اللغة الايطالية ، وصرنا نتذاكر بها في طلاقة ، وكان مدير المدرسة السنيور « دي قروصي » يحبني شخصياً ويضع ثقته في ، مما جعله يخبرني بأسرار عديدة ، منها الحلف بين ايطاليا وألمانيا والنمسا ، وما يمكن أن يستفيد المغرب بسببه ، وفعلا تأسس بفاس معمل للسلاح كان مديره هو السنيور « كافيني » كلونيل في العسكرية مع المهندس « نطاري » ، فلما رجع الشبان الذين كانوا بمعمل « بربشية » استخدموا فيه ، وكان أمهرهم فضول والمصطفى ، كما تكلفت دار الصناعة بـ « ليفرنو » بصنع جوالات حربية لحراسة الساحل المغربي ، ويصنع بواخر للنقل ، فالجوالة سميت بـ « البشير » ، وهذا الاسم أخذ من بيتين من الشعر أرسلهما المخزن الى دار الصنعة ، ودار الصنعة أرسلتهما

الى المدرسة ليستخرج منها اسم الجوالة !

ولما رجع الشبان الذين كانوا بمدرسة البحرية بعد دراسة خمسة أعوام تعلما وتجولا في البحار ، وظفهم المخزن الشريف ، وكانوا ذوي خبرة حيث انهم تخرجوا ضباطاً صغاراً Sotta officialé di marina ، كما أن العسكريين حيث رجعوا عملوا بالدائرة المخزنية ، وفي سنة 1900 ألف منهم المخزن الشريف لجنة عسكرية مركبة من : السيد أحمد الجبلي ، والسيد محمد بن عمر ، والسيد محمد التدلاوي ، والسيد الفقيه أحمد التطواني أمين (الصوائر) ، وأرسلهم الى معمل السلاح دار (كروب) بأشن في ألمانيا ، ومن هناك اشتروا مدافع جبلية وغير جبلية ، وقد لقوا عناية واكراما مدة أقامتهم ، والتقوا بوفد تركي فتعرفوا به وكان قصده شراء المدافع كذلك .

الرخص الصيفية لطلبة البعثة :

كنا نقضي مدة العطلة الصيفية : نحن الذين لا نستطيع العودة الى أوطاننا لبعد المسافة بمنطقة « كافور » Gavour ، بجوار جبال الالب ناحية منفيزو ، وكنا دائماً نتجول بين المناطق ونتفسح فيها ، ونصعد الى قمم الجبال المكسوة بالثلوج ، واغتنموا تلك المناسبات فصعدوا بنا الى القلاع السرية الموجودة على الحدود الايطالية ـ الفرنسية ، وهذه القلاع ممنوع دخولها حتى على الايطاليين ، لكن أذن لنا به ، وهكذا كنا نتجول ونمعن النظر في كيفية البناء والتحصين ، وقد تحدث الكلونيل الذي كان مكلفاً بالتجول معنا ، متمنياً أن نقيم مثل هذه القلاع في وطننا ، وانه يسوغ لنا نحن طلبة البعثة الحسنية أن نطلع على أسرار الاستعدادات الحربية ، لان كل ذلك مرخص به لنا من لدن الدولة الايطالية .

مشاريع مغربية اقتصادية :

ان من جملة الاخبار التي أمدنا بها مدير مدرستنا أن جلالة سلطاننا عازم على فتح (بنك) ، وانه قد هيأ لذلك ضمانة قدرها 20.000.000 : عشرون مليوناً من القطع الذهبية : من « الويز ، والضبلون ، والبندقي » ، هذا عدا القطع الفضية من أنواع

السكك التي كانت تروج في قطرنا ، وتعجب من أن ذلك وقع في ظرف ثلاثة شهور فقط ، مما يدل على أن المغرب غني ! ولما قلت له : ان ايطاليا أغنى من المغرب فاجأني قائلاً : انكم أغنى من ايطالية من حيث انه لا ديون عليكم .

وزاد ، فأخبرنا أن معملاً ايطالياً تهيأ لضرب السكة الذهبية والفضية والنحاسية بالعاصمة : فاس ، وان ألمانيا تكلفت ببناء قلاع للدفاع بمدن شاطىء البحر بالمغرب ، وبشرنا أن الراية المغربية سترفرف في البحار كلها من قريب .

طموح صاحب المذكرة :

انصرفت السنة الثامنة منذ حلول البعثة بايطالية ، ورجع الى المغرب الضباط ، والضباط العسكريون ، وصانعو السلاح . . وتأخرت أنـا عن الرجـوع ، ذلك لانني أخذت أتعاطى دراسة اللغات الاجنبية بترخيص من وزارة الداخلية الايطالية ، وهكذا انخرطت في المدرسة العليا بمدينة (طورينو) وبقيت في ايطاليا حتى سنة 1898 الى أن حصلت على الشهادة التي كنت أرغب فيها .

وقد كان في نيتي أن أنتقل الى مدينة « فلورانس » لتتميم دروسي في اللغات ، وخصوصاً اللغة الالمانية مع دراسة (الحقوق الدولية) ، لكن الصدر الأعظم الفقيه السيد أحمد بن موسى أرسل كتاباً يأمرني فيه بالرجوع الى المغرب ، وكان رجوعي في شهر نـونبر 1898 ، فلم يبق من أعضاء البعثة بعدي سوى طالبين من طنجة ، وقد خسرت البعثة الطالبين عبد الله التيال ومحمد القجيري اللذين توفيا هناك رحمهما الله .

استقبال الطالب العائد من طرف المسؤولين :

في أوائل نـونبر 1898 أقلعت الباخرة من جنوة ، وفي اليوم الرابع رست بركابها بطنجة ، وبمجرد نزولي قصدت في الحين دار النيابة ، وحييت الفقيه الغيور السيد محمد الطريس نائب الدولة هناك بما يليق بجنابه من التحيات ، فرح بي وسألني عن عدة أشياء فأجبت بما أستطيع ، ثم أمر (الأمناء) أن ينفقوا على خياطة كسوة من الملف ، وبعد 20

يوماً رحلت بحراً الى الجديدة ومنها إلى مراكش ، وبادرت الى دار المخزن حيث حضرت لدى الفقيه الوزير السيد أحمد بن موسى ، وقد طلب مني أن أحضر الى منزله مساء نفس اليوم على الساعة الرابعة ، وفي مكتب خاص بمنزله استقبلني على أنفراد ، وأخذ يلقي أسئلة دقيقة عما وقع مع مدير المدرسة ومع وزير الخارجية ، واستمرت هذه الجلسة الاستخبارية الى الغروب . . . وعاد فطلبني أن أحضر مرة أخرى صباح الغد لدار المخزن بالصدارة على الساعة التاسعة صباحاً ، وودعني وودعته بما يليق بجانبه .

وفي الغد لما مثلت بين يديه في الوقت المعين ، أمر « مخزنياً » ان يصحبني الى وزير المالية السيد عبد السلام التازي الرباطي ، وقد أحسن الامين[1] استقبالي ، وأجلسني بقربه لما أتاه المخزني بملف يحتوي على مراسلات متنوعة وحوالات ، ودفعه الي طالباً مني أن أنظم ما في الملف ، وفي الحين انتقلت الى حجرة مجاورة وفتحت الملف ، واذا بجميع المراسلات باللغة الانجليزية ، فنظمتها كما يجب ، بحيث جعلت المراسلات التي أجيب عنها على حدة ، والتي لم يجب عنها على حدة أيضاً ، كما فرزت الحوالات التي دفع واجبها من التي لم يؤد واجبها بعد ، وقد أعجب الامين بعملي ، وبلغ ذلك للصدر الأعظم فاستحسنه أيضاً ، ووجهني الى وزير الحربية ـ العلاف ـ السيد سعيد ، فوجدت معه الفقيه السيد محمد الجباص الذي أخبرني انه كان في بعثة قبلنا الى لندرة ، وجرت بيننا محادثة باللغة الانجليزية ، وعمل السيد محمد على تسجيلي في كناش خاص بصفتي عارفاً باللغات الاجنبية ، وخصص اجرة شهرية قدرها 24 ريالا ، وأوصاني جناب الوزير السيد سعيد أن اتردد عليه ، بل أسكنني بدار قرب داره ، وذلك ليطلعني على مراسلات جلها فرنسية ، ومضمنها قواعد حربية وضوابط سياسية .

العودة الى مسقط الرأس :

بعد مكثي بالعاصمة الجنوبية مدة ثلاثة أشهر ، أمر باحضاري جناب الصدر الأعظم بين يديه ودفع لي ثلاث رسائل ، احداها لسيادة باشا سلا السيد عبد الله

(1) ذكر الكاتب هذا المسؤول بلقب الوزير ثم بلقب الأمين .

بنسعيد ، والثانية لامين مرسى الرباط السيد عبد الخالق افرج ، والثالثة للعمال لاطلعهم عليها أثناء سفري ، وأمرني أن أعود الى الحمراء بعد صلة الرحم مع والدي ومع عائلتي ، ذلك لأنه ينوي أن يبعثني الى أوروبا لأغراض وحاجات أبقاها بنفسه ، يود مني أن أقضيها هناك .

وبارحت مراكش في يبراير1899[1] ، وقد كانت رحلتي من مراكش الى سلا عبارة عن نزهة بسبب الاعتناء والبرور اللذين لقيتهما مراعاة لتوصية جناب الصدر الأعظم ، ولما حللت بسلا سلمت لباشا سلا رسالته ، كما مكنت أمين المرسى من كتابه ، وقد أمر بعد قراءته بأن يدفع لي 100 ريال حسنية ، وقد تعرفت على موظف هو السيد عبد السلام الفاسي الذي أخبرني انه كان في البعثة الأولى بمدريد ، ولذلك تحادثنا باللهجة الاسبانية ، وقبل أن أنصرف أخبرني الامين بأن المخزن أعزه الله أمر لي بـ 24 ريالاً شهرياً ما دمت في سلا .

وما مضى شهران حتى استدعاني امين المرسى السيد عبد الخالق افرج ، وقرأ علي مراسلة يوافق فيها الصدر الأعظم على اقتراح الامين بأن أبقى بجانبه ، لأكون واسطة بينه وبين المهندس الالماني « روطينبورغ » Rotten Pourg المكلف ببناء برج الرابطة ، وهكذا أصبحت موظفاً بالرباط ، فالتقيت بالمهندس الذي سر سروراً كبيراً بمعرفتي ، اذ سيمكنه التفاهم بواسطتي مع الامين في كل ما يحتاج اليه ، وقد حصلت لي معه ألفة ، فأطلعني على الاتفاقية المبرمة مع مدير معمل السلاح : كروب Krup بمدينة أشن ، وانه بـ « مقتضى هذه الاتفاقية » صار المهندس مكلفاً ببناء تسع قلاع بمدن الساحل ، كل قلعة تحتوي على مدفعين من ذوات القذف البعيد ، وتسهيلات للاعمال تبرعت « دار كروب » بتأسيس سكة حديدية لنقل المعدات والاثقال من البحر الى مراكز القلع ، وتقرر أن تبنى القلاع الثمانية بعد بناء قلعة الرباط وتجربتها .

وخلال هذه المدة كان الحاج محمد سباطة يدرب فرقة من الرجال ، ويعلمهم فنون

---

(1) هذا ما أثبته صاحب المذكرة وفيه التباس بالنسبة لتاريخ رجوعه الى المغرب .

« كذا » حربية وكيفية تسيير حركة المدافع مع فنون الرماية ، هذا ، عدا جماعة المدفعيين التي كانت قائمة بحراسة الابراج والقلاع القديمة وتتدرب على اطلاق المدافع ، وبسلا كانت أيضاً جماعة من المدفعيين تتدرب بالحساب وبالمناسبة الى عيار المدافع ، وذلك تحت رياسة الباشا الحاج أحمد زنيبر ، وهناك جماعة أخرى كانت بالعرائش ، وأخرى ـ وهي أكبر ـ كانت بطنجة ، وجل أفرادها من أهل سلا .

ملاحظات وآراء حول الظروف السياسية :

ـ وفي سنة 1901 و 1902 ظهر المارق أبو حمارة الجيلاني الزرهوني في نواحي تازة ، وبما أن قضيته قد استفلحت فقد وجبت الخدمة العسكرية ، ووجب قرض المال من الخارج : « 11 ألف ريال » من أبناك البلاد المنخفضة : هولندة ـ بلجيكة ـ السويد .

ـ اضطر الركاب الشريف بسبب هذا الحدث الى الانتقال من مراكش في اتجاه العاصمة فاس ، وقد كان النزول بالرباط لمدة تزيد على الشهر .

ـ كان قائد الجيش الاكبر هو الانجليزي ماكلين ، وبعد وفاة الوزير السيد أحمد بن موسى سمي القائد الاكبر ، وأطلق على نفسه « الجنرليسم » Généralisseme ، رغماً عن وجود فرقة لتدريب العسكر بمراكش تحت قيادة الكومندان الفرنسي « فورني » ، وجل أفراد هذه الفرقة من أهل الجزائر ، وبتولية الجنرال ماكلين القيادة الكبرى على الجنود المغاربة عظم الخصام بينه وبين الكومندان الفرنسي ، خصوصاً وان الوزير المنبهي توجه الى لندرة وتقابل مع الحكومة الانجليزية صحبة الجنرال ، وهكذا تغيرت السياسة واكفهر الجو .

ـ كان المهندس الالماني سائراً في أشغاله ، وكان له صديق بالدار البيضاء يتراسل معه بواسطة الحمام ، ومن الدار البيضاء كانت ترسل الاخبار والحوادث الواقعة بالمغرب الى دولتي ألمانية وانكلترة .

ـ جاء الجنرال ماكلين الى المهندس الالماني وأخبره أن الكومندان الفرنسي أخبر

جلالة السلطان بأن البرج الذي بني بضاحية الرباط غير متين ، وانه سيتهدم بمجرد اخراج الطلقة الأولى من المدفع ، فرغب جلالة السلطان أن يقف على الحقيقة بنفسه ، وفعلا حضر الى القلعة فوجد هيئة المدفعين حاضرة ومصطفة على أحسن حال ، وحييناه باجلال وتعظيم ، وأمرنا جلالته أن نطلق المدفع وبقي ينتظر خارج القلعة ، وبعد اخراج طلقتين ووصول الطلقة الى داخل البحر بمسافة 20 كيلومتراً ، تفضل جلالته ودخل القلعة ووقف بنفسه على كيفية اخراج الطلقة المدفعية للمرة الثالثة ، وبعد هذا أخذ جلالته يحضر كل مساء للبرج ، وينصب له المهندس مدفعاً من العيار الصغير فيقوم ببعض الرماية .

ـ بعد نجاح التجربة ذهب المهندس الالماني الى ساحل سلا ، ورسم مركز القلعة الثانية على بعد من قصبة سيدي موسى ، واختار المكان وراء ربوة رملية لاخفاء القلعة عن مرمى العدو من البحر ، وأخذ المهندس ينتظر الجواب للبدء في العمل ، لكن جاءه أمر من سفارته بأن يكف عن العمل نظراً للتوتر في الجو السياسي ، وهكذا لم تبن سوى قلعة واحدة من تسع قلاع كان من المقرر بناؤ ها .

ـ توالت الاضطرابات في السياسة الخارجية ، زيادة على الاهوال التي كان يعيش فيها المغرب بسبب ظهور « أبي حمارة » ، والتشويش في أحواز وجدة وتازة وأيضاً في ناحية مراكش .

ـ وظهرت حوادث أخرى وانقلابت في جو السياسة الخارجية بمجيء جلالة ملك ألمانية الى طنجة لزيارة ملكنا مولانا عبد العزيز ، وأدت هذه السياسة الى اعلان رغبة ملكنا في عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء باسبانية سنة 1906 .

ـ انتهى ما كتبه السيد الحسين الزعري عضو
البعثة المغربية الثانية الى ايطالية بتصرف .

ومن ذيول هذه المذكرة الرسالة الحسنية التالية :[1] .

---

(1) من وثائق آل ابن سعيد بسلا .

« خديمنا الارضي ، الحاج محمد بن سعيد السلاوي ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد : فقد اخبرني باشدور الطليان ، أن المتعلمين الاثني عشر من أهل الرباط وسلا لم توجد فيهم قابلية للتعلم لكبر سنهم ، فكلفناه بتوجيه نائبه لك بقصد انتخاب أربعة من أنجب ولدان أهل سلا ، الذين سنهم من الاثنتي عشرة سنة الى الثلاث عشرة سنة .

فاذا وجهه لك فنأمرك أن تحضر له عدداً منهم من السن المذكور لينتخب منهم الاربعة ، وحيث ينتخبهم أبقهم تحت يدك ، ووجه لنا زمام أساميهم لنأمرك بما يكون فيهم .

وقد كتبنا لعامل الرباط بأن يحضر له عدداً من أنجب ولدانها من السن المذكور لينتخب منهم ستة ، والسلام ، في 9 صفر ، عام 1304 » .

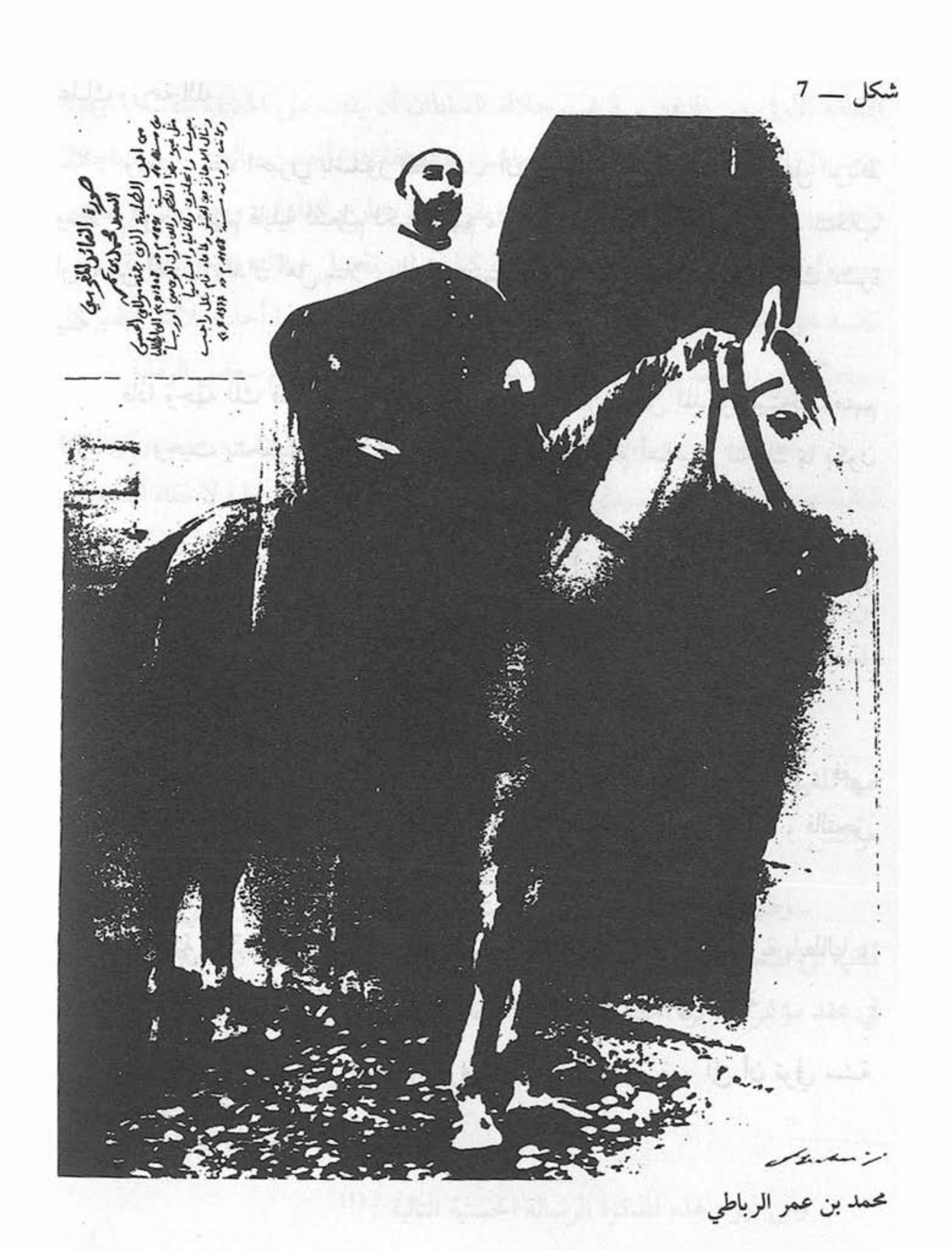
***

نعقب ـ الآن ـ بالاشارة الى بعثة حسنية كان فيها محمد بن عمر الرباطي ، ففي عام 1891/1308 توجه الطالب المغربي ـ وهو لا يتجاوز 14 سنة ـ إلى إيطاليا ، فالتحق بالمدرسة الثانوية الدولية في مدينة طورينو ، فقضى بها خمسة أعوام .

وفي سنة 1896/1313 : انتقل الى المدرسة العسكرية للخيالة العصرية بايطاليا ، الى أن احرز منها على شهادة التكوين في العمل التطبيقي لنظام جيش الخيالة .

ولما عاد الى المغرب ، شغل إطارات عسكرية ومدنية ، الى أن توفي سنة 1958/1377 .

شكل — 7



محمد بن عمر الرباطي

12 الترجمة الى العربية

أصبح من المحقق أن حركة الترجمة الى العربية وجدت في هذه الفترة ، وتناولت الفلك والرياضيات وبعض الموضوعات العسكرية ، وحسب المترجمات الآتية ، فان بعضها وقع بمشاركة من محمد الرابع ، كما كان مثقفون مغاربة يقومون بعمل شخصي في هذا الميدان .

أولاً : باشراف محمد الرابع :

حسب افتتاحية « الجامع المقرب » آتي الذكر ، فان هذا الامير يعلن أن بلاطه - أيام ولايته للعهد - كان يضم نخبة من كل عارف بالالسنة والاقلام ، وتثبت بعض المصادر الاوروبية[1] قيام هذا الامير بتعريب بعض الكتب العلمية ، مثل كتب نيوتن[2] في علم الفلك ، على يد ترجمان انجليزي من مالطة اعتنق الاسلام ، وقد تكون مصلحة هذه الحركة التعريبية معدودة من ملحقات مدرسة المهندسين بفاس .

واذا كنا لا نزال لم نقف على مترجمات كتب نيوتن الآنفة الذكر ، فقد أصبح معروفاً لدينا ترجمة أخرى، أشرف عليها الأمير الشاب، وتناولت تعريب كتاب لفلكي فرنسي :

---

(1) « تاريخ المغرب » للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله - ج 2 ص 65 .

(2) اسحاق نيوتون Isac Newton : 1643 - 1727 ، فيلسوف انكليزي ، وعالم في الحساب والفيزيا والفلك ، انظر « الموسوعة العربية الميسرة » ص 1872 ، وهذا هو مؤلف الكتاب المعروف باسم « الفلسفة الطبيعية ومبادىء الرياضيات » .

« جوزيف جيروم لالاند » ، وهي التي نتحدث عنها فيما يلي :

الجامع المقرب ، النافع المعرب :

هذا هو العنوان الذي وضعه السلطان محمد الرابع للترجمة المغربية التي نتناول حديثها ، وأول ما يلاحظ في هذا الصدد : أن اسم المؤلف الأصلي للكتاب المترجم غير وارد لا في مدخل هذا الكتاب ، ولا في مقدمة الترجمة ، وانما جاء آخر السفر الأول : « تم السفر الأول من كتاب لالاند » ، ولا شك أنه يقصد به الفلكي الفرنسي الشهير : « وجزيف جيروم لالاند » ، من أهل باريز 1732 م «1144-1145 هـ » ـ 1807 م[1] « 1221-1222 هـ » .

كما يقصد بالكتاب : التأليف الذي وضعه هذا بالفرنسية في علم الفلك الحديث ، وجعله حسب الارصاد الجديدة ، وعلى حساب خط نصف النهار المار بباريز .

والمؤلف يذكر في مدخل الكتاب أنه ثمرة لخدمة أربعين سنة ، ولكل ما تحصل من علم الفلك منذ 2500 سنة ، كما أن تقدم هذا العلم أفاده أفكاراً كثيرة وجديدة ومبتكرة في هذا الصدد .

فلما رأى الناس مفتقرين الى تأليف موسع في هذا العلم ، أقدم على جمع ما كان مشتتاً من محصول علم الفلك في كتاب واحد ، دون أن يترك شيئاً ـ أصلاً ـ من فروع هذا العلم المتسع المجال ، حتى يسد الفراغ البادي في المؤلفات القليلة السابقة ، وحتى يعيد الطريق لطلاب هذا العلم ، وقد اجتهد في توضيحه لتتأتى قراءته دون شيخ يدرسه ، ولا شارح يشرحه .

وهو قد أعرض فيه اعراضاً كلياً عن المسائل القليلة الاهمية ، ولكنه اهتم بالمسائل التي لها تأثير أعم في باقي التآليف ، وكذا فيما كان جديداً قليل المعلومية .

---

(1) « الموسوعة العربية الميسرة » ص 1542 .

وحسب هذا المدخل ـ أيضاً ـ فان الكتاب ظهر في ثلاث نسخ : الأولى : سنة 1764م « 1178هـ » .

الثانية : سنة 1771م « 1186هـ » في ثلاثة أجزاء ، وقد ترجمت الى بعض اللغات ، ونقل زيجها الى اللسان التركي .

الثالثة : هي هذه التي نتحدث عن ترجمتها ، وقد كان رصدها الاخير سنة 1793م «1208»هـ .

ومن تتبع أبواب هذا التأليف ، يتبين أنه ـ بعد المدخل ـ يتكون من 24 كتاباً تشتمل على 4200 مسألة :

الكتاب الأول : في أصول علم الفلك .

الثاني : أصالة علم النجوم وأخباره .

الثالث : الكواكب الثابتة وصورها .

الرابع : في مبنى علم الكواكب ، ويقصد بهذا : المباحث الاصلية التي لها تأثير في باقي هذا التأليف .

الخامس : في مذهب العالم ، والمراد بالعالم هنا سائر الافلاك ، وبه ينتهي السفر الأول .

السادس : في علم الكواكب .

السابع : في القمر .

الثامن : حصة الجوامع .

التاسع : في اختلاف المنظر .

العاشر : في استخراج الخسوفات .

الحادي عشر : مرورات الزهرة وعطارد على الشمس .

الثاني عشر : انكسار الأشعة التنجيمي .

الثالث عشر : آلات التنجيم .

الرابع عشر : في العمل بالآلات وكيفية تعاطي الرصد . وبه ينتهي السفر الثاني .

الخامس عشر : عظم الأرض وشكلها .

السادس عشر : وهو مشتمل على حركة الاقبال واختلاف المنظر السنوي للثوابت ،وتغير الميل الكلي، والتزحلق الخاص بكواكب مختلفة .

السابع عشر : حركة النور والمحورين .

الثامن عشر : علم الفلك الخاص بالندماء أو التوابع .

التاسع عشر : ذوات الذوائب .

العشرون : استدارة حركة السيارات وكلفها .

الواحد والعشرون : حساب الفضلية والمتمة مطبقاً على علم الفلك .

الثاني والعشرون : الثقل والقوة الجاذبة .

الثالث والعشرون : وهو في التريقونومطرية : الخطية والكرية : « حساب المثلثات » .

الرابع والعشرون : كيفية استخراج مسائل علم الفلك بالحساب بواسطة الارصاد براً وبحراً ، وعنده ينتهي السفر الثالث والاخير من الكتاب .

هذا هو التأليف الذي قام بتعريبه جماعة من التراجمة تحت اشراف « محمد الرابع » ، وتم تعريبه ـ حسب آخر السفر الثالث ـ في 28 رمضان عام 1268 هـ « 1852 م » .

ويجدر أن نذكر هنا أن هذا الامير كتب مقدمة للترجمة العربية ، وأدرجها فيما بين مدخل الكتاب والباب الأول ، وفيها يذكر حكم النظر في علم النجوم ، ويبين قيمة الكتاب المعرب . كما يتحدث عن ترجمته تحت اشرافه واصطلاحات الترجمة ، ثم يختتم

بتسمية هذا الموضوع بـ « الجامع المقرب ، النافع المعرب » ، وهذا ما يهم من مقدمة الترجمة العربية :

« . . . أما بعد : فيقول العبد المتوكل على الله ، المعتصم في جميع أموره بمولاه ، محمد بن أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام . .

اني لما نظرت في هذه العلوم الرياضية ـ التي منها الحساب والهيئة والهندسة ، وهي ابراز الحساب من الكم الى الكيف ، وابراز الهيئة من القوة الى الفعل ، وغايتها المجسطي ـ وجدت الوقوف على كنه التحقيق المحض منها لا يكون بمجرد التقليد فيها . .

ولما كان ذلك لا بد فيه من الرصد للاجرام العلوية ، ومشاهدة امكنتها من أفلاكها ، ومقادير حركاتها في الازمان المختلفة ، وكان الرصد المذكور في بلادنا وزماننا متعذراً أو متعسراً ، ولكن ما لايمكن كله لا يترك كله ، بحثنا من أجل ذلك ـ لا جرم ـ كل البحث عن أقرب الارصاد الى زماننا ، فوجدنا كتاباً حفيلاً عجيباً جامعاً لكل ما يحتاج اليه الناظر في هذه الصناعة ، بحيث لا يتوقف على غيره من الاوضاع ، ناهيك من كتاب لا يدرك وصفه الواصف بمقاله . . مع ما اعتمده مؤلفه والتزمه من التحرير البالغ غاية الغايات . . والتوقيف على كل العويصات وكشف الخفيات ، وتأييد المسائل بالحجج الواضحة اليقينية ، والاشكال الهندسية ، والأمثلة العددية ، والاقيسة الجبرية ، ورد الفروع الى أصولها . . . ثم أخذ ما وافق العيان والرصد الجديد ، والغاء ما دون ذلك ، . . الا أنه باللسان والقلم الاعجميين ، لان مؤلفه رومي من أهل بارز « كذا » وكان رصده الاخير سنة 1793 بالتاريخ المسيحي .

وكان من فضل الله علينا أن حضرتنا العالية بالله تعالى ، قد احتوت على جماعة وافرة ، ممن آوتهم ظلال دولتنا الشريفة المنصورة الظافرة ، ربيناهم في خدمتنا أحسن تربية ، وصفيناهم لاقترابنا أكمل تصفية ، وأطلعناهم لمكان التخصيص على أسرار هذه العلوم ، وغذيناهم من جنى هذه الفنون بأطيب الطعوم ، حتى أصبحت حضرتنا العزيزة كعبة النجباء الحذاق ، ومطافا للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة

والاقـلام ، متهيء لاكتساب الكمـالات بالاستعـلام ، فأمـرناهم بتعـريب الكتاب المذكور ، واخراجه من الظلمات الى النور ، فصرفوا كل عناية الى ذلك ، ودأبوا عليه آناء الليل وأطراف النهار مدة مديدة ، مع معاناة أكيدة ، ومشقة شديدة ، وكل ذلك بمرأى منا ومسمع ، ومحضر لنا ومجمع ، تعرض علينا كـل يوم مخـرجاتهم فنبـالغ لهـا بالتنقيـح والتصحيح ، ونرجح منها ما هو داع الى الترجيح ، حتى برز ـ بحمد الله ـ في أحسن الصور وأجملها ، وأتم الوجوه وأكملها . .

فاذا علمت هذا ، فاعلم أننا ترجمنا هذا الوضع المبارك : بـ « الجامع المقرب ، النافع المعرب » .

لم تكن هذه الترجمة معروفة من قبل ، حتى ظهرت بالمكتبة الملكية بالرباط ، التي تتوفر على نسختين اثنتين : الأولى تامة ، وهي تحمل رقم 2682 ، وتقع في ثلاثة أسفار :

الأول : به ورقات 409 ، منها 16 ورقة في مدخل المؤلف ، وثلاث ورقات ـ تقريباً ـ في مقدمة الترجمة ، خط مغربي حسن ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع فراغ في أكثر الجداول ، وبياض في بعض الصفحات ، وجاء في آخره : « تم السفر الأول من كتاب لالاند » .

الثاني : به ورقات 309 ، خط مغربي لا بأس به ملون مجدول مصحح ـ يسيراً ـ بالهوامش ، مع بياض في بعض الصفحات . الثالث : به ورقات 272 ، خط مغربي لا بأس به ملون مجدول مصحح بالهوامش ، مع بياض في بعض الصفحات .

مسطرة الاسفار الثلاثة 29 ، مقياسها 220/330 ، وهي ـ كلها ـ عارية عن تاريخ الترجمة والنسخ .

النسخة الثانية : تشتمل على السفرين : الثاني والثالث ، وتحمل رقم 5405 ، بها رسوم في الصفحات البيضاء في الثاني والثالث من النسخة الأولى ، ويذيل سفرها الثالث بتاريخ الفراغ من الترجمة : 28 رمضان ، عام 1268هـ .

وبعد هذا نعيد النظر في مقدمة الترجمة ، لنرى فيها التعريف بقيمة التأليف المترجم في دراسة علم الفلك الحديث ، وسنجد تأييداً لهذا التنويه بنفس التأليف ، يقوم به فلكي مصزي : هو الشيخ حسين زايد ، مؤلف « المطلع السعيد ، في حسابات الكواكب على الرصد الجديد » ، فقد جاء في خطبة هذا الكتاب[1] :

« وكان الاعتماد في أخذ غالب أصوله على زيج لالاند الشهير ، لما فيه من الدقة وزيادة التحرير » .

وهذا كله يجعل لتعريب تأليف لالاند أهمية بالغة ، ولو أعيد النظر في هذا التعريب ونشر في عصره ، لكان المغرب قد أسدى الى رجال الفلك العرب يداً لن تنسى ، وهنا لا أتمالك أن أتساءل ـ ومعي بدون شك عدد من القراء ـ عن السبب الذي حال دون مراجعة هذه الترجمة ونشرها ، على مسيس الحاجة لها حينئذ بالخصوص .

وهناك أهمية أخرى لهذه الترجمة حيث انها تقدم مثالا ناطقاً لاحدى مظاهر الانبعاث العلمي الذي حاوله محمد الرابع .

وفوق هذا . فان مقدمة الترجمة تمدنا بتلميحات عن نشاط العلوم الرياضية في بلاط الامير الشاب ، الذي صار « مطافاً للعلماء من جميع الآفاق : من كل عارف بالالسنة والاقلام » ، ومن سوء الحظ أن لا يعرف ـ لحد الآن وبالضبط ـ ولا واحد من هؤلاء العلماء .

هذا ومن تمام حديث هذه الترجمة المغربية ، أنها بعدما تحدثت عنها مجلة « دعوة الحق » في العدد التاسع والعاشر من السنة الثامنة[2] ، عادت نفس المجلة في العدد السادس والسابع من السنة التاسعة ، فنشرت ـ ص 148 ـ عن صدى هذه الترجمة ما يلي :

---

(1) « المطبعة البارونية » بمصر عام 1304 هـ ـ ص 3 .

(2) في بحث لجامع هذه الدراسة أدرج معظمه هنا . وقد كان عنوانه : « الجامع المقرب النافع المعرب : ترجمة مغربية لكتاب فلكي بالفرنسية في ثلاث مجلدات » ـ ص 107 - 110 .

«من الهند: كتب الينا الأستاذ محمد أبو الجلال عميد الكلية الاسلامية رسالة ينوه فيها بمجلة دعوة الحق . . ومما جاء في كلامه :

قرأنا في مجلتكم الغراء ما جاء فيها من التعريف بكتاب الجامع المقرب ، النافع المعرب : جاء هذا التعريف في العدد التاسع والعاشر من المجلة ، فاشتاقت قلوبنا إلى مطالعة ذلك الكتاب لنستفيد منه ، ونحن في حاجة ماسة الى نيل ذلك الكتاب وغيره في مادة الفلك ، لعله يساعدنا في تدريس علم الفلك في كليتنا » .

ثانياً : التطاري

وهو محمد بن العربي التطاري الفاسي ، وقد وضع ترجمة سماها : « رياض الأزهار التعليمية ، في الأعمال اللوغاريتمية » ، قال في أولها :

يقول كاتبه أبو عبد الله التطاري : الحمد لله المدبر الحكيم ، رفيع الدرجات ذي العرش العظيم . . وبعد فهذا تأليف لطيف ، وجيز ظريف ، في علم أعمال لوغاريتمية ، اختصرته من الأعجمي الكبير ، وجعلته في غاية الاتقان والتحرير ، واقتصرت على أمثلته في الغالب . . ورتبته على مقدمة وثلاث مقالات ، في كل مقالة أربعة أبواب :

المقدمة : في معرفة الاصطلاحات المستعملة به . .

والمقالة الأولى : في «1» ـ الحساب الأعشاري ، و «2» ـ شرح أعمال جيبية ، و «3» ـ الهندسة العملية ، و «4» ـ معرفة بيت الابرة .

والمقالة الثانية : في «1» ـ معرفة السنة العجمية ، و «2» ـ شرح الجداول ، و «3» ـ الكلام على القوس ومعرفة الارتفاع ، و «4» أشياء من علم الفلك .

والمقالة الثالثة : في «1» ـ معرفة الدائر وفضله بارتفاع الشمس ، و «2» ـ العمل بالكواكب الثابتة ، و «3» ـ معرفة حصص الأوقات ، و «4» ـ استخراج عرض البلد وطوله ، وهي مذيلة بجداول لوغاريتمية .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، ضمن مجمـوع يحمل رقم 573 ، من ص 16 ، الى ص 84 ، عدى الجداول ، مسطرة مختلفة ، مقياس 185/215 ، مكتوبة بخط المترجم ، وهو خط مغربي مجوهر حسن سريع ، يتخلله الضرب والالحاق .

وكما رأينا أولاً ، فقد سمي المترجم في طالعة الترجمة أبا عبد الله التطاري ، ولا شك أنه محمد بن العربي التطاري ، حسبما جاء بخطه آخر نسخة من المقامات الحريرية فرغ من كتابتها في 23 شعبان ، عام 1288هـ/1871م . « المكتبة الملكية » بالرباط ، رقم 71 ، كما سمي في مخطوط آخر بمحمد بن العربي ابن تطاري ، « نفس المكتبة » ، رقم 304 ، ويوجد في فاس بيت « بني بنتطاري » ، وورد ذكره في « زهر الاس ، في بيوتات فاس» لأبي محمد عبد الكبير بن هاشم الكتاني[1]، فعلى هذا يكون المذكور فاسي البلدة ، وفي « الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام »[2] وردت ترجمة مقتضبة له قال فيها :

« محمد بن العربي التطاري ، الفقيه ، النقاد ، البحاث ، المحقق ، كان مفتياً بمراكش ، وقفت على بعض فتاويه المحررة في قضايا عام 1282 . . » ولم يذكر تاريخ وفاته الذي لا يزال غير معروف .

ثالثاً : أحمد بن عبد الله

هناك ترجمة لرسالة باللغة الفرنسية ، في طريقة العمل بآلة حسابية « اريتمومتر » Eritmométre وقد جاء في افتتاحيتها :

« الحمد لله الذي جعل مفتاح علوم الرياضيات علم الحساب . . وبعد : فهذه ترجمة رسالة على آلة حسابية ، من اللغة الفرنساوية الى اللغة الشريفة العربية ، ترجمتها بالمعنى ، وتصرفت فيها بعض التصرف ، بأن حشيت « يقصد تحاشيت » ما لا طائل

(1) خ ، ع ، ك 1281 ـ ج 1 ص 327 .
(2) ج 6 ص 46 - 47 .

تحته ، وزدت أمثلة زيادة في الايضاح ، ونبهت على نكث أغفلها في الأصل ، واقتصرت على مجرد التحصيل والافادة ، ورتبتها على مقدمة وخمسة فصول :

المقدمة : في رسوم الآلة ، والفصول : في أصول الحساب الخمسة : الجمع ، والطرح ، والضرب ، والقسمة ، وجذور الأعداد الصحيحة » .

فرغ من تعريبها يوم الأربعاء 5 حجة عام1291 هـ «1875 م » ، وهي خالية من اسم المترجم ، وقد ذيل آخرها بطابع نقش بداخله اسم « أحمد بن عبد الله » ، فهل هذا هو اسم مترجم الرسالة ؟ أو انما هو اسم مالكها ؟ وهل يكون هو أحمد بن عبد الله الصويري المتكرر الذكر ؟ .

منها نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم 1738 في 11 ص . علاوة على صفحة أولى تحمل رسم الآلة المعنية بالرسالة المترجمة : « اريتمومتر » ، مسطرة 14 ، مقياس 185/230 ، خط مغربي واضح مستحسن .

رابعاً : مترجمات مغربية مجهولة المترجم ، وهي :

أ ـ « **تطبيق الجبر على الهندسة** » ، قال في أوله : « الحمد لله الذي خلق الانسان وأبدع فيه حكمته . . وبعد : فالقصد بهذا التقييد تعريب تأليف عجمي جديد ، مضمنه تطبيق الجبر على الهندسة ، والتبرهن عليه بالكم المتصل ، المتضمن للأشكال الهندسية ، والمثلثات الكيفية » .

رتبه على مقدمة في بيان مصطلحه ، وثلاثة كتب ، وتذييلات ، ووزع ذلك كله على 195 فصلاً ، كما وضحه برسم 76 شكلاً هندسياً على الهوامش ، وقد جاءت موضوعات الكتب الثلاثة وذيولها هكذا :

الكتاب الأول : في الكلام على حل المثلثات القائمة ، ثم حل المثلثات الماثلة .

الكتاب الثاني : في علم مساحة المثلثات الكرية ، وتسمى بلسان العجم : « الطريقنومطرية » الكرية .

الكتاب الثالث : في تطبيق الجبر على الهندسة .

وذكر في التذييلات أوائل مبادىء تطبيق الجبر على الأسطحة المحدبة ، وعلى المحدبات ذات تحديب مضعف .

وأخيراً ختم بتنبيهات علق فيها على مواضع من التأليف .

وكما لم يعرف اسم المترجم ، كذلك لم يذكر اسم مؤلف الكتاب المعرب عنه ، وإنما أحال هذا الأخير على موضوع له يسميه « كتاب تمام مبادىء أصول الهندسة » ، ص 92 ، كما أحال على تأليف آخر له في « الحساب الفضلي والتتميمي » ص 246 و 472 .

من هذه الترجمة نسخة في المكتبة الملكية بالرباط ، رقم 995 ، في 472 ص ، مسطرة 16 ، مقياس 180/212 ، خط مغربي لا بأس به ملون مجدول ، خال من تاريخ الترجمة والنسخ واسم الناسخ ، وتتخلله الحاقات بالأصل والهامش مكتوب بعضها بخط مغربي مغاير .

ويوجد بالهامش ـ أيضاً ـ شيء من التعاليق ، بخط مغربي مغاير ، وبالحبر في الأكثر ، وبعضها بقلم الرصاص ، وهي تتضمن بعض اصلاحات وتكميلات للأصل ، وهذا كله يدل على أن هذه الترجمة قد نقحت من طرف آخر ، وقد تكون وقعت تحت اشراف محمد الرابع .

وهناك نسخة أخرى من هذه الترجمة ، بالمكتبة الملكية أيضاً رقم 135 ، ويبدو أن هذه أصل لسابقتها .

ب ـ « **العمل بالجداول اللوغاريتمية** » ، شرح فيه مترجمه المجهول الاسم 57 جدولاً دون أن يثبتها ، وإنما اكتفى ببيان طريقة العمل بها ، وهو يبتدىء بشرح الجدول الأول دون أن يذكر أن هذا الموضوع أصلي أو مترجم ، ويتبين أنه معرب من هذا التعبير الوارد ـ ص 27 ـ حيث جاء فيه :

« قلت : وهذا الجدول حسبه كابريت فأحضره ـ احساناً ـ للمؤلف بقصد ادخاله في هذا التأليف » .

منه نسخة بالمكتبة الملكية بالرباط ضمن مجموع يحمل رقم 850 ، من ص 21 الى ص 132 ، مسطرة 17 ، مقياس 190/240 ، مكتوب بخط التطاري السابق الوصف ، وهو هنا مجدول .

« ج ـ « **وصف قوس الزجاج والعمل به** » ، ويقصد به القوس الافرنجية المعروفة بالسكستان : Sextant أو « سدس هدلي » .

وهو ـ أيضاً ـ مجهول المترجم الذي يفيد أن هذا الموضوع معرب لما ينقل تعليقات لمؤلف الأصل المعرب عنه ص 153 ، 155 ، 165 .

وقد استهله بمدخل عرف فيه بالقوس المعنية بهذه الدراسة : فذكر شكلها وأجزاءها ، موضحاً اسم ووظيفة كل جزء ، وبعد هذا تخلص للموضوع الذي شرحه حسب العناوين التالية :

- تعديل السكست « حسب تعبير المترجم » .
- معرفة خطأ المري .
- العمل بالسكست .
- رصد بعد ما بين القمر وثابت أو متحير .
- الأفق المصنوع.
- معرفة الطول من الأرصاد .

وهو يخلل هذه الدراسة بالاحالة على رسوم توضيحية لم توضع في هذه النسخة بالرغم عن ترك بياضات لبعضها .

منه نسخة بالمكتبة الملكية ضمن المجموع الآنف الذكر ، رقم 850 ، من ص 133 الى ص 168 ، نفس مسطرة ومقياس وخط الترجمة الأخيرة ، مع بياض يسير في الكتابة ، وفي مواضع بعض الرسوم .

د ـ رسالة في موضوع : « ربع هدلي » ، وهو غير قوس السدس السابقة ، قال

في « العروس البديعة في علم الطبيعة » : وبعض الآلات من هذا الجنس يجعلون هذا القوس فيها ربع قائمتين ، ويسمونها « ربع هدلي » ، ويقسمون السدس الى 120 ، فتكون كل درجة كناية عن نصف درجة . . وهكذا سيتحدد موضوع هذه الرسالة الرابعة التي جاء عنوانها كالتالي : « رسالة في طريقة استخدام قوس هدلي » .

ودون سابق خطبة أو تخصيص عنوان مضبوط ، يبتدىء المترجم بتعريف تركيب الربع الذي يعبر عنه بالقوس ، وينتقل ـ بعد هذا ـ الى موضوع تعديل القوس ، ورغماً عن عدم ذكر الباب الأول يأتي الباب الثاني ، ليتناول وضع زجاجة الأفق على موازاة زجاجة المري الأصغر .

الباب الثالث : في وضع الزجاجات الأفقية التي في مقدم الرأس قائمة على سطح الأفق .

الباب الرابع : وضع الزجاجة الأفقية التي في الضلع اليسرى من الربع قائمة على زجاجة المري .

الباب الخامس : وضع الزجاجة الأفقية المذكورة على سطح الربع .

ويعد هذا تأخذ الرسالة في ترجمة عمليات استخراج المطالب الفلكية بواسطة « ربع هدلي » ، مع تحليل ذلك بأمثلة تدريباً للطلبة أو ارتياضاً .

والرسالة محفوظة بالمكتبة الملكية تحت رقم 10381 ، ص 53 ، مسطرة مختلفة : بين 20 ، 21 ، مقياس 185/230 ، خط مغربي حسن مجوهر يترجح أن يرجع الى عهد السلطان محمد الرابع ، وهو عار عن تاريخ التأليف والنسخ واسم المؤلف والناسخ .

هـ ـ «قطعة في مبادىء الكيمياء والطبيعيات وما الى ذلك»، وهي معربة عن تأليف عجمي حسب تعبير المترجم المجهول الذي لم يوضح اسم الكتاب المنقول عنه ولا واضعه ، وانما ورد أثناء القطعة أن مؤلف الأصل يحيل على كتابين من تأليفه : أحدهما يسمى : « كميات الطب » ، والثاني : « فرجة الطبيعيات » .

يتناول الموجود من هذه القطعة مبادىء الكيمياء والطبيعيات ، مع أوائل البحث الذي يعرض شيئاً من خواص بعض الحيوان والنبات ، وضاع من الترجمة ما بعد ذلك .

وأسلوب الترجمة مهلهل التعبير ، وتتخلله كثير من التسميات العامية المغربية .

يقع الموجود منها في 55 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 115/180 ، خط مغربي سريع ملون خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ .

و ـ « **قطعة في التنظيم العسكري** » ، وتعرب الباب الرابع من كتاب موضوعي لم يذكر عنوانه ولا اسم مؤلفه ، ويقول المعرب المجهول : ان ما قبل هذا الباب ليس فيه فائدة ، فلذلك بدأ الترجمة من الباب الرابع الذي يتناول ما يجب ـ أولاً ـ على الداخل للجندية .

وهو الباب الوحيد المعرب ، في 11 ص ، مسطرة 17 ، مقياس 180 / 115 ، نفس خط الترجمة الأخيرة ونفس أسلوبها ، مما قد يتبادر منه أن مترجمها ـ معاً ـ معرب واحد ، والقطعتان من محفوظات خزانة كاتب السطور .

ز ـ «**ترجمة برنامج كتاب في فن المدفعية** » ، وقد سمى الكتاب ـ حسب هذه الترجمة ـ « التفكير في عمل ما يصلح للطبجية » ، وهو موضوع بالفرنسية ، ولم تهتم الترجمة الا بتعريب عناوين مقالاته البالغة 21 مقالة .

منها نسخة بالمكتبة الملكية ضمن مجموع يحمل رقم 124 ، من ص 71 الى ص 82 ، مسطرة 24 ، مقياس 235 / 195 ، خط مغربي لا بأس به سريع ، خال من تاريخ النسخ واسم المترجم والناسخ .

والى هنا يكون هذا البحث قد استعرض عشر ترجمات مغربية ، وكما هو واضح ، فان هذه الترجمات لا تزال بحاجة الى دراسة ، بما في ذلك مقارنتها بالأصول المعربة عنها ، مع ملاحظة أنها كانت محاولات أولى في هذا الصدد ، وهذا كله ما ادعه للمتضلعين في اللغتين المعرب بها والمعرب عنها .

وأخيـراً : فان هنـاك ترجمـة ادارية كـانت تقوم عـلى تعريب لـوائح الـواردات والصادرات البحرية ، وعلى تعـريب توصـلات النواب الأجـانب ، وقد كـانت هذه المعربات تسجل في دفاتر على حدة ، ورد ذكر عدد منها أثناء لائحتين رسميتين تضمنهما « سجل مخزني » : [1] اللائحة الأولى : تشتمـل على مـا بداخـل صناديق سبعـة من الكنانيش والتقاييد المدفوعة لامناء البنيقة المراكشية في أوائـل قعدة ، عـام 1311 هـ ، والثانية تشتمل على ما بداخل صناديق «13» من الكنانيش والأوراق والتقاييد وغير ذلك ، مما دفع لامناء البنيقة المراكشية في أواسط ربيع الأول ، عام 1318 هـ .

(1) هو نفس السجل الذي اقتبست منه هذه الدراسة عند ص 45-47 . .

13 موضوعات فلكية جديدة

في هذا الباب نذكر موضوعات فلكية جديدة ، ساهمت ـ بدورها ـ في هذه الانبعاثة ، ففي هذه الفترة عرف المغرب بعض الأعمال اللوغاريتمية ، ويبدو أن لعبد الرحمن العلج ـ المتكرر الذكر ـ يدا في هذا ، حيث عرب بعض مسائله[1] فأفادت المغاربة الى جانب المعربات والمؤلفات الشرقية .

وفي هذه الفترة قام مغاربة بابتكار أكثر من آلة فلكية جديدة ، وسنعرض لها فيما بعد، كما دخل للمغرب أجهزة حديثة في الفلك والرياضيات: مثل القوس الافرنجية المعروفة بالسكستان Sextent [2]، والآلة الحسابية المعروفة بأريتمومتر[3] . Eritmométre.

والركلة العجمية حسب التسمية المغربية[4] : « مقياس جنتر » .

والى هذا العصر ـ أيضاً ـ ترجع بعض تجديدات فلكية متنوعة ، وهكذا نفحت حصص أوقات الصلوات حسب عروض المدن المغربية التالية :

---

(1) سيرد ذكر هذا عند الاسم رقم 4 .

(2) هذا يوخذ من الترجمتين المغربيتين آنفتي الذكر عند رقمج و . د .

(3) أنظر الترجمة التي قام بها أحمد بن عبد الله في هذا الصدد.

(4) هناك رسالة في طريقة العمل بهذه الآلة ، وضعها فلكي مراكشي : أحمد بن محمد الحوزي التجاني أواخر سنة 1934 م / 1353 هـ ، وسماها : « ايضاح الأدلة ، في مراصد الركلة » ، منها نسخة خاصة ضمن مجموع: من ص 164 الى ص 251 ، والغالب أن هذه الركلة هي نفس « مقياس جنتر » ، انظر « الموسوعة العربية الميسرة » ، ص 649 .

ـ حصة على عرض فاس ، من عمل موقتها الحاج محمد بن الطاهر الحبابي[1] مار الذكر .

ـ حصة على عرض تطوان ، عمل الميقاتي محمد بن الفقيه الملقب بريدة الأندلسي التطواني ، المتوفي بعد 1280هـ/1863 — 1864 م[2] .

ـ حصة على عرض مراكش ، على يد موقتها محمد الطائع الجنان المكناسي ثم المراكشي ، المتوفي بعد1290هـ/[3]1873 - 1874 م .

ـ حصة على عرض الرباط، عمل الموقت عبد الرحمن بن عبد الله لبريس الرباطي ، المتوفي عام1307هـ/[4]1890 م .

وفي مكناس نذكر محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الطالب الحسني الأمراني ، كان بقيد الحياة عام 1306 هـ / 1888-1889م، وقد وضع رسالة دقق فيها استخراج المطالب التوقيتية المتعلقة بحصص أوقات الصلوات في عروض فاس ومكناس وسلا والرباط ، وسماها : « الياقوتة العصماء ، في معرفة أوقات الصلوات لمناجاة الاه أهل الأرض والسماء » .

رتبها على مقدمة ومقصد جامع لمطالب عشرة من أصول هذا العلم ، وأخيراً : خاتمة مذيلة بتقريظ للرسالة ـ نثراً وشعراً ـ من طرف محمد بن أحمد اكنسوس المؤرخ المغربي المعروف .

وبعد هذا تذيل الرسالة بثمانين جدولاً لتوضيح المطالب التوقيتية على عروض

---

(1) « زهر الاس ، في بيوتات فاس » ، خ ، ع ، ك 1281 ـ ج 1 ص 354 .

(2) مختصر تاريخ تطوان للاستاذ محمد داود ـ ص 311 .

(3) الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام : القطعة المطبوعة من الجزء السادس ص 56 ، وقد وقفت عليها عند الأستاذ الكبير محمد ابراهيم الكتاني .

(4) من خط بعض المعتنين بالتقييد من أدباء الرباط .

البلدان الاربعة ، مع جدول ختامي للفروق بين التواريخ المشهورة لمعرفة ما بينها من السنين العربية وأيامها وجملة أيام بسطها .

والرسالة وذيولها بخط مغربي حسن ملون ، في 97 ص من حجم متوسط ، منها 16 ص لكتابة الرسالة ، والباقي : 81 للجداول ، وفرغ من تأليفها اوائل ذي الحجة عام 1278 هـ/ 1862 م ، منها نسخة أثناء مجموع بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3817[1] .

* * *

وإلى جانب هذه الحصص الميقاتية نشطت حركة تخطيط المزاول الشمسية ، وتعرف ـ لحد الآن ـ أربعة أسماء في هذا الميدان :

أولاً : محمد بن محمد الاشخم الزرهوني آتي الذكر ، وهو مخطط رخامتين اثنتين برسم « الزاوية التجانية » بحومة المواسين من مدينة مراكش ، احداهما : بسطحها وهي مبسوطة ، والأخرى : بصحنها وهي منكوسة ، وورد اسم المخطط في الشعر الذي نقش على كل من الرخامتين ، من انشاء مؤسس الزاوية : محمد بن أحمد أكنسوس المؤرخ المعروف ، فقد نقش أسفل الرخامة التي بالسطح ثلاثة أبيات هكذا :

ان اكن في رياض زهر فعندي — فضل علم للزهر قد أدناني
اجتلي للعيون ساعات يومي — بلسان الظلال كل أواني
صانعي رافعي محمد فتحا — ثم ضما[2] وبالعلا « بشراني »
عام 1263

(1) لم يرد ذكر هذه الرسالة في ترجمة مؤلفها من اتحاف أعلام الناس ج 4 ص 262 — 264 .
(2) يقصد أن اسم مخطط هذه الرخامة هو محمد بفتح أوله بن محمد بضم أوله .

ثم طوقت الرخامة الثانية التي بالصحن بالأبيات الثلاثة التالية :

طــرزني محمــد بن الاشــخــم   طــرز همــام عــالم مــعــلم
ألبســه الـله مــلابس الــرضـى   وحفــه بـاللطف فيــها قــد قضى
ومـظهـري اذ «الامــان والســرور   أتى » وحيــان بفتــح وســـرور[1]

عام 1268

ثانياً : السلطان محمد الرابع ، حيث يسجل عنه « ابن الموقت »[2] أنـه عارف بطريقة تسطير هذه الرخامات ، وسنستفيد من النص الآتي أنه ينسب لنفس العاهل تخطيط مزولتين بسطح جامع ابن يوسف بمراكش :

احداهما الرخامة المنكوسة الموضوعة بلصق المنار ، وهي للتوقيت طول السنة ، وتشتمـل على وجهـين : شمالي : لـلاشهر الستـة التي تكون فيهـا الشمس بالبـروج الشمـالية ، والآخـر جنـوبي ، لـلاشهـر الستـة التي تكـون فيهـا الشمس بـالبـروج الجنوبية[3] .

أما الثانية : فهي للساعات ، وتعطي الوقت من الساعـة الثامنـة صباحـاً حتى الرابعة مساء .

وقد تحدث عن المزولتين ـ معاً ـ أبو حامد البطاوري في كناشة[4] قديمة له ، وقال عن منار جامع ابن يوسف :

« وبأعلى المنار رخامتان مرسـومتان عـلى طريق التـوقيت لاخذ الارتفـاع ، من

---

(1) الأبيات المرسومة على الرخامتين من خط الفقيه السيد أحمد الكنسوسي من علماء مدينة مراكش،وقد وردت نفس الأبيات عند القاضي الفاضل أبي العباس سكيرج في رفع النقاب ج 2 ص 139 ، غير أنه أدخل تعديلاً على البيت الثالث من نتفة الرخامة التي بالصحن ، وما أثبته هو الذي بخط حفيد الناظم .

(2) « السعادة الأبدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » ط ، ف ، ج 1 ص 76 - 77 .

(3) ورد ذكر هذه الرخامة المنكوسة في السعادة الأبدية ج 1 ص 77 .

(4) بالمكتبة الملكية ، ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2857.

صنعة أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الرحمن أيام خلافته بمراكش فيما يقال ، لأنه كانت له مشاركة ويد في هذه العلوم ، ومكتوب على احدى الرخامتين ـ نقشاً ـ هذه الابيات :

ظهرت ظلالي في ضياء محمد نجل الامام المالك ابن هشام
وبرزت كالغيداء فوق صفيحتي هذي الخطوط تلوح مثل وشام
وازددت واو العطف في مراكش فزرت بتاريخي بمصر وشام
عام 1267[1]

وعلى الأخرى منقوش هذه الابيات :

خير الملوك كلهم محمد نجل الامير
امر أن ترسم لي باليمن هذه السطور
ومن يرد تاريخه « يجده اوقات السرور »[2]
عام 1267

والآن نذكر أن عبد الرحمن العلج سطر المزولة الشمسية الموضوعة بباب ضريح الشيخ أبي العباس السبتي من مراكش ، مع مزولة أخرى بسطح جامع ابن يوسف ، وثالثه في أعلى برج الريال من نفس المدينة ، وهو ـ أيضاً ـ صاحب المزاول الشمسية التي توجد بداخل القصور السلطانية من فاس الجديد[3] .

---

(1) التاريخ مستخرج من كلمتي « مصر وشام » حسب الطريقة الأبجدية المغربية ، ولا يستقيم الا مع الغاء حساب الحرف المكرر الذي هو الميم ، ومن الجدير بالذكر أن هذا البيت الذي يحمل التاريخ المشار له تعسر ـ اليوم ـ قراءته من الرخامة نظراً لاندثار عدد من حروفه .

(2) التاريخ يستخرج من مجموع الشطر الأخير ، مع الغاء كل من الألف والواو الأخيرين .

(3) « الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام » : القسم المخطوط ، عند ترجمة عبد الرحمن العلج ، مع بعض المشاهدات بالنسبة لمزاولة واحدة ، وسنستشف من هذا المصدر الأخير : أن عبد الرحمن العلج كان قد ساعد محمداً الرابع في عملية احدى مزولتي جامع ابن يوسف .

وفي مكناس كان موقتها الجيلاني الرحالي ـ مار الذكر ـ قد خطط مزولة شمسية مستوية بجانب غريفة التوقيت بمنار الجامع الاعظم ، حيث لا تزال قائمة تحمل تاريخ عام 1286هـ[1] ، وهو الذي قام بتسطير رخامات أخرى : مبسوطات ومنحرفات بفاس القرويين ، وبمدينة جبل زرهون ، مع نواحيها بمساجد الجبل شمالاً وجنوباً ، وبغير ذلك من المدن[2] .

***

وهذه قطعة لشاعر فاس محمد الفاطمي الصقلي ، ويظهر من سياقها أنها نظمت لترسم على جهاز ميقاتي قد يكون أسطربالاً ، وهكذا تقول القطعة :

يا ناظراً في حسن شكلي الكامل	اهنأ فأني بغية للأمل
أنا شبكة من فضة منصوبة	لغزالة طلعت بنور شامل
عندي دقائق في الجمال فحققن	في الوقت في حسني وعلو منازل
قد قلت اذ اشرقت في شرف العلا	تاريخ انشائي يقال الكامل[3]

عام 1298

ومن ملحقات هذا قطعة أخرى للشاعر الكاتب ، الحاج ادريس بن الوزير محمد ابن ادريس العمروي الفاسي ، نظمها لترقم على ساعة بيتية وقال فيها :

أنبه صاحبي بلطيف نقري	واملأ من مؤانستي مكانه
ولي في الوقت تقسيم صحيح	به حزت التقدم والمكانة
وللاحشاء بالفلك ارتباط	لذا سميت قدماً بالمكانة[4]

***

(1) هذا استفدته من بعض المحادثات ، التي تتأكد اذا لوحظ أن المعني بالأمر كان يتولى توقيت نفس الجامع وقت التاريخ المرقوم على المزولة .

(2) ورد هذا بخط أحد تلامذة المذكور ، عند خاتمة نسخة خاصة كتبها من رسالة الكنبوي في الربع المجيب .

(3) من شذرات من ديوانه .

(4) من كناشة للعباس بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن السجلماسي الحجرتي ، خ ، ع ، د 34 36 ـ ص 470 .

ومن الجدير بالملاحظة أن يكون هذا النشاط الفلكي قد انعكس أثره على صياغة الوثائق الرسمية ، وهو ما نقرؤه في هذا الظهير الحسني بتولية موقت مكناس ، ونصه بعد الافتتاح :

« يعلم من شريف كتابنا هذا لا زال كوكبه في فلك السعادة سابحاً ، وسماك عزه في سماء المعالي رامحاً ، اننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ، عيناً ماسكه الطالب السعيدي بن محمد المنوني لخطة التوقيت بمنار الجامع الاعظم بمحروسة مكناس ، وقلدناه القيام بوظيفتها المبني ـ في الشرع ـ على أساس ، وأقررناه في ذلك مقر الطالب الجيلالي الرحالي رحمه الله ، وجعلناه في مكانه وأجريناه مجراه ، على أن يسلك في حسن القيام بذلك المسلك المعتبر ، ويجري فيه على الضابط المقصود والشرط المقرر ، ويلازم المقابلة في التعديل بتحرير المناط وتصحيح النظر ، من تعرف الازمنة وأحوالها ، والمواظبة على استخراج المطالب التي تحدث مدة انقلابي الشمس وتنعدم عند اعتدالها ، واستدامة أخذ الارتفاعات ، وارتصاد تفاوت المطالع البلدية بالدقائق والدرجات ، واختلاف الظلال والميل والفضلة والغايات ، لتحقيق تعديل الساعات ، وتقويم مواقيت الصلوات المبنية على عرض البلد ، الذي عليه يعتمد واليه يستند ، مع استحضار ما يراد من تعديل الكواكب والدراري ، المسخرة في المنطقة الفلكية بالقدرة الازلية وتأثير الباري ، عملاً بمقتضى هذه الخطة الرياضية ، وقياماً بمشروع حكمها المتردد بين الفرضية والكفائية، لقوله تعالى في محكم الكتاب: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « تعلموا الوقت ولا تكونوا كالذين يؤذنون على آذان بعضهم بعضاً » .

وأذنا له في قراءة الفرائض مع الطلبة بالمنار المذكور كما كان من قبله .

وعليه في ذلك كله بتقوى الله التي هي نتيجة التعديل ، وداعية الاستقامة لاقوم سبيل .

ونأمر ناظر الاحباس الكبرى حينه ، أن ينفذ له من المشاهرة ما كان منفذاً

للرحالي قبله ، والله يلهمه الصواب فيما كلف به وأسند له .

والسلام ، 12 ربيع الثاني ، عام 1309[1] .

***

والآن سيستعرض هذا البحث زمرة من الفلكيين المبتكرين والمؤلفين في هذه الفترة .

1 ـ السلطان محمد الرابع

اخترع آلة لاستخراج المطالب التوقيتية ، ووضع في طريقة العمل بها رسالة سماها : « نخبة الملوك لمن أراد الى الاوقات او القبلة السلوك » ، ولا تزال هذه الآلة غير معروفة ، وإنما الموجود هو الرسالة التي تصف خطبتها هذه الآلة هكذا :

« . . اخترعت شكلاً ثابتاً ، شافياً كافياً لما صنف قبله في العروض ، والسموت ، والجهات ، والميول ، والظلال ، والارتفاعات ، والأطوال ، والاوقات ، والقبلة » .

ثم يذكر المؤلف تكليف بعض أصحابه بصنع هذه الآلة طبق تصميم وضعه لها :

« فلقنت عمله المختصر البديع الافخم ، للطالب محمد الاشخم ، المتعين من بعض حذاق أصحابنا في ذلك ، لينتج منه آلة على نحو الاشارة ، فأنقها وطرزها واتقنها ، ففاقت الرومية الآتية من هنالك ، وقد أسفرت عن وجه التحقيق اللثام ، وتحت الشمس ينسكب الغمام » .

ولم يتوضح هنا شكل هذا الاختراع ، وانما تسميه الرسالة مسطرة عند بيان طرق استخدامه في المطالب التوقيتية ، فيكون شبيهاً بالآلة التي كانت تسمى بالمغرب « الركلة العجمية » : « مقياس جنتر » .

---

(1) من نسخة من أصل هذا الظهير .

والغالب أن هذه الآلة الاخيرة هي المعنية بالمقارنة التي جاء فيها : « ففاقت الرومية الآتية من هنالك » .

والرسالة مفتتحة بمقدمة ذكر فيها من خاض في هذه العلوم من الاعلام ، وحكم الاشتغال بها ، وقد جعله تعتريه الاحكام الشرعية الخمسة ، مع استعراض أدلة الجواز ، وبعد هذا تخلص للموضوع ، وأخذ في ذكر طرق استعمال هذه الآلة في المطالب التوقيتية .

والمعروف ـ لحد الآن ـ من هذه الرسالة ثلاث نسخ : الأولى في المكتبة الاحمدية ، والثانية في المكتبة العبد الرازقية بمراكش ، والثالثة في الخزانة العامة بالرباط ، وهي تحمل رقم د 266 ، وتقع في تسع صفحات ، مسطرة 20 ، مقياس 175/230 ، خط مغربي جميل ملون ، خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ ، ويلاحظ أن النسخ الثلاثة كلها خالية من رسم للآلة المخترعة .

2 ـ محمد بن محمد الاشخم

وهو الذي ورد اسمه ـ قريباً ـ في خطبة « نخبة الملوك » ، حيث تذكر أنه تولى اخراج الآلة الآنفة الذكر ، وهذا لا يزال مجهول الترجمة ، وقد جاء ذكره في وثيقة حبسية مؤرخة في 3 محرم عام 1274هـ/1857م ، [1] وفيها يسمى : محمد الاشخم الزرهوني .

3 ـ محمد بن المفضل ابن كيران الفاسي

ان هذا لم يوقف له على ترجمة ، وانما توجد معلومات متفرقة عنه سيرد ذكرها في هذا البحث ، وقد بقي بقيد الحياة الى أيام السلطان الحسن الاول ، حيث كان يتولى توقيت منار جامع الرصيف بفاس عام 1306هـ ، والمعروف من آثاره هو :

---

(1) الوثيقة واردة في « اتحاف أعلام الناس » ج 5 ص 123 .

أ ـ اخترع « ثمن الدائرة » في الاعمال التوقيتية وغيرها ، واستخدمه بـدلاً من « الربع المجيب » المتداول في هذه الاعمال[1] وقد طبع هذا الثمن بالمطبعـة الحجريـة الفاسية ، وتفيد قطعة ـ آتية الذكر ـ للمترجم : أنه أضاف لهذا الثمن ضلعـاً : ثابتـاً ومتحركاً كالأقواس الرومية ، واستغنى بهذا عما يستخدم به الربع المجيب : من الخيط والمري والشاقول ، ولم يطبع هذا الضلع مع الثمن ، وحسب نفس القطعة فقد كـان الذي وجه المترجم لهذا الابتكار ، هو أحد الاشراف الوزانيين من أهل فاس ، في عام 1264هـ/ 1847-1848م .

ب ـ رسالة في طريقة العمل بالجهاز المبتكر ، أشـار لها في نفس القـطعة ، ولم أقف عليها[2] .

ج ـ اختراعات أخرى مهمة ضاعت بموته ، وقد أشار لها ابن زيدان في « الدرر الفاخرة »[3] ، دون أن يحدد موضوعها .

د ـ « شرح مقدمة في الهندسة المساحيـة » لداود الانـطاكي ، ويوجـد من هذا الشرح قطعة من آخره في الخزانة العامة بالربـاط تحت رقم د1051 ، وهي خاليـة من اسم المؤلف، الذي يعرف بواسطة فقرات من نفس القطعة وردت في مصدر آخر[4]، ونسبت للمترجم باسم محمـد بن المفضل ابن كيـران الفاسي ، مـع تحليته بـالفقيه ، الموقت ، الحيسوبي ، المهندس ، الطبيب .

ومن محـاسن هذه القـطعة أنها ذيلت بـأمثلة من معضلات الصنـاعة القـديمـة والحديثة ، حيث يبرهن المؤلف ـ في هذا الصدد ـ على اقتدار هندسي ، وبعد هذا تأتي

---

(1) « الدرر الفاخرة » لابن زيدان ص 96 ، مع قطعة من تأليف للمترجم ستحدث عنها وشيكاً .

(2) المعروف هو أرجوزة له في نفس الموضوع من صفحة واحدة ، في مجموع بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3651 ـ ورقة 127 أ .

(3) ص 96 .

(4) « الروض المنيف في التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف»، تأليف أبي محمد عبد الله بن الطيب بن أحمد الوزاني الحسني ، الجزء الثاني ، خ . ع ، ك 2304.

خاتمة الشرح ، وقد ذكر فيها فضيلة علم الهندسة المساحية ، وتحدث عن نهضة علم الفلك ـ بالمغرب ـ في القرن الثالث عشر للهجرة ، ولأهمية الموضوعين في التعريف بالمترجم ، سيكون من المرغوب فيه اثبات النص الذي يتناولهما ـ معاً ـ في ذيل هذا الباب .

وقد بقي ـ بعد هذا ـ أن نذكر أن هذه القطعة تقع في ثمان صفحات ، مسطرة 13 ، مقياس 180/233 ، خط مغربي مجوهر مليح ملون مجدول ، خال من اسم المؤلف والناسخ ومن تاريخ التأليف والنسخ .

هـ ـ « الدرر اللوامع ، في فنون الموقت الجامع المانع » ، درس فيه ثلاثة علوم : الحساب ، والهندسة ، والهيئة ، وقد وضح بعض مسائل هذا العلم الاخير برسوم كروية متنوعة ، كما أدرج في علم الهندسة نص شرحه للمقدمة الانطاكية ، وهو الشرح الآنف الذكر عند رقم د ، غير أنه لم يورد خاتمته بتمامها ، وأخيراً يختم « الدرر اللوامع » بقصيدة في مدح الحسن الاول .

منه نسخة في 62 ص ، مسطرة مختلفة ، حجم متوسط ، خط مغربي مجوهر مليح ملون مجدول ، وهي بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 1966 .

4 ـ عبد الرحمن العلج

سبق الالمام بترجمته ، ونذكر هنا أن له يداً في نشر العلوم الرياضية والعسكرية الحديثة بين المغاربة الذين أخذوا عنه بفاس ومراكش وغيرهما[1] ، ومن مؤلفاته :

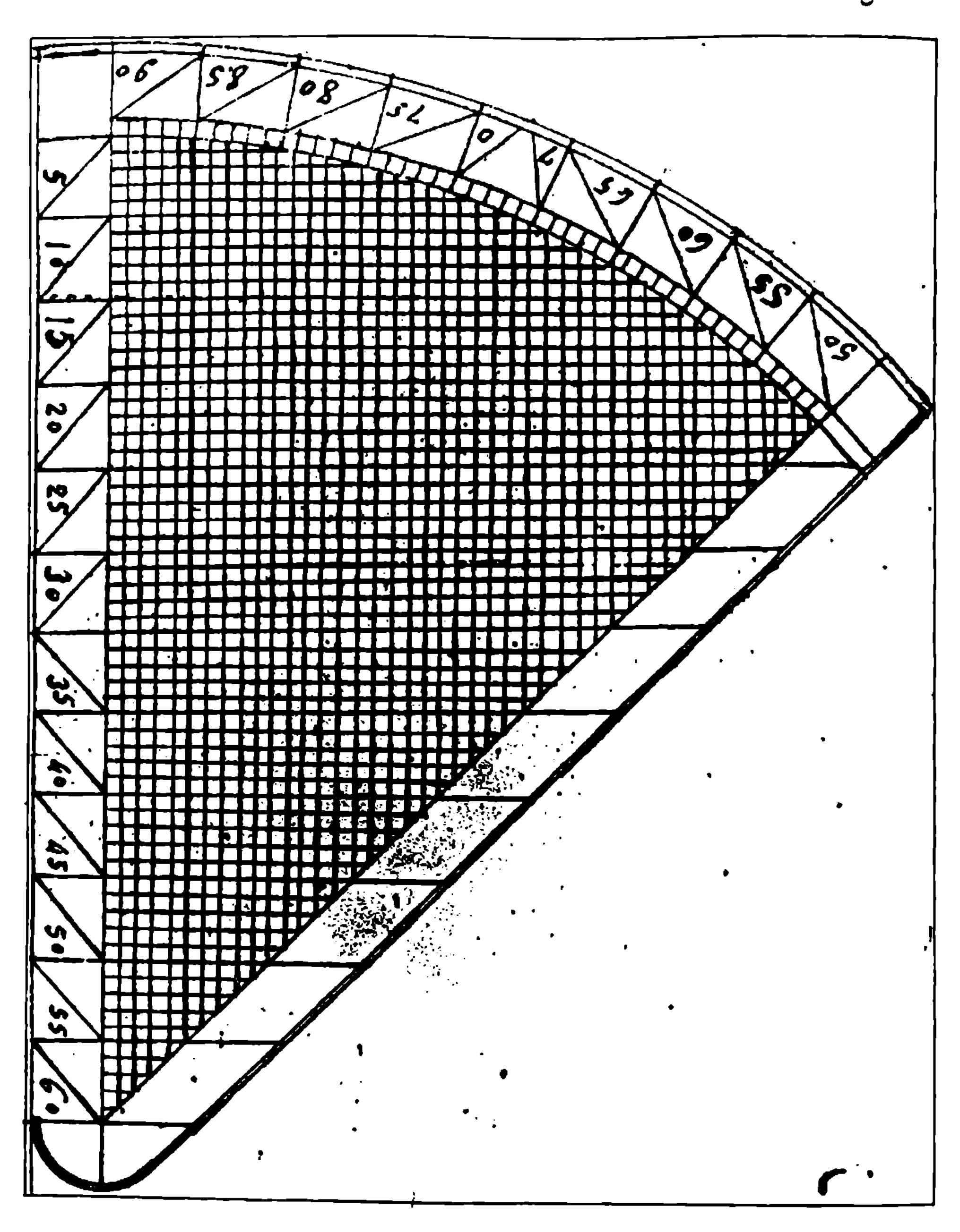
أ ـ **رسالة في الكرة** ، أولها : « أقول ـ بعد حمد الله والصلاة على رسوله المصطفى ـ أن الكرة لا ينتفع بها من لا يتقن دراسة خواصها .

رتبها على الاعمال ، وذكر في الكرة السماوية 37 عملاً ختمها بالكلام على صور

---

(1) « الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام » : القسم المخطوط ـ عند ترجمة المذكور .

شكل ــ 8



ثمن الدائرة من ابتكار محمد بن المفضل ابن كيران .

الكواكب ، ثم ذكر في الكرة الارضية 34 عملاً ، وتحدث في آخرها على الآلة التي اخترعها كوبيرنيك .

منها نسخة عند موقت مراكش ، العلامة الفلكي الجليل ، محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرازق ، حيث وقفت عليها بمنزلة عشية يوم الاثنين 13 شعبان عام 1380هـ/ 30 يناير سنة 1961م .

ب ـ « **رسالة في الأعمال اللوغاريتمية** » ، نسبها له في « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام »[1] وفي « منهاج كشف الحجاب »[2] للحسن المشيشي آتي الذكر ، يفيد أن هذه الرسالة تعريب للاعمال اللوغاريتمية .

5 ـ الحسن المشيشي

اسمه الكامل : الحسن بن عبد الرحمن المشيشي المراكشي ، ولم أقف على ترجمته التي يتوقع أن تكون ضمن القسم المخطوط من الاعلام للقاضي عباس بن إبراهيم ، وقد ألف :

« **منهاج كشف الحجاب ، عن التوقيت والقبلة بالآلة وغريتمو والحساب** » افتتحه هكذا : « الحمد لله الذي جعل السماوات والارض وما فيهن دليلاً على وحدانيته » ، ثم قال :

« هذا تقييد بعض ما يتعلق بالتوقيت بعمل الربع ، والحساب ، وعمل غريتمو . واسطرلاب ، والكرة ، وتسطير الساعات المعتدلة : المبسوطة ، والمنكوسة ، والمنحرفة ، وعمل غريتمو هو المقصود عندي بالذات ، وغيره كالبرهان على عمله » .

ابتدأه بمقدمة في رسوم الربع والاسطرلاب والكرة واصطلاحات غريتمو ، ثم

---

(1) القسم المخطوط أيضاً .

(2) ورقة 88 أ من المجموع الواقع به هذا المصدر الذي سنتحدث عنه قريباً .

تخلص للموضوع حيث صنفه في 18 باباً .

منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط ، أثناء مجموع يحمل رقم د 1423 ، من ورقة 79 ب الى ورقة 127أ ، مسطرة 23 ، مقياس 175/225 ، خط مغربي لا بأس به ملون مجدول ، خال من تاريخ التأليف والنسخ واسم الناسخ ، ثم وقفت على نسختين أخريين ، من نفس الرسالة ، وهما ـ معاً ـ بالمكتبة الصبيحية بسلا ، أول مجموعتين رقم 1620 ، ورقم 1622 .

6 ـ عبد السلام الاودي

وهو عبد السلام بن ادريس بن أحمد بن عبد القادر الاودي السبيطي ، ميقاتي الامير محمد الرابع أيام خلافته عن والده ، ويعرف بالفلكي ، لم أقف على ترجمته ، وإنما تعرف له رسالته الآتية وشيكاً ، مع رسالة أخرى في العمل بالاسطرلاب ، وضعها برسم الحسن الاول قبل مبايعته « نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 45 » ، ويهمنا من هذه الأخيرة تاريخ الفراغ منها : في 2 ربيع الاول عام 1288هـ/1871م . وهكذا نستفيد أن المترجم بقي بقيد الحياة حتى هذا التاريخ ، أما الرسالة المعنية بالأمر فقد سماها :

« فتح الملك العلام ، على عبده الذليل الضعيف الاودي السبيطي عبد السلام ، في التوصل إلى معرفة الاوقات بالخيط والقلم » ، جعلها في التوقيت ، وخللها بالهيئة وغيرها وبما تحتاج له من الهندسة ، وهذا هو موضوع المقدمة ، وقد استكثر فيها من الابواب فجعل لكل مسألة باباً تقريباً ، حتى جاءت مرتبة على 120 باباً عدى المقدمة والخاتمة ، وأولها :

الحمد لله فاتح الابواب ، مقلب القلوب مدبر الأمور ومهيء الاسباب .

والجديد في هذه الرسالة بالنسبة لزمنها : انها تستخرج المطالب التوقيتية ـ إلى جانب الربع المجيب ـ بالنسبة اللوغاريتمية ، وقد خصص لهذا الموضوع الأبواب 106 حتى الباب 120 ، ثم جعل « الخاتمة » في الرماية بالمدفع والمهراس ، وصنفها في تسعة

فصول ، وهو يستخدم في بعض مطالب هذه الخاتمة الربع المجيب ، كما يستعمل آلة يسميها الركلة العجمية : « مقياس جنتر » .

فرغ من تأليفها ليلة الخميس متم جمادى الأولى عام 1275هـ/1859م . وقفت منها على نسختين : أهمهما نسخة المكتبة الملكية بالرباط ، وهي تحمل رقم 1040 ، في 64 ورقة ، مسطرة 18 ، مقياس 185/225 ، خط مغربي لا بأس به سريع ملون ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، وتتخللها الحاقات بخط مغاير قد يكون خط المؤلف ، وقد صدرت بتقريظ عليها بخط شرقي مليح ، وامضاء عبد الله بن الرئيس علي ، شيخ زمزم ، وصاحب الوقت بمكة المشرفة ، في 19 حجة عام 1275هـ/1859م .

7 ـ السعيد المراكشي

كتب « رسالة في الأعمال اللوغاريتمية » ، ولا تعرف إلا بواسطة حفيده عمر بن محمد بن السعيد ، حيث اقتبس منها فقرات أثبتها بنصها في كتابه : « شد الرحلة » آتي الذكر .

8 ـ أحمد الصويري

وهو المتكرر الذكر في هذه الدراسة ، وكان حسب الاعلام[1] ، عارفاً بالحساب ، والتوقيت ، والتنجيم ، وعلم الاحكام الفلكية ، والتعديل ، وتسطير الرخامات ، وعلمها وما يتعلق بها ، وعلم الهيئة ، وقد وضع مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة ، وفي الأعمال اللوغاريتمية ، وحل أشكالاً هندسية ونقلها إلى الأعمال الحسابية .

وهناك بعض أعمال في اللوغاريتم ورد نقلها عن المترجم في المؤلف الآتي الذكر : « الكواكب الدرية في الأعمال اللوغاريتمية » ، أما آثاره فلا يعرف منها سوى :

---

(1) للقاضي عباس بن ابراهيم ج 2 ص 266 - 267.

رسالة في شرح طريقة العمل بجداول اللوغاريتمات ، ويسميها : « غنية الطالب وتذكرة اللبيب ، وأثمد لكل محب وحبيب » رتبها على ثلاث مقالات :

الاولى : في استعمال العدة العشارية ، في الأصول الحسابية ، وفيها مقدمة وثمانية فصول .

الثانية : في انشاء اللوغاريتمات ، وأعمالها الحسابية ، وفيها ثمانية عشر فصلاً .

الثالثة : في وجوه استخراج مطالب الميقات ، وحساب مجاهل المثلثات ، بواسطة اللوغاريتمات ، وفيها ثمانية عشر فصلاً وخاتمة .

كتبها بمكناس ، وجعل حساباتها على عرض نفس المدينة وطولها ، وقال عن تاريخ التأليف : « وكان الفراغ من تقييده بعد زوال يوم الاثنين ، الحادي عشر من صفر الخير ، عام 1278 بمدينة مكناسة الزيتون » . مخطوطة خاصة بها 100 ص ، مسطرة 23 ، مقياس 113/180 .

خط مغربي مجوهر دقيق جميل ، ووقع الفراغ من انتساخها يوم الجمعة 26 من صفر الخير ، عام 1279هـ ، على يد قاسم بن محمد بن قاسم ابن ابراهيم أصلاً التادلي، المكناسي الدار منشئاً حسب تعبير الناسخ .

يتخلل الرسالة جداول ورسوم توضيحية ، على بياض وقع في مكان جدول واحد ، وهناك نسخة ثانية منها ، وقد وقفت عليها أخيراً بالمكتبة الصبيحية بسلا ، وتقع ثانية مجموع يحمل رقم 1620 .

ومن المصادر الحديثة للرسالة :

- « ثمرة الاكتساب ، في علم الحساب » ، « معرب » .
- مؤلفات اللوغاريتمات الفرنسية والانكليزية .
- كتاب لالاند الفرنسي .
- خرائط جغرافية حديثة .

ومن أفكار مؤلف الرسالة ما يسجله عند الفصل الرابع من المقالة الثانية ، وهو يعقب[1] على ذكر مخترع الجداول اللوغاريتمية ويقول :

« اعلم أن الروم مسبوقون بما ادعوا اختراعه من هذه الاسوس الاصلية والنسب الاساسية ، ولا فضيلة اختراع لهم ، لأن علماء الإسلام ـ أبقى الله بركتهم ـ هم المتكلمون في ذلك ، والمؤسسون له قديماً ، وقد نص على ذلك ابن البنا في التلخيص وفي الأصول والمقدمات من علم الجبر ، ونظمه الامام الفارسي ، ثم الإمام ابن غازي من بعده وأجاد . . .

نعم للروم مزية الاعتناء بتلك الاصول ، وإمعان النظر فيها ، واستقرائها ، وتنوع جزئياتها ، واستخراج ما هو منها في القوة الى الفعل ، وتدقيق معانيها ، حتى صارت دعاويها النظرية كأنها بديهية ، ثم استعانوا على تسهيل ذلك بتركهم أخذ الجذر الغير المنطق بالكناية بأن أخذوه تقريباً ، ودققوه بواسطة الكسور الاعشارية ، وبعد تحصيلهم لذلك سطروه في جداول ، وسموها جداول اللوغاريتمات ، فننسب لهم اختراعها .

ومن الألة الواضحة أن ما ادعوه باطل ، ان معنى اللوغاريتم بالعربية الأس ، وان النسبتين اللتين بهما استعانوا على تسهيل ما سطروه في تلك الجداول ، هما النسبة الهندسية والحسابية ، أعني التناسب على الكيف والكم ، وهذا أمر معلوم في أصول الحساب ، وقد ضمنه ابن غازي في نظم المنية . . .

ومن خواص هاتين النسبتين استخرجوا ما سموه باللوغاريتم .

وأما ما ادعوه (من) اختصاره من الأعمال الحسابية بواسطة اللوغاريتمات ، وذلك رد الضرب والقسمة للجمع والطرح ، وأخذ جذر أي درجة إلى ضرب وقسمة بسيطين ، فأصله معلوم ومقرر في كتب علمائنا أبقى الله بركتهم ، وذلك أن رد الضرب

---

(1) يهدف الرياضي المغربي بهذا التعقيب ، الى اثبات أن الرياضيين العرب ـ وبينهم المغاربة ـ كانوا قد مهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات ، خلافاً للشائع بين علماء الافرنج ، ومن الأكيد اضافة هذا التعقيب المغربي ، الى ما ورد عند الاستاذ قدري حافظ طوقان ، في كتابه : « تراث العرب العلمي » ، الطبعة الثانية ـ ص 65- 68.

للجمع الذي هو أصله في الحقيقة ، ورد القسمة للطرح الذي هو أصلها كذلك ، فطالع شرح المنية لابن غازي عند قوله :

الضرب والقسم من السطوح .

وأصله ما نظمه ابن غازي في المنية في باب ضرب الاجناس . . و . . في باب قسمة الاجناس .

وأما رد التجذير للضرب والقسمة اللذين هما أصلاه ، بقسمة أس العدد المطلوب ضلعه على عدة آحاد درجته لاستخراج ضلعه ، لأنا إذا أردنا ضرب أي عدد في مثله : أي تضعيفه بقدر آحاده ، أو ضربه في مثله ـ مراراً ـ لتخميسه وتسديسه إلى آخره ، فعلى ما ذكر في رد الضرب للجمع يلزم أن تجمع أسوس المضروبات ، ومجموعها يكون أساً لناتجها .

فإذا تقرر هذا يعلم منه أنه إذا أريد أخذ ضلع أي عدد يقسم أسه الذي هو النسبة اللوغاريتمية على عدة آحاد درجته ، أعني على عدد المرار التي يضرب بها في مثله ، وعلة هذه القسمة هو ما تقرر في الأصول ، من أن خارج القسمة إذا قسم على أحد المضروبين خرج الآخر . . ومن حيث كون هذه المضروبات ـ اثنين كانت أو أكثر ـ متماثلة كماً وكيفاً . اطرد فيها قسم ناتجها على عدة آحاد درجته أي قوته » .

ومن صفحات الرسالة ما جاء في الفصل 16 من المقالة الثانية ونصه :

« الفصل 16 : في البحث عن استخراج مقادير الجيوب والظلال ولوغاريتمياتها ، المثبوتة في الجدول الثاني والثالث من جداول اللوغاريتميات الثلاثة من الجدول الاول الذي هو الأصل له .

لم أقف على من نص على ما يستخرج ما ذكر ، الا اني كنت سمعت من بعض المهندسين الممنون عليه : ان القاعدة في ذلك أن تفرض تجزئته خطاً مستقيماً لأجزاء كثيرة ، ويتخذ أساساً لذلك ، فلم يفدني منه هذا الكلام شيئاً ، فأعرضت عنه واشتغلت أبحث عن المقصود فيما هو تحت اليد من اللوغاريتميات الفرنساوية والنجليزية ، مع أن

رسائلها كلها مكتوبة باللغة العجمية ، وانما أصفح أمثلتها لعلني أعثر عن المقصود أو على ما يشير إليه ، فوقفت على ترجمة في لوغاريتم النجليز تكلم فيها على استعمال الجدولين الاخيرين من اللوغاريتم ، المرقوم في أحدهما نسب الجيوب والظلال ، وفي الآخر نسب الاعشار في الأعمال الفلكية : إن نصف القطر يجزؤ لعشرة ملايين ، ومن أي جزء من أجزاء المحيط ، كثانية أو دقيقة أو درجة ، تنزل أعمدة على هذا القطر المجزء ، ثم تعلم نسبها من المذكورة .

فجمعت هذا لما سمعت من المهندس المذكور ، فغلب علي الظن أنه المقصود ، فصورت له شكلاً وامتحنته فوجدته المقصود ، وأعماله صحيحة لله الحمد وله المنة ، ولا أدري لماذا سكت عن هذا المعنى مؤلف ثمرة الاكتساب . .

ثم لما استقرأت أحوال الشكل المذكور ، تحقق لدي أن الأجزاء التي تجزأ بها القطر المذكور ، هي الاعداد المثبتة في الجدول الثالثة من اللوغاريتم المكتوب أعلاه : « نسبة عشارية » ، وهي المسماة بالجيوب المحلولة ، ولوغاريتمياتها أي أسوسها هي أسـوس الجيوب والظلال والسهام ، وتماماتها المثبتة في الجدول الثـاني من اللوغاريتم المكتـوب أعلاه : « نسبة جيبية ، نسبة ظلية » . . » .

9 ـ الحسن المزميزي

وهو أبو علي الحسن بن محمد المزميزي المراكشي ، المتوفي أواسط العشرة الثانية من هذه المائة الهجرة : 14 ، وكان ـ إلى جانب تضلعه في كثير من العلوم ـ صدراً في علم التنجيم والحساب والعمل بالآلات الميقاتية الحديثة[1] ، وله :

« حاشية على رسالة في الأعمال اللوغاريتمية » ، وهي رسالة عبد الرحمن العلج سابق الذكر عند رقم 4 ، نسبها له في الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام[2] .

---

(1) السعادة الابدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ـ ج 1 ص 104 عند ترجمة المذكور .

(2) القسم المخطوط : عند ترجمة العلج .

10 ـ الطاهر الحمـري

واسمه الكامل : الطاهر بن المحجوب بن محمد الحمري السعيدي المراكشي ، لم أقف على ترجمته التي يغلب أن تكون ضمن القسم المخطوط من الاعلام المراكشي ، وورد ذكره في المطبوع من هذا المصدر[1] بين الآخذين عن أبي العباس أحمد الصويري ، محلياً له بالبارع في التعاليم ، وله :

أ ـ « الكواكب الذرية ، في الأعمال اللوغاريتمية » ، وضعه برسم السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول ، ورتبه على مقدمة وثلاثة وأربعين باباً ، وفي كل باب فصول ، وأوله :

الحمد لله مقدر الأوقات بقدرته ، ومدير الكواكب بإرادته .

فرغ من تأليفه يوم الجمعة 11 صفر بالروؤية ، الموافق لـ 12 بالعلامة ، من عام 1316هـ/1898م .

منه نسخة خاصة ضمن مجمـوع ، من ص 80 إلى ص 131 ، مسطرة 20 ، مقياس 175/210 ، خط مغربي متوسط واضح ملون ، عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ الذي هو محمد بن أحمد المزوي الفاسي ، وهنـاك نسخة أخـرى منه بـالمكتبة الصبيحية بسلا ، ثالثة مجموع يحمل رقم 1620 .

ب ـ « الدستور ، في أوقـات المعمور » ، نسبـه له مؤلف « الأعـلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام »[2] ، ورأيت من ذكر وجود نسخة منه بخط مؤلفه .

11 ـ عمر بن محمد بن السعيد المراكشي :

مؤلف « شد الرحلة ، لعملي لوغاريتمو والركلة » .

وهو يستعرض في افتتاحيته الآلات الفلكية المتعارفة، ويذكر منها الاسطرلاب ،

---

(1) ج 2 ص 267.

(2) ج 2 ص 267.

والربع المقنطر ، والربع المجيب ، ونصف الدائرة ، والربـع المظلم ، وذات الحلق ، والكـورة ، ومن الاجهزة الحـديثة يسمي : الـربـع الشعـاعي ، والثمن ، والقـوس الزجاجي ، والمقاييس الحديثة التي يسميها بالركلات ، وأخيراً : كتاب لوغاريتم .

وبعد هذا يلاحظ أنه وجد تحقيق العمليات الميقاتية باللوغاريتم أصح وأضبط ، ويليه العمل بما يسميه بالركلة .

وقد وضع هذه الرسالة ليشرح بها طريقة العمل بالجهازين لاستخراج المطالب الميقاتية وما إليها .

وعن مصادره الاساسية يذكر ثلاثة :
- ما أخذه عن أستاذه عبد الرحمن العلج .
- ما وجده في رسالة جده السعيد المراكشي في الأعمال اللوغاريتمية .
- كتاب الجامع الاسباني .

هذا إلى مصادر أخرى ثانوية ، نخص بالذكر منها كتاب لالاند الفرنسي .
والرسالة مرتبة على مقدمة وعشرين باباً ، وتتناول المقدمة :

1 - التعريف بكتاب لوغاريتمو : فتذكر تسميته ، وواضعه ، وطريقة العمل به .

2 - التعريف « بمقياس جنتر » ، ويعرف في المغرب باسم « الركلة » ، وهو يذكر وصفها ، ورسومها ، وطريقة العمل بها .

وبعد هذا يأخذ في تقديم الابواب العشرين للرسالة ، ويلاحظ في خاتمة الباب الأول : اهمال كثير من المؤلفين الميقاتيين للكلام على طريقة استخراج الدرجة .

ويتناول في الباب الثالث معرفة أخذ الارتفاع ، حيث يستطرد الحديث عن القوس الزجاجية الملونة لتحرير طريقة أخذ الارتفاع بها ، لعدم من تعرض لذلك من المؤلفين المغاربة المعنيين بالأمر ، ولا يستثني من هذا سوى جده السعيد المراكشي الذي أخذ ذلك عن حكيم انجليزي وغيره .

وبالاضافة إلى الابواب المتعارفة لاستخراج المطالب التوقيتية ، يتناول ـ في الباب التاسع عشر ـ طريقة استخراج سموت فضل الدائر في الرخامة على اختلاف اوضاعها ، وفي الباب العشرين يشرح كيفية التسطير على اللوحات أو الرخامات .

وقع الفراغ من تبيض هذه الرسالة عشية الثلاثاء 29 شوال عام 1318هـ/1901م .

ومنها نسخة في حوزة الفقيه السيد أحمد الكنسوسي من علماء ثانوية ابن يوسف بمراكش : ص 82 ، حجم متوسط ، مسطرة 20 ، مكتوبة بخط مغربي مراكشي مليح ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

12 ـ الاغــزاوي

محمـد بن علي بن عمـرو بن علي الاغـزاوي الفـاسي ، المتـوفي عـام 1340هـ/1922م ، شيخ علوم الفلك والتنجيم بفاس ، وآخر من صنع الاسطرلاب ـ بيده ـ في المغرب[1] ، ويوجد من بين مؤلفاته :

« رغبة أولي الألباب ، من طلاب علم الميقات بلوغاريتم المستطاب » ، شرح فيه نظمه الرجزي لقواعد اللوغاريتمو ، وهي التي جمعها أستاذه عبد السلام العلمي مار الذكر ، وضمنها المقالة الثانية من المقدمة التي صدر بها شرحه للارجوزة المسماة بتحرير المواقيت لعبد العزيز الوزكاني آتي الذكر ، وقد أكمل المترجم مؤلفه هذا أواخر عام 1321 هـ ، وجاء في آخره : « وقد كنت سودت على هذا النظم عدة رقاع ، فاغتالتها يد الضياع ، ثم أعدت هذه الأوراق . . ووافق الفراغ من تبييضه ليلة الأحد ، متم شوال الابرك بالعلامة ، عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف » ، وبهذا يكون تأليف هذا الشرح وقع قريباً من الفترة التي ندرسها .

---

(1) ترجمته عند القاضي أحمد سكيرج ، في فهرسته : « قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ » ، خ ، ع ، د 3844 ـ ص 201 - 202 ، ثم في « سل النصال ، للنضال بالاشياخ وأهل الكمال » ، للمؤرخ أبي خليل عبد السلام ابن سودة المري : « مخطوطة المؤلف » .

أوله : « الحمد لله بجميع المحامد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الشاهد ، وعلى آله وصحابته الاعلام الأماجد » .

ومطلع النظم :

حمداً لرافع السماوات الطباق   ثم على الشفيع في يوم التلاق

يوجد من هذا الشرح ثلاث نسخ نواقص الأواخر ، أولاها بالمكتبة الملكية رقم 7083 ، وهي مكتوبة في دفتر مدرسي في 17 ورقة ، ووقع بياض في أكثر الورقة الاخيرة ، مسطرة 23 ، مقياس 185/230 ، خط مغربي مليح سريع ، خال من تاريخ النسخ والتأليف واسم الناسخ ، الذي هو العلامة الفلكي محمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمن أقصبي الفاسي تلميذ المؤلف ، أما النسخة الثانية فهي خاصة ، بخط أبي علي الحسن بن محمد المنوني وغيره ، والثالثة بالمكتبة الاحمدية ، وأخيراً : وقفت على مخطوطة رابعة من نفس الشرح بالمكتبة الصبيحية بسلا ، وهي تامة ، وتقع ضمن مجموع يحمل رقم 1650 .

وسيكون الفلكي محمد الاغزاوي ثاني عشر من تقدمهم هذه الدراسة ، كأصحاب موضوعات فلكية جديدة .

وسينضاف لهؤلاء (13) اسم الحسن ابن جلون المراكشي ، حيث ينسب له البعض تأليف « مقدمة » كتبها على « عمدة أهل الثبت ، في منشأ اللوغاريتمات » ولم أقف عليها .

خاتمة :

وستكون خاتمة هذا الباب ، اثبات النص الذي ذيل به محمد بن المفضل إبن كيران الفاسي شرحه الذي وضعه على مقدمة في الهندسة المساحية ، وحسبما تقدم فان هذا النص يشتمل على : « أ » ـ أمثلة من معضلات الصناعة القديمة والحديثة ، « ب » ـ فضيلة علم الهندسة المساحية ، ونهضة علم الفلك ـ بالمغرب ـ في القرن الثالث عشر

للهجرة ، ولأهمية الموضوعين في التعريف بمحمد ابن كيران المذكور ، نورد النص الذي يتناولهما ـ معاً ـ فيما يلي :

« قلت ومما يتسلط به الذهن الثاقب على معضل الصناعة في الزمان القديم : صناعة الكرة السماوية والأرضية : انظر السماوية في حالة انشائها بعدما حقق صانعها قطرها ودورها وقسمها بادراج الدور الثلاثمائة والستين ، وقسم البروج من نقطتي القطبين حيث ينتهي كل جزء من أجزاء البروج ، ثم وضع فيها صورها بعد رصد كل كوكب من كواكب الصور المتوسطة ، ووضعه في محله بميله ومطالعه ، وقدره في الأجزاء الستة ، وقاطع المنطقة بالمعدل ، واعتبر الحركة الاولى والثانية ، ثم فعل بالصور الشمالية الحادية والعشرين مثل ما فعل بالمتوسطة، ورصد كواكبها كذلك بأميالها ومطالعها ، وقدّرها فوضعها بمكانها ، ثم فعل بالخمس عشرة صورة الجنوبية مثل الشمالية ، ثم وضعها مستوية على حالها في أفق الاستواء ، ومائلة حيث يرتفع القطب ، وأخذ الاعمال بها فصحت ، فحق لصانعها ومنشئها الشرف والمزية بسبب هذه الأعمال ، حيث لم يسبق إليه ، كالأرضية : حيث اعتبر بها صانعها البحار وقدرها في العرض والطول ، وفصل الأقاليم المسكونة بها ، والمدن لكل اقليم ، وعرض كل مدينة وطولها حيث اقتضته المسامتة ، واعتبر حد كل مملكة في طوائف الأمم بها ، وجعلها نائبة عن السماوية في الأعمال ، وهذا كله من بديع الصناعة ومعضلها ، كالجغرافيا ـ المعبر عنها بالكارطة بالعجمية ـ البرية والبحرية كذلك .

ومن معضل الصناعة أيضاً : ما استخرجه الروم في الزمان الحادث كزماننا هذا : من صناعة السفن البحرية والبرية المعبر عنها بالبابور ، والسلك المخبر به من أرض إلى أرض ، وكل ذلك من ثمرة هذا العلم ، زيادة على صناعة الآلات المعبر عنها بالفابريكات بالعجمي ـ أيضاً ـ لكل صناعة رقت أو دقت ، فسهل بها كل صعب : كأنواع المجانات ، والآلات المتحركة بأنفسها ولزمن مخصوص ولأمد كذلك ، وكونها تعمر في جمعة وشهر وسنة ، وأن لا تعطي خللاً ولا تزيد ولا تنقص بالمدة الطويلة ، وأن تخبر بالسوائع وانصافها والارباع والاقسام إلى غير ذلك ، وبالجمعة والشهر والسنة ، وطلوع

أزمان الهياكل السبعة بها ، واستعمال النغمات بالصنطير والشبابات والطاسات بكل الساعات أو ببعضها[1] ، وكل هذه المذكورات انما توصل من توصل لها أو بعضها : انما كان سبب توصله التوغل في هذا العلم ، وضبط أصوله وفروعه ، والضبط في هذا الباب ـ بعد معرفة ما ذكر ـ يكون بتحقيق الأدوار : أي الدوائر ونسبة مراكزها ـ حالة كونها متولدة : خماسية أو سداسية أو سباعية ـ إلى الأربعة عشر والستة عشر في الأكثر ، وغيرها في الأقل ، وتحقيق الدافع والقابل في الحركات ، والمرتفع : أي الرافع والخافض لها ، بعد تحقيق التسامت والتقابل ، وما يحرك البعض ويترك البعض إلى أوانه الخاص به ، بحسب ما اقتضته النسب الهندسية ، واختصت به أعدادها لما يراد منها ، وأما معرفتها الحل والعقد والاصلاح والافساد فلكل نوع ضابط محقق .

وكذلك من معضل الصناعة ـ أيضاً ـ تطابق الألحان والنغمات العربية بالموسيقات الرومية الحادثة في هذا الزمان ، فما كان منها على لسانهم العجمي فهو في غاية الحسن والاتقان، وما كان على لساننا العربي فهو في غاية الإجحاف ، لكونهم أخذوه عن غير أهله : وهم اليهود[2] لعنهم الله ، ولم يخف على ذي لب أن الغالب عليهم اللحن والركاكة ، فلذلك لم تتقن ولم يكمل حسنها ، وانظر كيف وقع تساوي النغمات وترتيبها بالمشط وهي على خطة واحدة ، سوى ما كان في نغمة الذيل والطبل والبوق من الندفات ، فاستثقلوه بثاقول ليتم أمره ويتقن ، وانظر ـ أيضاً ـ كيف توضع الموشحات بها وما يتلفظ به الشخص يوضع في البسيط ، حتى ينتهي دوراً واحداً على أسطر بحروفه ، أينما استقرت نغمته علم ووسم بنقطة ، حتى يكمل الدور بكمال التوشيح ، ثم يؤخذ في غير طبعه كذلك : ان كان العمل على أربعة من الطبوع أو ستة

---

(1) بخط أديب الرباط : محمد بن محمد التهامي ابن عمرو الأوسي ما نصه : دخلت يوماً بيت الأخ الوفي الصادق ، العلامة ، أبي محمد صالح الحكمي ـ أمنه الله ـ فنظرت الى مجانة بديعة الشكل ، غريبة المثل ، معربة عن السنة والشهر والجمعة واليوم والساعة ودقائقها ، فقلت :

يا صالحاً طاب في الأخيار منبته ... وسالكاً كل فج للهدى سلكوا
ما زلت تسمو الى العلياء مجتهدا ... حتى تدلى يزور بيتك الفلك

(2) يقصد الأغاني العربية المسجلة بلسان اليهود .

الى غير ذلك ، ثم يلف البسيط على المسمى بالقنوط ـ اصطلاحاً ـ منها ، وفي كل نقطة تجعل شوكة هي الرافعة لأسنان المشط ، أو لمطرقة الطاسات مع القابل والدافع لتبديل الطبع ، وهذا من معضل الصناعة وألطفها ، وأصل هذه الأشياء كلها : العلم الهندسي .

خاتمة : أذكر فيها فضيلة هذا العلم وبعض فروعه ، وجملة من اعتنى به من الأخيار والصالحين والملوك في أفقنا المغربي ، في هذه المائة الثالثة عشر ، متبركاً بذكرهم ، ومتمسكاً بأذيالهم .

أما فضيلته من حيث الصنائع فلا زالت موجودة مدة الأزمان والدهور ، ما دامت النقطة وفروعها موجودة كذلك ، وأما من حيث العلوم فلا زالت ملوك مغربنا رحمهم الله حافظة ومحصنة لثغوره من العدو الكافر ، ومواسية لأهل العلم المساحي الذي هو من معظم فروعه ، ومسدلة نعمها عليهم ، ومقوية أعدادهم ، كالعلم الفلكي كذلك .

ومن جملة من اعتنى به من الأخيار والصالحين في صدر هذه المائة ـ كعلم الفقه ـ الولي الصالح ، والقطب المناصح ، سيدنا ومولانا علي بن أحمد الحسني اليملحي الوزاني[1]، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، فكان يأتيه أهل هذا العلم من ثغر الرباط ويقيمون بحضرته المدة الطويلة ، فمنهم الفقيه المحقق المعدل السيد المعطي مرن « كذا »[2] كان ممن له في علم الفلك القدم الراسخ ، وعلى يديه ذلّل ولد الولي

---

(1) هناك تأليف في خصوص ترجمته بعنوان : « الكوكب الأسعد . . » لمحمد بن محمد بن حمزة المكناسي : « مكناسة تازا » ، مطبوع بالمطبعة الحجرية الفاسية ، على هامش « تحفة الأخوان » لأحمد دعي حمدون الطاهري الحسني ، وفي « دليل مؤرخ المغرب الأقصى » ، ج 1 ص 190 : ذكر تأليفاً ثانياً في ترجمته لمحمد ابن أحمد بن محمد الرهوني الامام الشهير، وله ترجمة مطولة في « الروض المنيف » : النسخة والجزء المذكورين في تعليق سابق ، ص 216، كما ترجمه أحمد بن العربي المدعو حسون الحسني الوزاني ، في فهرسته ضمن أشياخه ، حسب « فيلم » منها في الخزانة العامة بالرباط .

وأخيراً فان هذا هو الذي ورد ذكره أوائل « أوضح المسالك وأسهل المراقي » لأبي عبد الله الرهوني آنف الذكر ، ج 1 ص 5 - 6 ط . ف ، بمناسبة استفادته من حزانته في وضع الديوان المذكور .

(2) ترجمته في تاريخي الرباط: « مجالس الانبساط » ج 1 ص 167 ، و « الاغتباط » ج 2 ص 116 - 117 ، حسب =

المذكور : سيدي التهامي ابن علي[1] هذا العلم وانتفع به في حياة والده ، ومنهم الفقيه الموقت الحاذق السيد علي مرسيل[2] ، وتلميذه السيد الحاج محمد التريكي[3] ، ولهم بالحضرة الوزانية آلات متعددة في علم الفلك ، يصنعونها هنالك بحضرته ، ومن صنع منها شيئاً ـ في أرضه ـ بعث به للولي المذكور[4] .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يحض على تعلم هذا العلم ويبذل فيه ، فممن فاق غيره فيه بالحضرة الوزانية وسمي على أهل زمانه من الأشراف : سيدهم ورئيسهم ولده سيدي التهامي بن علي المذكور[5] ، وكذلك أخوه مولاي عبد الجليل بن علي ، كان له الحظ

= النسختين السالفتي الذكر ، مع التاريخ الرجزي المعنون « باتحاف أشراف الملا . ببعض أخبار الرباط وسلا » ، لمحمد بن محمد بن علي الدكالي .

(1) ترجمته في « الكوكب الأسعد » ، الطبعة المذكورة قريباً ، ص 185 - 186 ، وفي « الروض المنيف » : النسخة والجزء المذكورين .

(2) لم أقف على ترجمته .

(3) ترجمته في « اتحاف أشراف الملا » و « الاغتباط » ج 1 ص 192 ، وقد سبق القلم مرجز المصدر الأول ، فجعل وفاة هذا في العقد الثالث من القرن 14 هـ ، وهو ـ بدون شك ـ سهو عن القرن 13 هـ .

(4) من هذا ما جاء في ترجمة محمد التريكي ـ آنف الذكر ـ من « الاغتباط » لدى ذكر أوضاعه الفلكية :

ومنها : ربع عجيب وضعه للامام العارف ، أبي الحسن علي بن مولانا أحمد بن مولانا الطيب ـ رضي الله عنهم ـ وهو ربع متقن الصنعة ، محكم العمل ، نقش فيه أبياتاً من انشاء الأديب ابن عمرو ، وتتضمن تاريخ وضعه ، واسم من صنع له ، وصاحب صنعه ، وهي :

تملكني أمام العصر حقا ... على نجل أحمد ذي الثبات
أجاد محمد التركي صنعي ... فلي فضل على ماض وآت
أما أبصرت تاريخي برمز : ... « أعلم كل أوقات الصلاة »

(1221 هـ)

ونحو هذا وقفت عليه بخط شيخ الجماعة بالرباط ، الوزير ، محمد ابن عبد السلام الرندة الأندلسي الرباطي .

(5) ذكر عنه في « الروض المنيف » : أنه كان يوقت بثلاثة عشر آلة ، ولا يستبعد هذا ازاء الآلات الميقاتية التي كانت متداولة في وقته ، مثل الاسطرلاب ، والربع ، والصفائح ، وتحت كل واحدة من هذه انواع ، وكذلك بعض الآلات الحديثة مثل الأقواس الرومية ، اذا كان يستخدمها ، وقد كانت وفاته عام 1250 هـ .

وحسب طالعة الرسالة المعنونة بـ « كنز الاسرار ، وفيض الأنوار ، في تعديل النيرين والخمسة المتحيرة =

الوافر فيه وفي علم الطب كذلك[1]، ولا سيما سيدي ووسيلتي الى ربي ، الولي الصالح ، والقطب الناصح ، مولاي الحاج العربي بن علي ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وكان كثيراً ما يحضني على طلب هذا العلم في حياته ، وعلى يديه نلته ، وبإذنه تعلمته ، وجملة اخوانه أولاد الولي المذكور : سيدي أحمد بن علي ، وسيدي محمد بن علي ، وسيدي عبد الجبار بن علي ، وسيدي عبد القادر بن علي ، وسيدي ابراهيم بن علي ، وسيدي عبد الله ابن علي، كلهم تعلموا هذا العلم ونالوا منه في حياة والدهم ، متّعنا الله بذكرهم .

ثم ممن فاق غيره فيه من العامة بالحضرة الوزانية : الفقيه الحيسوبي الحاذق السيد عبد العزيز بن عبد السلام الوزكاني الوزاني ، رحمه الله تعالى ، ألف في التوقيت بالحساب : أرجوزة في غاية الاختصار والتحقيق ، ما سمح الزمان بمثلها ، وشرحها ـ بالعمل ـ في زمن الولي المذكور ، وقال في أولها :

الحمد لله قد جعلا ... من آلة الشعاع ظلا بدلا

وقال في تسميتها :

سميته التحرير للمواقيت ... يرجح بالروضة واليواقيت

وله شرح على أبيات سيدي عبد السلام الرندي الملخصة القليلة العدد ، التي أولها : في نقطة أولى لميل بعد ، ومطلق في آخرين يبدو .

اشتمل على علم التوقيت ، وله تأليف في علم الموسيقى في غاية الحسن والتحرير ،

بالأدوار » ، فان هذا هو الذي اقترح وضعها على مؤلفها : محمد المعطي بن أحمد الطيب بن محمد مرين الأندلسي الرباطي المذكور شيخاً له ، وموضوع هذه الرسالة في طريقة العمل بالزيج المعروف « بزيج زكوط » ، خ . ع ، د 2027 ، ضمن مجموع ، وفي طالعة « حلية الكتاب ومنية الطلاب » ، لأبي العباس أحمد بن محمد الرفاعي : يذكر هذا المؤلف عن نفسه : أنه كان ينتسخ للمذكور ـ بوزان ـ كتب التعديل وما اليها ، خ . ع ، د 254.

(1) عبار قطعة « الروض المنيف » في صدد السيد عبد الجليل هذا :

« وكان ـ رحمه الله ـ ممن له في هذا العلم وفي علم الطب والاسماء القدم الراسخ ، وقد صحبته وانتفعت به مدة من الزمن ، قدس الله روحه » .

صور فيه آلة الطرب وأتقن قواعدها[1] وأصولها ، وله نظم ونثر على علم الجدول في سر التداخل ، وكان رضي الله عنه مشاركاً[2] ، وممن قرأ هذا العلم وبرع فيه في زمن هذا الولي رضي الله عنه : الفقيه السيد علي الحداد [3] ، وكذا الفقيه البرنوصي الوزاني [4] ، وعدة من ساداتنا الأشراف غير المذكورين أولاً[5] .

---

(1) في قطعة « الروض المنيف » : وأتقن قوائمها ، وهذا التأليف الموسيقي لا يزال مخطوطاً .

(2) أن هذا النص يقدم معلومات فيها أشياء جديدة عن حياة عبد العزيز الوزجاني الذي لا توجد له ترجمة كاملة ، وينبغي أن يضاف لهذا . تاريخ ولادته الوارد في أوائل « أبدع اليواقيت على تحرير المواقيت » لعبد السلام العلمي المتكرر الذكر ، وهو ليله الأحد ، الثاني من صفر عام 1142 هـ ، وهناك مصدر ثالث يكشف عن ناحية أخرى من ثقافة المترجم ، وهو « فهرسة » أبي العلاء ادريس العراقي الفاسي « الحافظ » ، حيث يرد فيها شغف الوزجاني بالحديث والرواية ضمن اجازته من طرف أستاذه العراقي الذي روى عنه وعن غيره من بعض أعلام فاس . مجموعة مهمة من كتب الحديث ، وقد سماها هذا في استدعائه الاجازة من أستاذه المذكور ، وذلك بتاريخ عام 1167 هـ ، وقد ورد اسمه في هذا الاستدعاء هكذا : عبد العزيز بن عبد السلام ابن أحمد بن علي بن أحمد بن الحسين المعروف بالوزجاني ، ولتوضيح نسبة الوزجاني هذه نذكر أن هناك مخطوطاً بالمكتبة الملكية بالرباط يحمل رقم 4031 ، وقد ذكر ناسخه نسبه هكذا : الحمدي ، ثم الوزكاني ، ثم الرهوني .

وبعد هذا : فانه يوجد بنفس المكتبة تقييد طبي للوزجاني لم يرد ذكره في النص الذي نعلق عليه ، وهو : « رسالة في أدوية الانسان من رأسه الى قدميه » ، وقد جاء في أولها : قال الطبيب المتفنن في العلوم ، الموقت ، السيد عبد العزيز الوزجاني : . . هذا كتاب الطب ، وما من مسألة فيه الا قد جربت وصح فعلها . . يقع في 22 ص ، ضمن محفظة تحمل بهذه المكتبة رقم 2549 ، ويذكر ناسخه أنه حذف من آخره قطعة في موضوع العزائم . وأخيراً فان الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبي يذكر من تلاميذ المترجم : محمد المعطي مرينو آنف الذكر ، ويفيد معلومات عن ابنه محمد المشهور بابن عبد العزيز : فقد لقي الشيخين الوزانيين : سيدي علي ابن أحمد وابنه الحاج العربي ، وعاصر الفقيه الرهوني ، وصار قاضياً بوزان ، وبنت الوزجاني كانت تخرج الفرائض العويصة .

(3) عبارة قطعة « الروض المنيف » : « ومنهم الفقيه » ، الامام ، الذاكر ، المحقق ، السيد علي الحداد الخمسي ، الوزاني ، وقد ارتحل الى مدينة فاس في آخر عمره ، واستوطن بها فكان من عدولها » .

(4) عبارة قطعة « الروض المنيف » : « ومنهم الفقيه ، الامام ، المحقق ، العدل ، الحيسوبي ، المنجم ، سيدي محمد البرنوسي ، الوزاني ، وقد أدركته الوفاة وهو ساجد بالمسجد الأعظم من زاوية وزان ، وقد أدركته وانتفعت به » . والغالب أن هذا هو المترجم في « فهرسة » أحمد ابن العربي حسون ، باسم : محمد بن الحاج علي البرنوسي الأصل ، الوزاني المنشأ والدار .

(5) في « الروض المنيف » : « وعدة من الطلبة غير المذكورين » .

ثم لما سألني بعض أخوان الصفا، وخلان الوفا ، من أولاد المصطفى ، من الشرفاء الوزانيين القاطنين بالحضرة الإدريسية ، وقال في سؤاله : هل يمكن استخراج آلة من ربع الدستور[1] ، يصح بها العمل فيما هو من الأرض معمور ، ولتكن على الطريقة الجيبية ، جامعة للأعمال الليلية والنهارية ، سافرت الى زيارة شيخي ووسيلتي ، مولاي الحاج العربي بن علي ـ رضي الله عنه ـ في تلك السنة : وهي سنة أربعة وستين ومائتين وألف ، فأتيت بالربع المجيب اليه ، وقلت : سيدي نريد أن نقسم هذا الربع على نصفين ، ويقوم أحد النصفين مقام الربع ، فان أذن بذلك سيدي فعلت ، والا تأخرت ، ملتمساً البركة والاذن منه ، فقال رضي الله عنه : افعل ، واصنع منها اثنين : أحدهما أبعثه الى السلطان ، والثاني تقرؤ به مع ولدي ، واجعل لهما رسالتين ، ففعلت ، فلما تم عملهما وأتيت بهما اليه مع الرسالتين ، كان الأمر كما قال رضي الله عنه ، فبعث بأحدهما ـ مع الرسالة ـ الى السلطان مولاي عبد الرحمان بن مولاي هشام ، رحمة الله تعالى عليه ، ونفعنا ببركاته .

ثم بعدما توفي سيدي رحمة الله عليه[2] ، وقع في نفسي أن كثيراً ما تقع الزيادة والنقص به في الآلة الجيبية انما هو بسبب الخيط والمري ، وقلت : لو كانا ثابتين ومتحركين لكان أتم ، ولم يقع خلل ، فجعلت للآلة ضلعة كالأقواس الرومية : ثابتة ومتحركة ، تنتقل منها واليها الأعمال بسرعة وشيء يسير من العمل ، فتم أمرها ، عند ذلك قلت : أنظر هذه الخاصية في الربع ، حيث انطبق على الثلاثة أرباع من الدائرة وأخبر عن جملتها ، فقام الجزء الذي هو الربع مقام الكل الذي هو الدائرة ، وكذلك نصفه ـ الذي هو الثمن ـ قد انطبق على ثمن مثله : أقواساً وجيوباً وظلالاً ، فصار مخبراً عن السبعة أقسام الباقية من الفلك ، لأن كل جزء جزء منه في القوس كاف عن نفسه ـ كالحيوان كذلك ـ حيث كانت الأعمال تامة به ، فوقع الاختصار في الجرم ، وحيث وقع

---

(1) هذا أحد أسماء الربع المجيب .

(2) كانت وفاته ـ حسب « الروض المنيف » ـ في الثاني من المحرم فاتح عام 1267هـ/1850م ، وقد ورد ذكره في هذا المصدر وغيره.

في الجرم وقع في العمل لا محالة ، وضروري عند أهل هذا العلم الهندسي أن الشكل اذا انطبق على شكل مثله صار مساوياً ومماثلاً ومعادلاً له .

ويه تبطل حجة من أراد أن يدعي القول فيه لعدم وقوفه على الأصول ، فيستحيل في عقله القاصر ذلك، ولذلك أنشدت هذه القصيدة على طريق السؤال من علماء الفن الميقاتي ، متبركاً فيها بذكر ملك زماننا المنصور بالله ، مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمان ، نصره الله ـ ، لأنه ممن يرجع اليه في ذلك ، وذكرت فيها من أخلاقه وأوصافه الجميلة ما هو كالشمس أو كفلق الصبح ، فقلت :

عـلماء المـيـقـات دمـتـم هـداة ... يـقـتـدى بـكـم بـبـر وبـحـر
هـل أجـاز بـرهـان عقلكم السـا ... مي اختـراعـاً من دورة ربـع شـطر
بـاختصـار من الجيـوب يضـاهي ... عـمـل الأصـل وهـوأسـرع أمـر
ثـمن الـدور فيـه سـر سبـاعي ... قـام عـن نـقـطة وقـوس وقـطر
لـيس بـالخيط مـع مـر وشـقـول ... هكـذا فـافتضت صنـاعـة حبـر
تـقـضـي في نـفس ولحـظة مـنـه ... مـا عسى ينقـضي في يـوم وشـهـر
ولـه عـمـل الـمـمـثـل مـنـه ... تـعـلـم الحـركـات مـا دام يجـر
والميـول والارتـفـاعـات والـسـمـ ... ت ، الجـهـات ، وقبـلة منـه تـدر
ثـم زيـد عـلم المـسـاحـة فيـه ... وكـذاك الـريـاح من علم بـحـر ؟
أم مـنـعـتـم وجـود هـذا ولـكـن ... أنـظروا صـنـعـة الالاه بـسـر . . »

14 موضوعات جديدة متنوعة

ويمتاز هذا الباب عن سابقه بأنه لا يلتزم الفلكيات بمفردهـا ، وانما يستعـرض المنتجين في هذه المادة أو في مواضيع أخرى ، ونقدم ـ في هذا الصدد ـ أربعة من أعضاء البعثات :

1 ـ وسيأتي في الطليعة العالم الميقاتي الطبيب : عبـد السلام بن محمـد بن أحمد الحسني العلمي الفاسي ، المولود بها عام بضع وخمسين ومائتين وألف ، والمتوفي ـ بنفس المدينة ـ عام 1323 = 1905 .

كان نبوغ هذا العالم المغـربي في ناحيتـين : الأولى علم الميقات الـذي درسه ـ بالمغرب ـ على أشياخ لانزال لم نظفر بأسمائهم ،[1] والثانية علم الطب الحديث الذي درسه بالشرق ، فلنحاول أن نتعرف على مدى نشاطه في كلتا الناحيتين ، ولنبدأ بعلم الميقات الذي نجد له فيه الآثار التالية :

أ) اختراع آلة شعاعية سماها باسمين : « جبعة العالم » ، و « أسطوانة العالم »[2]

(1) بعد هذا رأيت الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبي يذكر من أساتذة المترجم والده محمد بن أحمد العلمي وأبا اسحاق ابراهيم التادلي الرباطي هـ من خطه .

(2) ذكر اختراعه لهذه الآلة أوائل مؤلفه « أبدع اليواقيت »الآتي الذكر ، وحسب أقصبي وبخطه : فإن « جعبة العالم » التي ابتكرها المترجم كانت كالاسطرلاب الا انها على شكل الطبل ، وقد جعل واحدة من هذه الآلة خاصة بعرض فاس واحتفظ بها لنفسه ، وأخرى جامعة قدمها للسلطان محمد الرابع .

وقدمها هدية للملك محد الرابع .

ب) اختراع آلة شعاعية أخرى سماها : « ربع الشعاع والظل » .

واذا كان الاختراع الأول : « جعبة العالم » لا يعرف الا اسمه ، فان الاختراع الثاني نجد للمؤلف في توضيحه .

ج) رسالة سماها : « ارشاد الخل ، لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل » ، وقد ضمنها صورة هذه الآلة ، وكيفية استعمالها ، وتاريخ اختراعها الذي هو عام 1283 = 1866، وصدرها بذكر الملك محمد الرابع الذي قدم هذه الآلة هدية لحضرته عام 1284 = 1867 ، وهذه الرسالة طبعها مؤلفها بمصر لما كان يدرس بها في صفحات «12» ، حجم صغير ، ومنها مخطوطة جيدة ضمن مجموع ، خ . ع ، ج 22 .

وسوى هذه المبتكرات نجد للمترجم مؤلفاً تناول فيه مبادىء علوم الرياضيات والهيئة ، وسماه :

د) « دستور أبدع اليواقيت ، على تحرير المواقيت » ، ضمنه عيون الفنون المبتكرة في العصور الحديثة ، وجعله جامعاً لمبادىء عدة فنون ، واعتمد فيه كثيراً من الكتب المترجمة في زمانه ، وهذه هي الفنون التي تناولها هذا الدستور :

الفن الأول في علم الحساب ، الفن الثاني في فن النسبة العشارية اللوغريتموية ، الفن الثالث في النسبة الستينية ، الفن الرابع نبذة من فن الترجمة فيما يتعلق بهذا الفن ، الفن الخامس مقدمات من فن الجبر بالاصطلاح الغربي ، الفن السادس في الهندسة ، السابع المساحة ، الثامن علم المرآة وانعكاس الأشعة المعروف الآن بعلم الضوء ، التاسع علم الطبيعة ، العاشر علم الهيئة ، الحادي عشر علم التنجيم ، الثاني عشر علم الجغرافية ، الثالث عشر علم تسطيح الكرة ، الرابع عشر فن الرسم : يعني تخطيط الآلات الميقاتية ، الخامس عشر فن حساب التواريخ ، السادس عشر علم التعديل ، السابع عشر علم الميقات .

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً ، ومنه نسخة بمكتبة كاتب السطور تقف عند الفن العاشر الـذي هو علم الهيئـة ، يقع المـوجود منهـا في 64 ص ، مسطرة 23 . حجم متوسط ، ونسخة أخرى ـ قريبة من التمام ـ بمكتبة موقت مراكش الحمراء العلامة الفلكي الجليل محمد بن عبد الوهاب ابن عبد الرازق .

ومن موضوعات المترجم في الميقات أيضاً :

هـ) « حاشية على الرسالة الفتحية ، في الأعمال الجيبية » للمارديني ، أحال عليها في أبدع اليواقيت الآتي الذكر ، ونقل عنها تلميذه محمد بن علي الأغزاوي الفاسي في مواضع من شرحه على رجز ابن عاشر في الربع المجيب ص : 36 ، 50 ، 51 ، 62 ، ثم صارت الي نسخة من هذه الحاشية فوجدتها تشتمل على ص 59 ، مسطرة 24 ، حجم متوسط .

و) « أبدع اليواقيت ، على تحرير المواقيت » اسم شرحه على رجز الوزكاني في التوقيت ، ألفه عام 1285 = 1868 ، طبع بفاس عام 1326 = 1908 ، على هامش شرح البعقيلي على روضة الجادري ، وهو أيضـاً من مصادر مؤلف الأغـزاوي الآنف الذكر ، نقل عنه ص 67 ، ولهذا الشرح مقدمة مطولة أفردها بالتأليف على حدة ، وهي « دستور أبدع اليواقيت » المار الذكر .

ذلك ما توصلت اليه الآن من موضوعات المترجم الميقاتية ، ويفيد ما وقفت عليه منها : أنه درس علم الميقات دراسة آخذة من آثار المتقدمين وأفكار المتأخرين ، فتراه في هذه المؤلفات يأتي بدراسات الأقدمين مستقاة من المصادر العربية ، كما يأتي بدراسات المتأخرين مأخوذة من كتبهم المترجمة الى العربية .

وقد كان إلى جانب اشتغاله بالتأليف يقوم بتدريس هذه العلوم حسبما لمح لهذا أول تأليفه : « أبدع اليواقيت » ، ومن المتخرجين عليه فيها : الميقاتي المؤلف الشهير محمد بن علي بن عمرو الأغزاوي الذي يحليه بشيخه غير مرة في مؤلفه المتكرر الذكر ، والميقاتي

محمد بن أبي بكر الجامعي ، والفقيه الحاج عبد الكريم بن العربي بنيس[1] .

* * *

بقي السيد العلمي منكباً على اشتغاله في الميدان العلمي بالمغرب حتى بويع السلطان الحسن الأول ، حيث حدث حادث جديد في حياة المترجم ، ففي عام 1291 هـ بعثه هذا السلطان ليدرس الطب ـ على الطريقة الحديثة ـ بالشرق ، في الكلية الطبية الكبرى المعروفة بقصر العيني بالقاهرة ، بعدما كان ابتدأ دراسته الطبية بالمغرب .

والفنون التي درسها بهذه الكلية ، مع أسماء أساتذته العرب والأجانب الذين أخذ عنهم ، مع الاجازة الطبية التي أحرزها : كل هذا ثبت في موضعه عند حديث « البعثات المغربية الى مصر » ، ص 159 — 166 .

ومن ثمرات دراسته للطب أنه بعدما عاد الى المغرب وضع في هذه المادة مؤلفات عديدة طرزها بأعمال الطب الحديث ، ومنها :

ز ـ « ضياء النبراس ، في حل مفردات الأنطاكي بلغة أهل فاس » ، شرح فيه ما في تذكرة الأنطاكي من الرموز بما شاع من أسمائها بمدينة فاس ، وذيله بخاتمة شرح فيها أسماء الأدوية التي ذكرها صاحب « كنوز الصحة » ، حيث كان بعضها من الأدوية الجديدة ، وبعضها بأسماء كيماوية وافرنجية غير فصيحة على حد تعبير المؤلف .

وفي الكتاب أيضاً مقدمة وتذييل : بين في المقدمة فعل الأدوية في البنية ، وذكر في التذييل مجربات «67» مما تلقاه أو شاهده وقت دراسته بمصر ، فرغ من تبييضه أواسط رجب عام 1302 = 1884 ، وطبع على الحجر بفاس مرتين ، الأولى : عام 1318 / 1900 ، والثانية خالية من تاريخ الطبع .

---

(1) أخذ هذا الاخير عنه الحساب والتوقيت والشطرنج ، حسب أبي العباس أحمد سكيرج ، في فهرسته : « قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ » ، خ . ع ، د 3844 ـ ص 189.

ح ـ « البدر المنير ، في علاج البواسير » ، رتبه على مقدمة ومقالتـين وخاتمـة ، ورصعه بأعمال الطب الجديد ، حسبما حضره في الكلية الطبية المصرية ، فرغ من تبييضه عشية يوم الاثنين 15 محرم عـام 1297 = 1879 ، وهو مـطبوع عى هـامش « ضياء النبراس » .

ط ـ منظومة رجزية في علم التشريح سماها : « مفتاح التشريح » ، تقع في أبيات 78 ، طبعت بذيل « ضياء النبراس » .

ي ـ « الاسرار المحكمة في حل رموز الكتب المترجمة » ، فسر فيه اصطلاحات وغريب الكتب المترجمة حديثاً الى العربية ، أشار له في طالعة « ضياء النبراس » ، وذكر أنه لا يزال لم يتم .

يا ـ « التبصرة ، في سهولة الانتفاع بمجريات التذكرة » ، رتب فيه تذكرة الأنطاكي ترتيب الأمراض بدلاً من الحروف ، ليسهـل الفحص على من يـطلب علاج مـرض مخصوص حتى يجده في باب واحد ، عوضاً عن البحث في الحروف 28 ، ذكر في أواخر « الضياء » أنه لا يزال في مبيضته .

يب ـ وسوى مادتي الفلك والطب ، وضع نفس المؤلف أرجوزة في التعريف بلعبة الشطرنج حسب الطريقة المتعارفة ، ولا تزال مخطوطة في 40 بيتاً ، ضمن مجموع : خ . ع ، د 3408 ـ ص 255 .

والى هنا ينتهي عرض آثار المترجم ، وسنذيل عليها بتقديم نصين جديدين عن حياته :

الأول : فقرة وردت في « المفاخر العلية »[1] ، وقد سقط من هذا المصدر اسم المترجم المعنى بالأمر حسب المخطوطة التي رجعت اليها ، وجاء النص ـ لدى تعداد أطباء

---

(1) اسمها الكامل : « المفاخر العلية ، والدرر السنية ، في الدولة الحسنية العلوية » ، تأليف عبد السلام بن أحمد اللجائي ثم الفاسي ، نسخة المكتبة الملكية رقم 460.

الحسن الأول ـ هكذا :

« . . كان منهم الشريف الفاضل ، العدل ، الحيسوبي الكبير ، الموقت ، استنبط أشياء من علم الهيئة ، واعتنى به سيدنا الامام المقدس ، سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن ، وأمره بتدريس علم التوقيت بجامع القرويين ، وأدخله في ديوان المدرسين ، ثم اشتغل بعلم الطب ، ورحل الى مصر وأخذه هناك ، ثم تصدر لكتابة الرسوم بدكاكين العدول من حضرة فاس . . ثم انتقل للكتابة بحضرة مولانا المنصور بالله تعالى : مولانا الحسن ، ثم أصيب بعظيم بلاء ، وهو ـ سنة خمس وثلاثمائة وألف ـ حي ، عافانا الله وإياه » .

أما النص الثاني فهو وارد عند ترجمته من « الأعلام ، بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام »[1] ، وقد جاء فيها :

« . . وقرأ العربية وغيرها من العلوم المتعارفة بالقرويين ، ووجهه السلطان المولى الحسن لمصر لتعاطي المعارف الطبيعة والتشريحية ، والتوقيت والتعديل والتنجيم والارصاد وتخطيط الساعات الشمسية المعروفة بـ« المزاول » ، وأخذ عن شيوخ الطب بمصر . وقد أجازوه باجازات لا زالت محفوظة عند ولده المكرم سيدي مشيش[2] ، وقد مهر في الطب والتشريح ، وقرأ على أطباء فرنسويين واصبنيوليين وأجازوه كذلك ، وحضر تشريح 1600 جثة من موتى الحرب في ثورة عرابي ، وشاهد العمليات الجراحية بمستشفى مصر .

ولما عاد من مصر اختصه السلطان مولاي الحسن ـ رحمه الله ـ طبيباً لنفسه وعياله ، ولازم الاعتاب الشريفة بصفته طبيباً ، وكان فتح دكاناً لاستقبال المرضى ووصف الأمراض والعلاج في فاس ، بناحية السلسلة الموالية للحمام بالنجارين ، ولم يطل ذلك ، فأصيب ـ رحمه الله ـ بفالج في نصفه الأسفل ، فلزم داره من سنة 1304 الى أن أدركه أجله سنة 1323 .

---

(1) ج 6 من القسم المخطوط ـ ص 496 -497.

(2) توفي ـ بعد هذا ـ عام 1366هـ .

شكل ــ 9



رسم محمد ابن الكعاب وهو بمدينة لييج من بلجيكا .
أمدني به حفيده السيد محمد بن صالح بن محمد ابن الكعاب .

وكان يتردد اليه طلبة فاس لقراءة ما يحسن من تلك العلوم الرياضية الميقاتية ، منهم الشيخ محمد بن علي الأغزاوي ، ومنهم السيد عبد الكريم ابن العربي بنيس مصحح طبع ضياء النبراس .

وجلب من مصر كتباً غريبة المنحى ، لم تكن معروفة بالمغرب : في سائر العلوم العقلية والطبيعية والجغرافية وغيرها . . » .

2 ـ والأن : بعد العلمي يأتي ابن الكعاب : محمد بن محمد بن علي الشركي ثم الفاسي ، وهو من أفراد البعثة الحسنية الى فرنسا ثم الى بلجيكا ، ابتداء من أواخر عام 1297هـ/1879 م ، ومن آثاره :

أ ـ رحلة في مجلد لا تزال مخطوطة ، وهي في حوزة الاستاذ المجاهد محمد بن الحسن الوزاني[1] .

ب ـ مقيدات ، وقفت على كناشة منها لدى حفيده الحامل لدبلوم الدولة في التمريض : محمد بن صالح بن محمد ابن الكعاب المترجم ، وتشتمل على نظائر المكاتب التي كان يبعث بها للموظفين المغاربة السامين أو الى أصدقائه ، ونقدم من هذه الكناشة رسالة يشرح فيها تطورات دراساته الحديثة بالمغرب وأوروبا ، ونصها على هلهلة بعض تعابيرها :

« الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

حفظ الله بمنه ، ورعى برعايته ، مقام الفقيه الاجل ، الفاضل الافضل ، السيد احماد بن موسى ، حفظ الله سناءك وسناك ، وأظفر يمناك بمناك ، وسلام تام ، ختامه مسك ومزاجه من تسنيم ، ورحمة الله وبركاته ، ما دام الفلك وحركاته .

وبعد : ـ كما هو في كريم علم سيادتك ـ واننا كنا بعثنا من جملة الطلبة الذين

---

(1) « دليل مؤرخ المغرب الأقصى » ، رقم 1522 ، دون تحديد آفاق الرحلة .

كانوا تعينوا لقراءة اللغة الرومية في منتهى رجب سنة 1291 ، ثم بعد الاقامة نحو من الستة سنين ونصف بثغر طنجة ، كنا سافرنا في 18 من ذي الحجة سنة 1297 الى مدينة باريس لتعليم اللغة الافرنساوية ، وكنـا بقينا بالمصر المذكور أعلاه لتعليم ما كنا توجهنا بصدده مدة من أربعة سنين ونصف : أعني الى 22 من شعبان سنة 1301 : اليوم الذي أتانا فيه الأمر الشريف على يد الحاج محمد بركاش ، في شأن انتقالنا من بلد افرانسة إلى بلد بلجيكـة ، لنقف على من كـان بعث من المتعلمين الى بلد بلجيكـة لأخـذ علوم الصنائع المفقودات عن المغرب ، ولقبول الحاجات المطلوبات بإذن الحضرة العالية بالله عند جماعة ككريل : كبترية المدفع ومكينات فبريكة القرطوس ، فعند رجوع المتعلمين وتوجيه ما ذكر من الحاجات ، كنا طلبنا من وزير الامور البرانية السيد محمد بركاش ـ رحمة الله علينا وعليه ـ ان يرفع أمرنا لسيدنا نصره الله ، ليجد علينا بصلة الـرحم ، فأجابنا : وان في أثر كتابه لنا يأمرنا بأن نأذن جماعة ككريل في شروع صناعـة مكينات السكة ، وبعد تمام هذه الحاجة يوفي لنا بالعهد ، لاكن موت وزير الامور البرانية وولده قطعت علينا جميع الاخبار ، فلا اذن أعطي لصناعة مكينات السكة ، ولا نحن رجعنا لصلة الرحم وننظر ما بقي لنا من الأهل .

والآن تفهم سيادتك : وان منذ مات السيد محمد بركاش ومكاتبنا تصب عـلى نائب الحضرة العالية بالله السيد الحاج محمد الطريس ليرفع أمرنا اليكم ونعرف ما هو جلوسنا بهذا البلد : بقولنا له في كل كتاب : ان لم يكن ما يقضى للحضرة العالية بالله نريد الرجوع .

وكذلك جماعة ككريل هذه ستة أشهر وهي تكتب وتطلب ما صيرته علينا وعلى السبعة المتعلمين القائمين ببلد بلجيكة لأخذ علم صناعة السلاح . رفقة رفيقنا السيد الطاهر بن الحاج الأودي ، فلا جماعة ككريل ولا نحن قبلنا جواباً عما كتبنا عليه : أعني جماعة ككريل تتبع فيما صير علينا وعلى 7 المتعلمين ـ كما ذكر أعلاه ـ الى يوم السبت 9 من جمادى الثاني سنة 1304 هجرية ، الموافق الى 5 من مارس 1887مسيحية : هو من الافرنك هكذا : 23200,50 .

ومفهوم في هذا المال ما كـان تأخـر من ثمن صمطات الجلد ومكينـات تليف القرطوس والحبة ، وهو من الافرنك : 2099,50 .

والآن : فتفهم سيادتك : وأن هـذه سبعة سنـين ونصف ونحن مفقودين عن الأهل والوطن ، والاعداء لا تنظرنا الا بعين الاحتقار ، حتى صرنا لا نستلذ طعاماً ولا شراباً .

وعليه فالمرجو من كمال فضل سيدي علينا وعلو همته أن يكون شفيعاً لنا عنـد سيدنا نصره الله ، لينظر من حالنا ، ويجد علينا بطلق سراحنا لصلة الرحم ، فها نحن رفعنا أمرنا الى الله واليك أيه الوزير ، لتنظر من حـالنا ولـلاخوة في الاسـلام ، فالله يجازيك بجاه خير الأنام ، وفي 12 من جمادى الثاني سنة 1304 .

خادم الحضرة العالية بالله : محمد بن محمد بن الكعاب الشركي ، وفقه الله ، في بلد بلجيكة بمدينة صيرين عند جماعة ككريل » .

3 ـ الزبير بن عبد الوهاب سكيرج الفاسي نزيل تطوان ، والمتوفى ـ بها ـ عـام 1351هـ/1933م ، من المبعوثين الاولين للدراسة بأنكلترا ، حيث برع في الرياضيات والفلك والجغرافية .

أ ـ وقد ابتكر جهازاً فلكياً أسماه : « ذات الكفين الافقية » ، وهو عبـارة عن رخامة أفقية رسم فيها البروج الشمالية والجنوبية ، لتقريب معرفة نقطة حلول الشمس في أي من البـروج ، وذلك بـواسطة الـظل الذي يـرسمه خط المـري المركـز بوسط الرخامة .

ويعقب أبو العباس سكيرج على ذكر ذات الكفين ويقول : « وعهدي بآخر ما نصبه منها : في صحن المسجد الكبير بثغر الجديدة ، وقد نصب رخامة من هذا النوع بسطح المسجد الكبير بالدار البيضاء ، أوائل عام تسعين ومائتين والف » .

ب ـ ويعد هذا يضيف نفس المصدر الى هذا الجهاز ، رسالة وجيزة في مقدمات

الهندسة ، وهـو يذكـر عن المترجم : « وقـد أخبرني أنـه ألف تويلفـاً في مبادىء علم الهندسة سماه : « تحفة الاخوان ، بتخطيط البلدان » ، ولم أقف عليه بعد ذلـك الى الآن » .

وبالاضافة إلى هذا يـذكر المصـدر نفسه مـا درسه عـلى المترجم من المـواد التي تخصص فيهـا : « وقد تلقيت عنـه مبادىء علم المسـاحة ، والهيئـة ، والجغـرافيـة ، والهندسة ، وتخطيط الرخـامات ، التي من أنـواعها ذات الكفـين الافقية ، وهي من اختراعه »[1] .

4 ـ الطاهر بن محمد بن العلامـة عبد السـلام بن الحاج الأودي الفـاسي داراً ومنشأً[2] ، المتوفي عام 1365هـ/1945م ، وقد علمنا من رسالة ابن الكعاب أنه كان معه في بعثة واحدة ، كما سنذكر من بعـد : أنه تقلد عـدة وظائف في العهـد الحسني وبعده ، وفوق ذلك فله كتابات في موضوعات مختلفة منها :

أ ـ « الاستبصار ، في عجائب الامصار ، والجبال والانهار ، والبحور ومنافيس النار . . » موضـوعه في الجغـرافيا العـامة كـما يدل عليـه اسمه ، ولكن مؤلفـه ملأه بالاستطرادات الكثيرة .

استهله بـالحديث عن الحـرب العـظمى الأولى : 1914 ، ليتخلص من هـذا الموضوع الى الحديث ـ في شيء من الايجاز ـ عن جغرافية العالم قارة قارة : أوروبا ، آسيا ، افريقيا ، أمريكا ، جزر المحيط ، ثم تحدث عن تـرجمته وبعض حوادث المغرب قبل الحماية وبعدها ، وبعد هذا نجد بالكتاب مراسلات سياسية عديدة تأخذ قسـطاً مهماً منه .

وقد همش هذا المؤلف بتعليقات تكون ضافية في بعض الاحيان ، وتتناول وقائع تاريخية .

---

(1) « قدم الرسوخ ، فيما لمؤلفه من الشيوخ » : المخطوطة المارة الذكر : ص 165-166 .

(2) هكذا سمى نفسه في مؤلفه « الاستبصار » ص 83 من نسخة كاتب هذه الدراسة .

والى جانب استطرادات الكتاب الكثيرة ، فإنه يؤخذ عليه أيضاً عدم مراعاته للتنظيم في كثير من مواضيعه ، ويؤخذ عليه أيضاً تحريره بلغة قريبة من الدارجة المغربية ، ومع هذا كله فالكتاب مفيد في موضوعاته ، وينم على أن لمؤلفه ثقافة حديثة لا بأس بها .

توجد منه نسخة بمكتبة كاتب السطور عدد صفحاتها المستطيلة 211 ، وهي - فيما يظهر - محررة بخط مؤلفها ، ومنه نسخة أصغر من الأولى بالمكتبة الاحمدية ، ونسخة ثالثة بها بعض مخالفة بخزانة الاستاذ العالم المرحوم ادريس بن الماحي الادريسي بفاس .

ب - « رحلة » ألفها مدة الاعوام السبعة التي قضاها بأوروبا ، وأضاف لها .

ج - « خريطة الكرة الارضية » التي بعث بنسخة منها من مدرسة باريز الى السلطان المولى الحسن عام 1300 = 1882[1] ، لم أقف على هذه الرحلة ، أما الخريطة فيظهر انها هي التي أثبتها المؤرخ ابن زيدان في « الدرر الفاخرة »[2] .

---

(1) المصدر الأخير - ص 31 ، 96.

(2) قبالة ص 105.

15 خـرط وتقـنيـات حـديثـة

ويتعلق الأمر بأفراد من البعثات الـذين برعـوا في رسم الخرائط عـلى الطريقـة الحديثة ، أو في انتاج ساعات تقنية جديدة .

وبالنسبة للخرائط كانت تستخدم في رسوم متنوعة : للمساكن والمسافات والمدن وللتخطيطات العلمية .

ونذكر ـ أولاً ـ دفتراً بالمكتبة الملكية يحمل رقم 1704 ، وهو يهتم بتسجيل أملاك الدولة من الدور بمدينة مراكش ، مع اثبات تصميمات لاكثرها : كل دار في خـريطة على حدة ، حيث تستوعب معالم الدار المعنية بالأمر ، فترسم بابهـا ، ومدخـل أسفل الدار ، ومدخل عليتها ان كان ، ثم صحنها والبيوت والمطبخ والمستراح ، والروض ان كان ، مع التنبيه على ما اذا كانت بعض الحجرات متهدمة . . .

وقد صنفت الدور بالدفتر في أربعة أقسام :

الأول : مؤرخ في 21 رجب عام 1308هـ ، ويتناول الديار الواقعة بناحية باب دكالة وما اليها ، مع تصميمات تبلغ 47 خريطة .

الثاني : مؤرخ في 20 جمادى الآخرة عام 1308 هـ ، وهو خاص بديار روض الزيتون الجديد ، وحي القنارية ، ودرب ضباشي ، ويشتمل على 15 خريطة .

الثالث : مؤرخ في 16 جمادى الثانية عام 1308هـ ويشتمل على روض الزيتون

القديم ، في 10 خرائط .

الرابع : عند حي القصور ، به 13 خريطة .

وسوى هذا الدفتر هناك خرائط للمسافات التي يمر منها الموكب السلطاني في تنقلاته عبر المغرب ، وهي تهتم برسم وضعية الطرق ، وتقدير المسافات الفاصلة بين المنازل بالساعات والدقائق ، وتحتفظ المكتبة الملكية ببضعة نماذج من هذه الخرط ، ولا تزال دون ترقيم :

وثالثاً : خرائط بعض المدن ، ومن نماذجها : تصميم الشكل البنائي لقصبة القنيطرة ، وخريطة طرفاية .

ورابعاً : خرائط علمية تهتم بالتخطيطات الجغرافية : الارضية او السماوية ، وقد سبقت الاشارة الى مصور الكرة الارضية من عمل الطاهر الاودي ، وهناك خرائط اخرى متنوعة سيرد ذكرها وشكياً .

أما عن المباشرين لوضع هذه التصميمات ، فنعرف ـ الآن ـ منهم خمسة أسماء :

1 ـ الحسين بن الحاج خلوق الأودي آتي الذكر ، وكان ضمن بعثة طرفاية عامي 1312 ، 1313هـ : لوضع خريطة البنايات المحدثة بهذه المرسى براً وبحراً[1] .

2 ـ صالح بن محمد التادلاوي ، واضع تصميم قصبة القنيطرة عام 1314هـ/1897م[2] ، وإلى معرفته بالهندسة كانت له ثقافة عسكرية تقنية ، حيث جاء في رسالة حسنية[3] هذه الفقرة : «« ان صالحاً أحد المتعلمين بفبركة المكاحل ببلجيكة ، وقد صنع بالفبريكة البلجيكية 72 مكحلة من المكاحل التي وردت ، واسمه مكتوب عليها » .

---

(1) « اتحاف أعلام الناس » ج 1 ص 380 ، مع معلومات أخرى عن المترجم مقيدة بخط البعض .
(2) رسالة وزيرية مؤرخة في 18 رمضان عام 1314هـ ، حسب سجل مخزني امكتبة الملكية رقم 429 ـ ص 18.
(3) بتاريخ 29 ربيع الثاني عام 1302هـ ، حسب سجل مخزني بنفس المكتبة رقم 360 ـ ص 259.

3 ـ محمد بن المكي المسفيوي ، مهندس رسم خرائط قصر ملكي ؟[1] .

4 ـ علال بن محمد المهندس ، وكان قد كلف بتصوير خرائط لاملاك الاحباس وغيرها[2] .

5 ـ أحمد شهبون ، مار الذكر ضمن البعثات المغربية الى مصر ، وقد رسم مجموعة من اللوحات الجغرافية في شكل أطلس سماه : « كتاب الجغرافية المغربية » ، وكان تخطيطه بفاس عام 1315هـ/1898م ، وهو يضم 18 لوحة هكذا :

أ ـ عنوان الكتاب وفهرسته .

ب ـ مصور الفلك مع رسم الخطوط والدوائر .

ج ـ خريطة الكرة الارضية بنصفيها الشرقي والغربي ، وخطوط الطول والعرض .

د ـ صور فلك القمر .

هـ ـ الكرة الارضية من وجه واحد ، ومرسوم عليها دائرة الشمس .

و ـ لائحة تفسيرية لخواص قارة آسيا : من البحور ، والبحيرات ، والجزائر ، والسكان ، والانهار ، والجبال ،والعواصم ، والعروض . . .

ز ـ خريطة آسيا .

جـ ـ لائحة تفسيرية لخواص قارة أوروبا . . .

طـ ـ خريطة أوروبا .

ي ـ لائحة تفسيرية لخواص قارة افريقيا . . .

يا ـ خريطة افريقيا .

يب ـ لائحة تفسيرية لخواص قارة أمريكا . . .

يج ـ خريطة أمريكا . . .

---

(1) رسالة مؤرخة في 19 شعبان عام 1315هـ ، حسب سجل بنفس المكتبة رقم 432 ـ ص 42.

(2) رسالة وزيرية بتاريخ 6 رمضان عام 1315هـ ، حسب السجل الاخير ـ ص 82.

يد ـ خريطة أستراليا .

يه ـ خريطة نيوزيلندا .

يو ـ صورة البروج وصفاتها ، والمنازل والكواكب السيارة السبع .

يز ـ لوحة موافقة السنين : العربية الهجرية ، والعجمية الهجرية ، والمسيحية، وبيان الكبس .

يحـ ـ خريطة المغرب الاقصى .

يوجد من هذه الجغرافية مخطوطة فريدة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2388 ، وهي مرسومة رسماً بارعاً ، ومخططة بالألوان على لوحات مستطيلة في مقياس 230/350[1] .

* * *

والآن : نذكر ساعاتياً تقنياً درس الميكانيك بانجلترا ، وكان هو محمد بن الحبيب الفيلالي المكناسي ، المتوفي بمراكش عام 1334هـ/1916م ، وقد بقي من آثاره :

أ ـ ساعة في غرفة الموقت بمنار جامع ابن يوسف بمراكش ، وقد رغبت من الاستاذ محمد بن العلمي : « أبي نصر » المكناسي أن ينقل لي ما عليها من كتابات ودوائر ، فبعث لي بما يلي :

« . . كتب على رخامة الساعة المذكورة : « هذه المجانة مصنوعة بالوندريز : « لندرة » ، ومخترعها ابن الحبيب المجاني 1308 » ، ويحيط بالرخامة الى الداخل خمس دائرات : اثنان منها : لحساب الشهور العجمية وأسمائها ، واثنان : لحساب الشهور العربية وأسمائها ، والخامسة : لاسماء الايام ، كما تشتمل الساعة في أعلى رخامتها على دائرة أخرى مكتوب عليها : تسريح الضرب ـ ثقاف الضرب » .

---

(1) ورد وصف هذه الجغرافية عند ابن زيدان في كل من الدرر الفاخرة ص 95 -96 ، مع العز والصولة ، ج 2 ص 161 -162.

ب ـ ساعة كبيرة يزيد طولها على أربعة أمتار ، وعرضها على مترين ، وقد كتب بأعلاها هذه العبارات : « ابن لحبيب » ـ « عام 1318 » ـ « بمكناس » ، ولا يزال الهيكل الخارجي لهذه الساعة ينزوي في بيت بـ : « أكدال مولاي الحسن » بمراكش ، حيث وقفت عليه هناك عشية يوم الجمعة 5 حجة عام 1378هـ/12 يونيه سنة 1959 م ، صحبة الاستاذين بثانوية ابن يوسف : السيدين أبي بكر الجرموني ، وأبي نصر المكناسي المذكور ، ومنذ سنة 1961م ذيلت الكتابة عن هذا الاثر بالفقرة التالية : « وما أجدر هذه الساعة أن لو خرجت من انزوائها بذلك البيت ، ونقلت لدار الآثار بمراكش لتعرض هناك » .

ج ـ ساعة في مشهد مولاي ابراهيم قرب مدينة مراكش حسب ذكر البعض ، ولم أقف عليها بعد .

ومن الوثائق المتعلقة بالمترجم : رسالة صادرة عن أمر السلطان عبد العزيز عام 1314 هـ / 1896 م ، ونصها :

« أمناء البنيقة المراكشية :

وبعد فإن ابن الحبيب المواكني كلف بصنع البارود ، واحتاج إلى صنع فابريكة لخدمته تكون مركبة في محل على الماء الجاري ، ويأمركم سيدنا ـ أعزه الله ـ أن تحضروا معه ومع خليفة الباشا ويدة ، والمهندس ، والبناء ، والنجار ، واللواح ، والعدلين صحبته ، وتعينوا محلاً صالحاً لذلك يصوره المهندس ، ويقوم صائره المعلمون : البناء والنجار واللواح المذكورون ، ليرى سيدنا ـ أعزه الله ـ في ذلك ، كما يأمركم ـ أيده الله ـ أن تقضوا له ما يتوقف عليه من الاقامة للفبريكة المذكورة بعد ذلك ، والسلام ، 18 جمادى 2 عام 1314 »[1] .

---

(1) الرسالة واردة في « سجل مخزني » بالمكتبة الملكية رقم 199.

16 أطر حديثة من أفراد البعثات ومن إليهم

ويتعلق الأمر بتقديم نماذج للاطارات الادارية أو الحرة التي حافظت المصادر على ذكر أصحابها ، وقد رأينا سابقاً ـ ضمن لوائح البعثات المغربية إلى أوروبة ـ مجموعة من المتخرجين الذين شغلوا وظائف متنوعة ، ونضيف ـ الآن ـ معلومات أخرى : تكميلية أو أساسية ، عن أفراد البعثات ومن إليهم ، الذين عملوا في مختلف الأطر .

ونذكر ـ أولاً ـ 1 ـ محمد الدكالي من المثقفين ثقافة حديثة ، وقد أسند إليه السلطان محمد الرابع مهمة تنمية مؤسسات الاشغال العمومية بالمغرب ، وهو الذي أبرم مع ميكانيكي انجليزي اتفاقية في شأن معمل السكر الذي أنشىء بمراكش[1] .

2 ـ الحاج محمد بن العربي القباج الفاسي ، كان عارفاً ببعض اللغات الأوروبية ، بصيراً بعوائد أهلها ، وأوفده نفس السلطان على رأس البعثة المغربية التي شاركت في معرض باريس عام 1285هـ/1867م[2] .

وقد ازدهر استخدام أطر البعثات أيام السلطان الحسن الأول ، فقد وظف بعضهم في « دار السلاح » التي أنشأها بفاس ، ووزعهم على تسيير أقسامها :

فكان ـ 3 ـ محمد المنقري رئيس قسم صناعة الزناد ، و ـ 4 ـ عباس بن قاسم

---

(1) « اتحاف اعلام الناس » ـ ج 3ص 561.

(2) « الاستقصا » ـ ج 4 ص 232.

رئيس قسم صناعة الجعاب ، و ـ 5 ـ الطاهر بن الحاج الأودي ـ سابق الذكر ـ رئيس العملة بنفس الدار[1] .

وهـذا الاخـير شغـل منـاصب أخـرى في العهـد الحسني وبعـده ، ففي عـام 1298هـ/1880م كان ترجمان سفارة الوزير علي المسفيوي إلى فرنسا في غرض ضرب السكة الحسنية ، وفي عام 1307هـ/1890م كان ترجمان سفارة المعطي بن الكبـير إلى فرنسا ، وفي عام 1324هـ/1906م صار ترجماناً في مؤتمر فاس الذي انعقد بين نائب فرنسا من جهة ، والوزراء المغاربة وأعضاء مجلس الاعيان المغربي من جهة أخرى ، وفي نفس العام كان ترجمان الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء[2] .

ومن الـذين استعان بهم السلطان الحسن الأول ، يـوجد ـ 6 ـ الحـاج ادريس الشاوي الذي صـار في قيادة المـدفعية المغـربية[3] ، و ـ 7 ـ المهنـدس الزبـير سكيرج الفاسي ، كان من أكبر المهندسين ، وهو الذي ساعد المهندس الانجليزي في مباشرة أبراج طنجة ، حيث نال من هذا الاخير تنويهاً مكتوباً ، كما ساعد المهندس الألماني في بناء البرج الكبير بالرباط عام 1303هـ/1886م ، وفي عام 1307هـ/1889م توجه ـ ضمن بعثة فنية ـ إلى ألمانيا ، ثم عاد إليها في بعثة أخرى عام 1308هـ/1890م ، وسكيرج هذا كان ـ أيضاً ـ ترجمان الوفد المغربي في مؤتمر مدريد المعروف[4] .

ومن العهد الحسني أيضاً نذكر ـ 8 ـ ادريس زولو الصفار ، وكان يشرف على تجهيز مصنع القرطوس بمراكش[5] .

---

(1) اتحاف أعلام الناس ـ ج 2 ص 468

(2) الاستبصار للطاهر الأودي ـ ص 95-96.

(3) اتحاف أعلام الناس ـ ج 2 ص 466.

(4) « المصدر الأخير » ج 2 ص 466 ، 488 ، 489 ، وانظر عن بقية وظائفه كتاب « العز والصولة » ج 2 ص 150 ، تعليق رقم 2 .

(5) يؤخذ هذا من لائحة في حوزة أسرة المذكور ، وجاء في عنوانها : « بيان زمام فابركة القرطوس ، وتطبيق زمام المعلم ادريس زولو ، وعلى تعريب أصل زمام بركاش ، قيد 27 رجب 1304 » . =

وقد لمع في عهد السلطان عبد العزيز اسم ـ 9 ـ المهندس الحسين ابن الحاج خلوق الأودي ـ سابق الذكر ـ درس بألمانيا ، وكان عارفاً بالفنون الحربية ، وقام بتمرين الجيش المغربي في نفس العهد ، وهو الذي تولى هندسة الطريق التي جلب منها ماء عين غبولة إلى القصر الملكي بالرباط[1] .

ومن الذين شغلوا أطراً حرة نذكر أعضاء بعثة مدينة العرائش، وكانت تتألف من :

10 ـ المهندس عبد السلام أزود من جامعة ألمانيا .

11 ـ المهندس ادريس الشرادي من جامعات انجلترا .

12 ـ المهندس علي السوسي من جامعات إيطاليا .

وقد نشر ثلاثتهم روحاً جديدة بمدينتهم ، وكونوا فيها حياة علمية ، وشعوراً قومياً ، ونشاطاً اجتماعياً[2] .

13 ـ وأخيراً نختم بالطبيب أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التمسماني الطنجي ، المتوفي ـ بفاس ـ عام 1347هـ/1928م ، وحسب الكانوني[3] فانه درس الطب في أوروبا وأحرز على شهادة فيه ، وبعدما عاد إلى المغرب انتصب لمداواة الناس ، وفي « زهر الاس »[4] أنه استوطن مدينة فاس ، واتخذ مستوصفاً في دكان بعين علون ، حيث قصده الناس من بدو وحضر ، وكان له علاج حسن ، ويقابل زائريه بليونة خطاب .

وفي العز والصولة لابن زيدان وردت هذه الفقرة : « . . فابركة القرطوس المشتراة من البلجيك ، ونزلت بمرسى الجديدة ، ونقلت كلها لحضرة مراكش ، ونزلت بخزين دار البديع ولم يبق بالجديدة منها شيء ، والكل على يد المعلم ادريس زولو ، وما يخصها ذكر زولو أن بركاش وجه عليه » ، حسب البقية غير المنشورة من نفس الكتاب ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 8049 ـ ورقة 272 أ .

(1) من مقيدة بخط البعض .

(2) « علماؤنا المنسيون » ، مجلة « المصباح » بتطوان ، العدد الاول : مارس 1951 ـ ص 63.

(3) تاريخ الطب العربي بالمغرب ، مبيضة المؤلف بالمكتبة الاحمدية .

(4) المخطوطة المتكررة الذكر باسم « زهر الاس ، في بيوتات فاس » خ ، ع ، ك 1281 ـ ج 1ص 368 ، 370.

17 الطباعة الحجرية الفاسية

وسيأتي تصنيف هذا الموضوع حسب العناوين الرئيسية التالية :

نشأة الطباعة وشيوعها ـ الطباعة الحجرية ـ تطلع مغربي للطباعة ـ وصول المطبعة الحجرية للمغرب ـ المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة حكومية ـ المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة فردية ـ مطابع حجرية جديدة :

مطبعة الحاج الطيب الازرق ـ مطبعة العربي الأزرق ـ المطبعة الجديدة لابن عبد المولى ـ المطبعة الجديدة للذويب ـ المطبعة الحفيظية ـ مطبعة أحمد بن عبد الكريم القادري ـ مطبعة الشركة المحدثة لطبع الكتب بفاس ـ ملاحق : وعددها أربعة عشر .

نشـأة الطباعـة وشيوعـها

ينسب اختراع المطبعة الى يوحنا غـوتنبرج الألماني ، وقد وضعت محاولاته الاولى موضع التنفيذ منذ سنة 1450م/ «854»هـ حيث قام بطبع أول كتاب وهو التوراة ، ثم شاع اختراعه في أوروبا ، وأخذ في التحسن حتى بلغ ما هو عليه الآن .

أما الطباعة العربية بالحروف . فقد ظهرت بايطالية في أوائل القرن السادس عشر للميلاد ، وأول مطبعة عربية وأحرفها عربية ظهرت في فانـو بايطاليـة ، وهي التي دشنها البابا « ليون العاشر » سنة 1514م/«920» هـ ، وقد طبع فيها ـ خلال القرن السادس عشر م . ـ عدد من الكتب الدينية المسيحية والعلمية باللغة العربية ، وفي رومة طبع سنة 1593م/ 1002»هـ» « القانون » و « النجاة » لابن سينا في مجلد ضخم .

ولم تصل الطباعة بالاحرف العربية إلى الاستانة إلا في الثلث الأول من القرن الثامن عشر م. وفي سنة 1129هـ/1716م أفتى شيخ الإسلام بتركية : عبد الله أفندي بجواز استخدام الطباعة في حدود خاصة ، ثم رخص بعد بطبع جميع أنواع الكتب[1] .

وكانت الطباعة العربية قد ظهرت في لبنان منذ سنة 1583م/ 991 -992هـ ، ثم ظهرت في حلب من سورية سنة 1706 م / 1118 هـ، وفي سنة 1798م/ 1213هـ دخلت لمصر مطابع الحملة الفرنسية . ولما استقر الامر لمحمد علي باشا في مصر أنشأ مطبعة بولاق على أنقاض مطبعة بونابرت في 8 صفر 1237هـ/ 4 نوفمبر 1821م[2] ، والظاهر أن أول ما طبع بالعربية في شمال افريقية كان هو صحيفة « المبشر » ، وقد صدرت في الجزائر سنة 1847م/ 1264هـ ، وكانت اللسان العربي للسلطات الفرنسية[3] ، وفي تونس تأسست أول مطبعة عربية في غرة المحرم سنة 1277هـ/1860م[4] ، وأول ما طبع بها هو« الموطأ » للإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني[5] .

وفي نفس هذه السنة الاخيرة ـ 1860م/ 1277هـ ـ أنشئت أول مطبعة افرنجية بتطوان على يد الاسبانيين[6] ، أما اول مطبعة عربية استخدمها المغاربة فكانت هي :

---

(1) « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ، مطبعة الهلال 1931 ـ ج 4 ص 54 -55 ، وانظر عن حيثيات فتوى شيخ الاسلام : « المعيار الجديد » للوزاني ـ ج 11ص 336 -337.

(2) « تاريخ الطباعة في الشرق العربي » للدكتور خليل صابات ، ط . دار المعارف بمصر ـ ص 33 ، 93 ، 121 ، 136.

(3) « الصحافة العربية » ، تأليف أديب مروة ، نشر مكتبة الحياة ، بيروت ص 223.

وأستدرك هنا فأذكر أني وقفت ـ بعد هذا ـ على طبعة لـ : « كتاب الاخبار المبينة ، لاستيلاء الترك على قسنطينة » ـ خ ، ع 709 د ـ وهو مكتوب بخط ابن العنتري : محمد الصالح ، ومطبوع ـ على الحجر ـ في قسنطينة بدار فاند ، قرب دار الامارة ، في سنة 1262 هـ/ 1845م ، وحسب ذكر البعض ، فإن هذا ثاني كتاب مطبوع ـ بالعربية ـ بالجزائر ، وعلى هذا لا تكون صحيفة « المبشر » أول ما طبع بالعربية في شمال افريقية ، وقد يكون إبن العنتري هو مؤلف « الأخبار المبينة » ، وله ترجمة في « معجم أعلام الجزائر » ص 246.

(4) « اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الامان » لابن أبي الضياف ـ ج 5 ص 31.

(5) « نزهة الابصار » للمشرفي ، خ ، ع ، ك 579.

(6) محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ـ ص 194.

المطبعة الحجرية العربية التي سيذكر أنها دخلت للمغرب سنة 1281هـ/1864م ، ثم ظهرت بعدها بالمغرب « المطبعة السلكية العربية » ، وهذه الاخيرة ليست من موضوع هذه الدراسة التي تهتم بـ « تاريخ المطبعة الحجرية المغربية » بالخصوص ، وانما موضع حديثها هو الطور الثالث بمشيئة الله سبحانه .

الطباعـة الحجريـة

وقع اختراع « المطبعة الحجرية » على يد الويز سنيفلدر في مدينة ميونخ بألمانية ، وكان ذلك في الأربع السنين الأخيرة من القرن الثامن عشر للميلاد .

أما الطبع عليها فهو يتطلب لوحات حجرية خاصة للكتابة عليها ، كما يتطلب جهازاً للطبع هو « المطبعة الحجرية » ، وتبتدىء العملية من الناسخ الذي يكتب ما يراد طبعه بحبر خاص ، وعلى ورق خاص يضغط عليه ـ بعد كتابته ـ بين ورقتين نشاشتين مبتلتين .

وحسب الطريقة التي كانت متبعة في « المطبعة المغربية » ، كان الناسخ يكتب على الورقة كتابة مستقيمة غير مقلوبة ، وبعد هذا توضع اللوحة التي يراد نقل الكتابة اليها في مكبس بعد أن يحمى ، ثم تبسط الورقة عليها بطريقة عكسيـة ، بحيث يقع وجههـا المكتوب على وجه اللوحة الحجرية ، ويضغطان مراراً كثيرة ، فتلتصق الورقة باللوحة ، ثم يرطب ظهر الورقة ، وتدار اللوحة وتضغط مراراً كثيرة أيضاً ، وترطب مرة أخرى وتفرك بالأنامل لكي يسهل نزعها عن اللوحة ، فتنزع عنها تاركة الكتابة عليها، ثم يصب على اللوحة قليل من الصمغ ، وتبل خرقة بقليل من حبر الطباعة ويمسح بها ، فيلصق الحبر حيث كانت الكتابة . وحينما تبرد جيداً يصب عليها مزيج يسير من الحامض ومذوب الصمغ مرة أو أكثر ، حتى اذا تنشفت توضع في المطبعة . وتبلل بالماء ثم الحبر ، ثم يطبع الورق عليها حسب العدد المطلوب ، ويعاد تبليلها بالماء وتحبيرها قبل طبع كل ورقة[1] .

---

(1) أنظر مجلة « المقتطف » ، المجلد السادس ، الجزء الرابع ـ ص 193 ـ 194 ، مع مجلة « الجنان » البيروتية ، ج 1 كانون الثاني سنة 1882م ـ ص 9 -10.

هكذا كانت طريقة الطبع على هذه الآلة الحجرية ، ويوجد باللائحتين رقم 4 ، 9 المرفقتين بهذه الدراسة ، عدد من لوازم المطبعة الحجرية ، وهي تدل على أن المطبعة الحجرية المغربية كانت يدوية بسيطة ، ولم تكن من نوع المطبعة الحجرية التي تدور بالبخار ، كما تدل اللائحة رقم 4 على أن بعض هذه اللوازم كانت تستورد من مصر .

تطلع مغربي للطباعة

لقد بات من المحقق أنه قبل دخول الطباعة للمغرب ، وجدت رغبة من بعض المفكرين المغاربة في تزويد المغرب بمطبعة عربية ، وقد ظهرت هذه الرغبة على لسان سفير مغربي عقب عودته من سفارة قام بها إلى فرنسا أواخر سنة 1276هـ/1860م ، ثم دون عنها رحلة عنونها بـ « تحفة الملك العزيز بمملكة باريز » ، ويعني بهذا السفير : الحاج ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمروي الفاسي ، الذي أعلن في رحلته[1] عن هذه الأمنية العزيزة بعدما مهد بتعداد مزايا المطبعة ، في فقرات مسجوعة جاءت هكذا :

« وهذه الآلة التي اتخذوها للطبع ، هي في كل الأمور عامة النفع ، معينة على تكثير الكتب والعلوم ، وأثرها في ذلك ظاهر معلوم ، وقد اتخذوها في جميع بلاد الإسلام ، واغتبط بها مشاهير العلماء الأعلام ، ويكفيك من شرفها وحسن موقعها ، رخص الكتب التي تطبع بها ، وقد اعتنوا بتصحيحها ، وبالغوا في تهذيبها وتنقيحها ، مع جودة الخط ، وإيضاح الضبط ، وهذه نسخة القاموس المطبوعة عام اثنين وسبعين بمصر ، يباهى بوجودها هذا العصر ، لا تجد في النسخ القديمة مثلها ولا ما يقرب منها ، فقد كانت عدت عليها أيدي الناسخين ، حتى عجزت عن تداركها عقول الراسخين ، وكادت تنبذ لأجل التحريف ، وتطرح لأجل التصحيف ، مع شرف موقعه من الدين ، واعتناء المتأخرين به والمتقدمين ، حتى قيض الله له بعض علماء مصر فصرفوا إليه وجه اعتنائهم ، بهمة دولتهم ورؤسائهم ، فجاءت هذه النسخة في غاية الاتقان ، وبرزت في ميدان الجودة

---

(1) « تحفة الملك العزيز بمملكة باريز » ، المطبعة السلكية الفاسية ، دون تاريخ ـ ص 54 -55 ، وانظر عن ترجمة مؤلف الرحلة : « اتحاف أعلام الناس » ج 2 ص 32 -41 ، مع « فواصل الجمان » ص 142 -162.

والاحسان ، واتسمت حسنتها في غرة الدهر ، وفاز الساعون فيها بعظيم الاجر وجميل الذكر ، ومن عجيب سعدها أنها تباع بنصف ثمن النسخ المحرفة[1] .

ونطلب الله بوجود مولانا أمير المؤمنين أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة ، ويجعل في ميزان حسناته هذه المنفعة . . » .

هكذا يلح هذا المفكر المغربي على تزويد المغرب بمطبعة عربية من سنة 1276هـ/1860م ، ويبدو أن المغرب كان يتطلع لهذا الاختراع العلمي قبل هذا التاريخ بكثير ، فهناك رحالة مغربي يحمل اسم « الشيخ محمد الفاسي » :

وقف ـ سنة 1801م/ 1216هـ ـ على مطبعة الحملة الفرنسية بالقاهرة وأبدى إعجاباً شديداً بها ، وكان هذا الشيخ قد شاهد ـ من قبل ـ مطبعة الاستانة[2] .

وصول المطبعة الحجرية للمغرب

وصلت المطبعة الحجرية للمغرب في شعبان سنة 1281هـ/1864-1865م[3] ، وكان دخولها يتسم بشكل فردي ، حيث جاء على يد قاضي تارودانت محمد الطيب بن محمد السوسي التملي الروداني[4] ، الذي اشتراها من الشرق لما حج ، ثم أتى بها للمغرب

---

(1) لا شك أنه يشير الى الطبعة الاولى للقاموس عام 1272هـ ، بمطبعة بولاق في مجلدين مشكولين، مع مقدمة تصديرية في معرفة اصطلاحات الكتاب ، بقلم الشيخ نصر الهوريني .

(2) « تاريخ الطباعة في الشرق العربي » ـ ص 25.

(3) أنظر الملحق رقم 1.

(4) له ترجمة وجيزة في « خلال جزولة » ج 4 ص 120 -121 ، ويوجد بخط القاضي أبي عيسى المهدي ابن سودة مبيضة اجازة كتبها للمذكور بتاريخ ذي القعدة عام 1265هـ . وفيها يذكر أنه رحل لفاس في طلب العلم ولازم رياضه أزمنة وأعصراً ، فجنى جل ما طاب ، حتى ملأ الوطاب ، وقيد ماند وشرد ، واستكثر من إحكام قضاياه كل ما قصد. . .مع تحليته في مقدمة المبيضة بقاضي وجدة، كأنه كان قاضياً بها قبل أن يتولى قضاء تارودانت ، والمبيضة توجد ضمن كناشة من محتويات « المكتبة الاحمدية » .

وهناك تأليف صغير يسمى : « بكرة الاقتضاض ، في بغية الانقضاض) ، وهو شرح على قصيدة وضعها ـ معاً ـ البشير بن محمد بوحدو السلاوي أصلاً وداراً ومنشأً ، وتتناول القصيدة ـ حسب تعبير =

ومعه طبيع مصري ليشتغل بها .

ويحتوي الملحق رقم 3 لهذه الدراسة على نص الاتفاق الواقع ـ في هذا الصدد ـ بين القاضي الروداني والطبيع المصري محمد القياني بن ابراهيم المصري الذي حرر الاتفاق بخطه ، وفيه يلتزم بأن يأتي برفقة السيد الروداني إلى مدينة « رودانة » بأرض المغرب ، ويشتغل عنده في هذه المطبعة الحجرية مدة من سنة كاملة ، تبتدىء من ربيع الأول سنة 1281هـ ، وتنتهي في صفر الخير سنة 1282هـ ، وفي مقابل ذلك يتحمل السيد الروداني للطبيع المصري بأن يقوم بلوازمه في مأكله ومشربه وملبسه على طبق مراد هذا الأخير ، وفي كل شهر ينقذه مائتي قرش مصري خالصة لجيبه ، وفي حالة ما اذا انتهت السنة المذكورة وأراد المصري العودة لوطنه ، فان القاضي الروداني يرحله على نفقته إلى حد بلاده .

وقد تم تحرير هذا العقد في يوم الأربعاء 14 ربيع الأول المبارك ، سنة 1281هـ .

هذه خلاصة الاتفاق الذي يستفاد منه أن القاضي الروداني كان ـ في أول الأمر ـ سيستخدم المطبعة في اسمه ، غير أنه لا يلبث أن يقدمها هدية للسلطان « محمد الرابع » في ظروف لا تزال غامضة ، وقد وقع ذلك بمجرد رجوعه إلى المغرب ، فان نفقات الطبع المصري في الميزانية المغربية تبتدىء ـ حسب الملحق رقم 1 ـ من شعبان سنة 1281 هـ ، أي بعد نحو أربعة أشهر ونصف من تاريخ توقيع العقد الآنف الذكر .

وفي المفاخر العلية[1] تحدث عن اهداء هذه المطبعة من طرف القاضي الروداني هكذا :

« وجاء الامير سيدي محمد هذا : « السلطان محمد الرابع » المطبعة التي تطبع فيها

= الشرح ـ مدح قاضي قضاة سوس ونواحيه : الحاج الطيب بن العلامة محمد يمل ، حيث بذل المجهود في حفر عين من الماء العذب ، وأجراه بتارودانت ، وعم النفع بها في المساجد والحمامات ، والمطاهر والسقايات ، وقع الفراغ من تأليف الشرح ونسخه صبيحة الخميس 13 رمضان عام 1284هـ وهو يوجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 97ج .

(1) مخطوطة المكتبة الملكية السالفة الذكر عند ترجمة عبد السلام العلمي .

الكتب هدية ، أهداها له خادمه الفقيه العلامة سيدي الطيب الروداني قاضي تارودانت من سوس لما حج ورجع من الحج ، وجاء ـ أيضاً ـ بشيخ كبير عارف بكيفية الطبع ، فقبل سيدنا الامير منه الهدية ، وأكرم الشيخ المذكور وأجرى عليه النفقة ، وأعطاه ما يحتاج إليه ممن يخدمه » .

وحسب الملحق رقم 1 فان المدن المغربية التي مر بها الطبيع المصري قبل أن يلتحق بفاس كانت هي : الصويرة ابتداء من 2 شعبان سنة 1281هـ ، حيث يظهر ان المركب الذي أقله من مصر مع رفيقه الروداني أرسى بميناء هذه المدينة ، ثم كان في مكناس من 28 شعبان سنة 1281هـ حتى 17 ربيع الأول النبوي سنة 1282هـ ، وأثناء هذه الفترة وقع طبع أول كتاب أخرجته هذه « المطبعة الحجرية » ، وهو « الشمائل الترمذية » الذي سنتحدث عنه بعد .

ومن ربيع الثاني 1282هـ يبتدىء ـ في نفس الملحق ـ حساب المصري والمطبعة بفاس ، لما استقر هو والمطبعة بهذه المدينة ، وهنا يبتدىء ـ بعد نحو سنة ـ عمل هذه المؤسسة بصفة قارة ، حيث تمر بعدة أدوار سنتحدث عنها بالتتابع فيما يلي :

المطبعة الحجرية الاولى مؤسسة حكومية

يبتدىء هذا الدور من ربيع الثاني سنة 1282هـ/1865م ، وينتهي آخر سنة 1287هـ/1871م ، وفي هذه المرحلة كانت تحمل اسم « المطبعة السعيدة » أو « المطبعة المحمدية » نسبة للسلطان محمد الرابع ، وتتعاون في نفقاتها الخزينة العامة والاحباس ، وكان مقرها في دار بالكراء تقع في زنقة « جزاء برقوقة »[1] من فاس الادريسية .

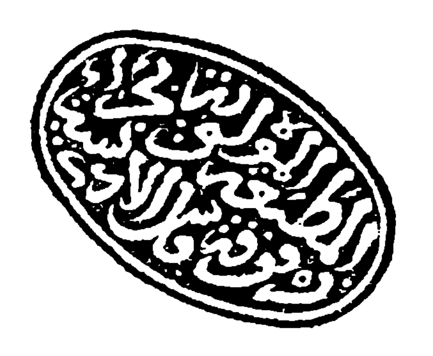
أما جهازها التوظيفي فكان يشتمل ـ بعد الطبيع المصري ـ على ناسخ ،

---

(1) جاء تعيين هذا المقر آخر حاشية أحمد بن الحاج على شرح الاجرومية لخالد الازهري ، المنشور بالمطبعة الفاسية أوائل ربيع الثاني عام 1295هـ ، حيث ذيلت الكلمة الختامية لهذه النشرة بطابع نقش داخله : « المطبعة المولوية بجزاء برقوقة ، فاس الادريسية » .

شكل — 10

انتهى النظر والمقابلة الفارس بميادين العلم والفضل المعتكف من زمانه كله وفيه التوزري المحفوظ
بعناية الله الإمام الهمام أمير المؤمنين أمير القبلة في الخلق السني السري الأخير أبا محمد سيدي محمد [illegible]
سيدنا الأخير لا زالت أيامه بالنصر والمنصور بالله مليئة وعلى عقبه تتوالى وتترا واصلح هنا حميع كل
[illegible] والسر [illegible] من المشيئة الشيوخ نفعهما وشاع في كل الآفاق انكباب علينا وجمعا
حرصا على التعاون في الدين والفوائد سلك أهل العلم الفاعلين والدوار الطباعة التي أنشأ بها
والحكم بها الصناعة بإفاقة علمائنا التصحيح الفارسية بمساواة التأليف على المؤلف من أفتح الفتح
النظام بغير على أن إليه الزاهر لدى النهي عن تغيير أسلوب إلا ما جيد إذ وكلوا ذلك لمن ينسب اليد الطولى
ولم يكن لهم في ذلك غرض من تأليف أو تصحيف ونزلت بنا أيام الجميع وبعض الكل الحر أنه لما يجل من الدرس
من الخلف عن ولد جعلنا التنبيه بما أن لا تنطق ما أن يكون وخاطبه على إشراقهم وإتقانهم وكان العلمية
الانتظار وأمرنا بالمراقبات الانتظام ولا التامين العرض ومالنا بالفظ من أجل الانسكاب [illegible]
ولا عرض ومن المنشور بتمامه ان يقام تلك الجميل وهو حسبي ونعم الوكيل وكان الفراغ من طبعه وتصحيحه
ورقم نقوشه وإبرازه أيامنا أولها ربيع الثاني عام ١٢٧٦ ولتنا عشر بعد التصحيح [illegible]
أفقر العبيد الشريف المتفضل بعلم النور محمد بن أحمد الصنهاجي لطف الله به ونواله ولعفوه ورضاه
[illegible] أنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير والسلام



ختم المطبعة الحجرية الرسمية

ومصحح ، ومعاونين يبلغ عددهم عشرين[1] .

وكان المصحح هو أبو حفص عمر (بن عبد القادر) الرندي (الأندلسي) ثم الفاسي ، المتوفي في 27 صفر سنة 1290هـ/1873م[2] .

وأول ناسخ توظف بها هو محمد ابن سليمان (الفاسي) ، المتوفي عام نيف وعشرة وثلاثمائة وألف[3] ، ثم أبو العباس أحمد الخضر بن عبد النبي ابن المجذوب الفاسي الفهري ، ولما توفي خلفه أخوه أبو يعقوب يوسف[4] .

ويوجد من بين المعاونين أفراد تدربوا على استخدام هذه المطبعة وصاروا بعد : طبيعيين ممتازين ، ومنهم الطيب بن محمد الأزرق الفاسي ، والمكي ابن الوزير محمد بن ادريس العمروي الفاسي[5] ، وقد يكون فيهم ـ أيضاً ـ العربي الأزرق أخو الطيب لأبيه .

وقد كانت أجور موظفي هذه المطبعة كالتالي :

الموظف	مياومة	مشاهرة	مصدر النفقة
الطبيع المصري :	26 أوقية	20 مثقالاً	الأحباس
المصحح :	/ ، 12 أوقية		الأحباس
الناسخ :	/ ، 12أوقية		الأحباس
المعاونون «20» :	56 أوقية		الخزينة[6]

---

(1) هذا مأخوذ من الملحق رقم 2.

(2) المفاخر العلية لعبد السلام اللجائي ، وعن ترجمة الرندي ، ارجع الى « سلوة الانفاس » ج 2 ـ ص 368.

(3) الدرة السنية ، في ذكر الدولة الحسنية « لمحمد بن أحمد بن محمد المدرومي الحسني نزيل مراكش ـ نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم 481 ، وعن ترجمة ابن سليمان ارجع الى فواصل الجمان » ص 200 - 201.

(4) « النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية » لابن زيدان ـ مقتبسات من نسخة المؤلف .

(5) أنظر ص 273-275 من هذه الدراسة .

(6) أنظر الملحق رقم 2.

يضاف لهذه الأجور انعامات ، فقد جاء في نفقات الخزينة العامة بتاريخ 27 رمضان سنة 1284هـ :

صاير 21 كسوة كاملة للطبيع المصري ومعاونيه العشرين ، ومن تفاصيل هذا الصائر يستفاد أن المصري وأكثر معاونيه كان لباسهم يشابه اللباس التركي القديم ، حيث يذكر اسم « جبدور » و « بدعية » و « منتال »[1] .

***

ولم تكن منشورات المطبعة في هذا الدور كثيرة ، حيث كانت لا تزال في البداية ، ولقصر مدة هذه المرحلة ، ولهذا لم يتجاوز عدد المنشورات ستة :

الاول : « الشمائل المحمدية » ـ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، وهي أول ما نشر بهذه المطبعة ، وكان طبعها بمكناس في 4 صفر سنة 1282هـ ، أثناء المدة التي كانت فيها المطبعة بمكناس قبل استقرارها بفاس . وقد جاءت الكلمة الختامية لهذه الطبعة هكذا :

« الحمد لله ، كمل كتاب شمايل المصطفى بحمد الله تعالى وتوفيقه ، بالمطبعة السعيدة بالحضرة المولوية العلية : بمدينة مكناسة الزيتون ، بأمر من توج برئاسته الاعصار ، وتباهت بسياسته البوادي والأمصار ، مجدد معالم الدين ، ومحيي آثار الأئمة المهتدين ، مولانا أمير المؤمنين ، المتوكل على رب العالمين ، أبقاه الله لحفظ نظام الإسلام ، وأيد به شريعة جده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ونصره نصراً عزيزاً مؤيداً ، والسلام ، في رابع صفر الخير سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف » .

جزء واحد ، في 144 ص ، مسطرة 13 ، مقياس 165/200 ، خال من اسم الناسخ الذي يبدو ـ من ملامح الخط ـ انه من خطاطي مكناس .

---

(1) سجل نفقات مخزنية بالمكتبة الملكية رقم 297 ـ ص 32.

الثاني : « شرح المقدمة الاجرومية » لخالد بن عبد الله الازهري . وهو أول ما نشر بهذه المطبعة بفاس ، وتم طبعه في 18 جمادى الثانية سنة 1283هـ .

جزء واحد ، في 69 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 140/190 .

مكتوب بخط محمد ابن سليمان سالف الذكر .

الثالث : « مختصر الدر الثمين ، والمورد المعين ، في شرح المرشد المعين » ، لمحمد بن أحمد ميارة الفاسي .

وقع الفراغ من طبعه في 15 شعبان سنة 1283هـ .

جزء واحد ، في 228 ص ، مسطرة 19 ، مقياس 157/200 ، مكتوب بخط ابن سليمان سالف الذكر .

الرابع : « حلي المعاصم ، لبنت فكر ابن عاصم » ، تأليف محمد التاودي ابن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، كمل طبعه في 17 جمادى الأولى سنة 1284هـ .

جزء واحد ، في 555 ص ، مسطرة 21 ، مقياس 160/200 .

يذكر محمد المدرومي في « الدرة السنية ، في ذكر الدولة الحسنية »[1] : أن محمد ابن سليمان سابق الذكر ، رشحه السلطان محمد الرابع لكتابة مطبوعات هذه المطبعة ، وعين من متنسخاته « حلي المعاصم » هذا ، فأفاد أنه هو كاتب هذه الطبعة بخطه ، فإذا قوبل ، خط هذه مع الخط المكتوب به كل من شرحي الأزهري على المقدمة الاجرومية وميارة على المرشد المعين ، مع الجزء الأول من شرح المختصر الخليلي للخرشي ، توجد الخطوط متماثلة ، فيستفاد أن هذه الثلاثة مكتوبة هي الأخرى بخط ابن سليمان أيضاً .

الخامس : « الشرح الصغير على المختصر الخليلي » لمحمد بن عبد الله ابن علي الخرشي المصري .

في ستة أجزاء : الأول ، تم طبعه يوم الأربعاء 24 محرم سنة 1284هـ ، في 305

---

(1) مخطوطة المكتبة الملكية سابقة الذكر .

شكل ـ 11

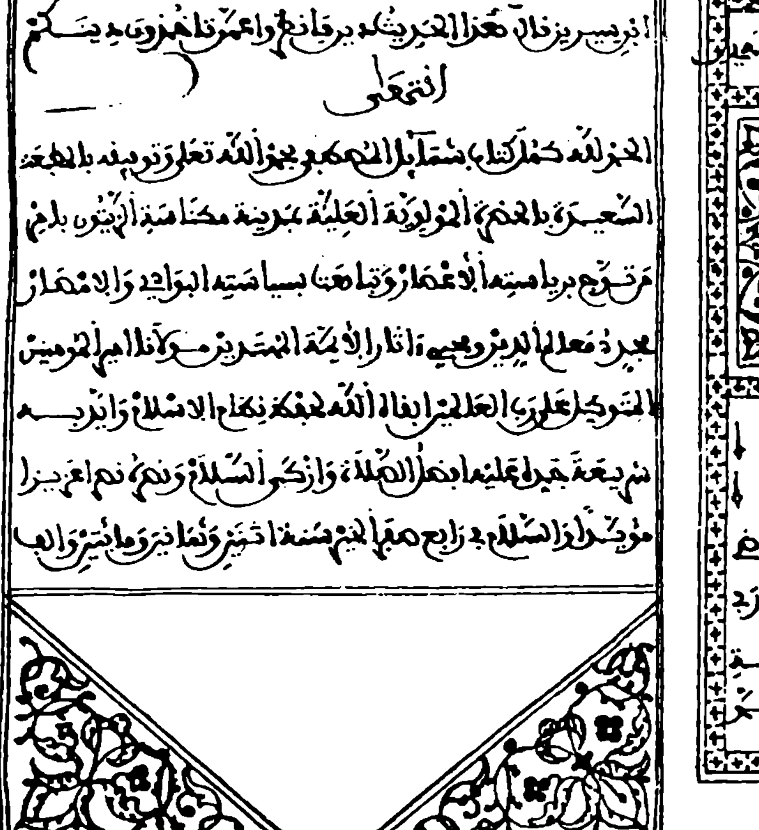

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله

باب ما جاء في خلق النبي
صلى الله عليه وسلم

قال الفقيه الأجل العالم الإمام الأجل الفاضل
الأكمل أبو علي حسين بن محمد بن حسين بن إبراهيم الفرد
رضي الله عنه قرأت على الشيخ الإمام زين الأئمة
جمال الإسلام أبي القاسم عبد الله بن طاهر بن محمد

شكل ـ 12


ابن سيرين قال هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم

انتهى

الحمد لله كمل كتاب شمائل المصطفى بعون الله تعالى وتوفيقه بالمطبعة
السعيدة بالحضرة المولوية العلية بمدينة مكناسة الزيتون بلد
من توج برياسته الأعصار وتباهت بسياسته البوادي والأمصار
مجدد معالم الدين ومحيي آثار الأئمة المهتدين مولانا أمير المؤمنين
المتوكل على رب العالمين أبقاه الله كهفا لأهل الإسلام وأهله
ثم بعقبه خير عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ونعمه ثم اعز [illegible]
مؤرخ ذلك بالسلام في رابع صفر الخير سنة اثنين وثمانين ومائتين والف

الصفحتان : الأولى والأخيرة من أول كتاب نشر بالمطبعة الحجرية : « الشمائل الترمذية » .

ص ، مقياس 215/310 .

الثاني : تم طبعه يوم الخميس 23 ربيع الثاني سنة 1285هـ ، في 350 ص ، مقياس 210/300 .

الثالث : يوم الاثنين 6 محرم سنة 1286هـ ، في 342 ص ، مقياس 210/300 .

الرابع : يوم الاثنين 10 شعبان سنة 1286هـ ، في 339 ص ، مقياس 205/280 .

الخامس : الخميس 23 ربيع النبوي سنة 1287هـ ، في 306 ص ، مقياس 210/300 .

السادس : 8 حجة سنة 1287 هـ ، في 328 ص ، مقياس 205/300 ، مسطرة جميع الأجزاء 27 .

جاء في « النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية » لابن زيدان : أن أبا العباس أحمد الخضر الفاسي سابق الذكر ، توفي قبل أن يتمم كتابة شرح الخرشي هذا ، فأكمله ـ بخطه ـ صنوة يوسف مار الذكر .

السادس : « قصيدة مولدية » نظم أبي عبد الله محمد بن السيد أحمد الرفاعي المدني .

وقع الفراغ من طبعها زوال يوم الخميس 17 حجة سنة 1287هـ .
جزء صغير ، في 14 ص ، مسطرة 15 ، مقياس 110/147 .

وهذه القصيدة ـ فيما يبدو ـ كانت آخر ما نشر بالمطبعة الحجرية في هذا الدور الاول .

وتمتاز هذه المطبوعات عما نشر بعدها ، بالمبالغة في اتقانها ، تصحيحاً ، وطبعاً ،

وورقاً ، كما أنها مشكولة ، وإذا استثنينا « القصيدة المولدية » ، فان باقي هذه المطبوعات الحجرية كانت كتباً دراسية في الدرجة الاولى .

***

وقد كانت نهاية المطبعة في هذا الدور انها توقفت عن متابعة العمل ، وتفيد الرسالة التي هي الملحق رقم 5 : أن سبب هذا راجع لمفارقة الطبيع المصري للمطبعة وسفره ، والظاهر أن هذه الفترة امتدت طوال سنة 1288هـ ، ثم انتقلت بعد : هذه المطبعة لدورها الثاني حيث صارت مؤسسة فردية ، وهو ما سنتحدث عنه بعد .

ونذكر هنا أن دخول هذا الجهاز المطبعي للمغرب صادف استحساناً ، وكان ممن اعلن عنه اللجائي في « المفاخر العلية » ، ثم العربي المشرفي في « نزهة الأبصار » ، كما أن بعضهم أنشأ قصيدة ضمنها مدح هذه المطبعة[1] .

ويبدو أن السلطان محمد الرابع حاول تطوير الطباعة المغربية ، وتأسيس مطبعة بالحروف إلى جانب المطبعة الحجرية ، فهناك رسالة من اسماعيل باشا خديوي مصر ، إلى محمد الرابع سلطان المغرب ، وهي تحمل تاريخ شوال سنة 1283هـ/1867م ، وقد جاء فيها :

« هذا : وقد سررت بورود مشرفكم الكريم ، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم ، وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم . . . وقد أرسلنا المومى إليه إلى دار الطباعة ، وأكدنا على مأمورها بإراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة ، والاعتناء بتمرينه على استعمال أدواتها ، وتوقيفه على كيفية إدارة آلاتها وسائر كيفياتها »[2] .

---

(1) توجد ضمن مجموع خ ، ع ، د 1115.

(2) أنظر عن مصدر هذه الفقرة ص 61-62 من هذا الجزء ، وقد يكون المبعوث المشار له في الرسالة هو عبد القادر الشفشاوني ، حيث يشير في إجازة كتبها لطبيعين الى أنه بعث به س محمد 4 الى مصر ليتعلم صناعة الطباعة في المطبعة الأميرية ببولاق ، حيث سيرد نص هذه الإجازة عند الملحق 12 ، نقلاً عن نصها =

شكل — 13



بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

لما من الله علينا بأن أهلنا مولانا أمير المؤمنين أعز الله بمعاليه
الدين وخلد ملكه ودام له الجميل الى ابد الابدين مع اوليائه المتقين
السلطان الأمجد المعظم الأسعد سيدي محمد ابن مولانا عبد الرحمن بن هشام
نعمه الله للتوجه لتعليم صناعة الطباعة البهية بمطبعة الكتب
بولاق ومصر المحمية فتعلمناها والحمد لله وأجازنا الأشياخ بها بعد أن
وأحكمنا ما هنالك وكان سابقا قبل توجهنا انتدب أيده الله الشيخ محمد [illegible]
لطبع الكتب معلم الطالب الناسخ المعلم السيد الطيب بن السيد محمد الأزرق
الفاسي والشاب الأمجد المعلم الأرشد السيد محمد الحمدوي المراكشي
بمطبعة الطبع [illegible] الأول ولم يتخذ من مبادئ الصنعة وخواصها غير ما ذكر
بعضا ولا كلا فامتحناهما فلم يكن كل منهما أنه لا يخبر عن ما ذكر فأفهمناهما
بين يديهم جميع ما يحتاجان إليه ثم أمرناهما بالعمل والامتحان فأفهمناهما
ذلك وأتقناه الغاية الاتقان وبه طريقة على كل منهما اسم المعلم ومهما
مر نفعه سمة المتعلم وبرز بنفسه المطبعة وحصلت النتيجة والمنفعة
من غير توقف علينا ولا على أحد غيرنا وأنس منه الرشد في جميع ما ذكر [illegible]
وسلم اللهم اجعل حسناتنا وحسناتهم في صحيفة مولانا أمير المؤمنين
لكونه سن هذه السنة وأشرك [illegible] هذه المنة بهذه المزية التي لا تنقطع
ونفع بعضها الأول والآخر ومن يتبع هذه شهادتنا وإجازتنا لهما بجميع
ما ذكر والله تعالى يوفقنا وإياهما لما فيه رضاه بمنه آمين آمين آمين
في ثالث عشر المحرم الحرام عام خمسة وثمانين ومائتين والف

اجازة عبد القادر الشفشاوني لطبيعين — مديرية الوثائق الملكية .

ومن المؤسف أن لا تتعدى هذه المحاولة تسجيلها في هذا الخطاب ، حيث لم يعد يرى لها أثر بعد .

وأخيراً فان بعض العلماء المغاربة عارض في نشر الكتب بواسطة المطبعة ، فقد جاء في ترجمة محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي : أنه ألف رسالة في الترغيب في المؤلفات الخطية ، والتحذير من الكتب المطبوعة ، وبيان أنها سبب في تقليل الهمم ، وعدم حفظ العلم ونسيانه[3] ، ثم وقفت على قطعة من هذه الرسالة بمكتبة العالم الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، وهي مرتبة على ثلاثة فصول ، ويقف الموجود منها آخر الفصل الأول ، في 9 ص ، حجم متوسط ، حسب النسخة التي استخرجتها .

المطبعة الحجرية الأولى مؤسسة فردية

تركنا المطبعة الحجرية توقفت عن العمل طوال سنة 1288 هـ ، وحسب الملحق رقم 5 فقد قام بها ـ بعد هذه الفترة استجابة لرغبة طلاب العلم بفاس ـ الحاج الطيب ابن محمد الأزرق الفاسي ، المتخرج في هذه المهنة على يد الطبيع المصري ، وبهذا دخلت في دورها الثاني .

ولم تعد المطبعة ـ في هذه الحالة ـ على نفقة الحكومة ، وانما صارت مؤسسة فردية ينشر بها هذا الطبيع المغربي ، على أساس أن يقدم للحكومة عشرة في المائة من منشوراته ، وكان يشارك الأزرق في بعض هذه المدة الشريف الحسين بن محمد الدباغ الفاسي فيما يرجع للنفقات المالية ، وهذا الأخير ـ فيما يظهر ـ هو الذي وقع التصريح باسمه العائلي ـ الى جانب اسم الأزرق ـ آخر « شرح العمل الفاسي » للسجلماسي ،

= المكتوب بخط بديع ، داخل إطار مستطيل منمق بزخرفة جميلة ، ومذيل بطابع مستدير كتب فيه اسم « عبد القادر الشفشاوني » ، وهو شخصية علمية معروفة ، حسب ترجمته عند الزركلي في « الأعلام » : الطبعة الثانية ـ 165/4.
والاجازة في محفوظات مديرية الوثائق الملكية .

(3) معجم الشيوخ للقاضي عبد الحفيظ الفاسي ـ ج 1 ص 57.

المنشور بهذه المطبعة بتاريخ أواسط رجب سنة 1291 هـ ، كما جاء التصريح باسمه ـ كاملاً ـ آخر الجزء الثاني من حاشية محمد الطالب ابن الحاج على شرح المرشد المعين لميارة ، وقد تم طبعه أول محرم عام 1293 هـ .

وفي هذا الدور لم تعد تسمى « المطبعة السعيدة » أو « المطبعة المحمدية » كما كان الحال من قبل ، وانما صارت تحمل ـ في الغالب ـ اسم « المطبعة الفاسية » ، نسبة لمدينة فاس التي كانت ـ آنذاك ـ تنفرد بهذا الجهاز في المغرب المستقل ، وقد تسمى « المطبعة العامرة » ، وأول ذكر لهذا الاسم الأخير جاء ختام طبعة « دلائل الخيرات » للامام الجزولي وما معه ، وهو منشور بهذه المطبعة بتاريخ الجمعة 10 صفر سنة 1289 هـ . ومن هنا نستفيد ـ ولو على وجه التقريب ـ تاريخ استيناف « المطبعة الحجرية » للعمل في دورها الثاني .

أما اسم « المطبعة الفاسية » فكان هو الغالب في هذه المطبوعات ، وحسبما وقفت عليه . فقد كان أول ظهوره في طبعة شرح المرشد المعين لميارة ، المنشور في 13 جمادى الثانية ، سنة 1289 هـ ، وبعد هذا ورد نفس الاسم مقترناً باسم الطيب الأزرق ، في شرح العاصمية للتسولي ، وقد وقع الفراغ من طبع جزئه الأول في 13 قعدة سنة 1289 هـ .

وهكذا تتوضح بداية هذه المطبعة الفردية وشخصيتها ، والظاهر أن مركزها استمر في مكانها الأول بزنقة « جزاء برقوقة » ، ومن المؤكد أن المطبعة ـ في هذا الدور ـ لم يكن النشر بها مقصوراً على الطيب الأزرق وحده ، وإنما صار يستخدمها بعض طبيعين آخرين .

والمعني بالأمر هنا اثنان : الأول : العربي الأزرق أخ الطيب لابيه ، وأول ما وقفت عليه من عمله في هذا الصدد : « كتاب تحرير أصول الهندسة » لاقليدس ، تأليف نصير الدين الطوسي ، الذي تم نشره في 23 شوال سنة 1293 هـ ، فقد جاء في آخره ، أنه تم بـ « المطبعة العامرة » بفاس ، خدمة المعلم العربي الأزرق ، ثم ورد

اسمه آخر نوازل الشريف العلمي ، التي نجز طبعها أوائل ربيع الثاني سنة 1294 هـ ، وبعد هذا جاء ذكر « مطبعة العربي الأزرق » آخر شرح العمل الفاسي للسجلماسي ، الذي تم طبعه في 14 ربيع الثاني سنة 1298 هـ ، وهذا أول ذكر لهذه المطبعة .

أما الثاني الذي كان يستعمل هذه المطبعة فهو المكي بن الوزير محمد ابن ادريس العمروي الفاسي ، وقد لمع اسمه منذ سنة 1292 هـ : آخر شرح المختصر الخليلي للهلالي ، الذي كان طبعه بمباشرة المذكور ، مع تذييل القصيدة الختامية بطابع نقش بداخله اسم « المكي ابن ادريس » ، وفي السنة التالية ظهر اسمه آخر « بهجة البصر ، في شرح فرائض المختصر » ، لمحمد بن أحمد بنيس الفاسي ، المهمش بحاشية عليه لمحمد بن المدني كنون الفاسي ، ووقع الفراغ من طبع ذلك في 14 جمادى الأولى سنة 1293 هـ ، وقد ذيلت القصيدة الختامية بطابع نقش بداخله :« المكي ابن ادريس أصلحه الله » ، ثم ظهر اسمه للمرة الثالثة مع شرح التحفة للتسولي ، الذي تم طبع النصف الأول منه في 15 قعدة عام 1293 هـ ، وللمرة الرابعة جاء ذكره آخر « الحصن الحصين » لابن الجزري ، وقد تم طبعه أول ربيع الثاني سنة 1294 هـ ، وفي نفس السنة باشر نشر شرح الخلاصة للمكودي ، وتم طبعه أوائل ذي الحجة متم سنة 1294 ، ومن منشوراته « دلائل الخيرات » للجزولي ، وتوابعه ، وفي آخر ذلك ورد اسم « المكي ابن ادريس » دون ذكر تاريخ الطبع ، فهي ست منشورات تحمل اسم المذكور ، وبعدها لم يعد يسمع له ذكر ، وبهذا لم يستمر لامعاً في هذه « المطبعة الفاسية » سوى اسمي الأخوين الحاج الطيب والعربي ابني محمد الأزرق .

وقد كانت « المطبعة » في هذا الدور الثاني بسيطة في جهازها التوظيفي ، ولم يكن قاراً بها ـ حسب الملحق رقم 9 ـ سوى الطبيع ومعاونيه والقيم ، أما من عداهم من خطاط ومصحح وناشر ، فلم تكن تتوفر عليهم بشكل قار ، ولهذا تنوعت خطوط المطبوعات ، وتعدد المصححون والناشرون ، وحسب نفس الملحق فقد كانت تسير في الطبع بمعدل ملزمة واحدة في اليوم ، من حجم شرح مرتضى على الأحياء الذي لم تتعد

شكل — 14



ختم طبيع بالمطبعة الحجرية

المطبوعات منه 200 نسخة ، كذلك كانت تعطل العمل في يوم الجمعة[1] .

مطابع حجرية جديدة

حسبما يتبين من الدور الثاني ، فقد كان الطبيعون المغاربة الثلاثة ـ بما فيهم الأخوان ابنا الأزرق ـ جميعهم ينشرون في مطبعة الحكومة الحجرية ، ثم دخل للمغرب ـ بعد هذا ـ مطابع حجرية جديدة ، منها مطبعتان صار يستخدمها الأخوان ابنا الأزرق ، ومطابع أخرى ، وهي التي ندرسها في هذا الدور الثالث ونتناول جميعها فيما يلي :

1 ـ مطبعة الحاج الطيب الأزرق

وكان مركزها يقع في « درب الحمام » قرب الجوطية[2] من فاس القرويين ، ولا يعرف تاريخ انشائها بالضبط . ومن بين مطبوعات الحاج الطيب الأزرق ، توجد « الشمائل الترمذية » سنة 1310 هـ ، وتمتاز هذه النشرة بطابع موضوع أسفل ما قبل الصفحة الأخيرة ، وفي داخله كتب : « بمطبعة الحاج الطيب الأزرق » ، وقد اختفى اسمه من المطبوعات الفاسية أثناء سنة 1313 هـ ، حيث باشر في هذا التاريخ طبع « الشمائل الترمذية » و « الشفا » لعياض ، في 12 جزءاً .

---

(1) تعطيل العمل يوم الجمعة وارد في وثيقة بـ « النهضة العلمية ، في عهد الدولة العلوية » .

(2) « فاس قبل الحماية » تأليف روجيه لوتورنو ، حسب تعريب الاستاذ الكريم السيد الصديق بن العربي أمين خزانة ابن يوسف بمراكش .

ويؤخذ على هذا المصدر انه يسمي صاحب هذه المطبعة : الحاج الطالب ، وانما هو الحاج الطيب ، كما يذكر عنه أنه استقدم صانعاً تركياً والغالب أنه التبس عليه الأمر بالطبيع المصري الذي استجلبه محمد الطيب الروداني من القاهرة .

وبعد هذا يقول نفس المؤلف : « وكان أول كتاب طبع بفاس هو شرح الشيخ مرتضى على الاحياء » ، هذا في حين أن شرح الاحياء انما تم طبعه عام 1304هـ ، بعدما كانت المطبوعات الحجرية الأولى ابتدأ طبعها بالمغرب من عامي 1282 -1283هـ .

وقبل هذا التاريخ لمع ـ في الطباعة الفاسية ـ ذكر ولده الحاج أحمد ابن الحاج الطيب الأزرق ، وبرز اسمه آخر « الحصن الحصين » لابن الجزري ، المطبوع سنة 1308 هـ ، ثم تتابع ظهور اسمه في المطبوعات الفاسية حتى سنة 1326 ، لما نشر مفاكهة ذوي النبل والاجادة . . . » ، أنظر رقم 15 و 39 من « لائحة منشورات أبناء الأزرق » الآتية وشيكاً .

والغالب أن هذا الأخير لم يشتغل ـ أول الأمر ـ بمطبعة على حدة ، وانما كان يتعاون مع والده ، فهناك طبعة لدلائل الخيرات للامام الجزولي ، وما معه ، وهي تحمل تاريخ 24 رمضان سنة 1310 هـ ، وقد جاء في آخرها : وذلك بمطبعة المعلم الأغق ، الحاج الطيب الأزرق ، ونائبه في الطباعة : ولده المعلم الشاب ، الحاج أحمد الأزرق .

وأخيراً : فان هناك ظهيراً صادراً عن السلطان الحسن الأول بتاريخ 29 ربيع الثاني سنة 1291 هـ ، وفيه يسدل أردية التوقير والاحترام ، على ماسكه الطيب الأزرق الفاسي ، معلم مطبعة الكتب العلمية ، بفاس الأدريسية ، ويجدد له ـ في هذا الصدد ـ على ما بيده من ظهير السلطان محمد الرابع ، أنظر الملحق رقم 10 .

2 ـ مطبعة العربي الأزرق

كان يقع مركزها في درب حسان من حي البليدة بفاس القرويين[1] ، وهي ـ أيضاً ـ مجهولة تاريخ التأسيس ، ومن بين مطبوعاتها توجد رسالة « صلة المترحم . على صلة الرحم » للشيخ ماء العينين ، وهي منشورة سنة 1323 هـ ، وجاء في آخرها : « . . على ذمة معلم الطباعة ومديرها ومنشئها ومزينها . . السيد العربي بن سيدي محمد الأزرق » ، فهل يدل هذا على أن إحداث هذه المطبعة الجديدة كان في سنة 1323 هـ أو قبيلها ؟ ،ثم وقفت على ما يؤكد هذا في ختام طبعة الرسالة التي تحمل اسم « منيل

(1) حسب افادة الفقيه المعمر سيدي محمد بن الطالب ابن سودة المري .

البش . فيمن يظلهم الله بظل العرش » للشيخ ماء العينين أيضاً ، فقد جاء في آخرها : « طبع على ذمة صاحب المطبعة . . . السيد العربي الأزرق ، وذلك بالمطبعة الثانية ، وكان الفراغ من طبعه عشية الأربعاء سادس رمضان عام 1324 » ، فهذه المطبعة الثانية يظهر أنها هي التي أنشأها هذا الطبيع بعد مطبعة الحكومة التي نشر بها الكثير .

وقد استمر اسم « العربي الأزرق » يظهر في المطبوعات الفاسية حتى أثناء العقد الرابع من هذا القرن الهجري الجاري(1) .

* * *

هذا ونذكر أن بني الأزرق الثلاثة ـ وفي مقدمتهم العربي الأزرق ـ برزوا في ميدان هذه الطباعة الحجرية ، خلال الدورين الثاني والثالث ، فنشر على يدهم أكثر المطبوعات الفاسية ، وقد شملت منشوراتهم ـ الى جانب الكتب الدراسية ـ مطبوعات عديدة تناولت ـ بصفة خاصة ـ النوازل الفقهية ، والتراجم ، والرحلات ، مع بعض مؤلفات من فنون أخرى .

كما نذكر أن الخطاطين والمصححين والناشرين كانوا غير قارين بالنسبة لمطبوعات بني الأزرق ، ونستطيع معرفة زمرة من هؤلاء ـ بالنسبة للدورين معاً ـ بواسطة مصدر هام في هذا الموضوع بالخصوص ، وهو كلمات المطبوعات الختامية التي تذيل بها أغلب المنشورات الفاسية ، وتذكر اسم المصحح والناشر ، وفي بعض الحالات تصرح باسم الخطاط الذي كتب المطبوع ، وبمقارنة خط الطبعة المصرح باسم ناسخها ، مع المنشورات المماثلة لها في الخط ، والخالية من اسم الناسخ ، نستطيع نسبة خطوط كثير

---

(1) هناك مقال بعنوان : « تدريس العلوم وطبع الكتب العلمية بالمغرب » ، بقلم الدكتور رينو ، « هسبريس 1932م ص 78» : تعريب الاستاذ الفاضل الصديق بن العربي الأنف الذكر ، وقد ورد في هذا المقال : « وفي سنة 1906 لم يبق بفاس سوى ناشر واحد وهو الحاج الطيب الازرق » .
ولا شك أن ذكر اسم الحاج الطيب غلط واضح ، وانما المعني بالأمر أخوه العربي الازرق ، حيث ان اسم الاول اختفى من المطبوعات الفاسية من عام 1313هـ/ 1895 -1896م .

من المطبوعات الى أصحابها .

ولهذا سنتعرض ـ قريباً ـ ما عثرت عليه من أسماء الخطاطين في الدورين الثاني والثالث ، مرتبين حسب تاريخ أول مطبوع كتبه الخطاط بيده ، مع تذييل ذلك بخطاطين اثنين استفدتها من بعض المشافهات ، ثم نقدم .

ثانياً ـ لائحة توضيحية ومحدودة ببعض المطبوعات الفاسية التي باشر نشرها بنو الأزرق في كلا الدورين ، حتى نتعرف بواسطتها على المنشورات التي دبجها أولئك الخطاطون ، مع أسماء المصححين والناشرين .

الخطاطون بمطبوعات أبناء الأزرق

1 ـ محمد الطالب بن عثمان بن الطالب ابن سودة المري[1] .
« لائحة منشورات أبناء الأزرق » الآتية : رقم 1 و 11 .

2 ـ أحمد بن محمد الفلالي ثم الفاسي .
اللائحة المشار لها ، رقم 6 .

3 ـ محمد الهادي بن ابراهيم ابن سودة .
نفس اللائحة رقم 7 و 10 .

4 ـ محمد بن محمد جنون .
نفس المصدر رقم 8 .

5 ـ الغالي بن الحسن المحمدي[2] .
المصدر رقم 9 .

---

(1) له ترجمة في أحد تعاليق « النهضة العلمية » لابن زيدان .

(2) يوجد بخطه الجميل نسخة من « الشفا » للقاضي عياض في سفر واحد ، « المكتبة الملكية رقم 6 » ، فرغ من انتساخها صبيحة الاربعاء 6 جمادى الاولى ، عام 1298هـ ، وسمى نفسه هكذا : « محمد الغالي بن الحسن الحسني المحمدي ، الفاسي الدار ، الزرهوني النجار » .

6 ـ الفاطمي ابن سودة[1] .

المصدر رقم 13 و 16 و 19 .

7 ـ أخوه الوافي بن ابراهيم بن الطالب بن أحمد بن محمد التاودي ابن سودة .

المصدر رقم 15 و 22 و 23 و 31 .

8 ـ أحمد بن محمد الحضري الشهير بالخمسي[2] .

المصدر رقم 26 و 39 .

9 ـ أحمد بن محمد المهدي بن محمد بن العباس ابن صابر البوعزاوي[3] .

المصدر رقم 28 .

10 ـ محمد بن الطالب بن عثمان ابن سودة المري ، وهو الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة من خطاطي هذه المطبعة ، مد الله تعالى في عمره .

المصدر رقم 34 .

11 ـ عبد السلام بن عبد النبي الذويب الفاسي ، آتي الذكر .

المصدر رقم 35 .

12 ـ محمد بن محمد ابن عبد الله[4] .

المصدر رقم 36 .

13 ـ محمد بن قاسم بن الحاج عبد السلام البادسي الأندلسي الأنصاري السعدي العبادي ، صاحب مكتبة بالسبيطريين بفاس[5] .

المصدر رقم 37 و 38 .

---

(1) في كناشة الفقيه الفرضي محمد بن عبد الرحمن الخصاصي الفاسي : توفي الفقيه سيدي الفاطمي ابن سودة في 4 رمضان عام 1318هـ ، صح من خط المؤرخ أبي خليل عبد السلام ابن سودة في كناشته .

(2) كان معلماً بكتاب راس الزاوية المجاور لمسجد الشيخ حبّيب في حي المخفية بفاس الأندلس .

(3) ترجمته في « معجم الشيوخ » ج 1 ص 111 -116 .

(4) هو العلامة المقرىء بفاس، المتوفي ـ بها ـ عام 1374هـ .

(5) انتقل ـ بعد اعلان الحماية الفرنسية ـ من فاس لسكنى مدينة القصر الكبير ، وبها كانت وفاته ومدفنه نحو عام 1341هـ.

14 ـ عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد التاودي ابن سودة المري ، كتب بخطه « الموطأ » للامام مالك بن أنس المطبوع بفاس في أربعة أجزاء، حسب افادة الفقيه العدل سيدي محمد بن الطالب ابن سودة آنف الذكر، كما أفاد أخوه الفقيه الخطيب سيدي العربي ابن سودة ، ان من منتسخات أبي حفص هذا: «المصحف الشريف» المطبوع بفاس سنة 1313 هـ .

15 ـ المهدي بن عبد الرحمن ابن سودة، أخ أبي حفص المذكور قبله من خطاطي هذه المطبعة أيضاً، حسب ذكر سيدي العربي ابن سودة الذي لم يعين منتسخاته بها .

جملة من منشورات أبناء الأزرق :

1 ـ الفتح الودودي على المكودي : لأحمد بن محمد بن حمدون السلمي المرداسي المعروف بابن الحاج ، الفاسي : (جزءان) .
ط . مطبعة الطيب الأزرق ـ سنة 1290 هـ .
الكاتب : محمد الطالب بن عثمان بن الطالب ابن سودة المري .
الناشر : بأمر السلطان محمد الرابع .

2 ـ شرح نظم العمل الفاسي لأبي زيد الفاسي الفهري ، تأليف محمد ابن أبي القاسم السجلماسي ثم الرباطي : (مجلدان) .
ط . الأزرق وشريكه الدباغ ـ سنة 1291 هـ .
المصحح : محمد بن عبد الواحد ابن سودة .

3 ـ نوازل لأبي الحسن علي بن عيسى العلمي : (مجلدان) .
ط . مطبعة فاس بمباشرة الطيب الأزرق ـ سنة 1292 هـ .
المصحح : إبراهيم بن محمد الدباغ .

4 ـ تحرير أصول الهندسة لأقليدس ـ تأليف نصير الدين محمد بن محمد ابن الحسن الطوسي : (مجلدان) .
ط . المطبعة العامرة بفاس ، بمباشرة العربي الأزرق ـ سنة 1293 هـ .

المصحح : ادريس بن الطابع البلغيثي .

الناشر : باشا فاس ، عبد الله بن أحمد السوسي .

5 ـ مصحف شريف في مجلد .

ط. الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1296 ـ وهو أول مصحف طبع بالمغرب .

6 ـ المختصر الخليلي في حجم صغير .

ط. مطبعة الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1297م .

الكاتب : أحمد بن محمد الفلالي أصلاً ، الفاسي داراً ومنشئاً .

7 ـ شرح نظم العمل الفاسي ، لابن أبي القاسم السجلماسي المتقدم : (مجلدان) .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1298هـ .

الكاتب : محمد الهادي بن إبراهيم ابن سودة المري .

المصحح : محمد بن قاسم القادري .

8 ـ شرح لامية الزقاق لمحمد بن أحمد ميارة الفاسي ، مع حاشية عليه لاحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشدادي الحسني .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1298هـ .

الكاتب : محمد بن محمد جنون .

الناشر : العربي الازرق .

9 ـ الاتقان والاحكام في شرح تحفة الحكام ، لابن عاصم ـ تأليف محمد ميارة المتقدم، مهمش بحاشية عليه لابي علي الحسن ابن رحال المعداني : (مجلدان) .

ط. المطبعة الفاسية بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1299هـ .

الكاتب : الغالي بن الحسن المحمدي .

المصحح : محمد بن التهامي الوزاني .

الناشر : محتسب فاس الحاج محمد بن محتسبها الحاج المهدي البناني .

10 ـ الفتح الودودي ، على المكودي ، لاحمد ابن الحاج المتقدم : (جزآن) .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1299هـ .

الكاتب : الهادي بن إبراهيم ابن سودة المتقدم .

المصحح : جعفر الكتاني .

الناشر : الحاج الطيب بن ادريس بنونة .

11 ـ حاشية على شرح بحرق الصغير على لامية الافعال لابن مالك ـ تأليف محمد الطالب بن حمدون السلمي المرداسي المعروف بابن الحاج .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1300هـ .

الكاتب : محمد الطالب بن عثمان ابن سودة المتقدم .

المصحح : محمد التهامي بن المدني جنون .

12 ـ نوازل محمد التاودي ابن سودة ، جمع ولده أبي العباس أحمد ، مهمشة بنوازل أبي محمد عبد القادر الفاسي .

ط . المطبعة الفاسية على يد العربي الازرق ـ سنة 1301هـ .

المصحح : أحمد بن الجيلالي الامغاري .

13 ـ اتحاف المقتنع بالقليل في شرح مختصر خليل ، لابي العباس احمد بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي السجلماسي .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1303هـ .

الكاتب : الفاطمي سودة .

المصحح : محمد بن الطاهر البناني .

14 ـ اتحاف السادة المتقين ، بشرح أسرار احياء علوم الدين للغزالي ـ تأليف محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ـ 13 مجلداً .

ط . المطبعة الفاسية ، بمباشرة الاخوين الحاج الطيب والعربي ابني محمد الأزرق ـ سنة 1304 .

المصححون : عبد الله البدراوي ـ أبو العباس أحمد بن الخياط الزكاري ـ عبد الملك العلمي ـ التهامي جنون .

كتب افتتاحيته مع الكلمة الختامية : محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي .

الناشر : بأمر السلطان الحسن الاول .

وقد كان نشره موضوع وثائق مهمة، تضمنتها الملاحق ذات الارقام 6، 7، 8، 9 .

15 ـ الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، لمحمد بن محمد بن علي المعروف بابن الجزري .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1308هـ .

الكاتب : الوافي بن إبراهيم ابن سودة .

16 ـ مصحف شريف في مجلد .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1309هـ .

الكاتب : الفاطمي بن ابراهيم ابن سودة .

17 ـ الشروح الاربعة على الاربعين النووية ، تأليف أربعة من علماء فاس ، وهم : أحمد بن محمد التاودي ابن سودة ، وعبد القادر بن أحمد ابن شقرون ، ومحمد بن أحمد بنيس ، والطيب بن عبد المجيد ابن كيران .

ط . مطبعة حاضرة فاس بتنميق العربي الازرق ـ سنة 1309هـ .

المصححان : الطيب ابن كيران ، والمأمون العراقي .

الناشر : محمد بن القاضي عبد السلام الهواري .

18 ـ نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني ، لمحمد ابن الطيب القادري : (جزآن) .

ط . مطبعة فاس بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1310هـ .

المصحح : محمد الفاطمي الصقلي سابق الذكر .

الناشر : العربي الازرق .

19 ـ مصحف شريف في مجلد .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1311هـ .

الكاتب : الفاطمي ابن سودة المتقدم .

20 ـ تعليق على الموطأ للامام مالك ـ لأبي عبد الله محمد بن المدني كنون « الكبير » (جزآن) .

ط . العربي الازرق ـ سنة 1311هـ .

المصحح : أحمد بن المأمون البلغيثي .

21 ـ ختمة المختصر الخليلي ، لمحمد بن التهامي الوزاني الفاسي .

ط . الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1313هـ .

الناشر : محمد بن القاضي أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن السجلماسي .

22 ـ الدرر البهية والجواهر النبوية . في الفروع الحسنية والحسينية ، لأبي العلاء ادريس بن أحمد العلوي الفضيلي : (مجلدان) .

ط . الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1314هـ.

الكاتب : الوافي بن إبراهيم ابن سودة المتقدم[1] .

المصحح : المؤلف .

الناشر : عمر بن أبي العباس أحمد ابن الخياط .

23 ـ لؤلؤة الأنوار ، وقلائد الجوهر ورياض الازهار ، في الصلاة على النبي المختار ، لمحمد بن المدني البوعناني الحسني المراكشي[2] .

ط . الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1315هـ .

الكاتب : الوافي إبن سودة المتقدم .

المصحح : محمد الرايس .

الناشران : الحاج الخضر بن الحاج محمد برادة ، والشريف سيدي علي بن أحمد .

---

(1) التصريح باسم هذا الكاتب انما يوجد في بعض النسخ المطبوعة من « الدرر البهية » ، والمذيلة ـ أيضاً ـ بملاحق مهمة .

(2) لهذا المؤلف ترجمة في « السعادة الابدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » ـ ج 1 ـ ص 148.

24 ـ السير والسلوك الى مالك الملوك ، تأليف قاسم بن صلاح الـدين الحلبي الخاني .

ط . مطبعة العربي الازرق سنة 1315هـ .

المصحح : عبد الكريم بن العربي بنيس .

الناشر : عبد الله بن عبد السلام الوزاني[1] .

25 ـ سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس ، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، لمحمد بن جعفر الكتاني : (3 مجلدات) .

ط . مطبعة الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1316هـ .

المصحح : المؤلف .

كاتب الكلمة الختامية : أحمد بن عبد المولى بن المأمون العلمي .

الناشران : التهامي بن العربي بن موسى ، والعباس بن المختار حفيد الشيـخ أبي العباس البدوي زويتن .

26 ـ زهـرة الافكار في الـرد على المخـالف بالقبض في هـذه الاعصار ، لعبـد السلام بن الطيب بن عبد الرحمن الشرفي .

ط . المطبعة الفاسية بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1316هـ .

الكاتب : أحمد بن محمد الحضري الشهير بالخمسي .

27 ـ المحاضرات لابي علي الحسن بن مسعود اليوسي .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1317هـ .

المصححان : أحمد البوعزاوي ، ومحمد بن عبد السلام اللجائي .

الناشر : محمد بن قاسم بن الحاج عبد السلام البادسي .

28 ـ الازهـار الطيبـة النشر ، فيـما يتعلق ببعض العلوم من المبادىء العشـر ، لمحمد الطالب ابن الحاج السابق الذكر ـ سنة 1317 .

---

(1) له ترجمة في « الاعلام ، بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » : القسم المخطوط ، ج 6 ـ ص 323-324.

المصححان : محمد بن قاسم القادري بالنسبة للبعض ، والباقي على يد كاتبه أحمد البوعزاوي .

الناشر : محمد بن قاسم البادسي آنف الذكر .

29 ـ الموطأ للامام مالك بن أنس الاصبحي المدني (4 أجزاء) .

ط . مطبعة فاس ـ سنة 1318هـ .

المصحح : محمد التهامي جنون .

الناشران : محمد التهامي بن الفقيه السيد العربي ابن موسى ، والعباس ابن العلامة سيدي المختار حفيد الشيخ أبي العباس البدوي زويتن .

30 ـ نوازل ابن هلال ـ جمع علي بن أحمد الجزولي .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1318هـ .

المصححان : محمد بن محمد ابن عبد الله ، ومحمد بن علي الاغزاوي .

الناشر : أحمد بن قاسم بن عبد القادر العراقي .

31 ـ « شرح تائية الشيخ الحراق » ـ تأليف أبي حامد المكي ابن سودة المري .

ط . الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1311هـ .

الكاتب : محمد الوافي ابن سودة المتكرر الذكر .

32 ـ الرسائل الكبرى لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن عباد النفزي الرندي نزيل فاس ودفينها .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1320هـ .

المصحح : أحمد البوعزاوي .

الناشر : محمد بن عثمان التكناوتي .

33 ـ الرحلة الناصرية لابي العباس احمد بن الشيخ محمد ابن ناصر .

ط . المطبعة الفاسية ـ سنة 1320هـ .

الناشر : الطيب الناصري .

34 ـ دليل الرفاق على شمس الاتفاق ، تأليف الشيخ مصطفى ابن محمد فاضل ابن مامين الملقب بماء العينين (3 مجلدات) .

ط . مطبعة فاس بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1321هـ .

الكاتب : محمد بن الطالب بن عثمان ابن سودة المري القائم الحياة .

المصحح : أحمد البوعزاوي .

الناشر : قايد المشور السلطاني : ادريس ابن يعيش .

35 ـ اظهار الطريق المشتهر ، على اسمع ولا تغترر ، وبهامشه قرة العينين في الكلام على الرؤ ية في الدارين ، الاثنان للشيخ ماء العينين الآنف الذكر .

ط . المطبعة الفاسية ـ سنة 1321هـ .

الكاتب : عبد السلام بن عبد النبي الذويب الفاسي .

المصححان : أحمد بن الشمس محمد فال ، وعبد الرحمن بن جعفر الكتاني .

الناشران : الناسخ والمصحح الأول .

36 ـ ايقاظ المفتون المغرور ، مما تذم عواقبه يوم النشور ، للحاج محمد بن المدني كنون .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1323هـ .

الكاتب : محمد بن محمد ابن عبد الله .

37 ـ التحرير بمسائل التصيير لابي العباس احمد بن محمد البويعقوبي الشهير بالملوي .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1323هـ .

الكاتب والناشر : محمد بن قاسم البادسي سابق الذكر .

38 ـ بيان الغلط وطلب التوبة ، ممن يقول في المقمل الملصق : كان صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه ، لأبي محمد عبد السلام بن أحمد اللجائي الفاسي .

ط . مطبعة العربي الازرق ـ سنة 1324هـ .

الكاتب : محمد بن قاسم البادسي المتكرر الذكر .

39 ـ مفاكهة ذوي النبل والاجادة ، حضرة مدير « جريدة السعادة » لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني .

ط . مطبعة الحاج أحمد بن الحاج الطيب الازرق ـ سنة 1326هـ .

الكاتب : أحمد بن محمد الحضري سابق الذكر .

40 ـ نوازل ، لابي الحسن علي بن عيسى العلمي السابق الذكر ، (جزآن) .

ط . بمباشرة العربي الازرق ـ سنة 1332هـ .

المصحح : عبد الكريم بن العربي بنيس .

* * *

3 ـ المطبعة الجديدة لابن عبد المولى

وهي مطبعة حجرية ثالثة ، وتسمى في عدد من منشوراتها : « **المطبعة الجديدة** » .

وفي بعض مطبوعاتها جاء ذكر صاحبها هكذا : منشئها ومديرها وقيمها : احمد بن عبد المولى بن المأمون العلمي اليملاحي ، وكانت وفاته عام 1322هـ ، وقد وصف في بعض المطبوعات الفاسية الاخرى بالفقيه العدل ، ولا يزال مركز هذه المطبعة غير معروف بمدينة فاس .

وحسبما عثرت عليه فإن منشوراتها تبتدىء في الظهور من سنة 1310هـ : « مفيد الراوي لماء العينين » ، ثم تختفي بعد سنة 1318هـ : « شرح نظم اوضح المسالك لابن هشام » : النظم والشرح لمحمد بن حمدون ابن الحاج ، وقد تعددت منشورات هذه المطبعة وتنوعت ، ولكنها كانت أقل بكثير من مطبوعات أبناء الازرق .

وقد خلت منشورات هذه المطبعة الجديدة من أسماء الخطاطين ، وانما ورد في عدد منها ذكر المصححين والناشرين الذين سنعرف أسماء بعضهم من خلال استعراض جملة من تلك المنشورات فيما يلي :

1 ـ « **الزواهر الافقية في شرح الجواهر المنطقية** » للمولى عبد السلام القادري ـ تأليف أبي العباس احمد بن عبد العزيز الهلالي المتقدم ، سنة 1313هـ .

المصححان : الحاج محمد بن عبد السلام كنون ، وأحمد بن الجيلاني الامغاري .

2 ـ **« زهر الافنان ، من حديقة ابن الونان »** ـ شرح القصيدة الشمقمقية ـ لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي ـ (مجلدان) سنة 1314هـ .

المصحح : أحمد بن المأمون البلغيثي .

الناشران : الحاج ادريس ابن جلون مع قيم المطبعة .

3 ـ **سنن المهتدين ، في مقامات الدين** ، لمحمد بن يوسف العبدوي المعروف بالمواق الغرناطي ، سنة 1314هـ .

المصحح : عبد العزيز بناني .

الناشران : محمد بن ادريس بو طالب ، وعبيد الله بن المفضل أفيلال التطواني .

4 ـ **الازهار العاطرة الانفاس ، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس .**

لأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني ، سنة 1314هـ .

الناشر : قيم المطبعة .

5 ـ **شرح الفقهية الفاسية** لمحمد بن قاسم جسوس سنة 1315هـ .

الناشر : قيم المطبعة .

6 ـ **ديوان** للشيخ ماء العينين المتقدم ، سنة 1316 .

المصححان : جعفر الكتاني ومحمد بن رشيد العراقي .

الناشر : بأمر الوزير أحمد بن موسى السوسي .

4 ـ المطبعة الجديدة للذويب

أنشأها عبد السلام بن عبد النبي الذويب الفاسي سابق الذكر بين الخطاطين المطبعين ، وبخطه كان يكتب مطبوعاتها ، وكان تأسيسها بتوجيه من الشيخ أبي الفيض

محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وبها وقع طبع مؤلفاته وأوضاعه الأخرى .

وأول ما عثرت عليه من منشوراتها : « الايضاح لبعض الاصطلاح » تأليف الشيخ ماء العينين المتقدم ، وقد تم طبعه في 22 جمادى الاولى سنة 1312هـ . الثاني : « مجموعة قصائد في المديح النبوي » لثلاثة أدباء : الأولى لابن وهيب ، الثانية للحاج مالك ماجور الاندري ، الثالثة لمحمد مولود بن أحمد الجواد ، وقع الفراغ من طبعها زوال الاربعاء 14 جمادى الثانية سنة 1321هـ ، بتصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتاني ، وهي مكتوبة بخط الذويب صاحب المطبعة .

وآخر ما وقفت عليه ـ مؤرخاً ـ من منشوراتها : « ختم صحيح البخاري » للشيخ أبي الفيض الكتاني الآنف الذكر سنة 1323هـ ، وقد كتب على الصفحة الأولى منه : « محل مبيعه : المطبعة الجديدة قرب ضريح سيدي احمد الشاوي من فاس ، على يد كاتبه : عبد السلام الذويب » .

وهكذا نستفيد هنا مركز هذه المطبعة التي كانت منشوراتها تقل عن المطابع الحجرية الاخرى ، ونذكر ـ أخيراً ـ أن لصاحب هذه المطبعة ترجمة في « الاغتباط بتراجم أعلام الرباط » لمحمد بوجندار[1] .

5 ـ المطبعة الحفيظية

أسسها السلطان عبد الحفيظ العلوي ، وجعل مركزها في نفس مكان المطبعة الحجرية الاولى ، بزنقة جزاء « برقوقة » من فاس الادريسية ، واندمج في العمل بها عملة مطبعتي العربي الازرق وعبد السلام الذويب ، ولهذا لم تظهر ـ في فترة هذه المطبعة الحفيظية ـ منشورات باسم المطبعتين القديمتين ، والغالب أن نفس السلطان جهزها تجهيزاً جديداً ، حيث كان قد مضى على انشاء المطبعة الاولى ما يزيد على الاربعين عاماً ، وكان المشرف عليها هو أبو العباس أحمد بن محمد الشامي المتوفي سنة

---

(1) مخطوط خ ، ع ، د 1287 ـ ج 2 ص 178.

1364هـ[1] ، وقـد استمر نشـاطها أعـوام 27 — 28 — 1329هـ ، نشرت خـلالها مؤلفات مهمة وعديدة على نفقة مؤسسها ، ونذكر من هذه المؤلفات :

1 ـ « **نشر البنود ، على مراقي السعود** » ، تأليف عبـد الله بن الحاج ابـراهيم العلوي الشنجيطي ، مهمش بـ « **الضياء اللامع ، في شرح جمع الجوامع** » تأليف أحمد ابن عبد الرحمن القيرواني الشهير بابن حلولو ، في ثلاثة أجزاء ، سنة 1327هـ .

2 ـ « **مشـرب العام والخـاص ، من كلمة الاخـلاص** » لأبي علي الحسن ابن مسعود اليوسي المتقدم ـ 5 حجة سنة 1327هـ .

3 ـ « **مفتاح الاقفال ، ومزيل الاشكال ، عما تضمنه مبلغ الآمال من تصريف الافعـال** » ، لمحمد بن أبي القـاسم السجلمـاسي المتقـدم ـ 10 ربيـع النبـوي سنـة 1328هـ .

4 ـ « **شرح نظم الخريدة** » في المنطق لابي الفيض حمدون ابن الحـاج ، تأليف الشيخ الطيب بن عبد المجيد ابن كيران ، مهمش **بشرح عليهـا** ـ أيضاً ـ لمحمـد بن حمدون ابن الحاج ـ 20 محرم سنة 1329هـ .

5 ـ « **فيض الفتاح على نور الاقاح** » ـ في علوم البلاغة ـ المتن والشرح لعبد الله بن الحاج إبراهيم الآنف الذكر ، جزآن ـ 25 رمضان سنة 1329هـ .

ولم يذكر اسم كاتب هذه المنشورات الخمسة ، أما مصححها ـ جميعاً ـ فهو أبو زيد عبد الرحمن بن جعفر الكتاني المتوفي سنة 1334هـ ، وهذه الخمسة هي التي ورد فيها اسم المصحح بين هذه المنشورات التي وقفت عليها .

وأخيراً فمن الواضح أن هذه المطبعة الحجرية غير المطبعة السلكية الفاسية التي طبع بها هذا السلطان مؤلفات كثيرة ومهمة ، وسنتحدث عنها ـ على حدة ـ باعانة الله تعالى في موضعها الذي هو الطور الثالث .

---

(1) تعيين هذا المشرف مع مركز المطبعة : عن المؤرخ أبي خليل عبد السلام ابن سودة المري .

6 ـ مطبعة أحمد بن عبد الكريم القادري

الشريف الحسني الشهير الذي لا يزال بقيد الحياة .

7 ـ مطبعة الشركة المحدثة لطبع الكتب بفاس

وقد جاء الاعلان عن تأسيس هذه الشركة آخر رسالة « **كمال الاعتراف بالعمل بالتلغراف** » ، لمحمد بن عبد السلام الطاهري المكناسي ، ويحمل هذا الاعلان تاريخ 2 صفر عام 1335هـ/ 28 نونبر سنة 1916 م .

ولا تزال المعلومات عن هذه وسابقتها غير مكتملة ، وسنتوسع في الحديث عنهما عند الطور الثالث ، وانما ذكرتا هنا مع المطبعتين : 4 — 5 ليتناسق حديث المطبعة الحجرية .

والآن : نذيل بثلاث تتمات ، لتأتي ـ بعدها ـ نصوص الملاحق :

أولاً : أن الطباعة الحجرية خضعت الى قانون تنظيمي صدر في شكل ظهير من جهة السلطان عبد العزيز ، بتاريخ 4 رمضان عام 1314هـ/1897 م ، وهو يسمي المطبعة بآلة انتشار العلم ، ويسند الى محتسب فاس مراقبة أشغال الطبيعين ، على أن يسيروا في مزاولة مهنتهم حسب الشروط التالية :

ـ التزام الاتقان والجودة في منشوراتهم .

ـ العناية بالتصحيح على يد العلماء المختصين .

ـ أن لا يزيدوا على العدد الذي وقع الاتفاق على طبعه .

ـ أن لا يطبعوا كتاباً سبق نشره الا بعد مرور عامين اثنين من تاريخ الطبعة الأولى .

ـ ان لا يقدموا على طبع كتاب الا بعد اشعار مسبق لقضاة فاس ، تفادياً من نشر ما يخل بالآداب المرعية .

وبعد هذا : فان الظهير يحظر على الكتبيين أن يشتروا من الطبيعين منشوراتهم ،

حتى لا يضايقوا الملتزمين للنشر .

وأخيراً : فان من خالف هذه التوجيهات يعاقب ، ويصادر ما بيده من النسخ ، ويوقف عن الاشتغال بالطباعة ، انظر الملحق رقم 11 .

ثانياً ـ كانت آخر مطبعة حجرية مغربية هي مطبعة القادري الآنفة الذكر ، وقد حطمتها السلطات الفرنسية سنة 1944 م[1] .

ثالثاً ـ أن منشورات المطبعة الحجرية الفاسية قد ورد كثير منها ضمن :

أ ـ «تقويم المطبوعات الفاسية» الذي اشترك في وضعه ـ بالفرنسية ـ كل من الأستاذين محمد بن شنب الجزائري ، وليفي بروفنسال ، ونشر في « المجلة الأفريقية » سنة 1922 م .

ب ـ «معجم المطبوعات المغربية» الذي يشتغل باخراجه الأستاذ بالمدرسة الأدريسية الثانوية بفاس : ادريس بن الماحي الأدريسي القيطوني[2] .

وقد كانت اللائحتان حافزاً لعدم تذييل هذا الموضوع بفهرس للمطبوعات الفاسية ، التي اكتفيت منها بنماذج توضيحية تخللت مباحث هذه الدراسة ، والله ـ سبحانه ـ ولي التوفيق .

ملاحق حول المطبعة الحجرية

أن الملاحق الأربعة الأولى مأخوذة من سجل كان للسيد الطيب بوعشرين وزير السلطان محمد الرابع ، وهو ـ الآن ـ في حوزة العالم الأستاذ ادريس بن الماحي الأدريسي القيطوني الفاسي .

---

(1) تحطيم آخر مطبعة حجرية مغربية : رواه مؤلف كتاب « فاس قبل الحماية » .

(2) توفي ـ رحمه الله ـ أثناء الاشتغال بتنسيق هذه الدراسات ، عام 1391هـ / 1972هـ .

ملحق رقم 1

نفقات الطبيع المصري والمطبعة في الأربعة الأعوام الأولى ، وهي واردة في السجل هكذا :

الحمد لله ، تحصل من زمامات نظار فاس وأمنائها ، أنه صير على المصري صاحب المطبعة من مستفاد أحباس القرويين ، في مدة مبلؤها ربيع الثاني عام 1282 ، وآخرها متم رجب عام 1285 في :

صائر مطبعة ومئونته اليومية	«31»
والشهرية	200
وكراء دار للمطبعة	180
وأجرة النساخ (مياومة)	12 /
والمصحح مياومة	12 /

حسبما هو مفصل في زمامهم ـ الجميع هذا : وهو اثنا عشر ألف مثقال ، ومائة مثقال ، وأربعة وستون مثقالاً ، وثمان أواقي 121648 [1] .

وصير عليه أمناء فاس في المدة المذكورة : في كساويه ومئونة أصحابه : «20» ، وكساويهم وكراء دار سكناه وفي تسفير كتب ، حسبما هو مفصل في حسابهم الأول والأخير هذا : الجميع عشرون ألف مثقال ، وستمائة مثقال ، وستة وسبعون مثقالاً هكذا : 206760

يضاف له ما كان صيره عليه أمناء الصويرة في شعبان عام 81: في : مئونته	150
وزاده	270
وكراء سفره	1160
وصائر مطبعته	874
الجميع هذا	2454

(1) الرقم الاول من جهة اليمين للاواقي ، وما بعده للمثاقيل .

وما صيره عليه نظار مكناسة ، من 28 شعبان عام 81 . الى 17 ربيع الأول عام 82 . في :

كسوته	836
ومئونته	4000
وصائر مطبعته	1268
الجميع هذا	6104
وما صيره عليه أمناء طنجة في مسائل المطبعة على يد الحاج	
سعيد كسوس [1] الى أوائل ذي الحجة عام 1283. هذا	32576
يصير الجميع أربعة وعشرين ألف مثقال ، وسبعمائة	
وتسعة وثمانين مثقالاً ، وأربع أواقي هكذا	247894

ملحق رقم 2

مرتبات موظفي المطبعة

الحمد لله، المصري يقبض في مئونته اليومة من الأحباس، هذا	31
كان يقبض هذا : «31» أولاً ، ثم صار يقبض ـ الان ـ هذا : كل يوم	26
ويقبض ـ أيضاً ـ مشاهرة من الأحباس : عشرين مثقالاً	200
والنساخ له يقبض من الأحباس كل يوم : هذا	12
والمصحح يقبض من الأحباس كل يوم : هذا	12
والمتعلمون ـ عددهم «20» ـ يقبضون كل يوم من الأمناء	56
كانوا يقبضون هذا : «56» في اليوم ، فصاروا يقبضون الآن	
هذا كل يوم ، حسبما بزمام أهل فاس	67

---

(1) كان قنصلاً للمغرب بجبل طارق ، أخذا من « اتحاف أعلام الناس » ج 5 ـ ص 59 .

ملحق رقم 3

ويتضمن العقد الواقع بين القاضي الروداني والطبيع المصري ، في شأن عمل الأخير بالمطبعة ، وهو محرر بخط المصري الشرقي على ورقة خاصة كتب بأعلاها :

ورقة ضمان وشروط ومقادلة : « مقاولة » وما أشبه ذلك من السندات الخالية عن وضع مبلغ ، ثمنها قروش «6» ، وأسفل هذا ـ بعد مقدار أربعة أسطر ـ جاء نص العقد هكذا :

« أنه لما كان في يوم الأربعاء المبارك 14 يوم خلت من شهر ربيع الأول سنة 1281 : اتفق حضرة العمدة الفاضل السيد الطيب الروداني ، ابن المرحوم السيد محمد الروداني ، من أهالي مدينة رودان « مغرب » ، مع الفقير الى الله تعالى كاتب الأحرف : الفقير محمد القياني المطبعي ، ابن المرحوم ابراهيم ، من أهالي مصر المحروسة ، على أنه يتوجه برفقته الى مدينة رودان بأرض المغرب ، ويشتغل عنده على مطبعة حجر لو عدة سنة كاملة ، ابتداها « كذا » شهر ربيع الأول سنة 1281 ، وانتهاها « كذا » شهر الخير « كذا » سنة 1282 ، وله في نظير ذلك راحته مما جميعه « كذا » من أكل وشرب وكسوة على طبق مراده ، وفي كل شهر يعطي له مائتان فرس مصروف لجيبه ، وقد رضي الفقير محمد القياني بذلك ، ومن بعد وفاء السنة المذكورة إذا أراد الفقير حمد القياني بأن يرجع الى بلده مصر المحروسة ، بأن يرحله العمدة السيد الطيب الى حد بلده على طرفه ، وقد رضي السيد المذكور بذلك .

وأيضاً الفقير محمد القياني استلم من حضرته تسعة بينتو سلف الله تعالى ، لأجل يوفي « كذا » بهم ما عليه من الديون الذي عليه بالمحروسة ، وفي محل الاقامة يوفيهم لحضرته ، مع التدارك : بعد انقضاء السنة المذكورة في دفعة واحدة ان أراد الرجوع الى بلده ، ما على أمر « كذا » ان أراد القيام مع البسيد المذكور .

وقد رضي كلاهما بذلك على يد من حضر من المسلمين ، والاسماء « كذا » ، والختم في 14 ربيع الأول سنة 1281 ، كاتبه الفقير محمد القياني المطبعي ، العمدة الفاضل

السيد الطيب الروداني » .

وأسفل هذا ـ في نفس الورقة ـ بخط القاضي الروداني :

« الحمد « كذا » ، أخذ الكاتب أعلاه من كاتبه «9» بنتو ، ومسمى بنتو بمصر : الشخص المسمى بالغرب باللويز ، الرائج بأربع ريالات من سكة الفرنسيس ، وبمائة وخمسة وثلاثين قرشاً بالحساب المصري ، قيده ـ بياناً ـ محمد الطيب ابن محمد التملي ، غفر الله له ولطف به » .

ملحق رقم 4

حساب لوازم موجهة للمطبعة من جبل طارق .

وقد قدرت أثمنتها حسب العملة الانكليزية :

« الحمد لله وحده ، حساب لوازم المطبعة للجانب العالي بالله :

وجهنا في الرفقة الأولى ما تخلصنا فيه من الأمناء ،

كما أخبرنا سيدنا بذلك :

ثم في الرفقة الثانية ـ أيضاً ـ وجب	4 = 4 = 8
ثم ـ أيضاً ـ بعده هذا	33 = 3 = 0
الجميع خلصنا فيه الأمناء ، وقدره هذا	37 = 7 = 8

ثم ثمن «150» رزمة كاغيد ، ومداد ، وأحجار الطبع ، وكاغيد من غير نشا ، وبدر ، ومس ، ومنضار ، وصابون أبيض ، وغير « كذا » وجب 367 = 2 = 3

ثم صابون مصري وصاير عليه الى طنجة	5 = 1 = 2
الجميع ، وجه لنا الأمناء ثمنه وقدره هذا	372 = 3 = 5

ثم ثمن صابون ، وجفافة البحر ، وماء قاطع ، وماء لغسل الخروق ، وجه الأمناء ثمنه 17 = 7 = 8

جميع ما وجه لنا الأمناء ثمنه هذا 441 = 9 = 5

ثم ـ أيضاً ـ ما طلبنا من الامناء ثمنه يوم تاريخه كما هو مبين أسفله : أوله ثمن صندوق الذي قدم من عند السيد الحاج محمد أفروخ ثمنه = 20 / ، فيه لوازم المطبعة التي أمر سيدنا ـ نصره الله ـ بجلبها من مصر ، صائر عليه هذا 0 = 6 = 01

الجميع هذا	0 = 6 = 21/
ثم اثنان أرطال من غرا السمك بهذا	0 = 6 = 11/
ثم اثنان أرطال صوفة البحر ، يجب	0 = 9 = 10
الجميع هذا	0 = 3 = 22
ثم ثمن ستة شناديل «كذا» وصاير عليهم، يجب هذا	6 = 4 = 21

ثم 10 صناديق كاغيد كتابي، داخلهم مائتين «كذا» وعشر رزمات : 210 ـ سوم الرزمة ـ 4 = // = 1 / . يجب هذا 8 = 10 — 406

ساير « كذا » عليهم في كراء البابور لطنجة وكراء فلوكة	0 = 6 = 3
جميع ثمن الكاغيد هذا	8 = 4 = 410 /
جميع لوازم المطبعة الذي طلبنا ثمنه من الأمناء يوم تاريخه هذا	0 = 6 = 475 /

الجميع كما ذكر أعلاه هذا ، مفصلا كل رفقة وحدها 5 = 3 = 917 قيد في جبل طارق في 5 من ذي الحجة الحرام ، عام 1283 .

مجموع القائمة أعلاه : تسعمائة ريال ، وسبعة عشر ريالاً ذهباً ، وثلاث بلاطات ، وخمسة أكوارط .

ملحق رقم 5

رسالة في شأن قيام الطيب الازرق بالمطبعة بعد سفر الطبيع المصري :

« الحمد لله وحده » ، محبنا الفقيه الأديب ، اللبيب ، الحاجب ، الوزير الاعظم ، والملاذ الأفخم ، سيدي موسى بن أحمد ، سلام عليك ورحمة الله تعالى

وبركاته ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فبعد تقديم الاهم من تجديد العهد بكم ، والسؤال عن أحوالكم ، واستجلاب صالح الدعاء منكم ولكم ، لا سيما في أوقات الانابة ، ومظان الاجابة .

فليكن في كريم علمكم أن المطبعة الشريفة التي كان سيدنا المقدس بالله احدثها في هذه البلاد المباركة ـ جعلها الله في ميزان حسناته ـ لما بقيت مهملة بتوجه المصري الذي كان قيماً عليها لحال سبيله ، ورد طلبة العلم الشريف على حامله المعلم الطيب الازرق الذي كان تخرج في معرفة كيفية الطبع على يد المصري ، وطلبوا منه القيام فيه مقامه ، فلم يجد بدا من مساعدتهم ، وأنهى مطلوبهم لمولانا قدس سره ، فأجاب اليه برد الله ضريحه لما رأى فيه من نشر العلم الشريف ، بعد أن التزم المعلم المذكور بدفع العشر من الكتب التي يطبع فيها ، لجانب المخزن في مقابلة احجاره ومطبعته التي يقع الطبع فيها .

وحيث مضى العمل على هذا وكانت يده فارغة ، طلب مني المعلم الطيب مشاركته في المطبعة المذكورة اعانة له على تحصيله بالصائر ، لانه لا بد منه ، فأجبته اليها باشارة من مولانا الوالد رحمه الله ومتعنا برضاه ، لما رأيت فيها من النفع والبر الذي أمر الله بالمعاونة عليه ، ولا زلنا على هذه الحالة ، الى أن قام السيد الطالب الشامي ناظر مسجد القرويين ، يطالبنا باعطاء ثلاثة كتب من كل ما طبعناه زيادة على العشر المذكور ، مع انه لا مدخل[1] لجانب الحبس في هذا العمل ، ولا تعلق له به الا ما كان الزمه لنفسه المعلم المذكور ، وبسبب ذلك لما ورد الامر المولوي من سيدنا المرحوم باعطائه للمطبعة والاحجار امتنع الناظر من ذلك الا بالتزامه ما ذكر ، ولما رأى امتناع الناظر من ذلك ، الزم نفسه ما وصلكم ، فدفع الناظر بعض حوائج المطبعة وترك البعض تحت يده ، فاستظهر الناظر بالاشهاد المذكور ، ورام قبضه مني ، مع انه لا مدخل للحبس في ذلك ، وانما النظر لمولانا المؤيد المنصور بالله ، وقد التزم له بالعشر وصار يدفعه لامنائه ، فلم يبق لقائل ما يقول ، ولا لمريد الزيادة ما يزيد .

---

(1) في الاصل لاخل ، ولا معنى له .

فنحب من الله ثم منك : ان تنهي لسيادته هذه القضية ليأمر أعزه الله بكف الناظر عن خطابه اياناً بما زاد على ما يدفعه للجانب العالي بالله . كما نحب أن تخبر جنابه العالي بالله بأن الاحجار المشار اليها فسدت ، ونظره السديد أوسع في اصدار أمره الشريف بأمر الناظر بدفع ما بقي تحت يده من الاحجار والمطبعة ، لتبقى هذه الحسنة جارية على يده الشريفة .

وسلم منا على محل الاخ نجلك سيدي أحمد ، بارك الله لنا فيكم ، والسلام ، في 21 شوال الابرك عام 1291 . الحسين بن محمد الدباغ ، كان الله له ولوالديه آمين » ، صح من أصله بواسطة المرجع التالي :

النهضة العلمية ، في عهد الدولة العلوية للمؤرخ ابن زيدان ـ خـ .

ملحق رقم 6

وهذا مع أرقام 7 — 8 — 9 بعده : أربعتها تشتمل على وثائق حول نشر « اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار احياء علوم الدين » . للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، وهذه الوثائق تتسلسل ابتداء من رسالة رئيس العلماء بمكة المكرمة الشيخ أحمد دحلان للسلطان الحسن الأول ، حيث كان هذا الشيخ يحاول طبع شرح الاحياء بالشرق ، وكاتب نفس السلطان يطلب منه احدى نسختي هذا الشرح المحفوظتين بالمغرب ، ليقع الطبع عليها . وهذا نص الرسالة :

« اللهم انا نسألك بأسمائك الحسنى ، ونتوسل اليك بنبيك الاسمى ، ان تلحظ بعين رعايتك الربانية ، وتحفظ بحفظ وقايتك الصمدانية ، من ملكته زمام السلطنة السنية ، وأقمت بدولته منار الشريعة المحمدية ، السلطان بن السلطان بن السلطان ، الملك المظفر المعان ، مولانا السيد الشريف في النسب الحسن ، مولانا السلطان حسن ، أيد الله بدولته الاسلام والمسلمين ، وقمع بسيف صولته الكفرة والملحدين ، آمين .

أما بعد تقبيل الاقدام ، والدعاء لدولتكم ببلوغ المرام ، فالداعي لتسطيره ،

والموجب لتحريره ، التشريف بالسؤال عن ذاتكم السنية ، لا زالت آمنة محمية ، فان أوصافكم الحميدة أوجبت على محبكم محبتكم الاكيدة ، وما زال داعياً لكم تجاه البيت الحرام ، والركن والمقام ، والمشاعر العظام ، بالحفظ والنصر وبلوغ المرام ، جعل الله ذلك في حيز القبول ، بجاه سيدنا الرسول ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه .

ثم المعروض على مسامعكم الكريمة ، وعواطفكم الرحيمة ، أن شرح العلامة السيد مرتضى على احياء علوم الدين من الكتب التي يحصل بها النفع العام ، لجميع الاسلام ، وهو مفقود من الحرمين الشريفين ، مع أنه ينبغي وجوده في كل من البلدتين ، ومفقود أيضاً من اليمن ومصر والشام ، مع الاحتياج اليه لاهل الاسلام ، وهو موجود في خزانة كتب سلطنتكم السنية ، وفي خزانة كتب القروية .

فالمرجو من مراحم دولتكم العلية ، ومكارم همتكم المرضية ، صدور أمركم الكريم ، بالتفضل بنسخه من فيض احسانكم العميم ، بأن يصدر الامر من دولتكم بنسخ نسخة من إحدى النسختين ، ليحصل النفع بها في الحرمين الشريفين ، أو تأمر بارسال احدى النسختين ليحصل نسخها بالحرمين ، ثم تعاد لمقرها المصون ، وموطنها المبارك الميمون ، واذا حصلت نسخة باحدى الحرمين ، يحصل ان شاء الله طبعها من غير مين ، فينشر بطبعها الوف من الشرح المذكور ، ويكتب الله لكم بذلك أوفر الأجور ، والدال على الخير كفاعله ، ومن دل على هذا فله مثل أجر من عمل به ، ومن سن سنة حسنة فله مثل أجر من عمل بها .

لا زلتم موفقين للخيرات ، فائزين بأعلى الدرجات ، واقدامكم الكرام ، مقبلة على الدوام ، في غرة ربيع الأول ، سنة 1300 .

الداعي لدولتكم : رئيس العلماء ، ومفتي الشافعية ، بمكة المحمية : أحمد بن زيني دحلان » .

« النهضة العلمية . في عهد الدولة العلوية »

ملحق رقم 7

كتاب السلطان الحسن الأول لقاضيي فاس ، في شأن ما وجد من شرح الأحياء بخزانة القرويين ، وهو مؤرخ في 25 ربيع النبوي عام 1301هـ :

« القاضيين بمحروسة فاس : السيد حميدة بن محمد ، والسيد أحمد ابن عبد الرحمان ، وصل جوابكما عما أمرناكما به من البحث في خزانة القرويين عن شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين ، ومراجعة كناش كتبها : بأنكم الفيتم ثلاثة أرباعه : الثاني والثالث والرابع في أحد عشر جزءاً ، كما الفيتم من الربع الأول سبعة أجزاء ، وبينتم ما فيه من البتر من المحال التي سميتم ، فكان جميع الأجزاء الموجودة في الخزانة ، المقيدة في الكناش الحادث ثمانية عشر ، ذاكرين أن الكناش القديم لم تعثروا عليه ، وان نحو النصف من كتب الخزانة متلاش غير ممكن الاصلاح ، وفي بقائه بها ضرر على الباقي ، طالبين ما يكون عليه العمل فيه ، وفي المتلاشي الممكن الاصلاح ، وصرنا من ذلك على بال .

فأما ما عثرتم عليه من الاجزاء الثمانية عشر بخزانة القرويين فقد عرفناه ، وحيث تعين البتر في الربع الأول فليكمل كتابة بالمواجرة عليه من النسخة التي بالخزانة الملوكية ، فقد أمرنا المكلفين بها بدفع المتنسخ منه لكم من محل البتر الذي عينتم ، فلتطلبوه منهم بعد تعيينه لهم ، واشرعوا في العمل من الآن على بركة الله ، وقد أمرنا ناظر القرويين بالصائر على ذلك ، كما أمرنا المكلفين بالخزانة الملوكية بأن يكملوا ما خص من النسخة التي بها من آخرها على يدكم ، والصائر على ذلك أمرنا به أمناء دار عديل ، وعليه فلتقوموا على ساق في وصل البتر من كلتا النسختين .

وأما الكناش القديم فلتبحثوا فيه عند من كان حتى تعثروا عليه ، فان في اخفائه دسيسة واضحة ، واعلمونا . . . » .

« سجل مكاتيب حسنية » م.م. 348

ص 271

ملحق رقم 8

جواب السلطان الحسن الأول عن رسالة الشيخ دحلان ، وهو مؤرخ في 25 ربيع النبوي عام 1301هـ :

المحب في الله ، الخير الاحظى ، فقيه الشافعية ومفتيها ، العلامة المرتضى ، السيد أحمد دحلان ، المكي ، الشافعي ، سددك الله ، وكنفتك مرضاته . .

أما بعد : فقد وصل كتابك سائلا عن الأحوال ، المرجو من الكريم سبحانه دوام اجرائها على أصلح منوال ، وداعياً لجانبنا تلقاء البيت الحرام ، والركن والمقام ، بما يرفع لمواطن القبول ، ويتأرج بنفحات اجابته الجنوب والقبول ، بجاه مولانا الرسول ، عليه وعلى عثرته وأسرته الصلاة الكاملة والسلام الموصول ، وراغباً في توجيه نسخة من الشيخ مرتضى على الاحياء ، للتوقف هنالك عليه ، لكونه بذلك الاقليم مفقوداً ، مع احتياج أهل الاسلام اليه ، كي يحصل بطبعه المقصود من ايقاظ البواعث الوسنة ، فتكون دالاً على الخير ويثبت به في صحيفتنا اجر من سن السنة الحسنة ، الى آخر مسطوركم السعيد ، المتلقى بالاجلال والترحيب المزيد .

فأما ما اسفر عنه ثغر محبتك ، ودل بالمطابقة عن صدق مودتك ، من اتسامك بعنوان موضوعها ، وروايتك من أحاديثها المتصلة غير مقطوعها ، فحكم مسلم الثبوت بقوى الاستدلال ، وامر بحول الله قاض ـ يوم لا ظل ـ بمزية الاستظلال .

وأما ادمانك لجانبنا على صوالح الادعية ، فمن مزيد التوفيق والتأييد والظفر بقصارى الامنية ، لا سيما في ذلك المقام الاكبر ، الكفيل بسرعة الاجابة ومنال الحظ الاوفر ، فهو من شأن الهداة المرشدين ، ومن أداء النصيحة التي هي معظم أركان الدين ، فليجعل المحب ادمانه على ذلك أمراً أكيداً ، وليستوجب بمزيده من مذخر المثوبة عند الله مزيداً ، جزاك الله عنا خيراً ، ورضى سعيك المشكور بفضله العميم ذخراً ، آمين .

وأما شرح الاحياء المذكور فقد تيسر ، وعما قريب يوافيك بحول الله ، والسلام .

« **سجل مكاتيب حسنية** » ، م،م، 348 ـ ص 270 .

ملحق رقم 9

وهو يتضمن العقد النهائي الواقع مع الطبيعين ابني الازرق في شأن طبع شرح الاحياء بالمطبعة الحجرية الفاسية .

« الحمد لله ، لما أن صدر أمر مولانا المعتز بالله ، أدام الله نصره وتأييده وعلاه ، على أمناء صائره السعيد بدار عديل وفره الله ، بأن يصيروا مع جانب حبس مسجد القرويين عمره الله بدوام ذكره ، على طبع مائتي نسخة من شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين ، للامام الغزالي نفع الله بهما ، بالمطبعة الفاسية ، ذات المحاسن الفاشية ، التي هي من جملة مفاخر مولانا المنصور بالله الفاخرة ، وحسنات سلفه الجارية المتواثرة ، قدس الله أرواحهم في عليين ، وأعاد بركتهم على مولانا أمير المؤمنين ، وأحيا به معالم الدين آمين ، وأمر ـ أعز الله أمره ـ بأن يكون نصف الصائر على جانب الحبس المذكور ، والنصف على جانب بيت المال السعيد ، وذلك على يد الفقيهين الجليلين النزيهين العالمين المتقنين القاضيين حينه بمحروسة فاس ، اعزهما الله وحرس ولايتهما من كل سوء وبأس .

فحضر لذلك ـ أولاً ـ المعلمان المباشران لطبع الكتب بفاس في حينه ، وهما : الحاج الطيب بن المرحوم سيدي محمد الازرق الفاسي ، وأخوه للاب المعلم العربي ، وكان الفصل وقع معهما ـ أولاً ـ في ذلك بأن يطبعا ـ معاً ـ ملزمة واحدة في اليوم ، أي مائتي ورقة وعشر ورقات ، بأجرة قدرها لهما معاً على الملزمة عشرة مثاقيل ، وللمتعلمين معهما خمسون أوقية ، وللمصححين أربعون أوقية ، ومثلها للكاتبين ، وللقيم خمس عشرة أوقية ، وكراء المحل ثمان أواقي في اليوم ، وذلك دون الاقامة وغيرها من الصائر اللازم للمطبعة ، وكان الاشهاد وقع عليهم بذلك .

ولما طولع بها أمناء الصائر المذكورين وسئلوا من قبل من يجب سدده الله وأرشده هل سلموا ذلك فيقع عليهم الاشهاد به ، أو ظهر لهم خلافه مما فيه مصلحة لجانب المخزن وجانب الحبس فيبينوه ، فجددوا البحث والنظر في عمل المطبعة وقاعدتها ولوازم صنعتها ، فاقتضى نظرهم أن لا يقتصر المعلمان معاً على طبع ملزمة واحدة في اليوم لقلة عملها وكثرة الاجرة المقدرة لها ، ولما يقتضيه ذلك من طول المدة لكمال الكتاب ، بل يطبع كل واحد منهما ملزمة في اليوم ، فيكمل الكتاب في نصف المدة المقدرة له أولاً ، وأن تكون أجرة الملزمتين ـ معاً ـ خمسة عشر مثقالاً : لكل ملزمة خمس وسبعون أوقية ، فينتقص لكل ملزمة خمس وعشرون أوقية ، وأن تكون أجرة المتعلمين على ملزمتين ستين أوقية ، يجب للملزمة واحدة ثلاثون أوقية ، فانتقص عما كان أولاً عشرون أوقية ، وأن تكون أجرة المصححين مثقالين لكل ملزمة، ولهما على ملزمتين اللتين هما خدمة اليوم أربعون أوقية في اليوم ، فانتقص من كل ملزمة عما كان أولاً مثقالان ، وأن يكون ثمن القطران الذي يصنع من هبائه مداد الطبع داخلاً في الخمس والسبعين أوقية التي هي أجرة المعلم على الملزمة ، وقدر ثمنه مثقال واحد لكل ملزمة ، فتوفر منه ألف مثقال بالافراد ومائتا مثقال ، كما توفر من كراء المحل عن نصف المدة التي انتقصت بسبب طبع ملزمتين في اليوم نحو الستمائة مثقال ، فاجتمع فيما انتقص من الاجرة والاقامة وتوفر لجانب الحبس والمخزن بسبب ما ذكر : عشرة آلاف مثقال وخمس مائة مثقال ، واجتمع في أجور المعلمين والمتعلمين والمصحين والكاتبين وكراء المحل على ما وقع به الفصل ثانياً : سبعة عشر مثقالاً بموحدة ، وسبع أواقي ونصف الأوقية لكل ملزمة تطبع ، وهي مائتا ورقة وعشر ورقات ، وهي اثنان وأربعون كراساً في القالب الكبير ، وهي خدمة معلم واحد من المعلمين ، فهما معا يطبعان أربعة وثمانين كراساً في اليوم ، واجتمع في ثمن الكاغد الواجب لخدمة الملزمة عشرة مثاقيل وثلاث أواقي ، وفي الاقامة لكل ملزمة تسع عشرة أوقية وربع الاوقية ، كما ذلك مبين ومفصل بالزمام طرته ، فاجتمع في صائر كل ملزمة أجرة واقامة وكاغيدا تسعة وعشرون مثقالاً وتسع أواقي وثلاثة أرباع الاوقية ، فاذا ضرب هذا العدد فيما في الأصل المنتسخ منه من الملازم ، وأضيف للخارج ما توقف عليه الخدمة

من الاقامة في بعض الاحيان عن المدة كلها ، وقسم المجتمع على عدد الكتب المراد طبعها ، يخرج ثمن الكتاب الواحد ، وقدره أربعة عشر ريالا ، وتسع وعشرون أوقية ، ونصف الأوقية ، كما فصل وبين آخر الزمام بمنته .

وبعدما استوعب المعلمان المذكوران الصائر المبين بالزمام المذكور ، من أجرة واقامة وغيرهما ، أشهدا معا أنهما رضياه وقبلاه ووافقا عليه ، والتزما طبع الكتاب المذكور بالاجرة والاقامة المذكورة ، وعلى أن يطبعا ملزمتين اثنتين في اليوم : ملزمة لكل واحد منهما ، طبعا جيداً متقناً لا عيب فيه ولا محو ولا تقطيع في حروفه ، غير ناقصة من المداد ، مع ما يجب لها من اقامة الطبع ، كما التزما ـ أيضاً ـ بدرك ما عسى أن يفسد من يد الكاتبين الذين عيناهما لذلك ، لكونهما اختبرا خطهما في الطبع فوجداه صالحا لعمل المطبعة ، التزاما لازما لما لهما وذمتهما ، واتفقا معاً على أن يختص كل واحد منهما بطبع نصف الكتاب المذكور ، وأن يختص كل واحد منهما بكاتب يكتب له ، ليكون نصف الكتاب بخط كاتب ، والنصف الآخر بخط كاتب آخر ، وليتميز عمل كل منهما من الآخر .

حضر أمناء الصائر المذكورون ، ووافقوا على ما ذكر كله الموافقة التامة ، عرفوا قدره ، شهد به عليهم بأكمله وعرفهم ، وفي حادي وعشري شعبان الابرك ، عام واحد وثلاثمائة وألف ، فلان بشكله ودعائه ، وفلان بشلكه ودعائه » ، صح من أصله .

وبطرة هذا العقد بيان تكاليف طبعه وفيه فوائد : منها معرفة ما كان يحتاج اليه يومئذ في الطباعة الحجرية ، وأجرة المواد والعمال :

« الحمد لله ، هذا بيان الصائر على طبع مائتين نسخة من شرح الشيخ مرتضى على احياء علوم الدين للغزالي ، نفع الله به ، وهي التي صدر الامر الشريف بطبعها ، مع زيادة عشر نسخ لجبر ما عسى أن يتمزق حال الطبع ، أو يخرج غير صالح .

ففي الأصل المنتسخ منه على ما قدره المعلمان المباشـران للطبع اثنتي عشرة مائة ملزمة ، والملزمة عبارة عن صفحة من الكاغد يكتبها الكاتب وتطبع في الحجر ، ثم يطبع منها أوراق بعدة ما يراد من الكتب ، ثم يكتب الكاتب التي تليها وتطبع في الحجر كذلك

بعد محو الاولى ، وهكذا الى انتهاء ما في الأصل من الملازم ، ولذلك اذا أريد ثمن الكتاب الواحد قبل الأخذ في طبعه ، يحسب صائر ملزمة ويضرب فيها في المنتسخ منه من عدة الملازم ، يخرج صائر الكتب كلها ، فيقسم على عدتها يخرج ثمن كل كتاب منها .

« بيان أجرة ملزمة واحدة أعني مائتي ورقة وعشرة » :

فللفقيهان المصححان « كذا » على كل ملزمة	20
وللكاتبين لكل ملزمة	40
وللمعلمين لكل ملزمة بادراج القطران كما وقع به الفصل	75
وللمتعلمين عدتهم خمسة للملزمتين ، وأجرتهم على واحدة هذا :	30
أجرة القيم حيث تطبع ملزمتين في اليوم هذا : 15 وعلى واحدة هذا	07/
كراء المحل لكل ملزمة بحسب 240 في الشهر وزيادة يسيرة	
لمقابلة ايام البطالة في اليوم عن ملزمة واحدة	05
ج /	177

« ما قدر من الاقامة لكل ملزمة بموافقة المعلمين »

فمن زيت الكتان 10 ، وزيت الزيتون 1 ، وليم / 2 ، مع ماء قاطع ، وفحم 2 ، ودلاكة1 ، ومداد الأصل 3 — 19/

بيان الكاغيد الواجب للملزمة 210 وميزانه وثمنه

يجب في المائتين والعشرة المذكورة من الكراريس 42 ، ويزاد كراسان على كل ملزمة في مقابلة الاوراق التي يكتبها الكاتبان وما تغطى به الاوراق حال الطبع ، مع ما عسى أن يتمزق بذلك : نصف رزمة غير كراس ، وميزانها من العينة التي اشتراها أمناء الصائر الآن : أرطال 7 عدى ثلاث أواقي ، سوم 15 للرطل يجب : — 103

اجتمع في صائر ملزمة أجرة واقامة وكاغيدا — 299 /

وهي بكرايس 42، وهي خدمة معلم واحد في اليوم، وضعفها: 84 للمعلمين، فاذا ضرب الصائر « 299/ » المذكور في عدة ما في الأصل المنتسخ منه من الملازم : وذلك

1200 بتقدير المعلمين : يخرج 359700 يضاف له ثمن بعض الاقامة الباقية المحتاج لها في بعض أوقات مدة الخدمة ، وذلك ثمن شحمة : 1200 لترطيب الجلود التي بالمرمتين ، وثمن صابون : 3000 ، 1500 لغسل الزيوف وأيدي الخدمة :

وثمن جفائف البحر 1000 لمباشرة الخدمة عن المدة ، وثمن رملة مكناسية لحك الحجر ومحوه 600، وثمن فتائل 1800 حياتي لوقود القطران واستعمال الهباب منه للمداد عن المدة كلها : 3400

« اجتمع في الاقامة الثانية هذا ما رفع » 004900

اجتمع في صائر المائتين والعشرة كلها هذا 364899 /

يقسم هذا المال المجموع على مائتين وعشرة ليتبين صائر كل كتاب على الانفراد . يخرج هذا 1737/8 عنه ريال بصرف 122 هذا : 14 مع أواقي 29/8 » .

« النهضة العلمية . في عهد الدولة العلوية »

ملحق رقم 10

ظهير حسني بتوقير :

الطبيع الطيب الازرق .

« جددنا ـ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ـ لماسكه : الطيب الازرق الفاسي معلم مطبعة الكتب العلمية ، بفاس الادريسية ، صانها الله ، على ما بيده من كتاب مولانا الوالد قدسه الله ، المتضمن سدل أردية التوقير والاحترام عليه ، وحمله على كاهل المبرة والاحترام . وفي 29 ربيع الثاني عام 1291 » ، صح من أصله بالخزانة الملكية .

ملحق رقم 11

ظهير صادر عن السلطان عبد العزيز ، في تنظيم المراقبة على الطبيعين بالمطبعة الحجرية الفاسية :

شكل — 15

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

يعلم من كتابنا هذا أعز الله أمره وخلد في الصالحات ذكره أننا بحول الله
وقوته كلفنا خديمنا المحتسب الطالب محمد حصين الشامي بحرفة المعلمين
الذين يطبعون الكتب العلمية بمطبعة حجر المحمدية من كل ناحية وتفقد شغلهم
وحملهم جميعا على أن يلازموا التقيد في ذلك على شروط مخصوصة وقيود مضبوطة
منها أن لا يطبعوا كتابا إلا بعد إتقان تصحيحه وضبطه ومنها أن يبالغوا
في تصحيح المجلد على يد المصحح العارف بالفن المطبوع كتابه بحيث لا يكون في النسخة
المطبوعة محو ولا حذف في الحروف والكلمات ولا تغيير في الإعراب والتراكيب
ومنها أن لا يزيدوا على القدر الذي أوجروا عليه نسخة لا لهم ولا لغيرهم ممن يشتري
المؤجر ومنها أن لا يطبعوا لأحد كتابا تقدم طبعه إلا بعد تخلي صاحب النسخ
من تاريخ طبعه ومنها أن لا يقبلوا المؤاجرة على طبع كتاب إلا بعد أن يعلموا
به القضاة خشية أن يفيضوا على طبع ما لا يأذن الشرع فيه كما نأمر أن يلزم
المشترين الذين يرحلون في بيع الكتب بحوانيت الإشهاد عند شرائهم من المعلمين
المباشرين للطبع بحيث من وجد بيده من المعلمين أو المشترين المذكورين نسخة من
الكتاب المطبوع أو نشر على خلاف الشروط المذكورة يعاقب العقاب
الشديد ويغرم ما وجد بيده من النسخ لجانب المخزن محلا وترفع يده عن الطبع
حتى تشتغل حرفة المطبعة التي هي آلة انتشار العلم منقحة العمل
محفوظة الجانب من عوارض الخلل فعلى المكلف المذكور أن يتحرى الصواب في ذلك
وأن يقف فيه عند حدود ما سطر به أمرنا المعتز بالله والسلام في رمضان المعظم
عام [illegible]

ظهير تنظيم المراقبة على المطبوعات الحجرية

« يعلم من شريف كتابنا هذا أعز الله أمره ، وخلد في الصالحات ذكره ، اننا ـ بحول الله وقوته ـ كلفنا خديمنا المحتسب محمد بن حفيد الشامي ، بحرفة المعلمين الذين يطبعون الكتب العلمية بمطبعة فاس ، المحمية من كل بأس ، وتفقد شغلهم وعملهم فيها ، على أن يلزمهم التمشي في ذلك على شروط مخصوصة ، ووجوه منصوصة .

منها أن لا يطبعوا كتاباً الا بعد اتقان صنعته وجودتها .

ومنها أن يبالغوا في تصحيح أصله على يد المصححين العارفين بالفن المطبوع كتابه ، بحيث لا يكون في النسخ المطبوعة محو ، ولا حذف في الحروف والكلمات ، ولا لحن في الالفاظ والتراكيب .

ومنها أن لا يزيدوا على العدد الذي أوجروا عليه نسخة : لا لهم ولا لغيرهم ممن عدا المؤجر .

ومنها أن لا يطبعوا لأحد كتاباً تقدم طبعه الا بعد مضي عامين اثنين من تاريخ طبعه .

ومنها أن لا يقبلوا المؤاجرة على طبع كتاب الا بعد أن يعلموا به القضاة ، خشية أن يقدموا على طبع ما لا يأذن الشرع فيه .

كما نأمره أن يلزم المشترين الذين يروجون في بيع الكتب بحوانيت الاسواق عدم شرائها من المعلمين المباشرين للطبع .

بحيث من وجد بيده من المعلمين او المشترين المذكورين نسخة من الكتاب المطبوع ، او نسخ على خلاف الشروط المذكورة ، يعاقب العقاب الشديد ، ويحاز ما وجد بيده من النسخ لجانب المخزن مجاناً ، وترفع يده عن طبع الكتب ، لتبقى حرفة المطبعة ـ التي هي آلة انتشار العلم ـ متقنة العمل ، مصونة الجانب من عوارض

الخلل ، فعلى المكلف المذكور أن يتحرى الصواب في ذلك ، وأن يقف فيه عند الحد ولا يتعداه .

صدر به أمرنا المعتز بالله ، في 4 رمضان المعظم عام 1314 » .

ملحق 12

إجازة عبد القادر الشفشاوني لطبيعين من فاس ومراكش

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

لما من الله علينا بأن أهلنا مولانا أمير المؤمنين ، أعز الله ببقائه الدين ، وخلد ملكه وذكره الجميل إلى أبد الأبدين ، مع أوليائه المتقين ، السلطان الأمجد ، المعظم الأسعد : سيدنا محمد بن مولانا عبد الرحمن بن هشام نصره الله : للتوجه لتعليم (كذا) صناعة الطباعة البهية ، بمطبعة الكتب ببولاق مصر المحمية ، فتعلمنا والحمد لله ، وأجازنا الأشياخ ـ بها ـ بذلك ، وأحطنا بما هنالك .

وكان ـ سابقاً قبل توجهنا ـ نصب أيده الله الشيخ محمد المصري لطبع الكتب ، فعلم الطالب الناسك المعلم : السيد الطيب بن السيد محمد الأزرق الفاسي ، والشاب الأنجد ، المعلم الأرشد : السيد محمد الهفروكي المراكشي : صنعة الطبع ليس إلا ، ولم يمنحهما من مبادىء الصنعة وخواتمها غير ذكر بعضاً ولا كلاً ، فامتحنا فاعترف كل منهما أنه لا يحسن غير ما ذكر .

فاصطنعنا بين يديهما جميع ما يحتاجان إليه ، ثم أمرناهما بالعمل والامتحان ، فاصطنعا ذلك وأتقناه غاية الإتقان ، وبه صار يطلق على كل منهما إسم « المعلم » ، وخرجا من ربقة سيمة المتعلم ، ويدور ـ بنفسه ـ المطبعة ، وحصلت النتيجة والمنفعة

من غير توقف علينا ، ولا على أحد غيرنا ، وأنس منه الرشد في جميع ما ذكر ، كما رمز وسطر .

اللهم اجعل حسناتنا وحسناتهما في صحيفة مولانا أمير المؤمنين ، لكونه سن هذه السنة ، وأسدل أردية هذه المنة ، بهذه المزية التي لا تنقطع ، ويعم نفعها الأول والأخر وينتفع .

هذه شهادتنا وإجازتنا لهما بجميع ما ذكر ، فالله ـ تعالى ـ يوفقنا وإياهما لما فيه رضاه ، بمنه ، آمين ، آمين ، آمين .

وفي ثالث ذي القعدة الحرام ، عام خمسة وثمانين ومائتين والف .

طابع مستدير بداخله : « عبد القادر الشفشاوني ، الله وليه » .

من وثائق مديرية الوثائق الملكية بالرباط .

ملحق 13

رسالة من الطبيع العربي الأزرق إلى الوزير الأكبر في شأن الإنعام السنوي بالكسوة والصلة

« الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .
سيدنا الوزير الأمجد ، العالم العلامة الأسعد : سيدي الحاج المختار بن سيدي عبد الله ، سددك الله وأرشدك ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد : فالمطلوب من سيادتك ـ أبد الله سعادتك ـ مباشرة أمر عادتنا السنوية ـ من الكسوة والصلة من مولانا أيده الله ونصره ـ عند أمناء دار عديل هنا بفاس ، كما هي العادة ، لما نحن فيه من خدمة العلم الشريف بدار المطبعة ، عمرها الله بحياة مولانا ودوام بره ، ولك الأجر والثواب .

أسس الله مجدك ، وخلد في الأفواه حمدك ، وعلى الخدمة والمحبة ، والسلام .

خادم العلم الشريف : العربي بن محمد الأزرق ، لطف الله به » .

من وثائق الخزانة الملكية .

ملحق 14

طريقة إعداد الكاغد والمداد بالمطبعة الحجرية ، في مقيدة تستخدم ـ أحياناً ـ تعابير فنية وعامية

« الحمد لله ، كيفية تنشئة الكاغد الذي يكتب قبل الطبع :

تجعل ما تيسر من غرا السمك وتطلقه في الماء ، ثم أطلق ما تيسر من النشا خفيفاً ، وصفه مما يجتمع فيه من الدرن والأوساخ ، ثم أجعل طنجرة على نار الفحم القوية ، وأطلق فيه الغرا المذكور حتى يذوب ، ويغلي الماء كثيراً ويضع عليه النشا من القمح ، ويكون ضعيفاً رقيقاً ، ثم حركه والنار تحته وهو يطيب ، وكلما ازداد تطيباً وتحريكاً كانت في غاية الحسن ، ثم تمر بها على الكاغد مرا جيداً بحيث لا تترك مقدار إبرة بغير النشا ، والسلام .

كيفية اصطناع مداد الأصل الذي يكتب به في الكاغد المنشا :

أوقيتان ونصف إلا ثمن : شحم صافي ، أوقيتان ونصف وثمن : شمع خم من العسل ، ثلاث اواق إلا ربع : صابون مصري ، أوقيتان إلا ثمن : جمة[1] لكة ، أوقية هباب ، إجعل طنجرة من نحاس على نار الفحم القوية ، واجعل ـ أولاً ـ الشحم ـ بعد تصفيتها ـ في الطنجرة المذكورة ، ثم أتبعه بالشمع الخم الصافي ، ثم أتبعه بالصابون المصري ، إلى أن يذوب الجميع .

---

(1) وضع المقيد فوقها كلمة « كذا » .

واحذر قيام النار في الطنجرة ، فإن قـامت فأحضـر غطاء للطنجـرة وغطهـا ، وأنزلها على الأرض إلى أن تنطفي ، ثم ردها على النار وارجمها بجومة لكة والمصطكي وأنت تحرك ، وبعد فراغك منهما أتبعهما بالهباب .

ثم اتركه على نار متوسطة مع إدامة التحريك وأنت تجربه حتى ينعقد ، واحذر احتراقه ، ثم خذ شيئاً من زيت النفض واطل بها الرخامة ، وصبه عليها ، وعند جموده قطعه بسكين ، واجعله في إناء ، واحفظه من الغبرة ، وإن اراد الكاتب أن يكتب به يجعله في غطار، ويصب عليه ما تيسر من الماء ويدعكه بيده الى أن ينحل ، ويكتب به ، وقد تم والحمد لله .

كيفية مداد الطبع :

خذ أربعة رطال من زيت الكتان ، وأوقيتين من حصا لبان بعد دقه ، وأوقيتين رجينة ، وأوقد تحته النار القوية ، وعنـدما يغـلي كثيراً اجعـل فيه خبـزة بعد تقـطيعها أرباعاً : وكذلك أربع بصلات ، إلى أن يحترق الخبز والبصل ، وخذهما حتى لا يبقى في الزيت المذكورة شيء ، ثم حط عليه رطلاً من الهباب المستعمل من القطران ، وأدم تحريكه حتى يصير في قوام العسل ، ثم أنزله ، فإن جاء فيه بياض زده الهباب ، وإن جاء غليظاً رطبه بشيء من زيت الزيتون ، والسلام » .

مقيدة بخط العالم الفاسي احمد بن محمد المهدي
البوعزاوي ، تلقيا لها من إملاء الطبيع المعلم
العربي الأزرق

18 الطباعة السلكية

وقد تأخر ظهورها بالمغرب المستقل عن الطباعة الحجرية ، وكان نشاطها محدوداً ، وفي مدينة طنجة بالخصوص ، حيث كان يطبع بها - في هذا الطور الثاني - جريدة « المغرب » ، التي صدر أول عدد منها عام 1306هـ/1889م ، وقد جاء في نفس العدد : « وانا قادرون على طبع ما يطلب منا في اللغة العربية على أتم ما يكون من الضبط والاتقان بأسعار معتدلة » .

غير أنه لا تزال هوية هذه المطبعة مجهولة ، كما لا يعرف - لحد الآن - من منشوراتها سوى جريدة المغرب ، وسنتوسع في الحديث عن نشاط هذا الجهاز عند الطور الثالث ، حيث تأسست مطابع سلكية جديدة في مدينتي طنجة وفاس .

* * *

ونسجل - الآن - أنه لمع في الطور الثاني الذي ندرسه ، أسماء مغربية استخدمت المطابع السلكية المصرية ، في نشر مجموعة مهمة من المؤلفات المتنوعة ، وهذه نماذج من الناشرين المغاربة ومطبوعاتهم .

١ - الحبيب البلغيثي الحسني[1] .

---

(1) هو عم العلامة الشهير ، القاضي أحمد بن المأمون البلغيثي ، وكانت وفاته في ربيع الثاني عام 1323هـ ، عن سن ناهز الثمانين فأعلى ، قضى نصفها فأكثر في قاهرة مصر للمتاجرة ، ثم كانت وفاته بفاس ، حيث أقبر خارج باب الفتوح عند مطرح الجلة ، هكذا عرف به بعضهم ، وقد بدأ هذا الناشر بالمساهمة في عمل الطبع =

2 ـ عبد القادر الشفشاوني[1] .

3 ـ الحاج أبو بكر ابن موسى .

4 ـ محمد يزرور .

نشر ـ أربعتهم ـ بالمطبعة الكبرى بالقاهرة : التصريح لخالد الأزهري ، مهمشاً بحاشية ياسين عليه ، عام 1294هـ ، في جزأين .

5 ـ الحاج محمد الازرق .

6 ـ عبد الملك العلمي[2] .

نشرا بالمطبعة الاميرية بالقاهرة : شرح الشمائل الترمذية لمحمد بن قاسم جسوس ، مهمشاً بشرح الهمزية البوصيرية لمحمد بن أحمد بنيس ، عام 1296هـ ، في جزأين :

ـ الحبيب البلغيثي الآنف الذكر .

7 ـ عبد الوهاب لوقش التطاوني[3] .

8 ـ علي زنيبر السلاوي[4] .

9 ـ أحمد بن عبد السلام اللجائي ثم الفاسي[5].

نشروا بمطبعة محمد أفندي مصطفى بالقاهرة ، وبمباشرة وملاحظة رابعهم : شرح التحفة العاصمية للتسولي ، وبهامشه شرح نفس المنظومة للتاودي ابن سودة ،

= بمصر من وقت مبكر في المطبعة الحجرية المصرية ، والمعني بالأمر «شرح المكودي على الخلاصة لابن مالك » ، فيأتي في خاتمته أنه نشر بإحدى مطابع الحجر (بمصر) ، على نفقة السيد الحبيب بن الطيب العلوي الحسني ، والشيخ محمد بن الطيب الطوبي المغربيين ، في غرة جمادى الأخرة ، سنة 1279هـ .

(1) هو المترجم في « الاعلام » لخير الدين الزركلي ـ ج 4 ص 165 .

(2) من علماء فاس ، وبها كانت وفاته عام 1320هـ .

(3) علامة جليل ، خلف تفسيراً للقرآن الكريم في عشرة أسفار لا تزال مخطوطة ، وتوفي عام 1341هـ .

(4) الاديب السلوي الغيور ، صاحب القصائد الوطنية المتنوعة ، رحل الى الشرق واستوطن بمصر مدة من 23عاماً ، ثم عاد الى المغرب ، وكانت وفاته ببلدته سلا عام 1332هـ .

(5) توفي عام 1346هـ .

عام 1304هـ ، في جزأين .

ـ الحبيب البلغيثي المتكرر الذكر .

10 ـ الحاج محمد بن قاسم لحلو .

نشرا بمطبعة محمد أفندي مصطفى المساهم الثالث في النشر :

أ ـ التصريح للأزهري مهمشاً بحاشية ياسين عليه ، عام 1305هـ ، في جزأين .

ب ـ الشرح الصغير للخرشي على المختصر الخليلي ، مع حاشية عليه للصعيدي ، عام 1306هـ ، في خمسة أجزاء .

11 ـ الحاج علال الازرق التاجر بفاس .

12 ـ الحاج عبد الواحد التازي قنصل المغرب بمصر .

ساهما في نشر شرح صحيح البخاري للقسطلاني ، مهمشاً بشرح صحيح مسلم للنووي ، بالمطبعة الاميرية بالقاهرة ، عام 1306هـ ، في عشرة أجزاء .

13 ـ الحاج محمد بن حمادي الازرق .

14 ـ أخوه الحاج فضول .

نشرا بالمطبعة الاميرية بالقاهرة : حاشية الرهوني على شرح الزرقاني للمختصر الخليلي ، مع اختصارها بالهامش ، عام 1307هـ ، في ثمانية أجزاء .

ـ الحبيب البلغيثي .

ـ الحاج محمد لحلو آنفا الذكر .

نشرا ـ مع الغير ـ بمطبعة محمد أفندي مصطفى بالقاهرة .

أ ـ شرح المختصر الخليلي للزرقاني ، عام 1307هـ ، في ثمانية أجزاء .

ب ـ انسان العيون للحلبي ، عام 1308هـ ، في ثلاثة أجزاء .

ـ الحبيب البلغيثي المتكرر الذكر .

شارك في نشر الاستقصا للناصري ، بالمطبعة البهية المصرية ، عام 1312هـ ، في أربعة أجزاء .

ـ الحاج محمد بن قاسم لحلو المتكرر الذكر .

نشر بالمطبعة البهية المصرية : الشرح الكبير لميارة على المرشد المعين ، عام 1313هـ ، في جزأين .

15 ـ الحاج الطيب التازي .

نشر بالمطبعة الاميرية بالقاهرة عام 1318هـ :

أ ـ الشرح الصغير للخرشي على المختصر الخليلي ، مهمشاً بحاشية عليه للصعيدي ، في ثمانية أجزاء .

ب ـ شرحا بناني وقصارة على نظم السلم للاخضري ، مع التعليقات على الشرحين ، في جزء واحد .

* * *

وستكون هذه الطباعة السلكية ثامنة الابواب التي يغلب عليها الطابع العلمي ، بعد المواضيع التي كان يغلب عليها الطابع الحكومي ، ومن الواضح أن هذه الدراسات كلها تساير الطور الثاني من ملامح اليقظة المغربية الجديدة ، وكما رأينا : كانت المبادرة في هذه المعطيات تأتي من الدولة أو من الافراد ، وتارة بصفة مشتركة .

* * *

والآن ، وفي نفس الطور : ستأتي المبادرة من جهة الشعب خاصة ، وتجسم آفاق يقظة المغرب الحديث ، في تفكير المثقفين من العلماء والأدباء ، وعلى مختلف المستويات ، وهذا ما سنتناوله بعد : حسب الأبواب التالية :

ـ مثفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة .

ـ مواقف ضد الامتيازات الاجنبية .

- توجيهات حول تنظيم الجيش .
- الدعوة الى الجهاد .
- توجيهات لاصلاح الحالة بالمغرب .
- ظهور الصحافة العربية .
- صدى حرب تطوان في الأدب المغربي .
- طلائع المعارضة الشعبية .
- كلمة ختامية .

* * *

19 مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة

ونقدم منهم نموذجين اثنين :

1 ـ أبو اسحاق التادلي :

ابراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي الرباطي ، المتوفي بها عام 1311هـ/1894م .

وكان من علماء المغرب الكبار المشاركين مشاركة واسعة في العلوم التي كانت موجودة بالمغرب في وقته : دينية ، وأدبية ، ورياضية ، قرأ هذه العلوم وأقرأها بالمغرب والمشرق ، وألف فيها تآليف مهمة ، وهذا كله مبسوط في ترجمته[1] وليس من موضوع بحثنا ، وانما الذي يهم هذه الدراسة من حياته ، انه من علماء المغرب الذين تأثروا ـ بعض التأثر ـ بالثقافة الغربية في هذا الطور ، اكتسب هذا من اقامته ببعض جهات أوروبا المجاورة للمغرب ، ومن جولاته الواسعة براً وبحراً في الشرق الإسلامي : الحجاز ، ومصر ، وفلسطين ، ولبنان ، وسوريا ، وتركيا ، ومن اطلاعه على بعض العلوم والكتب الحديثة ، ووقوفه على كثير من المخترعات التي درس بعضها دراسة دقيقة .

وان كل هذا كيف نفسية الرجل تكييفاً خاصاً ، فعلى خلاف الشائع بين كثير من

---

(1) من مراجع ترجمته « الاغتباط بتراجم الرباط » للمؤرخ محمد بوجندار ، خ ، ع ، د 1287 ، والمترجم ممن تكرر ذكره في هذه الدراسة .

أهل طبقته ، كان يستطيع ـ ولو الى حد ـ التحدث بعدد من اللغات الاوروبية الحية : الانكليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، تعلمها بجبل طارق ، الذي تلقى فيه أيضاً بعض علوم البحر والبوصلة ، وأطلع فيه ـ لأول مرة ـ على صورة الكرة الأرضية الحديثة وعرف اصطلاحها .

وكذلك تعلم عدداً من اللغات الاسيوية : التركية ، والفارسية ، والهندية ، أخذها عن بعض أهل بغداد .

وقد ساق تلقيه لهذه اللغات الاسيوية والاوروبية في بعض مؤلفاته [1] مساقاً لا يخلو من فائدة في الموضوع ، وهذا ما يهمنا منه :

« هذا وقد كنا قبل رحلتنا الأولى أخذنا بعض اللغات عن بعض أهل بغداد ، وكان عارفاً بالسن : خصوصاً التركي ، والفارسي ، والهندي ، فقيدت عنه منها ما لا بد منه في تأليف مرتباً لها ، اذ هذه اللغات هي المعروفة بالمشرق اليوم : عام 1285 ، خصوصاً بالحجاز ، اذ سكن به جمهور هذه الامم لما استولى الكفر على بلادهم ، خصوصاً لسان الترك ، فقد كان يعرفه جميع أهل مكة حتى نساؤهم وصبيانهم ، لان الدولة منهم ، وعمال الحجاز منهم . . .

كما قيدنا بجبل الطر [2] من بلاد الروم أيام اقامتنا به بعض السن الروم ، كاللنكليزية ، والفرنصيصية ، والاصبنيولية ، وقيدتها عن بعض المسلمين هناك ، لاضطرارنا الى السفر مع النصارى ومخالطتهم ، فيعرف الانسان لا أقل أسماء الماء للوضوء ، والحجر للتيمم ، والماء البارد ، والحار ، والنار ، والفحم ، والطبخ ، ونحو ذلك من ضروريات الانسان ، فقد ندب لذلك عليه السلام سيدنا زيد بن ثابت لما كثرت عليه الوفود من كل جهة بألسن مختلفة ، قال له : تأتيني كتب لم يعلمها أحد ، فهل تستطيع أن تتعلم السريانية ؟ فقلت نعم ، فتعلمتها في سبع عشرة ليلة ، فكان يترجم عنه

---

(1) في اختصاره لتذكرة الانطاكي ، حسب قطعة مخطوطة منه تكرر ذكرها في هذه الدراسة .
(2) جبل طارق .

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحضرته بالفارسية والرومية ، والقبطية ، والحبشية ، وتعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الالسن ، وكان يكتب الى الملوك ، وكان من أشهر كتاب الوحي ، ولذا اختاره أبو بكر رضي الله عنه لجمع القرآن أولاً ، وعثمان لجمعه ثانياً ، فكان هو رئيس الجمع مع الصحابة ، مع فرط ذكائه رضي الله تعالى عنه .

وقد أشار شراح خليل لحكم التكلم بالعجمية لكن مع القدرة ، كما لو كان في بلاد الاسلام ، كبلادنا ، كالرباط وفاس ، في قوله في كتاب الصلاة : أو بعجمية لقادر ، فان اللسان العربي أفضل الالسن اليوم ، كيف وهو لغته عليه السلام ، ولغة القرآن أشرف الكتب ، فمن أكرمه الله تعالى بمعرفة العربي ـ ولا ضرورة تحوجه لغيره ـ لا يتكلم بغيره ، أدباً مع كتاب المسلمين : « القرآن العظيم » ، وقد قيل : من علم لسان قوم أمن من مكرهم ، وكان شيخنا الفقيه المرنيسي يقول : لا أقل في البربرية لمن خالطهم : أن يعرف آلة حربهم كالمكحلة والسكين ، خوفاً منهم . . . » .

بعد هذا نذكر أن تأثر المترجم بهذه النهضة ظهر أيضاً في عدد من مؤلفاته ، ومنها :

أ ـ تأليف في تفسير بعض اللغات مثل لغة الفرس ، والترك ، والفرنسية ، والانكليزية ، والبربرية .

ب ـ اختصار أقوم المسالك ، في معرفة أحوال الممالك لخير الدين التونسي .

ج ـ رسالة في علم الجغرافيا .

د ـ رسالة في البوصلة التي تكون في السفن .

هـ ـ زينة النحر ، بعلوم البحر .

والمؤلفات الأربعة الأولى لم أقف على واحد منها ، ولا تعرف الا من خلال ذكرها في ترجمته ، ووقفت على خامسها : وهو « زينة النحر ، بعلوم البحر » قال في خطبته :

« . . لما من الله علي بالتوفيق لاداء فرض الحج ، وزيارة بيت المقدس والشام وأرض الروم ، فاضطرت الى ركوب البحر مراراً ، تارة في سفن الشراع ، وتارة في سفن النار المسماة بالبابورات ، وتلاقيت مع أهل العلم والخبرة بسفر البحر من المسلمين

والنصارى ، فاقتطفت منهم ما أمكنني من حكم سفره ، لما ورد : « الحكمة ضالة المومن يلتقطها ولو من كافر » ، كما أشار له ما ورد : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، مع أن الصين في ذلك الوقت للكفار ، قيدت ذلك في هذه الرسالة لينتفع بها من اضطر لركوب البحر ان شاء الله تعالى » . . .

وقد رتب هذه الرسالة على مقدمة وبابين : الباب الأول في سفينة النار المسماة بالبابور وهي الحديثة ، تكلم فيه على أنواع هذا البابور ، وآلاته ، وأدواته ، وقدم بعض الارشادات لركابه ، ثم أتى بمسائل من الجغرافية ، وأخيراً تحدث عن التلغراف .

أما الباب الثاني الذي موضوعه سفينة الشراع القديمة ، فقد ذكر فيه بعض أنواعها وأسمائها وآلاتها ، فرغ من تأليف هذه الرسالة عام 1305هـ/1887م .

ولا تزال مخطوطة ، ومنها نسخة بمكتبة كاتب السطور تقع في 16 ص ، مسطرة 23 ، حجم متوسط ، وأخرى بالمكتبة الصبيحية بسلا ، ضمن مجموع يحمل رقم 1640 .

2 ـ أبو العباس الناصري :

وبعد أبي اسحاق التادلي يأتي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي ، المتوفي بها عام 1315هـ/1897م .

وهو ـ أيضاً ـ من أعلام المغرب الكبار ، الذين اقتبسوا من الحضارة الحديثة وتأثروا بها ، فقد جاء في ترجمته أنه كان متشوفاً دائماً الى الاطلاع على المعارف الحديثة ، والوقوف على حقائق العلوم العصرية ، والمخترعات الاوروبية ، معجباً بما يصدر منها ، ومعطياً لذلك حظه من النظر ، معتنياً بمطالعة المجلات العلمية ، مولعاً بالجرائد السيارة ، وترجمتها ان كانت بغير اللغة العربية ، واقتباس ما فيها من الفوائد والشوارد ، وتقييدها والتمعن فيها وانتقادها ، وكانت تأتيه من مصر والشام واسبانيا وفرنسا ، وما زال الكثير منها محفوظاً بخزانته بسلا .

وان هذه اللفتة نحو الحضارة الحديثة أثرت في عقلية الرجل تأثيراً واضحاً ، فكان يحب تعلم اللغات الاجنبية ، ويخالط رجالات أوروبا للاقتباس من معارفهم ، وكان يهم بارسال بعض أنجاله الى أوروبا بقصد أخذ العلم في مدارسها .

وان المترجم أول مؤرخ مغربي حديث اقتبس من المصادر الأوروبية ، وترجم منها الى العربية ، كما نراه متكرراً في تاريخه : « الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » ، الذي تضمن ـ نصفه الثاني بالخصوص ـ معلومات كثيرة استقاها مؤلفه من مصادر اسبانية ، وبرتغالية ، وانجليزية ، ونقلها الى العربية بواسطة ترجمان خاص اتخذه لهذه الغاية .

وسوى كتاب « الاستقصا » فقد ظهر تأثر المترجم بالنهضة الحديثة في آثار أخرى ذكرت أسماؤها في ترجمته[1] .

---

(1) لابي العباس الناصري ترجمة حافلة استقيت منها ما كتبته عنه هنا ، وقد نشرت في مقدمة الجزء الاول من « الاستقصا » : الطبعة الثانية ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ 1954.

20 مواقف ضد الامتيازات الاجنبية

تعددت مظاهر اليقظة الوطنية في هذا الطور ، ومن أروعها ما كان لعلماء المغرب من مواقف وطنية صريحة ضد أصحاب الحمايات المغاربة ، وهم الذين كانوا يدخلون تحت حمايات الدول الأجنبية ضدا على الدولة المغربية .

ومن المعروف أن مقاومة هذه الحمايات كان موقفاً اجماعياً من طرف كل علماء المغرب ، وقد حملوا راية معارضتها بروح اسلامية قوية ، وحمية وطنية مثالية .

ومن بين هؤلاء أفراد عارضوها بالتأليف ، وبواسطة الخطب الجمعية ، حتى يخلدوا هذه المواقف الوطنية المبكرة ؛ ونذكر ـ الآن ـ منهم سبعة نماذج حسب التسلسل التاريخي لوفياتهم ، وهكذا سيكون :

الأول : هو أبو محمد المأمون بن عمر الكتاني الحسني الفاسي ، المتوفي عام 1310هـ/ 1892م[1] .

وهو مؤلف كتاب « هداية الضال المشتغل بالقيل والقال » ، حيث شرح فيه بيتي ابن فارس اللغوي :

اذا كنت في حاجة مرسلاً . .

---

(1) ترجمته في « النبذة اليسيرة النافعة ، التي هي لاستار جملة من أخبار الشعبة الكتانية رافعة » ، لمحمد بن جعفر الكتاني ، مخطوطة الاستاذ الجليل محمد ابراهيم الكتاني .

وقد استطرد في هذا الشرح ذكر أصحاب الحمايات ، وأعلن بالنكير عليهم ، في نفس طويل استوعب أربع صفحات : ص 26-29 ، حسب مخطوطة الشرح الواقعة أول مجموع : خ ، ع ، ك 320 .

الثاني : أبو حامد الحاج العربي بن علي المشرفي الحسني المعسكري ثم الفاسي ، المتوفي بها عام 1313هـ/1895م[1] ، كتب في الموضوع عجالة سماها « الرسالة في أهل البصبور الحثالة » ، قال في أولها :

الحمد لله ، وبعد فقد توجه سؤ ال لاهل العلم حفظهم الله بحفظ أهل السنة ، وحشرنا في زمرتهم آمين ، عن حادثة حدثت في قرننا هذا في حدود السبعين والمائتين والالف ، وهي دخول المسلمين تحت كلمة الكفر ـ أعاذنا الله منه ـ ويعبرون عنها بالحماية ، معتذرين بها عن تحصين ماهم من ثقل المغارم ، مع انهم يجعلون حظاً وافراً لمن يحميهم باذلال وطيب نفس ، فهل يكون المحتمي بالحماية على هذه الحالة مسلماً عاصياً ، أو خرج عن دينه بالكلية ، وللامام أن يحكم فيه باجتهاده ؟

ألفها في حدود 1290هـ/1873م، ومنها نسخة مخطوطة بمكتبة كاتب السطور ، تقع في 8ص ، مسطرة 24 ، في حجم متوسط .

الثالث : أبو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري المتوفي عام 1314هـ/1896م[2]، له عدة خطب ضد أصحاب الحمايات ، أشهرها الخطبة المعنونة بـ« ايقاظ السكارى ، المحتمين بالنصارى » ، أو « الويل والثبور ، لمن احتمى بالبصبور » ، خطب بها بمحضر السلطان المولى الحسن الأول في ابتداء دولته ، ويوجد بالمكتبة الفاسية بفاس نسخة منها بخط محررها ضمن مجموعة خطب أبي الحسن المذكور في سفر ضخم ، تقع هذه النسخة في 14 ص ، مسطرة «23» ، حجم متوسط ، وقد

---

(1) ترجمته عند ابن زيدان في أحد تعاليق النهضة العلمية ، في عهد الدولة العلوية ، مع « الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام » : القسم المخطوط ـ ج 6.

(2) ترجمته في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 302.

اطلعت عليها بواسطة حفيد محررها العلامة المتضلع محمد العابد الفاسي الفهري ، أمين الخزانة القروية الكبرى بفاس .

الرابع : أبو محمد جعفر بن ادريس الكتاني الحسني الفاسي المتوفي عام 1323هـ/1905م[1] ، وتأليفه « الدواهي المدهية ، للفرق المحمية » أجمع وأكبر تأليف في هذا الباب ، ألفه جواباً عن سؤال في الموضوع ، وبناه على خمس عشرة آية قرآنية ناطقة بتحريم موالاة الكفار والاحتماء بهم ، وأتى في كل آية بكلام المفسرين عليها ، مضيفاً لذلك ـ في كثير من الآيات ـ كلام المحدثين وأئمة الفروع وأهل التاريخ والصوفية والأدباء ، وقد أطال النفس في الكلام على بعض الآيات ، ولا سيما آية ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا . . ﴾ : أولى الآيات التي استدل بها .

وبعدما أتى على الآيات الخمسة عشر ، نقل الكلام الى الحديث ـ بتوسع ـ عن مفاسد موالاة الكفار التي أوصلها الى عشرين مفسدة ، وسار في شرحها سيره في الآيات القرآنية الى تمام العشرين ، حيث انتهى الكتاب الذي وافق الفراغ من اخراجه من مبيضته 14 ربيع الثاني عام 1303-1885 .

يقع هذا الكتاب في مجلدة صغيرة ، ومنه نخسة بخط المؤلف لدى حفيده الاستاذ الجليل محمد المنتصر الكتاني ، الاستاذ بكلية الشريعة بالجامعة السورية ، وهي تحتوي على صفحات 119 ، مسطرة 19 ، في حجم متوسط .

الخامس : أبو عبد الله محمد بن ابراهيم السباعي الحسني المراكشي ، المتوفي عام 1332هـ/1914م[2] ، ألف « كشف النور ، عن حقيقة كفر أهل بصبور » ، وصدره بسؤال عن النازلة يشتمل على ثلاثة فصول ، ثم عقب عليه بالجواب ، يقع هذا التأليف في ورقات 12 ، ومنه نسخة ـ غير معزوة لمؤلفها ـ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1326 د ، وأخرى خاصة .

---

(1) ترجمته في « فهرس الفهارس » ج 1 ص 131 -132.

(2) ترجمته في « معجم الشيوخ » للقاضي عبد الحفيظ الفاسي ج 1ص 55 -61.

السادس : أبو عيسى المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر الوزاني الحسني الفاسي ، المتوفي عام 1342هـ/1924م[1] ، له فتوى في الموضوع رد فيها على من أفتى ـ من غير المغاربة ـ بجواز الاحتماء بالاجنبي ، وهي مثبتة في « المعيار الجديد »[2] ، ويوجد في هذا المصدر أيضاً فتويان آخريان بمنع الاحتماء بالاجنبي ، احداهما لبعض معاصري أبي عيسى الوزاني ، أنظر « المعيار الجديد »[3] .

السابع : محمد بن جعفر الكتاني الحسني ، المتوفي عام 2927هـ/1345م ، وقد وضع ـ في الاحتماء بالاجنبي ـ رسالة لا تزال مخطوطة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 3204 ، في ست صفحات من الحجم المتوسط .

ومرة أخرى انشأ ـ في نفس الموضوع ـ « خطبة » مطولة خطب بها بجامع أبي الجنود من فاس ، في يوم الجمعة 18 قعدة عام 1317هـ ، ومنها نسخة مخطوطة بالخزانة الحُسنية بالرباط ، وأخرى خاصة مستخرجة منها في ست صفحات من الحجم المتوسط ، وقد كان لهذه الخطبة صدى كبير لا في فاس ، ولكن في كثير من جهات المغرب ، حسب افادة فقيد العلوم الحديثية وما اليها : الشيخ محمد المدني ابن الحسني ، في منزله ضحوة يوم الاثنين 9 ربيع الثاني عام 1374هـ/6 دجنبر سنة 1954م .

ومن الجدير بالذكر أن المترجم من المخضرمين بين هذا الطور الثاني والذي بعده ، وقد تأخر تأليف كتابه : « نصيحة أهل الاسلام » الى الطور الثالث ، ولهذا سيكون تقديمه من مواضيع هذه الفترة الثالثة بمشيئة الله سبحانه .

فهذه ثمان موضوعات مما حرره علماء المغرب ـ في هذه الفترة ـ ضد الحمايات الاجنبية ، وان هذه الموضوعات لتفتح لقارئها نافذة يطل منها على مدى الغيرة والايمان

---

(1) ترجمته في المصدر الاخير ج 2 ص 48 -51.

(2) ج 3 ص 47 -50.

(3) ج 3 ص 50 -53 ، مع ص 60 -61.

(4) كتب لنفسه ترجمة موسعة آخر مؤلفه : « النبذة اليسيرة » الآنفة الذكر .

الذي كانت تتسم به مقاومة الامتيازات الاجنبية اذ ذاك ، وانها لتزخر بصفحات لامعة تصور الوطنية الحقة ، والحمية الاسلامية التي كان القوم يتوفرون عليها .

هـذا ولاجل أن يـطلع قارىء هـذه الدراسـة على قبس من تلك الصفحـات الناصعة ، نذيل هذا الموضوع بمقتسبات من صرخات بعض أولئـك الاعلام ، فمن صرخات أبي المواهب جعفر الكتاني في تحريم الاحتماء بالاجنبي ومفـاسده هـذه النفثة الواردة في « الدواهي المدهية » :

« . . فثبت بهذه الآيات القرآنية التي هي الدلائل اليقينية ، وما نقلناه عليها من كلام الائمة وأهل التفسير ، صحة ما ذكرناه من تحريم موالاة الكفار والاحتماء بهم ، وبلوغ ذلك الغاية في القبح ، وانه من العظائم الموذنة بكل رذيلة ، اذ هي نص صريح في ذلك ، وتكرار الآي وجريها على وتيرة واحدة مؤكد له ، ورافع للاحتمال المتطرق اليه ، فان المعنى اذا نص عليه وأكد بالتكرار ارتفع الاحتمال فيه ، وهل بعد بيان الله بيان ، أو بعد حكمه حكم ، ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ، واذا تعاضدت هذه الآيات على هذا التحريم ، فلا تجد في تحريمها مخالفاً من أهل القبلة المتمسكين بالكتاب العزيز ـ الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ﴾ في جميع معمور الارض الاسلامية من مطلع الشمس الى مغربها ، فهو تحريم قطوع بـه كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وقتل النفس بغير حق ، واخواته من الكليات الخمس التي أطبق أرباب الأديان على تحريمها . .

ومن خالف الآن في هذا التحريم أو رام الخلاف، فهو مارق من الدين ، ومنخرط في سلك الملحدين ، ومخالف لجماعة المسلمين ، ومحجوج بما لا مدفع فيه لمسلم أبـد الابدين . . » .

وإلى هنا ينتهي المراد من الشق الأول من صرخة أبي المواهب الكتاني ، ثم ها هو يأخذ في ذكر مفاسد الاحتماء بالأجنبي وما الى ذلك في العبارات التالية :

« والمفاسد الدينية والدنيوية المترتبة على موالاتهم الواقعة والمتوقعة ، ويأباها الاسلام

ومن فيه عذوبة طبع ، وانقياد للشريعة المطهرة : كثيرة جداً لا حصر لها ، ولا عد ولا احصاء ، فسحقاً لاهلها ولها ، منها ظهور شعائر الكفر . . ومنها الركون الى العدو . . ومنها الرضى بحكمه . . ومنها التحريض على الضلالة واستنان الشر ، وذلك ان كثيراً من الموالين له لم يقتصروا على تلطيخ أنفسهم بذلك ، بل زادوا الى تحريض من لم يواله عليها وتحسينها له . . ومنها اعانة العدو وتقويته . . ومنها تكثير سواده ولو من غير حلول معه أو اقامة ببلده ، لان الموالين له من جملة رعيته . . ومنها الدخول تحت قهره وغلبته ، وينبو منصب الاسلام عن اعلاء غيره عليه ، بل يعلو ولا يعلى عليه . . ومنها مفارقة جماعة المسلمين . . ومنها نبذ العزة الاسلامية ، والطاعة الامامية ، والبيعة السلطانية ، وظهور السلطان النصراني عليها ، واذلاله اياها . .

واذا علمت هذا فاحتجاج الموالين للعدو لجواز موالاتهم له : بظلم الولاة لهم وتعديهم عليهم باطل ، ويكفي في رده مصادمته للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وكلام ائمة الملة الحنيفية ، ودلالته على ضعف الايمان ، وقلة الايقان ، بترجيح عرض دنيوي محتقر ، على بهاء دين أخروي يذخر ، أو ليس للانسان الا دينه ، اذ به نجاحه وسعادته ولينه ، وعليه يبذل نفسه ، فضلاً عن جملة ما له الا أن فقد حسه ، فهي حجة شيطانية نفسانية ، وركوب للهوى وترك للنظر الى الشريعة . . وما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بالصبر على ظلم الولاة وتعديهم ـ ما لم نر كفراً بواحاً ـ الا لذرء مثل هذه المفسدة العظيمة ، التي لا مفسدة أعظم منها سوى الكفر صراحة أعاذنا الله منه ، ومعلوم أنه اذا التقى ضرران ارتكب اخفهما ، وبالله عليك ايها الموالي للعدو أي الامرين أخف ؟ أضرب ظهرك وأخذ مالك وقتلك بالكلية ، ويقتص الله لك من ظالمك يوم القيامة ، أو اذلال الدين بانحياشك للعدو الكافر ، وتكثير سواده بك وتقويته ، وتسلطه على هذا الجم الغفير من المسلمين ، ﴿ فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ .

رب ان الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء .

أترى ما يوليه من الاحسان اليك محبة فيك أو عدلاً منه ، لا والله ، بل حيلة

ومكيدة ليستجلب قلوب كثير من الضعفاء اليه، فيتمكن بذلك من مرامه، ولو وجد عدو الله السبيل الى نبذ العزة الاسلامية من الدنيا بأسرها ، وقتل المسلمين واستئصالهم عن آخرهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ، والتمكن من بلادهم وأوطانهم ، والاستمتاع بحورهم وقصورهم ، لكان ذلك غاية مطلوبة ومناه . . .

وانظر الى حال الصحابة والسلف الصالح والعلماء وائمة الدين المقتدى بهم ، والمهتدي بهديهم ، وما قاسوه من شدة الأهوال والامتحانات ، وعظيم الأذى ، وهتك الحريم ، والضرب والسجن والقتل ، وغير ذلك من أنواع العذاب التي لا يسع شرحها المجلدات العديدة ، أيام اليزيد والحجاج وغيرهما من ولاة الجور الى هلم جرا ، هل حصل لهم من ذلك شك وريب ، أو ما زادهم الا ايمانا وتثبيتا ، أو بلغك عنهم انهم راموا شيئاً من هذه الجريمة الفظيعة ، حاشا منصبهم الجليل ، ومقامهم المرفع الاثيل ، من شيء منها أو ما يحوم حولها ، أأنت أعرف منهم بدين الله ، أو وصل اليك من الظلم ما لم يصل اليهم ؟ كلا ولا عشر عشره ، ولكن قلة الدين ، وضعف اليقين ، والانهماك في دواعي النفس الامارة ، والغرور اللعين ، يوذن بهذا وأكثر منه . .

نعم لو راقب الولاة الله تعالى ، وتذكروا الوقوف بين يديه ، والعرض عليه ، ومحاسبته لهم على كل جليل وحقير ، وكفوا عن المسلمين وعدلوا فيهم ، وحكموا بحكم الله تعالى ، ووقفوا عند أمره ونهيه ولم يتجاوزوا حدوده ، لكان ذلك خيراً لهم في دينهم ودنياهم ، ومحياهم ومماتهم ، وأزكى عند مليكهم ، وأرضى لنبيهم ، وأقرب لانحياش رعيتهم اليهم ، وانقيادهم لهم ، وعونهم ونصرهم .

فلم أر مثل العدل للمرء رافعاً ولم أر مثل الجور للمرء واضعا . . »

هذه نفثة أبي المواهب الكتاني مقتضبة اقتضاباً ، وبعدها نقرأ صرخة « رسالة » أبي حامد المشرفي ـ التي تنادي بمقاطعة أهل الحماية ـ في الكلمات الآتية :

« . . . فواجب على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يجالس أهل الحماية ولا يصادقهم ، ولا يؤاكلهم ولا يعاشرهم ولا يناكحهم ، وأن يوصي كل من لقيهم

بمجانبتهم ومباعدتهم وترك معاملتهم ردعاً لامثالهم ، لان هذا المنكر ـ وهو التعلق بالعدو ـ من أعظم المفاسد في الدين ، التي يتعين فيها الزجر والتغليظ ، ولا يسمح فيه بوجه ولا حال ، وحيث لم يكفهم من له الكلمة من أهل العقد والحل ، زادهم ذلك غلظة وفضاضة ، وربما شارك المحتمي مسلم آخر ، فقوى العدد ، وانتشر المدد ، واتسع الخرق على الراقع ، وعظمت المصيبة ، وفسد اعتقاد العامة ، حتى ظنوا أن ذلك الدين الفاسد هو الدين الحق ، وأساءوا الظن بدين الإسلام والعياذ بالله ، ومن أعان المحتمي أو عاشره أو خالطه أو أرضته حالته ، فهو فاسق ملعون . . » .

والآن ـ وقد استعرضت هذه الدراسة صرخات بعض المؤلفين في الموضوع ـ نقفي على ذلك بالزواجر والقوارع ، والتحذيرات والانذارات ، التي كانت توجه من علياء المنابر ضدا على المحتمين بالاجانب ، ها هي فقرات من خطبة أبي الحسن الفاسي : « ايقاظ السكارى المحتمين بالنصارى » :

« . . . فكيف يا أهل لا اله إلا الله ، يسعكم جحود هذه النعم العظام ، أم كيف تقومون بواجب شكرها على ممر الليالي والايام ، وقد أصبح سفهاؤكم بها كافرين ، ولما رضي الله سبحانه لجميعكم مبدلين ومغيرين ، الى أن أفضى بهم الحال ، فارتكبوا أحلولك الاوحال ، واستفزهم الشيطان ، وقيدهم بأشطان ، حتى صاروا يتخذون دين الله هزؤا ولعبا ، ويميلون لمن عنه من أهل الشرك والضلال أبى . ويرضون بهم أولياء وأعواناً ، وجيرانا وأحباباً وأخدانا ، ويعلنون باتخاذ حمايتهم ، ويجهرون بالاتقاء بموالاتهم ، كأنهم ما علموا انه لا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتخذ صاحباً أو صديقاً أو ولياً منهم ، ولا تحققوا أن ذلك يخزنهم ، يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم ، وقد حذر الله ورسوله المؤمنين من ولايتهم والاستعانة بهم عليهم ، وأوعد على ودهم ومصافاتهم ولو كانوا من قرابتهم ، بالنص الصريح ، في غير ما آية وحديث صحيح . . » .

وبعد الخطبة الفاسية ، فان محمد بن جعفر الكتاني يفتتح خطبته بتمجيد الشريعة الإسلامية ليتخلص الى الموضوع ويقول :

« وإن كثيراً منا ـ يا عباد الله ـ قد دنسوها بالركون لأعداء الدين ، وموالاة الكفرة الأشرار المعتدين ، والدخول تحت حكمهم وسلطانهم ، أو الكون في خدمتهم ومن جملة أعوانهم،والتردد إلى أبوابهم ، والتملق بين أعتابهم ، نابذين بذلك الغيرة الاسلامية ، والطاعات الامامية ، جهلاً منهم بما ينشأ عن ذلك من البلايا ، وما يترتب عليه من المفاسد العظيمة والرزايا ، وما علموا أن ذلك أصل كل بلوى ، وطريق لهدم الاسلام وخراب أساس التقوى . . » .

21

توجيهات حول تنظيم الجيش

وقد علمنا ـ سالفاً ـ[1] أن السلطان محمد الرابع استفتى عشرة من العلماء حول مشروعية تنظيم الجيش المغربي على الطريقة الحديثة ، وكانت أسماؤهم كالتالي :

ـ القاضي محمد بن عبد الرحمن العلوي المدغري .
ـ الشيخ أحمد المرنيسي الفاسي .
ـ القاضي محمد الصادق بن محمد الهاشمي العلوي المدغري .
ـ الشيخ عبد السلام بوغالب الفاسي .
ـ القاضي محمد المهدي بن الطالب ابن سودة .
ـ أخوه الشيخ عمر ابن سودة .
ـ الشيخ محمد بن محمد بن حمادي الحمادي المكناسي .
ـ الشيخ محمد مسواك بن محمد التازي .
ـ القاضي الحاج محمد بن محمد الفيلالي .
ـ الشيخ أحمد كلا بن أحمد بناني الفاسي .

والمعروف ـ لحد الآن من فتاوى هؤلاء ـ هي الأجوبة التالية وعددها خمسة :
ـ جواب المرنيسي ، بالمكتبة الزيدانية ضمن مجموع[2] .

---

(1) ص 80 .
(2) « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ـ رقم 2065.

ـ جواب محمد الصادق العلوي : في كناشة خاصة .
ـ جواب محمد المهدي ابن سودة .
ـ جواب أبي حفص ابن سودة.
ـ جواب القاضي الفيلالي .

وهذه الأجوبة الثلاثة الأخيرة يجمعها ـ حسب ترتيب ذكرها ـ كراسة صغيرة مخطوطة بالمكتبة الأحمدية[1] ، وأكبرها هو جواب أبي عيسى ابن سودة ، حيث صاغه في شكل رسالة سنقدمها من بعد : ضمن آثار أخرى .

وبالاضافة الى هؤلاء العشرة ، ساهم ـ بالكتابة في نفس الاتجاه ـ ثلاثة من العلماء في دراسات موضوعية مطولة ، وهذه هي التي سنعرضها مع الرسالة السودية ، لنرى ـ من خلالها ـ لوناً جديداً من يقظة المغرب الشعبية في هذا الطور ، فيعلن الفقهاء حماسهم للتنظيمات العسكرية الحديثة ، ويرفعون أصواتهم بالمطالبة بتحقيقها ، ويشرحون آراهم في طرق تطبيق هذا الاصلاح الجديد ، والآن : سنقدم هؤلاء المؤلفين الأربعة حسب تسلسل وفياتهم :

الأول : الغالي بن محمد الحسني الأدريسي العمراني المعروف باللجائي ، نزيل فاس والمتوفى ـ بها ـ عام 1289 هـ / [2]71 — 1872 م .

ألف : « مقمع الكفرة بالسنان والحسام ، في بيان ايجاب الاستعداد وحرب النظام » ، وضعه ـ حسب افتتاحيته ـ مساهمة في الجواب عن الاستفتاء الملكي المشار له في صدر هذا الباب ، ورتبه على خمسة عشر باباً وردت عناوينها هكذا :

---

(1) كما أن جواب كل من أبي حفص والفيلالي ، يوجدان ـ معاً ـ ضمن أوراق « خاصة » ، بخط أبي حفص ابن سودة المتكرر الذكر .

(2) له ترجمة مقتضبة عند المشرفي في « نزهة الابصار » : المخطوطة المتكررة الذكر ، ص 448 ، وترجمة أخرى بقلم المؤرخ المعاصر : عبد السلام ابن سودة المري ، حسب مجلة « البحث العلمي » ، السنة التاسعة ، العدد التاسع عشر ـ ص 103 - 108.

الأول : في ايجاب صرف الهمة للاستعداد ، وجبر الامام الرعية عليه لكون العدو الكافر بالمرصاد .

الثاني : في عقوبة من أعرض عن الاستعداد ، بعدما عينه الامام لأمر الجهاد .

الثالث : في ايجاب حرب النظام ، وزجر من رغب عنه بعد التعيين من الامام .

الرابع : في حرمة ترك الرعية على قبيح فعلها ، ووجوب زجرها على عصيانها وغيها .

الخامس : في الجند والعلم الواجب عليه وأمرائه ، والوصايا المختصة بعرفائه ونقبائه .

السادس : في موجبات الظفر والهزيمة ، وشرح أحوالهما وصفاتهما المحمودة والذميمة .

السابع : في ايجاب الصبر والجهاد على الرعية ، وان لم يحز المتولي الصفة السنية .

الثامن : في مدح الشورى ، وفضل عاقبتها في الدنيا والأخرى .

التاسع : في جواز المهادنة والصلح مع العدو الكافر ، وذلك لما يعرض من المصلحة والغرض الظاهر .

العاشر : في الخصلة التي يفزع الملك اليها عند الشدائد ، وما فيها من المحاسن والفوائد .

الحادي عشر : في محاسن العفو ومناقبه ، وسمو قدره ومحمود عواقبه .

الثاني عشر : في الخصلة التي يسترق بها كل موجود ، وهي السخاء والكرم والجود.

الثالث عشر : في العدل وعدم الثقة بالولاة والعمال ، ليصفو الأمر للامام ويزول عنه الخبال .

الرابع عشر : في ذكر الشجاعة والشجعان ، وعظيم قـدر الخصلة المحمودة بين الأقران .

الخامس عشر : في مطلوبية تسهيل الحجاب ، لأن به يدوم الملك ويحصل الأجر والثواب .

يقع الكتاب في مجلد مخطوط بالمكتبة الملكية التي تتوفر على ثـلاث نسخ تحمل أرقام : 965 ، 1030 ، 1443 ، وتمتاز النسخة الثـانية بـوجود خط المؤلف بها ، وهي تشتمل على 485 ص ، مسطرة 19 مقياس 185/225 .

خط مغربي مستحسن ملون مجدول ، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ ، ووافق الفراغ من اخراجه من مبيضته أواسط شعبان ، عام 1282 هـ .

ومن صفحات الكتاب ، هذه الفقرات الواردة أثناء الباب الأول :

« . . والآلة والاستعداد المـطلوبان في هـذا الزمـان ، هما مـا يقاتـل العدو الكافر ـ دمره الله وأهلكه ـ بهما المسلمين ، من حرب النظام ومدفع ومتعلقاتهما ، ليقابل بمثل ما كافح به وقابل ، ويقاتل بنحو ما حارب به وقاتل ، لأن من لم يقاتل بما ذكر في هذا الزمان ، فقد وقع في الاخلال بالاستعداد والسلاح ، فيلحقـه الوعيـد المتقدم في الآيات القرآنية .

فالشأن كل الشأن الاكثار من المدافع والمهاريس في هذا الوقت ، ومن يرمي بهما مع احسانه واتقانه للرمي أي معرفة الاصابة فيه ، مع أمر صاحب الخيل بضرب الصفوف والركوب، والموكل بالمدافع والمهـاريس بالـرمي بها لتتـدرب على الحـروب، لأن خيل المغرب لم تعتد قتالاً بالمدافع الصغار ، فأحرى أن تحضر قتالاً بالمدافع والانفاض الكبار ، فمهمـا عاينت ذلـك استعملت الفرار ، ولم يقـع منها صبـر ولا وقوف واستقرار ، والغرض ثباتهـا وصبرهـا وعدم انجفـالها ، ولا يحصـل ذلك الا بمشـاهدتهـا للرمي بالمـدافع والمهـاريس مراراً ، فعنـد ذلك تصيـر معـودة للصبـر والثبات ، وبصبرها وثباتها يقع العز والنصر المـطلوب ، ويظفـر الامام ـ أيـده الله ـ

بالمرغوب ، واذا لم تشاهد الخيل قتالاً بما ذكر انجفلت بأهلها ، وان حاولوا الجامها وثباتها وصبرها ، وبانجفالها ينهزم الجيش ويختل النظام ، فتقع الدائرة على الإسلام .

فالمخاطب بهذا : الأمير أعزه الله ونصره ، وأظهر جنوده وعساكره ، لأن بيده الحل والعقد فليأمر بذلك ، ثم بعده فليحرض رعيته على مقاتلة العدو ـ دمره الله ـ بالحرب الذي يقاتل به المسلمين وهو حرب النظام الآتي ، بعد معرفتهم له ، فاذا لم تستعد الرعية بهذا الاستعداد ، فقد وقعت في الاخلال به والسلاح في الجهاد » .

وبعد هذا يأتي في خاتمة نفس الباب الأول :

« اذا تقرر هذا ظهر أن الامام ـ أحسن الله اليه ومنحه ما يبتغيه ـ عليه المدار ، في الجبر على الاستعداد والاستنفار ، وأن الاستعداد بئالة المدافع والمهاريس وعسكر النظام ، أمر حتم قطعاً على الامام ، يجبر عليه الرعية ، وبه يحصل قمع وقهر أعداء الملة المحمدية ، ولا جرم أن مضادة الكفرة ، ومدافعة أعداء الدين الفجرة ، لا تحصل في هذا الأوان الا بذلك ، دون غيرها من الحروب والمعارك ، فحقيق على الامام أن يسلك بالرعية تلك المسالك ، والا وقعت في الردى والمهالك ، فان الروم ـ أذلهم الله ـ داكت عقولهم في استنباط واستخراج حرب لا تطاق محاربته ، ومن قاتلهم ودافعهم دونه لم تغنه مدافعته ، فأحدثوا عسكر النظام ، وأطبقوا على أن به يحصل المرام ، ثم أضافوا له ما أحدثوا قبله من الرمي بالمدفع والمهراس ، وأجمعوا على أن بهما يحصل الفزع والرعب للناس ، فتمت حيلتهم ، وأمنت بذلك هزيمتهم ، الا من رام الحرب المذكور من بابه ، واتخذ النظام بمتعلقاته وأسبابه ، وحينئذ فيتعين الاتخاذ ، ويجب بالنظام وما أضيف اليه الاستعداد » .

الثاني : محمد المهدي بن الطالب ابن سودة المري الفاسي ، المتوفي عام 1294هـ/1877م .

استهل رسالته بتمهيدات موضوعية ، بنى عليها اعلان الرغبة في اتخاذ تلك التنظيمات الحديثة ، ثم استخرج أصول ذلك من صميم التشريع الاسلامي : آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، ليعلن ـ بعد ذلك ـ أن « النظام » ـ اليوم ـ يتأكد طلبه ، بل يتعين ويتحتم ، وبعدما أفاض في الاستدلال لهذا الوجوب ، ختم الرسالة بتوجيهات ضمنها آراءه في طريقة تنظيم الجيش المغربي الحديث .

تقع هذه الرسالة في ست صفحات وثلاثة أسطر من السابعة ، وهي مكتوبة بخط مؤلفها ضمن كراسة صغيرة بالمكتبة الأحمدية ، في حجم متوسط ، وسنذيل هذا الباب باثبات النص الكامل للرسالة السودية .

الثالث : محمد بن محمد الفلاق السفياني الأمغيطني العبدلاوي ، المتوفي عام 1312 هـ / 1894[1] م .

وضع ـ برسم السلطان محمد الرابع ـ كتابه : « تاج الملك المبتكر ، ومداده من خراج وعسكر » ، ورتبه على مقدمة من فصلين ، وعشرة أبواب :

الأول : في الملك ، من ثلاثة فصول .

الثاني : في الجند ، من فصلين .

الثالث : في المال ، وفيه فصلان .

الرابع : في الخراج ، من فصلين .

الخامس : في العمارة ، وفيه فصلان .

السادس : في العدل .

السابع : في اصلاح العمال ، وبه فصلان .

الثامن : في استقامة الوزراء ، من فصلين .

التاسع : في افتقاد الملك .

العاشر : في اقتدار الملك .

---

(1) له ترجمة مقتضبة عند المشرفي في « نزهة الابصار » : المخطوطة المتكررة الذكر ـ ص 488.

منه نسخة بالمكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 2502 ، بها 71 ورقة ، مسطرة 22 في الغالب ، مقياس 180/230 ، خط مغربي ملون جميل في الأكثر ، ومصحح بخط قد يكون للمؤلف نفسه، خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ .

ووقع الفراغ من التأليف في ربيع النبوي عام 1279 هـ .

ورد ذكره عند ابن زيدان في « العز والصولة »[1] ، ومنه نسخة أخرى في خزانة القرويين .

4 ـ وممن كتب في هذا الموضوع : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي المار الذكر ، فقد خصص في كتابه « الاستقصا »[2] فصلاً ضافياً ضمنه آراء تقدمية في تنظيم الجيش وبعض آدابه .

وسيكون الناصري رابع المؤلفين الذين استعرضت هذه الدراسة كتاباتهم حول اصلاح الجيش المغربي .

والآن سنذيل هذا الباب باثبات نص الرسالة السودية نقلاً عن مبيضة مؤلفها :

« الحمد لله ، ولكاتبه مجيباً مولانا الامام ، المنصور بالله المظفر سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمان بن هشام ، لما سأل ائمة العلم : «10» من فاس ، عن حكم اتخاذ النظام ـ لما كان الطاغية اصبنيول استولى على تطوان وأخذها وقهر الناس ، بعدما دام الحرب نحو الخمسة أشهر ، واعياً الناس النظام الذي كان مع الطاغية ، وكان المسلمون انما يقاتلون بكيفية الحرب القديمة ـ وذلك في رمضان عام 1276 ما نصه :

« الحمد لله الذي أمر خصوص عباده المؤمنين بنظم عموم كلمة المسلمين ، وصرف جيش القوة في الكافرين ، والصلاة والسلام على امام المتقين ، وسيد

---

(1) ج 2 ص 215 -216.

(2) ج 4 ص 222 -225.

المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله المؤيد بصحاح الآيات وباهر المعجزات وقواطع الحجج والبراهين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الخيرة المنتخبين ، الدالين على سنته وطريقته ، والناصرين لشريعته ، والبائعين أنفسهم وأموالهم في جهاد أعداء الدين ، واخماد نار الكفرة الضالين .

هذا وإن مما بلغ حد الاشتهار ، وتقرر في مسيرات الافكار ، أن البارود لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم ، ولا زمان الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين ، حتى كانت أواخر المائة الثامنة ، فحدث البارود وظهرت فيه مزيد قوة على الرمي بالوتر والمنجنيق ، فعلم أهل الاسلام أن غيظ الكفار لا يكون الا باتخاذ البارود والقتال به ، اذ الشيء لا يقابل الا بمثله أو أقوى منه ، فاتخذوا ـ بدل السهام والمنجنيق ـ رصاص البارود والمدافع ، فقاتلوا العدو بهذا المتخذ فصانوا وحفظوا دينهم وبلدانهم وأهليهم وأولادهم وأموالهم من الكفار بذلك ، بل فتحوا ـ جزاهم الله ـ به مدن الكفار وأرضهم ، ولم يروا ـ رحمهم الله ـ في ذلك بدعة مذمومة ، وأفتى علماؤهم بأكل المصيد ببندق الرصاص ، كمصيد السهام الذي هو محل النص فقيل :

وما ببندق الرصاص صيدا   جواز أكله قد استفيدا

بل هي بدعة محمودة ، قال الأبي : « ما شهد الشرع بأصله من البدع هو محمود ، كالتحضير للصلاة وزيادة الأذان » انتهى . فان أصله الذي هو الأذن والطلب لاظهار القوة على الكفار ـ بحسب الاستطاعة ـ هو موجود ، قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ .

ثم أن الكفار ـ لعنهم الله ـ أحدثوا قبل تاريخه ـ الذي هو سنة 1276 : ستة وسبعون ومائتان وألف ـ بنحو الأربعين سنة : عسكر النظام ، فنسوا وأنسوا به كيفية الحرب الماضية ، لما فيه من غاية الترتيب ، وشدة الحزم ، وتمام مراعاة الحذر ، وعموم القتال براً وبحراً ، قربا وبعدا ، فما قابلوا به محلا الا نالوا وأضروا بأهله ،

فقد قابلوا به الجزائر سنة 1246 ، وأضـروها واقليمهـا على التمام ، واستـولوا على النساء والصبيان وكافة من بها من أهل الاسـلام ، فقام عنـد ذلك ملوك الاسـلام : ملوك مصر والشام وتونس وقسطنطينية العظمى على ساق الجد ، فأحدثوا في بلدانهم جيوش النظام ، والتزموه بجميع وجوهه وترتيب كيفيات معروفة على التمام ، فحمى الله بذلك دينهم ودنياهم : بلدانهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم وصانها ، فاستـراح الناس وأمنوا على دينهم ودنياهم ، وكثرت أموالهم وتجارتهم ، ولم يبق لعدو الدين طمع فيهم ولا التفات الى صوبهم وجهتهم حينئذ .

فالمطلوب من سيدنا الهمام ، المنصور بالله المظفر بالقصد والمرام ، المنتظم بخلافته شمل الأمة من خاص وعام ، فأفاض الله على رعيته ـ بساعد طلعته ـ سجال الخيرات والاكرام ، وأنام بعدله وحلمه جميع الانام ، في ظل الأمن والأنام ، أدام الله لنا وجوده ، وخلد في صفحات الدهـر نصره وعـزه وسعوده : هـو اتخاذ جيش يكون ردءاً لأهل الاسلام ، وحفظاً لشريعة جده عليه أفضل الصلاة والسلام ، فيقاتل به أهل الخزي والآثام ، ويسقي الكفـرة كؤوس الحمام ، فـانه لا وجـه في الشرع يمنعه ، لأن النظام ـ كما علم وربما أشعر لفظه بمعناه ـ هو عبارة عن نظم أمور في الجيش راجعة لتقوية فائدته ونتيجته :

منها أن الجيش يكون في الحرب مرتباً على طوائف أتت على جميـع وجوه الحـرب الممكنة ، قـال تعالى : ﴿ واذ غـدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقـاعد للقتال ﴾ ، حتى أن كل طـائفة منهن مكلفـة بأمـور في الحرب بحسب استـطاعتها وقدرتها ، حتى يكون كل في خدمته لا يشغل باله غير خدمته ، فقـد قال تعـالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ .

ومنها أن الجيش يكون على غاية الامتثال والانقياد لأميره ، حتى ان تدبيرهم هو تدبيره ، وارادتهم هي ارادته ، فقد قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنـوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ، وورد في حديث المقداد بن الأسـود ـ رضي الله عنه ـ « والله لو خضت بنا يا رسول الله هذا البحر لخضناه » .

ومنها: أن المقاتلين يكونون في الحرب صفاً كالبنيان أو الجبال ، قال تعالى : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ﴾ الآية ، ولذا قيل في الصحابة رضي الله عنهم :

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم .

الى آخره ، ومنها أنه لا ادبار ولا فرار ، وقد قال تعالى : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ الآية .

ولا يخفى أن التدبير في الحرب أكيد ، وتحصيل الحيل والخديعة فيه محمود ، وفي الحديث : « الحرب خدعة » ، اذ « رب حيلة أنفع من قبيلة » ، وفي الصحيح : أنه كان صلى الله عليه وسلم : لا يريد غزوة الأوري بغيرها الا في غزوة تبوك ، فانه لما كان الزمن زمن الحر والسفر بعيداً جلا للناس أمرهم .

وكذا المشاورة مطلوبة في الحرب لاظهار وجه نافع ، وقد قال تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، فقد شاور صلى الله عليه وسلم في الحديبية فقال أبو بكر : « يا رسول الله نرى أنك خرجت لبيت الله » ، الى آخره ، وشاور صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وقال لما لبس لامته : « ما كان لنبي اذا لبس لامته أن ينزعها حتى يحكم الله » ، وإن كانت مشاورته صلى الله عليه وسلم انما هي تطييباً لخواطرهم ، وتعليماً للأمة ، لا لاستخراج أمر من عندهم محتاج اليه لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم ، بل هو أعلم الناس .

على أن النظام اليوم يتأكد طلبه ، بل يتعين ويتحتم ، لما شاهده الناس من عدم مقابلة العدو بكيفية قتال سواه ، كما اتضح ورأى الناس هذه الآية ، فقد قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ الآية ، وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « ألا إن القوة الرمي » قالها ثلاثاً ، قال الأبي : « هو نحو حديث : « الحج عرفة » ، وانما كان الرمي أقوى عمل الجهاد ، لأنه أنكى للعدو ، ويستوي فيه الجبان والشجاع ، وأما السلاح فلا

يقاتل به الا الشجاع ، ولأن الرمي ربما يصيب رئيس العدو فينهزم الجيش » انتهى ، وقد قال تعالى : ﴿ قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم ﴾ الآية ، وعنه صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءا أراهم من نفسه قوة » ، وقال تعالى : ﴿ ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون ﴾ إلى آخره ، وقال تقدست أسماؤه وصفاته : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ ، الى غير ذلك من الآيات والأحاديث ، فذلك مفيد للوجوب ، ومنتج لتعين اتخاذه ، ألا ترى الى بسط الدليل من الآية الأولى في قياس من الشكل الأول ، نظمه هو أن يقال : اتخاذ النظام اليوم قوة مستطاعة للمسلمين على الكفار ، وكل قوة مستطاعة للمسلمين على الكفار تجب عليهم ، فينتج : اتخاذ النظام اليوم يجب على المسلمين ، وهذا هو المدعي المطلوب ، أما دليل صدق المقدمة الصغرى فضروري أو كالضروري ، وأما صدق المقدمة الكبرى فمن الآية ، اذ الأمر هو ـ كما عند الأصوليين ـ للوجوب حقيقة ، وكذا يقال في بسط الدليل من الآية الثانية في قياس من ذلك الشكل ، فيقال : اتخاذ النظام اليوم هو غلظة على الكفار ، وكل غلظة على الكفار واجبة ، فينتج : اتخاذ النظام اليوم واجب ، وهو المراد المطلوب ، ودليل صدق مقدمتي القياس هو على نحو ما تقدم في القياس قبل .

هذا وان الدين النصيحة ، قيل لمن يا رسول الله ؟فقال لله ولرسوله ولكتابه وعامة المسلمين وخاصتهم ، وفي الحديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وهو من الأحاديث التي عليها مبنى الفقه والشريعة ، فلا بأس بذكر أمور أربعة :

الأول : أنه لا بد من حكم العسكر حتى لا يضر بابضاع المسلمين وأموالهم وأولادهم ، لأنه انما كان لمضي الحكم ورفع الضرر ، ومن كان فاسداً في نفسه ، مفسداً لغيره ، فكيف يرتفع به الفساد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « انهوا جيوشكم عن الفساد ، فانه ما فسد جيش قط الا سلط الله عليهم الرجلة : أي موت دوابهم وخيلهم ، وأنهوا جيوشكم عن الغلول ، فانه ما غل جيش قط الا قذف الله

الرعب في قلوبهم ، وأنهوا جيوشكم عن الزنى ، فانه ما زنى جيش قط الا سلط الله عليهم الموتان : أي الـوباء العـام » ، فالحـدود واضحة مقـدرة ، وأما التعـازير في المعاصي فهي موكولة لاجتهاد الامام ، قال خليل : « وعزر الامام لمعصية الله » الى آخره .

الثاني : انه يوسع عليه أكلاً وشرباً ولباساً ودراهم لقضاء بعض حاجاته المباحة ، لانه قد سلم نفسه للمسلمين في جميع الاوقات ، ليس له خدمة الا في معنى الحرب : ان أمر ائتمر ، وان استنفر الآن كان جوابه الفعل والسير ، وان حضر صف القتال لا يفر الا إن مات ، فالتوسعة ـ حينئذ ـ هي في مقابلة ما بذله وباعه ، وقد قال الامـام الطرطوشي ـ رضي الله عنه ـ ما معنـاه : الجيش حصن الملك ، وجنوده ،ومعاقله ، وحماة البيضة ، والـدافعون عن العـورة ،وحصون الثغـور ، وأمن السبيل ، إلى غـير ذلك ، ومن تمام التوسعة عليه والبرور أن من مات منه أو قتل وله اهـل ، ينفق على اولاده ، قال صلى الله عليه وسلم : « من ترك كلاً او ضياعاً فإليَّ وعليّ » .

الثالث : انه بعد مدة ليس عليه فيها كبير ضرر ، يخير بين الخـروج فيستبدل خلافه ، أو البقاء ، لأن ما عقد عليه هو كالاجارة : فلا يبقى الى الموت ، لأنه جهل ، بل يوقف بعد المدة المذكورة ويخير ، والبقاء في ربقة الحجر والرقية الى المـوت ضرر ، والضرر يزال ، وأيضـاً فإن التخيـير المذكـور هو استيـلاف به ، فيكـثر الداخلون ، ويشحون بالخروج ويبخلون به .

الرابع : ان كل واحد من تاجر وحراث ومحترف ومكتسب بالغنم والبقر وغـير ذلك : هو داخـل في النظام وسـاع في أمره ، لان تلك هي أسبـاب للعمارة وتكثير الاموال ، فتكثر حينئذ الجباية والاعشار الأموال ، فإن الاموال هي مدد جيش النظام وقوامه ، اذ لولا المال ما دام نظام ، بل ولا كان ، ومن كلام الحكماء : « لا ملك الا من جند ، ولا جند إلا من مال ، ولا مال الا من جباية ، ولا جباية الا من عمارة ، ولا عمارة بلا عدل » ، فالعدل أساس الجميع .

فالعدل إذا انتشر في الرعية مات البـاطل ، ونمت التجـارة والزرع والانعـام ، وامتلأت الايدي بالخير ، وحصلت المروءة حتى للعامة ، وحفظ الدين ، وكثر الداخل على الملوك ، واستراح الرئيس والمرؤوس ، والله اعلم ، وكتبـه ـ راداً العلم الى العلي الكبير ـ عبد ربه ، وأسير ذنبه : محمد المهدي بن الطالب ابن سودة ، لطف الله به في الدارين ، وفي 28 رمضان عام 1276 » .

22 الدعـوة إلـى الجهـاد

وهذا مظهر آخر من ملامح يقظة المغرب في هـذا الطور الثـاني ، ويتجسم في الدعوة إلى الجهاد لمقاومة المد الاستعماري داخل التراب المغربي ، ولم يكن هذا الاتجاه موضع اجماع المهتمين بالأمر ، وانما برز أكثر عند بعض قادة تافيلالت ، كرد فعل ضد الوجود الاجنبي في بعض المواقع الشاطئية او التخوم المغربية .

وفي مقابل هذا الاتجاه كان فريق من المفكرين يجنحون الى الحلول السلميـة ، متأثرين بواقع المغرب سياسيـاً وعسكريـاً واجتماعيـاً ، وكان من هـذا الفريق المؤرخ الناصري السلوي، وهو يشرح وجهة نظره في هذا المذهب ويقول أثناء كلام[1] :

« . . فهذا القطر المغربي ـ تدارك الله رمقه ـ على ما ترى من غاية الضعف وقلة الاستعداد ، فلا تنبغي لاهله المسارعة إلى الحرب مع العدو الكافر ، مع ما هو عليه من غاية الشوكة والقوة . . بل لو فرضنا أن أهل المغرب ـ اليوم ـ مماثلون للعدو في القـوة والاستعداد لما كان ينبغي لهم ذلك ، لأنه ليست العدة ـ وحدها ـ كافية في الحـرب ، ولا كثرة الرجال والمقاتلة ـ وحدها ـ بالذي يغني فيهـا شيئاً ، بـل لا بد مـع ذلك من اجتماع الكلمة ، وكون الناس فيها على قلب رجل واحد ، ولا بد ـ مع ذلـك ـ من ضابط يجمعهم ، وقانـون يسوسهم ، حتى تكـون الجماعـة كالبـدن الواحـد ، يقوم جميعاً ، ويقعد جميعاً ، وهذا معنى ما صح في الحـديث ، من قولـه ـ صلى الله عليـه

---

(1) « الاستقصا » ج 4 ـ ص 269.

وسلم ـ « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضاً »[1] ، فإن لم يكن ضابط وقانون فلا بد من نفاذ البصيرة في الدين ، وقوة اليقين ، والألفة فيما بين المسلمين ، والغيرة على الوطن والحريم ، وجودة الرأي ، والتمرس بالحروب ومكايد المشركين .

وأهل المغرب ـ اليوم الا القليل ـ منسلخون من هذا كله أو جله ، فقد توالت عليهم الاجيال في السلم والهدنة ، وبعد عهد أسلافهم ـ فضلاً عنهم ـ بالحرب وشدائدها ، ومعاناة الاعداء ومكايدها . . فكيف يحسن في الرأي المسارعة إلى عقد الحرب مع أجناس الفرنج . . » .

* * *

ونعود ـ بعد هذا ـ للفريق الأول الذي يمثله بعض القادة الصحراويين ، وهو يصمم على أن الجهاد هو الحل الوحيد للمأساة المغربية ، ولا يكتفي بالرد على دعاة الحلول السليمة ، وانما يسخر منهم سخرية لاذعة ،وهذا ما يسجله ناطق بلسان القوم[2] في هذه الفقرة :

« . . ومن استبصر وتبصر ، رأى انحطاط همة ولاة الامور ، مع استيلاء العدو على كثير من بلاد المسلمين ، واشتغالهم بالملاهي ، ولعمري انهم لو أنفقوا أقل القليل مما يصرفونه على فضول الشهوات ، لما بقي بلد من بلاد الاسلام الا استردوه ، ولما أبقوا للكافر حصناً الا استخلصوه للدين ومهدوه ، وقد عللوا تقاعدهم بضروب من العلل كلها مكسوفة الانوار ، مهتوكة الاستار . . » .

1 ـ والآن : نقدم ثلاثة من قادة الدعاة للجهاد في هذه الفترة ، وقد كان زعيم

---

(1) الحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، حسب السيوطي في الجامع الصغيرج 3 ص 365 من شرحه للعزيزي ، غير أنه لم ترد فيه كلمة المرصوص ، ولهذا يقال في هذا الصدد : ادراج المرصوص ، غير منصوص .

(2) هو الحبيب بن عمر بن الحسن في تقريظه على كتاب « تحفة الراغب » ، آتي الذكر .

هذه الفئة هو محمد العربي بن محمد الهاشمي الحسني العلوي المدغري ، المتوفي - بها - عام 1309 هـ[1] / 1892 م ، من الأشياخ البارزين على رأس الطريقة الدرقاوية ، ومن مواقفه في هذا الصدد نذكر نموذجين اثنين :

الأول : عـام 1280هـ/1863م ، حيث وزع منشوراً مطولاً للتحريض على الجهاد ، وخاطب فيه كافة المؤمنين بأرض المغرب : عامتهم وخاصتهم ، وهو يؤكد - في لهجة حازمة - أن الذي حفزه لهذا الموقف ، ما وقع في المدن المغربية الساحلية من تهافت الاجانب على السكنى فيها ، وأخذهم في البناء بها ، وانتشارهم في بواديها : بالزراعة وتربية الماشية وغير ذلك ، مما ينذر بالاستيلاء الكلي على المغرب والمغاربة ، وهنا يقول المنشور[2] :

« . . . والمسلمون لا مندوحة لهم عن القتال : اما أن يقاتلوا الكفرة لنصرة دين الله ، واما أن يستولوا فيحملوا المسلمين على قتال اخوانهم قهراً ، ولا بد لنا من أحدهما ، وقد اختارت لنا الشريعة المطهرة - التي بها صلاح الدنيا والدين - مقاتلتهم ومنازلتهم ، واغزاء طائفة منا في كل سنة الى بلدهم : تدعوهم الى الاسلام ، وترغبهم فيه ، وتكف أذاهم . . . » .

وبعد هذا يعقب المنشور[3] هكذا : « . . . ولا يخلصنا ويخرجنا من عهدة الوجوب ، وما أتانا به الرسول الطاهر المحبوب ، سماع أخبار اجتماع أجناس الكفرة ومظاهرتهم على قتالنا ، والوعد بأنهم يد واحدة على منازلتنا : ان لا نستعد لقتالهم ، ولا نظهر القوة والعدة والاستعداد لمحاربتهم ، اذ المتوقع منهم هو الواقع ، وتحصيل للحاصل ، أليست الملتان متضادتان اسلاماً وكفراً ؟ فلو قوتلت شيعة منهم ، وبفضل

---

(1) ورد ذكره في « سلوة الأنفاس » ج 1 ص 261 ، وترجمته عند الفضيلي في « الدرر البهية » ج 1 ص 274-275 ، حيث أرخ وفاته بعام 1310 هـ .

(2) ص 61 من المجموع الذي يحتوي على المنشور .

(3) ص 62 من نفس المجموع .

الله انهزمت وانكسرت شوكتها ، وفلت حدتها ، ما عادت شيعة أخرى لحربنا ، لنصرنا بربنا . . » .

ومرة ثالثة يقول نفس المنشور[1] : « . . . ومقدمة البوار الامن من عدو الدين ، وعدم المبالات بما يفعله في أرض المسلمين ، وترك التفطن اليه حتى يصير يأمر وينهى ، ويمتثل أمره في سواحل أهل الايمان والدين ، ولا يتفطن ويتنبه اليه حتى يتفاقم الواقع ، ويتسع الخرق على الراقع . . » .

وكما علمنا ـ سالفاً ـ فإن المنشور مطول ، وتحتفظ الخزانة العامة بمخطوطة منه ضمن مجموع يحمل رقم د 3353 ـ ص 57 — 81 .

وبعد هذا نقدم الموقف الثاني للمترجم من الدعوة إلى الجهاد ، وقد برز حين أخذ الزحف الاجنبي يهدد صحراء تافيلالت ، وهنا يندب الزعيم الصحراوي المسلمين الى القيام بالدفاع عن حوزة الوطن بما أمكن ، حيث فاجأهم العدو ، وصدع كثيراً من قبائلهم ، وأجلاهم عن أراضيهم[2] .

وفي عام 1305هـ/87/1888م . بعث بالرسل الى سائر الجهات المغربية يستنفرون الناس إلى الجهاد ، ويندبون قبائل الصحراء والمغرب الى جعل عامين هدنة بينهم ، حتى يكونوا أمة واحدة ، ويداً متحدة على من سواهم من المغيرين المعتدين ، فأجابوا الى ذلك ، واستعد أهل الجد منهم بما يحتاجون له من عدة وخيل وسلاح ، وأنست أنفسهم بالظفر والنجاح ، وهنا يعقب المصدر المهتم بالأمر[3] على هذه الاجراءات ، ويقول عن المترجم :

« . . . فلما رأى ـ رضي الله عنه ـ من الحزم أن يشارك مولانا السلطان بالرأي السديد ، أرسل له بعض أصحابه الملحوظين عنده بالتأييد ، بعد أن عول على الخروج

---

(1) ص 70 من المجموع .

(2) تقريظ الحبيب بن عمر بن الحسن على كتاب « تحفة الراغب » ، آتي الذكر وشيكاً .

(3) هو مؤلف كتاب « تحفة الراغب » ، آتي الذكر قريباً .

في فصل الربيع ، فأضاف السلطان الرسول نحو شهرين ، ولم يرجع من عنده الا بخف حنين ، والناس ـ من أهل الجد ـ يتحسسون الاخبار ، وينتظرون : البدار البدار ، والشيخ ـ رضي الله عنه ـ يأمرهم بالتأني وانتظار الفرج » .

2 ـ ومن أصداء هذا الموقف الجهادي ظهور شخصية ثانية في الميدان ، لتعزز هذه الدعوة بالمقال والتأليف ، وكان هذا هو أبو العباس أحمد بن الهاشمي (بن صالح) الغالبي الادريسي الحسني الفيلالي ، المتوفي ـ بها ـ عام ـ 1327هـ[1]/ 09-1910م ، من تلاميذ الشيخ محمد العربي المذكور قبله .

وقد كان موقف شيخه الجهادي ، هو الذي حفزه ـ عام 1305هـ ـ إلى تعزيزه بتأليف كتاب موضوعي سماه بثلاثة أسماء ، أولها : « تحفة الراغب في السعادة ، في الترغيب لطلب الشهادة ، وآداب الغزو وحكمه وفضل الشجاعة » .

وهو مرتب لاعلى : مقدمة من ستة فصول .

ـ وكتابين في كل منهما ثمانية عشر باباً .

ـ وأخيراً خاتمة تشتمل على ستة فصول .

يقع مجموع الكتاب في سفين : الأول به 280 ص ، والثاني به 465 ص ، مسطرة مختلفة ، حجم متوسط ، ووقع الفراغ من تأليفه صبيحة يوم الاثنين فاتح شوال ، عام 1305هـ .

وهو مذيل بتقريظين اثنين : الاول بامضاء الحبيب بن عمر بن الحسن ، بتاريخ 11 جمادى الثانية عام 1306 هـ ، والتانسي بامضاء ادريس بن سعيد الحسني ، بتاريخ 5 رمضان عام 1307 هـ .

وتوجد مخطوطته الاصلية في حوزة ولد المؤلف : الفقيه الفاضل السيد الحاج أحمد نزيل مكناس ، وبالخزانة العامة بالرباط مصورة منه على شريط يحمل رقم 475 .

---

(1) ترجمته في المعسول ج 16 ص 357 -360.

والآن : نذكر الثالث والأخير ، وهو الشريف المصطفى بن الحنفي الحسني العلوي المحمدي[1] ، وكان من مواقفه الجهادية الرسالة التالية :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

طابع مكتوب بداخله

لا اله الا الله محمد رسول الله

أحباؤ نا وخدام أسلافنا كافة قبيلة بني امكيلد : كل واحد باسمه ، نخص منهم كبراءهم وأعيانهم وأهل الحل والربط منهم ، والقائد حمو ، والقائد علي ، والقائد الحسين ، وفقكم الله وأعانكم ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فموجبه اعلامكم انه ورد علينا كتاب عند أهل تفلالت كافة ، مضمنة أن العدو دمره الله وشتت شمله ، جيش جيوشه ، وجمع عساكره وجنوده ، ونزل بها على بلد اتوات ، وحارب أهله وتقاتلوا معه قتالاً شديداً ، فصنع لهم مكيدة عظيمة كما هو دأبه وعادته ، فانهزم المسلمون ، وسبى منهم رجالاً ونساء عديدة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودخل على قصور وسعى فيهم فساداً عظيماً ، ولا زال القتال قائماً بينه وبين المسلمين ، وقد خرجت منه فرقة أخرى ونزلت بأكلي قرب وادي كير ذوي منيع .

وها أهله يستغيثون بالمسلمين ، وهم في كل يوم يبعثون الرسل يطلبون الاعانة من أهل تفلالت ونواحيها ، وعليه فنحبكم ـ أحبكم الله ورسوله ـ أن تقفوا على ساق الجد ، وتكونوا مشمرين للجهاد الذي أمرنا به مولانا في كتابه ، وتأهبوا للعدو الذي حرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتاله ، ولا تقصروا ، وكونوا عند الظن بكم ، واياكم والتراخ ، فإن عدو الله طمع ببلادنا ، ولتعلموا أنكم ان تأخرتم فقد تعرضتم لهلاك المسلمين ، ويخاف علينا وعليكم أن يحل بنا ما حل باخواننا أهل اتوات ، فالله الله في اخوتكم المسلمين ، فأغيثوهم فإنهم يستغيثون بكم ولا تهملوهم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا

(1) ورد ذكره في « الدرر البهية » ج 1 ص 280.

يحقره ولا يسلمه ، الحديث ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، وكيف لا وقد أمرنا الله تعالى بالجهاد في غير ما آية ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرضنا عليه في غير ما حديث ، وها أهل تفـلالت كلهم قائمـين (كذا) عـلى ساق الجد ، فيجب عليكم أن تحضروا معهم ، وقد حذرناكم وأنذرناكم ، وهذا ما وجب به اعلامكم ، وعلى المحبة والسلام ، من الشريف الضعيف : المصطفى ابن الحنفي الله وليه .

وها المسلمون اتفقوا على النهوض في الحادي عشـر من عاشـوراء ان شاء الله (1312) .

خزانة خاصة

23

توجيهات لاصلاح الحالة بالمغرب

ويتعلق الامر برسالة لعالم مغربي تتضمن أفكار اصلاحية ، ويحاول مؤلفها أن يستخدم هذه الافكار لانقاذ المغرب من الأزمة الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي كان يتخبط فيها خلال هذا الطور ، ومن سوء الحظ أن لا يتيسر الوقوف على نفس الرسالة ، وانما المعروف منها ـ لحد الآن ـ هو برنامجها الذي أثبته فقيد التاريخ المغربي محمد بن أحمد الكانوني العبدي ثم الاسفي في احدى مقيداته التي وقف عليها العلامة السلفي البحاثة محمد ابراهيم الكتاني أمين قسم المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط ، وهذا نص ما في المقيدة عن المؤلف والتأليف المذكورين :

- « أبو عثمان سعيد بن عبد الله الخليفي المحمدي الدكالي ، الفقيه المشارك ، النبيه ، الذكي ، السريع الحفظ ، السيال الذهن ، ولد بثغر الجديدة ، وجال بالمغرب ، ورحل للمشرق ، فمكث في رحلته نحو « 20 » سنة قرأ فيها العلم ، ورجع يتأبط علماً جماً ، ويتوقد ذكاء وفهماً . . .

وكان ـ رحمه الله ـ من نبغاء دهره ، وناهيك به من رجل رحل من بلده دكالة ، ودخل الجزائر ، واستوطن صحراء الزاب ، ودخل مصر وغيرها من الديار المشرقية ، واستفاد معلومات جمة ، ورأى نهضة أوروبا في علومها واستفاد منها ، ولما رأى خطرها محدقاً بالمغرب ، ورأى المولى الحسن يحيط به أصحاب علم الجدول والتنجيم ، كتب له تأليفاً في السياسة الرشيدة التي ينقذ بها المغرب ، سماه : « وردة الناشق ، وروضة العاشق » ثم سماه : « التحفة الدكالية ، الى الحضرة العلية » ، أوله :

الحمد لله الذي خلق الانسان وعلمه البيان ، وأمره بالعدل والاحسان . . رتبه على خمسة أبواب ، في كل باب ثلاثة فصول :

الباب الأول : في المغرب وأحواله ، ورجوع صحته بعد اعتلاله .

الفصل الأول منه : في « النقد » أي السكة وما وقع فيه من النقص .

الثاني : في ثغور البحور المغربية ، وما تحتاج اليه من الأمور الحربية .

الثالث : في العساكر والاجناد ، وما تحتاج اليه من مؤونة وزاد .

الباب الثاني : في الدين ومكانته ، وكيف دخل الوهن على أركانه .

الفصل الاول منه : فيما اعتادته النفوس ، من الترفه في المأكول والمشروب والملبوس .

الثاني : في الأمور الداعية ، الى تعطيل الحدود الشرعية .

الثالث : في الأمور الداعية الى الفجور ، الحاملة على الكذب وشهادة الزور .

الباب الثالث : في حال دول الروم واستفحالها ، واقتدائها بكتب الاسلام وانتحالها .

.الفصل الأول منه : فيما يستحسن من أمورهم الدنيوية ، وبيان الخصلة التي أصبحت قلوبهم بها متساوية .

الثاني : في خبر الجنس الجائر ، وما أدخل من المظالم والمكاره على عرب الجزائر .

الثالث : في الاسباب الداعية الى فساد الملك واختلاله ، المبشرة بانقضائه وزواله .

الباب الرابع : في خبر صاحب هذه الخطبة وترجمته وتاريخ ولادته ورحلته .

الفصل الاول منه : في نشأته يتيماً ومحنته ، واغترابه الى صحراء الزاب ورحلته .

الثاني : فيما له من المحفوظات التي لا يشك في حفظها ، ولا يتوقف في سردها .

الثالث : فيما له من الرسائل ، المشتملة على ضروب المدح والوسائل .

الباب الخامس : في خبر الامير المؤيد ، مولانا الحسن بن محمد .
الفصل الاول منه : في تاريخه ونسبه ، وحسن سيرته ومذهبه .
الفصل الثاني : في أحواله المرضية ، وشفقته على الرعية .
الثالث : في سيرته مع أجناس الروم ، وكيف قاومهم مقاومة الترياق للسموم .
وكان تأليفه له بمصر سنة 1304 ، وقدمه للسلطان مولاي الحسن ارشاداً له وتنبيهاً .

وقد اجتمع به العلامة ابن التهامي الوزاني الفاسي بدكالة ، وصادف ـ أيضاً ـ فقهاء دكالة مجتمعين عليه ، فلما اختبره ورأى فهمه وحفظه قال : « لو أن السلطان بنى له مدرسة بأبي ينور لاستغنى الناس به عن فاس ومصر » ، وناهيك بها شهادة من مثله .

توفي ـ رحمه الله ـ بأسفى في العشرة الاولى من القرن الرابع عشر الهجري » .

هذا كلام المؤرخ الكانوني عن هذه الشخصية ومؤلفها[1] ، واذا كان لي ما أعلق به على هذه الترجمة ، فهو الرغبة في أن تتظافر جهود الباحثين للعثور على هذا الكتاب القيم ، وأخيراً : أدى البحث إلى أن نسخة من هذا المؤلف توجد في خزانة العلامة المحقق الثبت ، سيدي عبد الكريم ابن الحسني الحسني ، ثم حال مرضه ـ شفاه الله ـ دون الوقوف على الكتاب .

---

(1) وقفت ـ بعد هذا ـ على هذه الترجمة ملحقة بهامش قطعة من كتاب « جواهر الكمال » للمؤرخ الكانوني ، وهي بخط مؤلفها ضمن خزانة المرحوم الاستاذ ادريس بن الماحي الادريسي القيطوني .

24 ظهـور الصحـافة العـربيـة

لم تظهر الصحافة العربية ـ في هذا الطور ـ على يد المغـاربة ، وانمـا كان يتـولى ادارتها أفراد من الجالية الغربية بالمغرب ، والجريدة الـوحيدة التي صـدرت ـ اذ ذاك ـ هي : « المغرب »[1] .

ويتناولها هذا البحث باعتبارها أول جريدة عربية صـدرت بالمغـرب المستقل ، وباعتبار أنها كانت تمهيداً لنشأة صحفيين مغاربة أسسوا جرائد مغربية ، كما هو الواقع فيما بعد هذا الطور .

فلهذين الاعتبارين يكـون من حق هذا البحث أن يقـدم عن جريـدة المغرب المعلومات التالية :

ان هذه الجريدة كانت تحمل ـ كما عرفنا ـ اسم « المغرب » ، وتعتبر نفسها اول جريدة عربية طبعت بمراكش ، كما تكتب هذا بجانب عنوانها ، وكانت تصدر بمدينـة طنجة مرة في الأسبوع .

ويرجع تاريخ صدور أول عدد منهـا إلى يوم الأربعـاء 14 رمضان عـام 1306 الموافق 15 مايو سنة 1889 ، وقـد ثبت في خاتمـة العدد الأول منهـا أسماء : عيسى ـ

---

(1) ورد ذكرها ضمن دراسة عن نشاط الصحافة بطنجة في القرن 19 وأوائل 20م ، مجلة « هيسبـريس » سنة 1954.

كلارجي ـ كسباني ـ كأصحاب لجريدة المغرب ، وفي عدد آخر منها كتب ـ في طليعة الجريدة ـ أسماء أصحابها هكذا : عيسى فرج ، وسليم كسباني ، وقد كانت هذه كلها أسماء مستعارة .

وكانت قيمة الاشتراك : في طنجة عن عام خمسين بليوناً ، وعن نصف عام ثلاثين بليوناً ، وفي الجهات الاخرى عن عام ستين بليوناً ، وعن نصف عام خمسة وثلاثين ، وثمن النسخة الواحدة بليون .

حجم العدد الاول من الجريدة : 405 × 257م م . وعدد صفحاتها أربعة ، في كل صفحة ثلاثة أعمدة ، وليس بها رسوم .

أما عن خطة الجريدة فإنها تعلن عن نفسها بأنها : اخبارية أدبية علمية ، وقد وضحت خطتها أثناء الافتتاحية المطولة للعدد الأول التي جاء فيها :

« وإذ كانت هذه البلاد مفتقرة الى جريدة عربية اللغة والمشرب ، لنشر الانباء الحقيقية ، والحقائق العلمية ، والاستنباطات المستحدثة الصناعية التي من شأنها ترقية منزلة البلاد ، بأن تثير في رؤوس أهلها نار الحمية العربية ، وتدب فيهم النخوة الوطنية ، وتنهض همم الرجال ، من حضيض الاهمال : الى التدرج في مراقي الكمال ، لكي يسعوا في اصلاح حالة بلادهم ، باذلين النفس والنفيس في درء المفاسد عنها ، وجلب المنافع اليها ، وكل ما يعود الى رفع رتبتها ، عاملين على مكانتهم في مجاراة بقية البلدان مضمار النجاح والقوة ، ومجال العلوم والصناعات ، وتوسيع دائرة التجارات ، حتى ينتصر فيها أناس ذوو غيرة وطنية ، يذبون عن مصالح بلادهم ، ويحومون عن حقوقها ، يدافعون عن الحق ولا يرهبون فيه لومة لأئم ، وتذكرهم أيضاً بما حازوا من قصب السباق في ميدان التقدم والرفعة فيما سلف من العصور ، وأحرزوا من المجد والشرف فيما كر من الايام ، وغبر من الأعوام . . . » .

ثم جاء في ختام هذه الافتتاحية :

« واننا قد اعتضدنا على بذل وسعنا في خدمة البلاد ، ونشر فوائد العلم ،

والله يعلم أن قصدنا بهذه الجريدة نصرة العلم وخدمة الانسانية على الاطلاق ، وجل غرضنا خدمة السلطان ، والذود عن حقوق جلالته ، والانتصار لمصلحته اذا اقتضت الحال ، ناشرين فيها ما يسر رأيه الكريم ، ويظهر حكمته الفائقة ، وسياسته القويمة ، ويعلن فضله العميم ، وخيره الجسيم ، على الرعية التي قد ملكه الله من أمرها ، حريصين على توسيع دائرة المعارف ، وامتداد نطاق العلم ، متجنبين كلما يخل في سياسة البلاد وخير العباد ، أو يرجع الى اختلاف الأهواء والمشارب ، بل مما يؤلف بين القلوب ، ويجمع بين الأفكار ، فان أحسنا فانا قصدنا الاحسان ، وان أخطأنا فالانسان موضع الخطأ والنسيان » .

وقد تممت هذه الجريدة الحديث عن خطتها في خاتمة مقالة أخرى من نفس العدد جاء فيها :

« أننا قد عزمنا على اصدار هذه الجريدة يوم الأربعاء في كل أسبوع ، متخذين لها ما هو أقرب تناولاً من الكلام ، وأدنى لتقرير المعاني في الافهام ، متنزهين عن جانب المبالغة والاطراء ، غير متصدين للعبارات الوعرة المسالك ، التي لا يدرك كنهها الا نفر قليل من الناس ، محاولين على بسط ما رق من الألفاظ ، في عبارات سهلة الأسلوب والمأخذ .

وقد اخترنا لها هذا النوع من الترتيب والتبويب ، مشتملة على المهم من أخبار السياسة ، والأنفع من مباحث العلم والأدب ، حتى اذا رأينا اقبال الناس عليها ، ورغبتهم فيها ، لا نلبث أن نزيد حجمها ، ونوسع دائرتها ، ونعمم فوائدها ونعظمها ، آملين أننا لا نحرم من اعانة ذوي الفضل من أهل الحلم والعدل ، راجين أنهم يتحفوننا بما يسنح لهم من الآراء السديدة ، ويقفون عليه من الأخبار المفيدة ، والحوادث التي تعود بالنفع العميم ، فان المغرب لا يعدم عدداً ليس بقليل من أولياء الأدب ، الذين يعزون التعاون على المصلحة العمومية .

فعلى كل من يرغب الاشتراك معنا في هذه الخطة ، ويروم الحصول على

شكل — 16

عدد ١

السنة الاولى



قيمة الاشتراك

في ... عن عام ... جوما وعن نصف عام ... في الجهات عن عام ... وعن نصف عام ... ثمن النسخة الواحدة ...

كل ... الادارة ...

يجب ان تكون خالصة الاجرة ... ادارة جريدة المغرب

لا ترد الرسائل الى اصحابها طبعت ولم تطبع

المغرب

الاعلانات

في الصفحة الاخيرة عن سطر ثلاثة ملايين للمشتركين ... وفي غيرها عن سطر اربعة ملايين وللمشتركين ثلاثة

الدفع ...

... من الادارة

اصحاب الجريدة

... فرج وسليم كساني

وهي اول جريدة عربية ... في مراكش

جريدة اخبارية ادبية علمية اسبوعية

طنجة يوم السبت ... في ذي الحجة سنة ١٣٠٦ الموافق ... اغسطس سنة ١٨٨٩

اسماء وكلائنا في الجهات

في فاس حضرة المعلم السيد ... وفي تطوان حضرة ... السلام ... وفي ... حضرة الماجد ... وفي الجديدة حضرة الماجد السيد الطيبي بن ...

حوادث

تنبيه

نعلم حضرات المشتركين في جريدتنا الكرام ... انا قد نبهنا في العدد الثاني ... ان كل من يقبل ذلك الجزء يحسب مشتركا الا ... لاصحابه فنرجو من كل من قبله ان يرسل ... قيمة اشتراكه التي تدفع سلفا كما هي عادة الجرائد وله مزيد الفضل اذ يلزم للقيام بالجرائد مصاريف كبيرة

لما كان حضرة وكيلنا قد رغب في الاعتزال ... وكالتنا ... اذ راينا انه لاحاجة لنا الى وكيل عمومي في ... فمن الآن وصاعدا ... جميع المكاتبات الى ادارة جريدة المغرب ... وهنا نشكر ... وكيلنا على ما ابداه من الغيرة ... في نشر الجريدة

وامر جلالة السلطان مولاي الحسن فرقة من الجنود عددها نحو ٤٠٠ ... لاصلاح الطريق ... فاس وتطوان ... لاصلاح ... طنجة لاصلاح طريق ... الحمراء الى ... ثم ... الى ...

وردت الينا هذه الرسالة من احد علماء ... الاعلام المنتقين الكرام فادرجناها لما راينا من وجوب الالتفات الى ما تستلفت النظر اليه

وهي الحمد لله وحده

ومما ينبغي التنبيه عليه والوقوف على ساق الجد لدبه بل من الواجب العيني حسم مادة منكر سقاية الماء في السوق الداخلي كما حسمها قبل الفقيه العلامة ... سيدي الطيب بن كيران دام عزه وقد عاد امرها كما كان اولا بل اكثر لان الصبيان والعجائز يأتون بقلالهم اطلب جرعة ماء لدفع ... فلا يمكنهم ذلك ... ... الدول ... الافتراء عليهم والكذب ... بسقي الماء وغيره واقامتهم على تلك الفظيعة يودي الى تعطيل الماء من المسجد فعلى الحاكمين في ... عن ذلك كما تدعوهم الواجبات

... ان الاهالي والحكومة يشعرون ... الى ... وحبها الى هذا الثغر المبارك ... المنازعة عليها ... حينئذ الظمآن و...

الشؤون ...

... ضعف ... الحالة ... في ... في مكان ... قلوب الجماعة ... العالي ... حسن السياسة ... من ... اليه قلوب الناس فساس احرارهم بمحض المودة والعامة بالرغبة والرهبة والاسافل بالمخافة وكان ذا شدة بغير عنف ولين من غير ضعف لا يميل الا الى الحق وان ... صاحبه ويمقت الظلم وان كثر طالبه مهما كان صنف الناس الذين يتولى امورهم ومن الذين يذكرون فيشكرون من هذا القبيل حضرة الحازم الضابط الباشا الاسعد السيد عبد الصادق عامل طنجة وما ينضم اليها فانه مع اختلاف الاجناس والطوائف وتزاحم الاقدام في عمالته وكثرة ... وعظم مشاكلها سالك مسلك السياسة في امور الرعية مراع جانب الاعتدال فيما يختص ... عاملا على البلاد اكثر من خمسة عشر عاما ولم يحدث ما يعكر كاس الراحة وما ذلك الا لغيرته على حفظ حقوق الخلق ومحافظته على صوالح البلاد والسلطان وخلوص طويته الوطنية

واذا كان العامل على ما ذكرناه فليس عليه من حرج اذا تكاسل الناس وافتقر هذا واثرى ذاك ما زال متبعا طريق العدل والانصاف

الصفحة الأولى من جريدة « المغرب » اول صحيفة عربية بطنجة .

هذه الجريدة ، أن يعرفنا كتابة باسمه وألقابه ومكانه ، حتى نرسل له الجريدة في حينها ، وأنا ـ وان كنا بادىء بدء ـ بعيدين عن درجة الكمال ، قاصرين عن ارضاء بعض العالمين ، فاننا نعرف من أنفسنا سلامة النية ، ونبالة القصد ، ونجهد جهد من يفوته بعض ما يروم الحصول عليه ، ولو كان مشروعنا هذا مما تبيض منه وجوه وتسود منه وجوه ، وما تسود منه الا وجوه الظالمين ، ولا يأباه الا ذو الطبع اللئيم .

ولئلا يتوهمن أحد أنا من ذوي الغايات والأغراض السياسية[1] آراء ذوي السياسة من أهل الحل والعقد ، غير متعرضين لبث ما يبدو لنا فيها ، مراعين جانب الاعتدال في كل الأحوال ، حذراً من أن نرمي بأسهم الشكوك والظنون ، ودفعاً للتمويه عن أفكار المريبين ، ولكنا في بعض الأحيان لا نرى مندوحة عن كشف الحقيقة واظهار الحق للعيان ، لا نخاف فيه لوماً ولا نخشى وعيداً .

وقد فتحنا باباً للاعلانات لتسهيل أمور التجارة والمعاملات ، لكي يجد كل من يروم من التجار والشركات أشهار محل تجارته وما يتعاطاه من الأصناف لجمهور الناس في الأقطار المغربية ، وسيلة تبلغه من نيل مأربه في وقت وجيز ، فعلى كل من يرغب في ذلك أن يخابرنا بشأنه ، وأنا مستعدون لادراج كل ما يصل الينا من أخبار جهات بلاد المغرب المختلفة ، بشرط أن تكون الرسالة الواردة الينا خالية عن كل ما يشوش الأذهان ، حسنة الخط ، مذيلة بامضاء كاتبها ، ومن قصد مراسلتنا فعليه بمخابرتنا كتابة وله الفضل ومزيد الشكر .

وأنا قادرون على طبع ما يطلب منا في اللغة العربية على أتم ما يكون من الضبط والاتقان ، بأسعار معتدلة ، ونسأل الله أن يدخلنا مدخل توفيق ، ويخرجنا مخرج توفيق ، والسلام » .

والى هنا تنتهي الفقرات الخاصة بخطة الجريدة ، والواردة في عددها الأول ،

---

(1) تعبير غامض .

وقد تعمدت أن أثبتها على طولها ، لنقرأ تلك الفقرات من ظواهرها وبواطنها ، ولنستشف من وراء ذلك خطة الجريدة ومقاصدها ، وأيضاً لنعرف طريقتها في الكتابة ، والأسلوب الصحفي بالمغرب المستقل اذ ذاك .

وبعد ، فان الذي وقفت عليه من هذه الجريدة عددان اثنان لا غير : العدد الأول الذي تكرر الحديث عنه في هذا الباب ، وهو محفوظ ضمن المجموعة القيمة للصحف العربية التي تنفرد بها مكتبة مؤرخ تطوان العلامة الجليل سيدي محمد داود حفظه الله ، أما العدد الثاني فهو محفوظ بمكتبة كاتب السطور ، ويحمل تاريخ السبت 4 ذي الحجة عام 1306 = 3 غشت 1889 وهو العدد « 11 » ، وما سوى هذين العددين لم أقف عليه .

25

صدى حرب تطوان في الأدب المغربي

تعددت مظاهر اليقظة في أدب هذا الطور ، وتقدمت أمثلة منها في ثنايا هذه الدراسة ، ونأتي هنا بقبس آخر مما يتصل بمأساة حرب تطوان ، وقد خلفت وراءها مجموعة لا بأس بها من أدب اليقظة المغربية ، وكنماذج من تلك المجموعة ، نقدم ـ أولاً ـ قطعتين من عبرات المغاربة على تطوان ، وصرخاتهم ضد الاسبان[1] :

الأولى : خطبة ألقيت ـ في احدى الجمع ـ من منبر جامع القرويين بفاس ، بعد الاعتداء على تطوان ، وهي من انشاء والقاء أبي محمد عبد الكبير ابن المجذوب الفهري الفاسي المتوفي عام 1295 = 1877 .

الثانية : قصيدة السيد مفضل بن محمد بن الهاشمي أفيلال التطواني المتوفي بها عام 1304 = 1886 .

فمن الخطبة الفاسية :

عباد الله : أخرج الامام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ،

---

(1) في « تاريخ تطوان » ، لمؤرخها الاستاذ الكبير محمد داود : نماذج أخرى من عبرات المغاربة على مأساة تطوان : ج 5 ص 238 — 244 ، مع ص 255 — 274 ، ووردت الاشارة لنفس النماذج في : « مختصر تاريخ تطوان » ـ ص 188 — 190 ، يضاف لذلك قصيدتان في نفس الموضوع من شعر أديبين من مكناس : محمد ابن محمد ابن فقيرة ، ومحمد التهامي بن المهدي المزوار ، ووردتا ـ معاً ـ بخط ناظميها ضمن كناشة : خ ، ع ، د 3736 .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء ، فعلى غربة الدين يا عباد الله فليبك دماً من كان باكياً ، وعلى ضعف أهله فليتمن المومن الموت لنفسه رائحاً وغادياً ، روى الامام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل على قبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه ، وفي رواية الديلمي عن أبي ذر : « لا تقوم الساعة حتى يرى الحي الميت على أعواده فيقول يا ليته كان مكان هذا » ، وفي أخرى يأتي على الناس زمان .

وقد أظل المومنين ذلك الزمان ، الذي أظلم جوه وليس اخبر كالعيان ، لا يأتي يوم الا والذي بعده شر ، ولا ساعة الا وما بعدها أدهى وأمر ، ونحن غافلون نعساً ، نعلل أنفسنا للخير بلعل وعسى ، كما كنا هذه مدة نعللها بأخبار الواردين ، وأن النصر والغلبة لحزب الله المجاهدين ، وأغفلنا ذلك عما نعلمه من أن الحروب سجال ، فتارة وآونة نذال ، وأن من ظن في الحروب أن لا يصاب ، فقد أخطأ وما أصاب ، الى أن دهينا بأمر يروع الأفئدة ويذهل العقول ، ويفني الحيل ويكل فيه المقول ، وقويت فينا أطماع الخبيث ، ومنه الينا يساق الحديث ، وشن علينا الغارة ، وأنشب فينا أظفاره ، وأعلق بنا أطماعه ، ومد الينا ذراعه وباعه، مع ما بنا من التغافل عنه والتهاون ، الى أن فاجأ بالمكر يتيمة عقد مدائن المغرب تطاون ، دار اسلام من لدن نشأتها ، على حسنها وبهجتها ، وما بها من العلم والدين ، وشعائره وعدة الجهاد وذخائره والفضلاء والصالحين ، وضعفة عباد الله المومنين ، باتت دار اسلام ودين ، فأصبحت مثوى كفرة متمردين ، كانت في مدائن الاسلام تاجاً واكليلاً ، فصارت مقر المردة يعبدون الأوثان ولا يهجعون الا قليلاً ، فما أعظمها من مصيبة طامة ، أصابت الخاصة من المومنين والعامة ، وما أفزعها من رزية ، فتت أكباد المومنين من البرية ، هل يأسف المومن على خصوص دينها واسلامها ، أو على ذلك مع ضعفة أهلها وذراريها وحريمها وأيتامها ، أنستنا مصيبة الجزائر وأعمالها ، وذهاب دينها وملكها ومالها ، ولم يقع منا بذلك اتعاظ واعتبار ، بل اتخذناه قصصاً

وخبراً من الأخبار ، حتى سرى شؤم ذلك الينا ، وطمحت نفس العدو الكافر للهجوم علينا ، كما قال بعضهم : إن من الناس من لو مات نصف أحدهم ما اتعظ النصف الآخر ، ولا أحسبني الا منهم . .

فانهضوا ـ رحمكم الله ـ لاعلاء كلمة الله سراعاً ، وكونوا لقتال أعداء الله أطول الناس باعاً ، وتداركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، وبادروا عليل الاسلام قبل أن يموت ، فها هو ينظر اليكم نظر السقيم الى الطبيب ، ويتشوف اليكم تشوف المحب للحبيب ، فاجعلوا ـ أعانكم الله ـ يد الاسلام واحدة على جهاد أعدائكم ، وخيبوا مطمعكم (كذا) الفاسد في نيل بلادكم ، ولا تقتصروا على نصر كنصر النساء بالبكاء والتحسر ، والتأوه والتشكي والتضجر ، عسى الله أن يهيىء للمسلمين فرجاً ، ويجعل لهم من أمرهم مخرجاً ، فان انتظار الفرج مع الصبر عبادة ، والتضرع بين يدي الله سبب يرحم الله به عباده . . »[1] .

وقال السيد مفضل أفيلال :

« يا دهر قل لي على مه	كسرت جمع السلامه
نصبته للدواهي	ولم تخف من ملامه
خفضت قدر مقام	للرفع كان علامه
ملكته لاعاد	ليست تساوي قلامه
فالدين يبكي بدمع	يحكيه صوب الغمامه
على مساجد أضحت	تباع فيها المدامه
كم من ضريح ولي	تلوح منه الكرامه
علق فيه رهيب	صليبه ولجامه
ومنزل لشريف	وعالم ذي استقامه
صار كنيفاً لعلج	ولم يراع احترامه

---

(1) يوجد النص الكامل لهذه الخطبة ضمن كناشة بمكتبة جامع هذه الدراسة .

وكم وكم من أمور ... للذين فيها اهتضامه
تبكي عليها عيون ... كآبة وندامه

تطوان ما كنت الا ... بين البلاد حمامه
أو كخطيب تردى ... من بعد لبس العمامه
بل كنت روضاً بهيجاً ... زهرك أبدى ابتسامه
أو كمحيا عروس ... علاه في الخد شامه

فقت بهاء وحسنا ... فاسا ومصر وشامه
رماك بالعين دهر ... ولا كزرقا اليمامه
ففرق الأهل حتى ... لم يبق الا ارتسامه
ما كان أحلى زمانا ... وما ألذ غرامه

مضى لنا مع بدور ... دوي نهي وفخامه
ما بين انشاد شعر ... وبين انشا مقامه
وشملنا في التئام ... والبسط يهوى التئامه
حن السرور اليه ... شوقاً ورام التثامه

ساعده السعد حتى ... نال المنى ومرامه
يا حسنها من ليال ... لو لم تصر كالمنامه
تطوان يا دار أنس ... وخيس أهل الزعامه
هل للوصال سبيل ... فالهجر أكمل عامه
والقلب ذاب اشتياقاً ... وحسرة واستهامه
والوجد أضعف جسماً ... وكاد يبري عظامه
يا هل تطوان صبرا ... فما لخطب ادامه
دوام حال محال ... وهل لظل اقامه
ان غاب نجم سعود ... ولاح نجم شآمه
فوسف يطلع بدر ... يمحو سناه ظلامه

فــاعــتــصــمــوا بــرجــاء	وارعــوا بــصــدق ذمــامــه
وحــســنــوا الــظن تــنــجــوا	دنــيــا ويــوم الــقــيــامــه
وفــوضــوا الأمــر لــلــه	يــكــف عــنــا انــتــقــامــه
مــا فــاز الا ذكــي	قــدم خــيــراً أمــامــه
حــيــث أقــامــه يــرضــى	ولــو بــقــصــر كــتــامــه
ولا يــزل ذا انــتــظار	فــي كــل وقــت خــتــامــه
يــراقــب الــلـه ســراً	وجــهــرة بــاســتــدامــه
يــطلب حــســن خــتــام	وحــل دار الــمــقــامــه[1]

ومن ذيول أدب مأساة تطوان ، هذه الرسالة التي كتبهـا أحد أعـلام سوس : يندب المومنين الى الـدفاع عن تخـوم القطر السـوسي ، بعدمـا يتوقـع أهلها غـارة اسبانية ، والرسالة من وضع عالم جزولـة : العربي بن ابـراهيم الأدوزي السملالي المتـوفي عـام 1289 هـ ، وهي مؤرخـة في 12 من ذي القعـدة عـام 1278 هـ ، ونصها :

« كـافة المسلمين ، المتـدينين بدين سيـد المرسلين ، عليـه أفضـلا صـلاة المصلين ، السلام ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد استغاث بكم اخوانكم من أهل « وادي نون » و « بني بعمرانة » ومن جاورهم في تلك الجهات ، من هجوم العدو الكافر عليهم ، وأرادوا أخذ بلدهم وغيره مما وصلوه من أرض المسلمين .

فأغيثوهم عاجلاً بلا توان ولا تراخ ولا اشتغال بأشغال، فالأمر أشد من ذلك ، ﴿فانفروا خفـافاً وثقـالاً وجاهـدوا بأمـوالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾، كـما قال الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم ﴾ ، ولا عهد ولا رأفة ولا حنانة .

---

(1) الاستقصا ج 4 ص 217 — 218 .

فاسمعوا وأطيعوا لأمر الله تعالى ، فلا يسعكم التكاسل والتهاون ، والأخذ بالقال والقيل ، واحذروا أقوال المطبثين ، ﴿ وان منكم لمن ليبطئن ﴾ قال : اذا استنفرتم فانفروا .

واعلموا أنه قد ورد علينا كتاب من الفقيه : سيدي محمد بن صالح البعمراني ، وكتاب آخر من سيدي الحسين بن هاشم ، في أن نأمر الناس بالنفير ، والتبريح في أسواقهم بتعجيل الخروج للجهاد . . .

فعلى من وقف عليه من هشتوكة وهوارة وهلالة وغيرهم : من خاصة المسلمين وعامتهم شدة الحزم ، وتعجيل المسير والنفير ، وقد قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ﴾ ، ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ ، ونسألكم الدعاء »[1] .

***

وبعد هذا فان مأساة تطوان ، أثارت ـ من جهة أخرى ـ مشاعر الأدب الشعبي في قصيدة زجلية باكية ، من نظم الحاج ادريس بن الحاج على السناني سابق الذكر ، وهي مطولة وتعرف بـ « التطاونية »[2] ، ونقدم نصها فيما يلي :

---

(1) الرسالة واردة عند مؤرخ سوس المرحوم محمد المختار السوسي ، في كتاب « المعسول » ، ج 17 ص — 227 228 ، ويعلق المؤلف عليها هكذا : « قد كانت رسائل لأبي علي الحسن بن أحمد التيمكيدشتي وغيره تفرق في الناس يوم هوجمت تطوان ، ذكرناها في محل آخر » .

(2) من املاء المرحوم الشيخ العربي الزهراني المكناسي ، المتوفي ـ بها ـ عام 1383هـ/ 1963م : من كناشته .

القسم الأول

نبدا باسم الجبار

واسم المولى ربحي مع اتجارا

أخيار ما يقول القايل . مفتاح كل قول أو تذكارو

وصلاة الله أجهار

والتسليم على بازع لمنارا

أصلا مشرفا مكمولا . وسلام ما ينتهي تكرارو

وعلى آل المختار

واصحابو من هزمو أهل ادسارا

اضراغم اضراغم من خربو . أبليمان للكفر أديارو

فبواديها وأمصار

صبروا للبرد وغايت لحرارا

باعوا نفوسهم للمولى . بنعيم جنت الخلد وسارو

كانوا بيزان احرار

يصطادو على لعداة فلقطارا

حتى وضحوا دين أمام . لنبيا وخبرو بسرارو

بفضلهم يا حضار

نسأل مول الملك واقتدارا

يهدي قلوبنا ويتبتنا . بليمان حتى ننصارو

اللازمة

« من دار نفديو التار

ويفدنا رب مع النصارا

نسعو النصر والفتح من الله بالمفضل وانصارو »

عروبي :

نسعاو الله فالنصر نعم الرحمان | والفتح الا يزول والظفر والتمكين
وجب نتوجه ونحتال ببيان | لقتال الكافرين ونسأل المعين
فلوفق مع ليمان وينصر السلطان | نعم المنصور سيدنا سبط الحسنين

الله يجود بالنصر لعلام الدين

القسم الثاني

يا ساهي خذ أخبار

وافهم تعبير القول ولشارا

نوصيك يا غفيل احتال . لأمر الجهاد والعدا جارو

مهما سكنو فديار

تطوان بلحيلت واشطارا

حازوا حوازها وامنازه . كيتانها وغلات اشجارو

ما تستهل لغيار

ما لحقتها من قومها ايغارا

وعد الكريم كيتصرف . ولا بيدينا ما نختارو

ويلا راد الستار

ايفجع عل لسلام ذلكدارا

يرحم ضعفنا ويعملنا . بالفراج فعسى نجبارو

وانغزر فلكفار

حتى يرضو الغلب بلجهارا

ويبدد الكريم شملهم . وسفونهم لهم يكسارو

تكمل لنا لوطار

ونلبسوا ثوب العز واتيارا

ويعود المغربي صايل . في كل فج عانى بخبارو

اللازمة

عــروبي :

كف ايكن لعمـال يـا نـاس الـديـوان الأمــر اشتـد لا غنــا يــالمسـلميـن
الغـرب بلا خفـا لبس كسوت لحـزان وضياق لجون كيف سارو عاد احـزين
وشهــاونــاد هــونــا على الحتــلان واعــدانــا بلجميــع لنــا محتــالـين
الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم الثالث

حارت لنا لفكار

من هاذ الأمر عقولنا احيارا

وحنا غافلين أولعدو . مشغول كيحصن فجدارو

بلجهد مع الكدار

وانوا يسقي لقلوبنا مرارا

والبعض غابطين فالدنيا . وهل ليمان بالغصا حارو

والبعض نسي ما صار

ما يعرف بين الروم أهل لكارا

مهبول كل من يتغر . أفهذا الزمان والكافر جارو

الرومي مثل النار

قالوا ناس التشبيه والعبارا

الى ما طفتها فساعا . تزيد هذا تحكارو

ليس بحالو غدار

طامع فمدون الغرب بتمارا

لهلا يوصلو ولا يوفي . ليه ظن هو وأنظارو

يا رب بالمختار

وأصحابو أهل لكرايم لبرار

ويحق من تزهد واخلص . لعمال لك ليلو وانهارو

شتت لعدو يدمار

واقطع دابرو يلتق مرارا

كيدو خرجو فنحرو . يا رافع السما واطف نارو

اللازمة

عــروبي :

يـا عيني بـدلي منـــامـك بـــالسهـران　　وابك عن غربت لسـلام بدمـع اهتين

مــا يستهـل غـــربنـا هـــذا الختـــلان　　أمـــع كثـــر لجنـــود والمـــال ولـبنـين

خلفنـــا قـــول بـــه أمـــرنـــا الـــديـــان　　واغبـــطنـــا فلهتـــوف عن أمـــر المبين

الله يجود بالنصر لعلام الدين

القسم الرابع

فحديث بن عمار

ايلي التهات الناس باتجارا

والغو لجهاد أغشاهم ذلن . اكثير ويعم اديارو

هذا لقول أفلسفار

مروى فلحلي حق بليمارا

نقل الشيخ أبو نعيم . موضح لحدايث فاسفارو

أياولي لبصار

اعتبرو أونظرو فذى العبارا

واتأملوا فهاد القول . اللي بان يا سيادي عتبارو

التهينا بالدينار

واغبطنا فالدنيا بخود وارا

وقوي الحسد والبغض . فهذا لجيل فاكبارو واصغارو

لا ناهي على المنكار

لا توقير الشياب اتمارا

وقليل من تصيب . فهذا الجيل ليس كياذي جارو

رب يشفي لضرار

ويفرج هم الغرب بلبشارا

سلطانا يشعشع نور . في من اعصاه يظهر عتبارو

اللازمة

عـروبي :

ميزت يا من تسـال بلعقـل أولـدهـان   فـالأمـر اللي عم فـالغـرب بتبيـين
وانصب الغـرب فيه يـا صـاح قـومـان   واقبـايـل قهـريـن شتـى معـلوميـن
بـالمال والخيـل والسناح اللي مـزيـان   اخـطانـا غيـر صبـر حق أو ليقيـن

الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم الخامس

فلغرب جنود اكثار

ما يرضاو التدمام أو لحزارا

فيهم أبطال . اللي لو صاب الجهاد يوقع لوسارو

فرسان ليوث أحرار

والرمات هل الصيد أولشارا

داب غربن يتعافا . ويفرج المهيمن تكضارو

لا يجعلنا فرار

بل يجعلنا كرار للغزارا

نمشو كف كان يمشو . الفايزين من كايذكارو

ونصيرو بالادكار

وكلام الخير اللي بلا قجارا

والدين والصلا والمحننا . تكن بها نشكارو

ونكونوا فالمقدار

قد واحد الا من اتوارا

فالحرب بازعم هذك . اشرفنا ايعل مقدارو

والمونا كل نهار

ما يقهر جوع انفس بختصارا

لجهاد ما يكون بغير التقويم . كيف جانا بشارو

اللازمة

عــروبي :

احـــديث فشـــرح النـــواوي بتضمـــان عـــن أبي ذر قـــال طـــه زيـــن الـــزين

لـيس يقـــوم لجـــهـــاد يلمـــت لخـــوان دون تقـــويم مـــع الصبـــر هـــذو بـــاثنـــين

أمثيـــل لســـاس للذي رايـــد بـنيـــان أش من بنيان دون يساس يكن احصين

الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم السادس

يا من رايد يحشار

في زمرة طه طيب لمزارا

احض ايمانك أو دينك . واصبر فازمان لمداق مرارو

الوقت قرب باجهار

والنجم اللي بديل بان شارا

هذو علايم الفرج . كيف انضرت صح لخبار فاجفارو

ما بقي لك توخار

عن تعليم التلحيق والعمارا

والرمي ما خفا . واحساب البارود كيف وجب عبارو

واجميع ما يذكار

ونحتالو لحروب انصارا

ويدير كل مسلم سكين . أوجج دلمكحل فدارو

اعتبروا يا لابرار

من غرناط وامدن فلقطارا

باتو اسلام صبحو كفار . جميع أو ندمو عن ما دارو

كيف مدينت لجدار

من قصتها نجلاتي اسهارا

بقعا ونعم بقعا . شيد فيها الشرك بنيان اسوارو

اللازمة

عـروبي :

أيـا حمـات ديننـا لعنـو الشيـطان   هـذ الغفـلا على عـداكم حتى لين

مـا تتفكـرو نهـار دخـل لـتـطوان   وخـرج منهـا الكـافـر لمسلمـين

وابقت النـاس حـايـرا بين الـطرقـان   وهـل ليمـان كتقـول بصـوت حنين

الله ايجود بالنصر لعلام الدين

القسم السابع

خرج فالليل ابكار

والصبيان ونسوان بلجهارا

فالباب كينوحو على المدينا . أو كل جار أفرق جارو

كم من شياب أكبار

واعكايز صاروا فلخلا حيارى

واشحال من المرضى يبك . عنها شفيق بدموع أبصارو

يا حسرا عن اديار

واجوامع بادوا بعد العمارا

وامسايد للقراي بالواح . مسطرين جاحوا واهجارو

هذا حكم القهار

من نسعوه لعفو مع الطهارا

ينصر ديننا على ملة العدا . بجاه طه مختارو

بيا بكر وعمار

وعثمان وعلي أو بلبكارا

وبحق أمهم الزهر. وأزواج لمفضل واصهارو

قال الناظم لشعار

عربي من هل لجحاف لخيارا

ادريس بن علي حج لبت . أوشف قبر لحبيب وزارو

انمجد خاتم لبرار

من جا لنا مبعوث بلبشارا

أعليه أصلي ما لمعت لرماح . أو لخيول أو ما غارو

وما جاهد غزار

أو قتل لكشط اخنازرا نصارا

أو ما دع أديب اللجهاد . أو قال بلفصاح فاشعارو

اللازمة

مدر نفديو الثار

ويفادينا ربي مع النصارا

نسعو النصر والفتح . من الله بلمفضل وانصارو

26 طلائع المعارضة الشعبية

ويتعلق الامر بموقف المغرب ـ على مختلف المستويات الشعبية ـ من ضريبة المكس ، وكان الذي نظم هذه الجباية في المغرب العلوي هو السلطان محمد الثالث ، ويشرح مؤرخ معاصر[1] أبعاد هذه الضريبة ضمن أحداث عام 1176هـ حسب الفقرة التالية :

« وفي هذه السنة ترتب على فاس من الامكاس نحو ألف مثقال عن كل شهر ، ووظف ذلك على الموازين والاسواق وأبواب المدينة ، وكان ـ قبل ذلك ـ على القشينة والجلد والكبريت فقط ، ثم صار عاماً في كل شيء ، حتى ان أهل الوزيعة بسوق الخميس جعل عليهم المكس » .

ويعلق نفس المؤلف على هذا الحدث ويقول : « وضاق الامر بالناس غاية الغاية ، والحول والقوة بالله » .

وفي صفوف العلماء : يحافظ التاريخ على اسمين ممن أعلنوا بالمعارضة لهذا النظام الجبائي الجديد ، وكان أولهما : هو محمد بن الحسن الجنوي التطواني[2] ، والثاني :

---

(1) « تقاييد تاريخية » ، لأحمد بن محمد ابن ابراهيم المشترائي الفاسي ، مخطوطة الاستاذ المرحوم ادريس بن الماحي الادريسي القيطوني ، بواسطة الاستاذ عبد القادر زمامة الباحث المعروف .

(2) « نزهة الاخوان ، في أخبار تطوان » ، لعبد السلام سكيرج التطواني ، مخطوطة المكتبة الداودية بتطوان ـ ص 56 .

محمد التاودي ابن سودة المري الفاسي[1] .

وعند مبايعة السلطان العلوي : المولى سليمان ، كان الغاء هذه المكوس من بين الشروط التي انعقدت عليها ولايته ، وهذا ما يسجله الجبرتي[2] : المؤرخ المصري المعاصر ، بمناسبة ترجمة محمد التاودي ابن سودة ، وهو يقول في هذا الصدد :

« ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده ، اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم ، فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمر ، بشرط السير على الخلافة الشرعية ، والسنن المحمدية ، وبايعه الكافة بعده على ذلك ، وعلى نصرة الدين ، وترك البدع والمظالم ، والمكوس والمحارم ، وكان كذلك » .

* * *

والآن : نصل إلى الفترة التي ندرسها ، حيث كان علماء المغرب لا يزالون يستنكرون استمرار هذه الجبايات المكسية ، ونقدم النموذج الاول من فاس ، ومن خلال مواقف أحد أعلامها الكبار : محمد بن المدني كنون ، المتوفي عام 1302هـ ، وقد جاء في ترجمته[3] :

« . . . وكان يقول في الملوك عند تعرض الكلام عليهم في قراءة ميراث بيت المال ، وأخذ الزكاة وتفرقتها ، والاستعداد لفريضة الجهاد ، وتحريم المكوس ، ونحو ذلك من تغيير السنن والفرائض ، ما هو معلوم في محله من أقوال الائمة ، من غير شعور بأحد . . » .

---

(1) « السعادة الابدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية » ـ ج 1 ص 94 ، أثناء ترجمة الحكيم عبد الله بن عزوز . . .

(2) « عجائب الآثار . . » ، الطبعة المصرية الاولى ـ ج 2 ص 244 .

(3) « الدرر المكنون ، في التعريف بشيخنا سيدي محمد كنون » ، تأليف محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ، ط . ف ـ ص 25 .

وفي الرباط : فإن شيخ علمائها أبا إسحاق ابراهيم التادلي المتكرر الذكر ، كان يجاهر بالتنديد بالمكوس ، ويبعث للسلطان الحسن الأول ـ بواسطة المتصلين به ـ بالنكير ضد هذه الضريبة ، وله ـ في هذا الصدد ـ كلام طويل[1] نقتطف منه ما يلي :

« . . . وفي ليلة 27 رمضان عام 1302 ، طلب مني السلطان : مولاي الحسن نصره الله وأصلحه ، أن أحضر معهم بمسجده بـالربـاط ـ على العـادة عنده في تلك الليلة ـ بواسطة قاضي الرباط حينه : السيد أحمد ملين ، فامتنعت ، واعتذرت له بأني غير صحيح ، ونويت أني غير صحيح مما يفعلونه من المظالم : **كالمكوس** . . » .

وبعد هذا يقول عن الحاجب : أحمد بن موسى :

« . . . وقد كان السيد أحمد المذكور ـ قبل ذلك ـ طلب الاذن في زيارتنا ، فأذنا لـه . . . فلما أراد الانصراف وضـع ـ بيدي ـ ضبلونـين ذهباً ، فقلت لـه : زيارتكم عندنا ، أن ترغبوا سيدنا ـ نصره الله ـ حتى يعطف الله قلبه **لزوال المكس** . . » .

ويتابع نفس العالم حديثه في هذا الموضوع حسب الفقرة التالية :

« وقد كنت ـ قبل تاريخ رمضان 1302 المذكور بنحو ست سنين ، لما زارنا بدارنا السيد محمد بركاش ـ أغلظت لـه القول في المكس ، وقلت لـه : **المكس حرام** نحـو مرتين او ثلاث بحال عظيم ، حتى هم بالخروج من حينه ، ثم أعقبته بكلام لين حين تذكرت قوله تعالى : ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى ﴾ ، وذلك بمحضر ولده : الحاج محمد ، فأثر ذلك فيهما .

ثم ـ بعد نحو سنة ـ أراد ولده المذكور السفر من الربـاط لفاس عنـد السلطان المذكور وفقه الله ، فأكدت ـ عليه مراراً ـ في أن يكلم السلطان في **ازالة المكـوس** إن

---

(1) في مقيدة له في نفس الموضوع ، وقد وردت ـ بنصها ـ عند محمد بوجندار في كتابه : « الاغتباط » ، حسب مخطوط الخزانة العامة المتكرر الذكر ـ ج 2 ص 18 — 20 .

تلاقي معه ، ولا يقصر في ذلك ، فامتثل وقال له : الى متى تسود صحيفتك بأخذ المكوس وتعطيها للناس يأكلونها . . » .

* * *

وعلى المستوى الشعبي جاءت مبايعة السلطان الحسن الاول فرصة مواتية ، وقد اثيرت قضية المكس بفاس من طرف الحاضرين ـ لهذه المناسبة ـ من الشعبيين ، وبالخصوص فريق الدباغين ، وطالبوا أن تنعقد البيعة على أساس الغاء المكس عنهم ، قال في « الاستقصا »[1] : « فيقال : ان بعض من أراد جمع الكلمة من العلماء والاعيان ، تكفل لهم بذلك عن السلطان » .

وسيبرز نفس المصدر[2] ـ بعد هذا ـ من بين هؤلاء : اسم العالم الغيور : المولى عبد الملك «الضرير » بن محمد العلوي المدغري ثم الفاسي[3] .

وقد بدأ الوضع يتأزم بعدما تمت البيعة ، فتبين للمعنيين بالأمر أن مطلبهم صار مرفوضاً ، حيث استمر المشرف على الامكاس بفاس في متابعة الترتيبات الجبائية ، وكان رد الفعل قيام ثورة شعبية ضد الامين الحاج محمد بن المدني بنيس عام 1290هـ/1873م ، وهو الذي كان يشرف على هذه الجباية ، وبعدما هدأت الثورة نصب أمين جديد ، واستقر الجباة بمراكزهم من نفس المدينة .

وأثار هذا التصرف الجديد استياء الدباغين ، حيث قصدوا المولى عبد الملك الضرير ، وحملوه مسؤولية التزامه باسقاط المكس ، واقترحوا للخروج من المأزق : اما الغاء المكس ، أو ابعاد بنيس حتى لا تدول له دولة عليهم .

---

(1) ج 4 ص 235 ، وقد تتبع نفس المصدر سير هذه الاحداث التي نعرضها ـ ج 4 ص 235 – 237 ، مع ص 239 — 240 .

(2) ج 4 ص 239 .

(3) ترجمته في « معجم الشيوخ » المتكرر الذكر ـ ج 2 ص 96 — 97 .

وبهذه المناسبة قام نفس الفقيه بزيارة السلطان الحسن الاول ، وكان آنذاك بفاس ، وقرر له تذمر الدباغين ومطلبهم ، فأعرض السلطان عن ذلك وقابل بالجميل ، وهنا صارحه المولى عبد الملك الضرير ، وقال ان لم يتحقق شيء مما ذكرت ، فإن الاولى بي أن أنتقل إلى تافيلالت ، ولا أستمر بين أظهر هؤلاء ، فأسعفه السلطان وهيأ له وسائل انتقاله .

ولما علم الدباغون نتيجة المقابلة ، حالوا دون رحيل الفقيه ، وعمدوا الى الحمارين فطردوهم ، وهكذا : تدهورت الحالة مرة أخرى ، وأفضى الموقف الى نشوب ثورة جديدة عام 1291هـ/1874م ، وتطورت المأساة الى صدام مسلح بين الدباغين والقصر .

ولسنا هنا بصدد تقديم تفاصيل عن سير هذه الثورة والتي سبقتها[1] ، وانما يهمنا من هذا العرض المقتضب ، أن تسجل الموقعتان أول ثورة عمالية يشهدها المغرب الحديث .

ومما يزيد في أهمية هذا الموقف ، أن السلطان الحسن الاول أخذ بعين الاعتبار مطلب الدباغين ومعهم العلماء ، واستجاب جزئياً ولو بعد حين ، وألغى المكوس الموظفة على سائر الابواب والقرى المغربية كلها ، وقد أثبتت في « الاستقصاء »[2] نص الامر الصادر في ذلك إلى عامل سلا ، ويحمل تاريخ 2 ربيع الأول ، عام 1303هـ ، « 1885 » م .

ومن الجدير بالملاحظة : أن طبقة العلماء لم يقتنعوا بهذا الالغاء الجزئي للمكس ، ولهذا يعلق أبو إسحاق التادلي على الأمر السلطاني في هذا الصدد بقوله :

---

(1) من بين المصادر التي فصلت أحداث الثورتين : نذكر ـ بعد الاستقصا ـ « اتحاف أعلام الناس » ، ج 2 ص 134-143 ، مع ص 152-153 ، غير أن الذي استوعب تفاصيل هذه الأحداث هو أحمد ابن الحاج في « الدر المنتخب المستحسن . . . » .

(2) ج 4 ص 264 .

« . . . تمم الله نعمته علينا بزوال باقي المكوس عن قريب . . »[1] .

كما أن مؤلف « الاستقصا » يعقب ـ بدوره ـ على نفس الأمر السلطاني هكذا :
« . . . نطلب الله تعالى أن يتمم نعمته على المسلمين بتسريح ما بقي موظفاً من مبيعات الاسواق ، ويريح الناس من شؤمه ، فإنه لا شيء أشأم من هذه المكوس على الدول ، نسأل الله « العافية »[2] .

وأستدرك هنا لاذكر أني وقفت ـ أخيراً ـ على ثلاثة أسماء جديدة كان أصحابها ـ بدورهم ـ وراء ثورة فاس ، وهم ـ حسب السباعي[3] ـ العلماء : احمد بن الطالب ابن سودة المري ، وعبد الله بن ادريس البدراوي الحسني ، وعبد الواحد ابن المواز السليماني الحسني ، وقد صار ثلاثتهم يحرضون عامل فاس : ادريس بن عبد القادر السراج ، ويفتونه لصالح مساندة الثورة .

---

(1) وردت هذه الفقرة الصغيرة : ضمن مقيدة أبي إسحاق التادلي المشار لها ، وشيكا ، وبالضبط في : ج 2 ص 19 من مخطوط « الاغتباط » .
(2) « الاستقصاء » ، ج 4 ص 264 .
(3) « البستان الجامع . . » : المخطوط المتكرر الذكر .

كلمة ختامية

إلى هنا ينتهي عرض ما طالت اليه اليد من معطيات الانبعاث المغربي انطلاقاً من سنة 1830 حتى نهاية القرن التاسع عشر م ، ومن الواضح أن ما يقدمه هذا الجزء الاول لا يعد وبعض الجوانب من ملامح الانبعاثة المغربية الاولى ، اعتباراً بما تمليه مجموعة من العوامل :

فإن عدداً من المؤلفات الموضوعية لم يتأت الوقوف عليها ، واكتفت هذه الدراسة بالاشارة لها ، ومن المؤكد أن هناك أوضاعاً اخرى في نفس الاتجاه لا تزال مجهولة ، وقد تكتشف من بعد .

وبخصوص اعضاء البعثات المغربية : رأينا في ثنايا الكتاب أن بعضهم خلف مؤلفات أو شبه مذكرات أو ابتكارات ، كما هو واقع :

الحسين الزعري : ص 178-188 .
ومحمد بن المفضل ابن كيران : ص 215-217 .
وعبد السلام العلمي : ص 237-244 .
ومحمد ابن الكعاب : ص 244-246 .
والزبير سكيرج : ص 246-247 .
والطاهر الاودي : ص 247-248 .
وأحمد شهبون : ص 251-252 .

ومن المتوقع أن يكون زملاؤهم الآخرون أو بعضهم على الأقل ، خلفوا ـ بدورهم ـ آثاراً لم نطلع عليها .

وبالنسبة الى الوثائق التي تهتم بهذه الفترة ، يلاحظ أن مجموعات منها تحتفظ بها جهات خاصة من أسر الذين كانوا يقومون بمهمات رسمية خلال نفس الحقبة ، وفي أكثر الحالات لا يتيسر الاطلاع على هذه المستندات .

أما الوثائق الاخرى التي تحتفظ بها المؤسسات العامة ، فإن كثيراً منها لا يزال بحاجة الى تنظيمها لتسهل الاستفادة منها على الوجه المطلوب .

ومن جهة أخرى : فإن مستندات خارجيات الدول التي اتجهت لها البعثات المغربية ، ستضم ـ هي الأخرى ـ معلومات جديدة في هذا الصدد ، وهو موضوع لا يزال بحاجة الى دراسة كاشفة .

هذا بالاضافة إلى ما سينشره كتاب البلاد المشار لها عن تلك البعثات ، ولحد الآن لا يعرف من ذلك الا اقل القليل .

فلهذه الاعتبارات وسواها ، سيكون المجال لا يزال فسيحاً لتوسيع دراسة معطيات هذه الانبعاثة وتعميقها .

* * *

وبعد هذا : أود أن أتساءل عن الاسباب التي أدت الى فشل هذه المحاولات الاصلاحية، وقد كان في طليعتها حركة البعثات التي اتجهت للدراسة في أوروبا بالخصوص ، وكان من المتوقع أن أعضاء هذه الارساليات ، يقومون ـ بعد عودتهم للمغرب ـ بنشاط على نطاق واسع ، ويضطلعون بمسؤوليات رئيسية ، أو يؤسسون طليعة حركة سياسية .

وسنتخذ من مصير هذه البعثات نموذجاً للظروف التي قضت عليها نفسها ، وعلى المحاولات الاصلاحية الاخرى ، وقد كان من بين الاسباب التي أدت بهذه

النخبة الى مصيرها المؤسف ، أن مشروع البعثات لم يكن يخضع الى تصميم ثابت ، وهذا ما يشير اليه الناصري[1] بمناسبة ذكر الطلبة الذين وجههم السلطان الحسن الاول الى أوروبا ، وهو يقول تعليقاً على هذه البارقة :

« . . الا ان ذلك لم يظهر له كبير فائدة ، اذ كان ذلك يحتاج إلى تقديم مقدمات ، وتمهيد اصول ، ينبني الخوض في تلك العلوم والعمل بها عليها » .

يضاف لهذا : أن حاشية نفس السلطان كانت لا تنظر بعين الارتياح الى حركة البعثات ، وهذا ما يسجله أحد طلبتها وهو الطاهر ابن الحاج الاودي ، فقد نصح الحكومة المغربية بالاستعداد لمواجهة التدخل الاجنبي ، ولكن الوزراء والكتاب رموه بالالحاد[2] .

ومرة أخرى قالوا للسلطان الحسن الاول : ان اعضاء البعثات بعدما اقاموا بأوروبا سنين ، عادوا منها جهالاً متنصرين[3] .

ومن هذا الموقف ـ على المستوى العالي ـ نتبين أحد الاسباب الرئيسية لركود المحاولات الاصلاحية بعد وفاة الحسن الاول ، حيث وقفت ـ بالمرة ـ مسيرة البعثات الى الخارج ، وفترت حركة المنشآت الدفاعية والاقتصادية ، ويشرح محمد السائح[4] ابعاد هذه الظاهرة في فقرة مطولة هكذا .

« . . ولما مات المولى الحسن وخلفه ابنه المولى عبد العزيز على العرش ، قام بتدبير الملك حاجبه با احمد وذلك لصغر الملك ، وهذا الحاجب سياسي محنك ، ولكن في خصوص سياسة البلاد التي درسها ـ من قديم ـ على عتبة القصر ، أما المدينة الجديدة والتطور العصري فلم يكن نضج في فكره .

---

(1) « زهر الافنان » ج 2 ص 304 .

(2) « الاستبصار » : المخطوط المتكرر الذكر ـ ص 38 .

(3) « نفس المصدر » ص 96 .

(4) مجلة « دعوة الحق » : العدد الثاني، السنة الثالثة ـ ص 31 .

ولما ورد عليه بعض المتعلمين من تلك البعثات ـ وقد أتموا دروسهم ـ لم يجعل لهم قيمة ، ولم يقدر لهم قدراً ، وألقاهم في زوايا الاهمال ، فضاعت معارفهم ، وخسرت صفقة المغرب .

وقد عرفت (يقول نفس المصدر) كثيراً منهم يستعين على معاشه ببعض الحرف ، ولله الأمر من قبل ومن بعد » .

وسبب رابع لفشل هذه المحاولة التعليمية ، ويلوح له كل من الناصري والسائح ، حيث لم يقع اعداد شعبي لتقبل حركة البعثات ، وهكذا يترجم محمد السائح[1] هذه الحقيقة ضمن المامته بالاصلاحات الحسنية ، وهو يقدمها حسب الصياغة التالية :

« . . لان الشعب المغربي ! اذ ذاك ـ لم يدرك ما كان يدركه سلطانه ، وما كان الناس يبعثون أولادهم لاوروبا عن رغبة » .

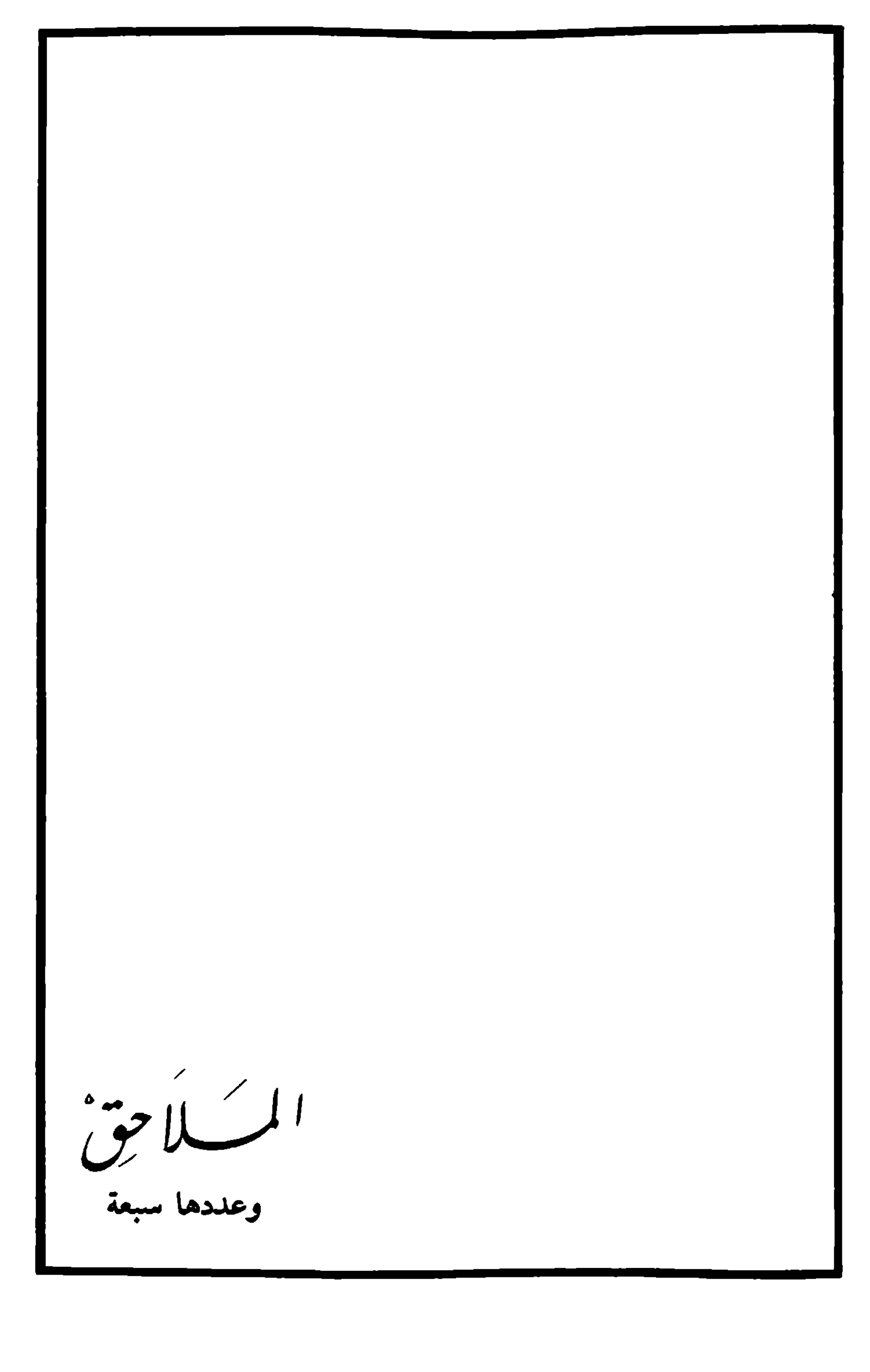
وأخيراً : لا ننسى واقع المغرب ـ في هذا الظرف بالذات ـ أمام التدخل الاجنبي ، وقد كان له آثار بعيدة في شل المحاولات التقدمية أياً كان نوعها ، ثم كان خاتمة المطاف وضع المغرب تحت الحماية ، ليتبخر ـ في ظلها ـ ما تبقى من معالم الاصلاحات المغربية الأولى .

* * *

وبعد : فأرجو أن أكون قد بذلت جهدي ـ ولو الى حد ـ في الكشف عن آفاق يقظة المغرب في تجربته الاصلاحية الاولى ، والله ـ وحده ـ ولي التوفيق .

---

(1) المصدر الاخير : في نفس العدد والصفحة .



المَلاحِقْ

وعددها سبعة

ملحق أول

وهو تابع لباب : « تشريع لموظفي الديوانات » رقم 9 ، ويتصل بالصفحة 122 بعد السطر 16 ، حيث يتعلق الأمر بقانون تنظيمي يرجع الى عهد السلطان محمد الرابع ، وهو يشتمل على 28 فصلاً ، ويتناول الأنظمة التي يتبعها أمناء المراسي في تسيير مهامهم ، وهذا نصه على بتر فيه يبتدىء خلال الفصل 18 :

« الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله ، والدعاء بالنصر والتمكين ، والظفر والفتح المبين ، لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين .

وبعد : فهذا تقييد يشتمل ـ بحول الله ـ على كيفية خدمة أمناء المراسي مرتباً على ثمانية وعشرين فصلاً :

الفصل الأول

تكون للديوانة مفاتيح بعدد الامناء ، ولا تفتح الا بمحضر الكل والعدول ، وان وقع عذر لأحد الامناء أو العدول يقيم من ينوب عنه فيما كلف به ، ويطلع العلم الشريف ـ أسماه الله ـ بذلك .

والعدول حسبهم التقييد ومعاينة الداخل والخارج والصائر ، والاطلاع على المكاتب الشريفة والاجوبة عنها ، وغير ذلك مما يرجع لضبط الكنانيش .

وفتح الديوانة يكون في الساعة الثامنة من النهار ، وسدها يكون في الساعة الثالثة بعد الزوال ، ون لم يكن لهم شغل بالديوانة فيجعلون الجلوس بها شغلاً لعمارة محل المخزن ، اللهم ان كان يوم عيد او وقت صلاة جمعة .

الفصل الثاني

عند دخول الامناء للخدمة بالمرسى ، يحوزون من الامناء قبلهم ما بقي بالخزين هناك : ما كان منه لجانب المخزن يكون بتقييد خاص : ما هو بالعد فليعد ، وما هو بالوزن فليوزن ، وما هو من السلعة لجانب التجار يكون له تقييد خاص :

يبين فيه عدد القطع ، واسمها ، وماركتها ، ونمرها ، ومع أي بابور وردت ، لتكون على عمل المانفيسط[1] ، ويكون هذا أول العمل عندهم ، وبه تبرأ ذمة من قبلهم ، ثم يوجهون نسخة ما حازوه من أمور المخزن الى الحضرة الشريفة بشهادة عدول المرسى بذلك ، بعد اثبات جميع المحوز في آخر كناش الامناء قبلهم الوافدين به على الأعتاب الشريفة .

الفصل الثالث

بمجرد وصول البابور أو المركب وملاقاة رئيس المرسى معه أو خليفته لا تنزل منه سلعة حتى يحاز منها المانفيسط ، طبق ما هو منعقد بين الجانب الشريف وبين الاجناس ، حسبما هو مقرر في الشرط التاسع والعشرين من شروط النجليز ، وفي الرابع والثلاثين من شروط الصبنيول ، وكذا مانفيسط السلعة الموسوقة يحاز بعد تمام وسقها .

والامناء يقيمون من ينوب عنهم ساعة نزول السلعة من البحر او وسقها ، وهذا النائب يكون يقيد كلاً من الموضوع والموسوق : بالماركة ، والنمرة ، واسم القطعة ، ثم

---

(1) Manifiesta تعبير اسباني عن التصريح المكتوب .

يقيد على ظهر القطع الموضوعة ـ بفور نزولها ـ اسم البابور أو المركب الواردة معه ، وتاريخ وروده ، لتعرف كل قطعة عند التعشير مع أي بابور وردت .

وهذا الفصل تعلق به تفقد أحوال القوارب والمقاديف وما تقوم به الخدمة ، بحيث اذا وقع تعطيل في شيء من ذلك يكون دركه على الامناء .

الفصل الرابع

ويعد تمام نزول السلعة من البابور او المركب يحوز الامناء من رئيس المرسى تقييداً باسم البابور أو المركب ، وجنسه ، وتاريخ وروده ، وما وجب في مخطافه على حسب جرمه ، وهل ورد خاصاً بأحد التجار هناك أو لجملتهم ؟ وكم حمل من الأوطان[1] الى تلك المرسى ؟ وعدد ما أنزله بها من القطع مفصلة باسمها : من فرود[2] وصناديق وبراميل وغير ذلك .

وكذا يكون العمل في الوسق ، يحوزون ـ أيضاً ـ من رئيس المرسى تقييداً بعدد الموسوق صحبة البابور او المركب : من خناشي الحبوب أو البراميل أو غير ذلك على نهج ما ذكر ، بعد تعليم رئيس المرسى بخط يده على ذلك كله ، ويبقى هذا التقييد تحت يد الأمناء ، حتى يدفعونه « كذا » بالحضرة الشريفة مع الكناش بعد انفصالهم عن الخدمة الشريفة .

الفصل الخامس

يكون لخزين المرسى واقف خاص ، ويتخذ كناشاً يقيد فيه جميع الداخل للخزين من السلع بالماركة والنمر ، ولا يخرج لاحد من التجار سلعة حتى يأتيه بالتقييد المسمى عندهم بالبليسة ، ويتحقق عنده وعند الامناء أن السلعة المقيدة بتلك البليسة هي لمن أتى بها ، أو مسلمة له من قبل صاحبها ، لأنه كثيراً ما يأتي بعض التجار ببليسة

(1) تصحيف عن الاطنان .

(2) قطع من السلعة على حدة .

غيره زاعماً أنها له ، وبعد اخراج التاجر ماله من السلعة بالخزين ، يضع ختمه أو خط يده على البليسة بأنه حاز جميع ما فيها أو بعضه ، ثم يسلمها للواقف على الخزين بعد أن يتوصل بجميع ما فيها من السلع ، فتبقى محفوظة بيد صاحب الخزين الى وقت الحاجة اليها .

الفصل السادس

عند فتح السلعة بقصد التعشير ، يكون الامناء من عد ما بداخل الفرود على بال ، لما يرتكبه بعض التجار من اخفائه سباني الحرير ونحوها في داخل أنصاص الملف ، ومن جعل شقتين طي شقة واحدة ، وما يقيدونه على أنصاص الملف وغيره من عدد اليرضات أو المتر ناقصاً عما هو فيها .

وينبغي رد البال لاثمان السلع المعشرات ، ليقع التعشير على حسب ما تساويه في الوقت ، والعمل في تعشير الملف والتوبيت ونحوهما يكون باليرضات أو المتر ، ولا يرد عند التعشير الى حساب القالة ، حذراً مما يقع في ذلك من التهور .

وما يعشر بالوزن ـ موضوعاً كان أو موسوقاً ـ يكون دخوله كله أو جله للميزان ، ولا يكتفى بوزن أقله ، ويجب رد البال للميزان لما يقع فيه من تساهل الواقف عليه ، مع أن جل القطع الواردة من بر النصارى يكون وزنها مقيداً عليها ، ولا يعشر الامناء من سلع السوق الا ما هو حاضر منها بين أيديهم ، ولا يقيسون وزن ما حضر منها على ما يأتي بعده ، بل يعشرون كلاً منها على حدته بعد حضوره ومعاينته ، لما يقع بين القطع من التفاوت في الوزن ، وميزان الحبوب يكون في رده لنسبة الفنيكة ، موافقاً لما في الشروط التي بين الجانب الشريف والاجناس .

ومن صدر منه خلاف ذلك من الأمناء يكون دركه عليه .

الفصل السابع

كيفية وصول ذلك للكناش لتسهيل مقابلته بالمانفيسط :

يذكر ـ بعد نص الافتتاح ـ اسم أول يوم من الشهر ، واليوم الموافق له من

العجمي ، وتكون أيام الشهر العربي هي المعتمد عندهم في التقييد ، وانما ذكر العجمي لاجل مقابلة المانفيسط لكون تاريخه عجمياً ، ثم يقول : في تاريخ كذا أخرج فلان ما ورد له من البابور أو المركب الفلاني بتاريخ كذا ، ويكون تفصيله على ثمانية اضلاع :

الضلع الاول : الماركة .

الثاني : النمر .

الثالث : عدد القطع .

الرابع : وزنها بالطارة .

الخامس : وزنها صافياً من الطارة .

السادس : عدد ما بداخل الفرود .

السابع : السوم .

الثامن : الواجب .

ويكون تقويم السلع بالبليون ، ليحاز واجب الاعشار بليوناً ، ويقيد الموضوع على حدة ، ويليه الخارج من الموسوق ، نعم ما هو منه بسكة البليون يكون له ضلع خاص ، وللمثقال ضلع آخر ، وفي آخر الشهر يرد ما تحصل من المثقال بليوناً ، بحسب ثمانية دراهم وثمن الدرهم للريال ، ويزاد عليه ما دخل من البليون في الوسق والوضع ، ثم يضاف الى ذلك ما تحصل في المخاطيف وغيرها مفصلاً ، ثم يرد الجميع ريالاً .

الفصل الثامن

ومن جلب شيئاً من سلع البحر للجانب العالي يجوزها الامناء منه على شدها ، ويطبعون عليها بمحضره ، ثم يوجهونها لشريف الحضرة بعد تقييدها في حساب يومها : بالماركة ، والنمر ، واسم القطعة ، والميزان ، وفي محل الواجب يضع صفراً ، ليكون الكناش مطابقاً لما في المانفيسط .

والكنانيش التي يتخذها الامناء لتقييد الداخل والصائر وغيرها من أمور المخزن ، تكون من المقيد عليها النمر في جميع أوراقها احتياطاً من البتر ، وهذا الفصل تعلق به تنبيه العدول على جعل البرنامج في أول ورقة من الكناش ، ليسهل البحث فيما اشتمل عليه من الحجج : كنسخة كتاب شريف بتنفيذ ، أو جواب وفر وصل للحضرة الشريفة ، أو دين .

الفصل التاسع

ومن أراد من نواب الاجناس اخراج شيء من حوائجه ، لا بد من دفع خط يده بذلك على مقرر الشروط معهم فيه ، ويقيد ذلك في اليومية من جملة السلع المعشرات ، غير أن محل الواجب يضع فيه صفراً لتتم بذلك مقابلة المانفيسط ، ثم تبقى خطوط يد النواب المذكورين محفوظة عنه الامناء ، حتى يدفعونها بالاعتاب الشريفة مع الكنانيش بعد تمام خدمتهم .

الفصل العاشر

السلعة الواردة من بر النصارى مثل البراميل وشبهها ، لا بد أن يفتح منها عند التعشير نحو العشرة (في) المائة، وتعيين ما يفتح منها موكول الى اجتهاد الأمناء ، وان كانت مما يسفد كالابازير وشبهها فلا يغفل عن تسفيدها ، وتفرغ قطع الخردة عن آخرها ، ولا يكتفى بما هو على وجه ظرفها احتياطاً من الكنطربنضوا[1] ، ومن عثر على شيء من الممنوع منها بيده فيحاز لجانب المخزن موسوقاً كان أو موضوعاً ، ويطلع به العلم الشريف ، بعد وزنه ان كان مما يوزن، أو عده .

ولا بد من المساواة بين التجار في تقويم السلع ، ولا يؤخذ شيء منها الا اذا وقع الخلاف في التقويم بين الامناء والتاجر ، فحينئذ يحاز الاعشار من عين السلعة ، ويقيد في حساب يوم تعشيرها بالثمن الذي قومت به ولم يرضه التاجر ، وبعد انسلاخ

---

(1) تعبير اسباني عن عملية التهريب .

الشهر تباع تلك السلعة على الوجه المسمى عندهم بالمرتليو ، فإن كان في ثمنها زيادة على التقويم الاول الحقت مع المضافات في آخر حساب الشهر ، والغالب عليها الزيادة ، ومن طلب من الامناء تقييداً بما عشروه له من السلع ، يعطاه بخط العدول وتعليم الامناء عليه .

الفصل الحادي عشر

أمناء مرسى طنجة عند انتهاء كل سنة يحوزون من نائب مولانا ما دخل عليه من مستفاد المرجان الذي يستخرج من سواحل البحر هناك ، بحسب مائة وخمسين ريالاً لكل مركب من المراكب التي تصطاد المرجان ، وفق ما هو في الشرط الموفى ستين من الشروط المنعقدة بين الجانب الشريف أسماه الله وبين جنس الصبنيول[1] .

الفصل الثاني عشر

يكون الامناء يوجهون مضمن مدخول كل أسبوع بمجرد انتهائه ، ويكون ذلك مفصلاً على ثلاثة أضلاع :

الضلع الأول : الداخل مثقالاً من الموسوق .

الثاني : بليوناً من القطاني وغيرها .

الثالث : الداخل بليوناً من معشرات الموضوع .

ومكاتب الاسبوع تكون توجه مع البوسطة ، واصلة بيد أمناء مرسى العدوتين فقط ، وأمناء العدوتين عند انتهاء كل اسبوع ينهضون رقاصاً يتوجه بالمكاتب المذكورة للحضرة الشريفة ، ومن أخر من الأمناء كتاب أسبوعه عن وقت وروده يعلمون به حضرة مولانا صحبة الرقاص المذكور ، ليكون الكلام معه في ذلك .

---

(1) من هنا ـ فقط ـ استفدنا أن الوثيقة من عهد محمد الرابع ، حيث جاء في هذه الفقرة الدعاء للجانب الشريف بأسماه الله ، لتشعر باستمراره على قيد الحياة ، مع ملاحظة أن الشرط الستين المشار له وارد بالمعاهدة المغربية الاسبانية ، وقد انعقدت بين الطرفين أيام نفس السلطان ، حسب « اتحاف اعلام الناس » ج 3 ص 516 .

الفصل الثالث عشر

جميع المدخول والصائر وأمور المخزن التي بالخزائن وسلعة التجار : كل ذلك في عهدة الامناء ، لا يستقل به واحد منهم دون الآخر ، والصندوق الذي يوضع فيه مال الوفر يتخذونه من الحديد ، وتكون له اقفال ومفاتيح مختلفة الاشكال ، يكون منها لكل من الامناء مفتاح خاص به .

وما يترتب بذمة التجار من واجب الاعشار يقبض فوراً ، ومن أخر من الامناء شيئاً من ذلك حتى ادى إلى الضياع فدركه عليه ، وتعلق بهذا الفصل رد البال لما هو بذمم التجار من السلف والدين القديم ، فمن له منهم أملاك يكون الامناء منها على بال ، ليلا يقع فيها تفويت .

الفصل الرابع عشر

السلع الموسوقة من بعض المراسي الى أخرى من مراسي سيدنا ـ أعزه الله ـ يتخذ لتقييدها كناش خاص ، يقيد فيه اسم السلعة ، والماركة التي عليها ، والنمر ، والميزان ، واسم صاحبها ، واسم البابور الموسوقة معه ، وتدفع لصاحبها بطاقة مقيد فيها ما ذكر بخط احد العدلين ، وعلامة الامينين معاً .

وان كانت هذه السلعة مما يجب فيها الاعشار ، فيحاز قدر الواجب في أعشارها وثيقة ، ويضرب لصاحبها من الأجل بقدر ما يأتي فيه بجواب الامناء بوصول تلك السلعة الى المرسى الموجهة اليها ، بحيث اذا انصرم الاجل ولم يأت بجواب الوصول ، فيعمر ما حيز منه في جملة الداخل في الاعشار ، ولا يقبل من صاحبها كلام بعد ذلك ، ثم لا بد من حيازة الامناء مانفيسط هذه السلعة من جملة مانفيسطوات غيرها من السلع ، الى أن يدفعوا الجميع بالاعتاب الشريفة بعد تمام خدمتهم .

الفصل الخامس عشر

الأمور الممنوع وسقها يكون الامناء (منها) على بال ، ولا يوسق منها قليل ولا

كثير الا بالأمر المولوي أسماه الله ، وذلك مثل الزرع ، والشعير ، والخيل ، والبغال ، والحمير ، والغنم ، والابل ، واناث البقر ، وادامها ، وكذلك الامور التي وسقها غير معتاد : كخشب العرعار ، والفرشي ، والدوم . ومن تساهل من الامناء في وسق شيء من ذلك فتلزمه عقوبة المخزن .

الفصل السادس عشر

أمر البحرية موكول الى نظر رئيس المرسى .

والوارديات بها الى الامناء .

والعسة الى نظر عامل البلد .

وتبدل العسة في آخر كل شهر ، لما يقع من المداخلة بينهم وبين أصحاب الكنطربنضو عند طول مدتهم .

وأمناء المرسى لهم البحث في المركب عند وصولها ، وساعة سفرها ، ولهم أن يجعلوا العسة بالمركب لمنع الكنطربانضو ، حسبما هو مقرر في التاسع والعشرين من شروط النجليز ، وفي الرابع والثلاثين من الصبنيول .

ويمنع الرقيق من ركوب البحر ، وكذا العمال وأبناؤهم ، الا بالأمر الشريف أسماه الله .

الفصل السابع عشر

ولا يتعاطى الامناء التجارة بالمرسى المستخدمين بها ، ومن ثبت عليه شيء من ذلك تلزمه عقوبة المخزن ، ويبدل من حينه ، ولا يستعلمون أصحابهم في شيء مما يرجع لخدمة المرسى .

الفصل الثامن عشر

كيفية تقييد الصائر بالكناش :

يكتب ـ بعد الحمدلة ـ ما نصه : بيان ما صيره الامينان : فلان ، وفلان ،

ويذكر اسم اليوم الاول من الشهر المصير فيه ، وعدد أيامه ، وعام تاريخه ، ثم يجعل الصائر مرتباً : كل جنس منه في ترجمة خاصة به .

ويصدر بترجمة المئون اليومية مفصلة ، مقدماً منها الاكد فالأكد ، الى أن يكمل صائر المئون في اليوم الاول ، ثم يضرب المجتمع من ذلك في عدد أيام الشهر ، ويضع خارج الضرب في ضلع الواجب .

وتليها ترجمة الرواتب الشهرية مفصلة على الترتيب المذكور ، ويضع ما تجمل فيها بمحله تحت جمع المئون .

ثم ترجمة كراء الدور المنفذة مفصلة كذلك .

ثم ترجمة الحوادث : يصدر منها بعمل المنجرة ملخصاً : بذكر العود المشتري في جميع الشهر ، واقامة الحديد وما يلحق بها ، مفصلاً جميع ذلك ثمناً ومثموناً ، يذكر عدد المعلمين على مراتبهم ، وعدد أيام خدمتهم في الشهر ، وما يعطى كل واحد منهم من الاجرة عن كل يوم ، ويخرج مجموع ذلك الى محله ، وكل ما يشترى من المقاديف وشبهها مما يرجع لخدمة القوارب ، يصير في ترجمة المنجرة ليكون صائر القوارب . . »[1] .

والى هنا ينتهي الموجود من القانون الذي ينظم تسيير أمانة المراسي في المغرب الحديث .

وبعد الجانب الموضوعي من هذا النص ، سيمدنا ـ مرة أخرى ـ بملامح عن طبيعة السجلات المخزنية التي أحدثت بهذه المناسبة ، وهي نقطة تفيد ـ أكثر ـ في تبويب فهارس الوثائق العلوية في هذه الفترة .

---

(1) اعتمدت في عرض هذا القانون على نسخة خاصة منه ، بخط يبدو من ملامحه أن كاتبه من خطاطي مدينة الرباط .

ملحق ثان

وهو تابع لترجمة الطبيب : أحمد التمسماني ، ويتصل بالصفحة 256 بعد السطر 15 ، حسب رسالة صادرة عن النائب بطنجة محمد الطريس ، الى وزير الحربية محمد الجباص ، ونصها بعد الافتتاح :

« . . . وصل كتابكم ـ الأعز ـ جواباً عما كتبناه اليكم في شأن الطالب احمد التمسماني : بأن مولانا ـ أيده الله ـ سأل عمن عينه لقراءة الطب ، لنجيب بما عندنا في ذلك ، الى آخره .

فليكن في كريم علمكم : أن سيدنا المقدس كان أمر بتعيين ستة أناس لقراءة ما ذكر فعينوا لذلك ، وكان التمسماني المذكور من جملتهم ، ثم انه لم ينجح من الستة الا اثنين : أحدهما المشار اليه ، وقد نجب في الطب ، وهو قائم بمداواة العسكر كما تقدم ، فينبغي أن يدرج في قائمة العسكر السعيد لاهمية مهنته .

وعلى المحبة ، والسلام ، في 15 رمضان المعظم عام 1324 ، محمد بن العربي الطريس ، لطف الله به »[1] .

---

(1) « كناش مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة » . خ . ع . ك 2720 ـ ص 210 .

ملحـق ثالـث

ويتنـاول سير التعليم الحـديث في أوساط اليهـود المغاربـة ، خلال الفتـرة التي ندرسها وبعدها حتى سنة 1912م ، وقد عني بهذا الموضوع احدى المجلات الفرنسية سنة 1937م . في عدد خاص عن التعليم بالمغرب ، وعنها عربته جريدة المغرب التي كان يديرها الاستاذ المرحوم سعيد حجي : السنة الأولى ، العدد 88 ، بتـاريخ فـاتح شعبان عام 1356هـ . 17 أكتوبر سنة 1937م ، وهذا نص التعريب :

« منذ سنة 1862 بنت جمعية الاتحاد الاسرائيلي صرح التعليم بالمغرب ، اسست هذه الجمعية بباريز على يد (أوجين مانويل . ونرسيس لوفان) وبعض أصدقائها من أساتذة ومحـامين وأطبـاء وأحبار ومهنـدسين وتجـار ، فأخـذوا على أنفسهم أن يـرفعوا الشعوب اليهودية في الشرق والشمال الافريقي من حضيضهم ، اذ كانوا يعيشون في حالة سيئة .

كانت مهمة التعليم اكبرهم جمعية الاتحاد ، فأخذت تقوم بها بعد عامين مضيا على تأسيسهـا ، ففتحت مدارس لـلابناء بتـطوان سنة 1862 ، ومنحت ادارتهـا لم . كوهين أول مدرس فرنسي علم بالمغرب .

وكـانت المواد تـدرس باللغـة الافرنسيـة ، وكان الاسـاتذة يعلمـون العبـرانيـة والاسبانية والانكليزية .

لكن الجمعية في أول عهدها اعوزتها بعض المواد لمواصلة رسالتها، وبالرغم عن

كل شيء حددت برنامجاً لعملها ، وعملت على نشر التعليم المدرسي حسب الظروف السياسية والمادية الموجودة في ذلك الحين .

وهكذا اسست شيئاً فشيئاً :

مدرسة للبنين بطنجة سنة 1864 .

مدارس للبنات بتطوان وطنجة سنة 1865 .

مدارس للبنين بالصويرة وأسفى سنة 1867 .

مدرسة للبنات بالصويرة سنة 1869 .

بلغ عدد التلاميذ في سنة 1869 : 765 من البنين ، و230 من البنات ، كلهم يذهبون للمدارس الموجودة حينذاك ، فتعلموا قراءة الفرنسية وكتابتها، وتعودوا النظام والنظافة وحياة جديدة .

وفي سنة 1873 اسست مدرسة مختلطة بالعرائش ، وكذلك أخرى بالقصر سنة 1879، وبفاس أسست مدرسة للبنين سنة 1889: تلك المدينة التي تفخر بانفرادها بالحضارة القديمة المخالفة لكل ما هو أجنبي .

وكان من المحتم مد النفوذ في عاصمة الجنوب : مراكش ، ولكن بعد مضي احد عشر عاماً على التأسيس الاول ، ففتحت مدرسة للبنين وأخرى للبنات سنة 1892 ، فأقبل الاساتذة الشبان وأصبحوا يعيشون بالملاح ـ دون أن يهتموا بخطر اقامتهم ـ حيث الفقر المدقع والوسخ والامراض التي تنتاب الصغار والكبار .

وفي هذه المدة كان النصر حليف جمعية الاتحاد الاسرائيلي ، فعم مجهودها جميع الكتل اليهودية بالمدن التي هي على الثغور ، ففتحت عدة مدارس أبوابها .

في سنة 1897 مدرسة للبنين بالدار البيضاء .

في سنة 1899 مدرسة للبنات بفاس .

في سنة 1903 مدرسة للبنين بالرباط .

في سنة 1906 مدارس للبنين والبنات بالجديدة .

في سنة 1907 مدرسة للبنات بأسفى .

في سنة 1910 مدرسة للبنين بمكناس .

في سنة 1911 مدارس مختلطة بأزمور وصفرو .

في سنة 1912 مدرسة بسلا .

وهكذا عند بسط الحماية بالمغرب كانت جمعية الاتحاد قد أوجدت عشر مدارس للبنين ، ومثلها للبنات ، وخمس مدارس مختلطة ، ومجموع التلاميذ بها 5442 : منهم 3414 أبناء ، و 2028 بنتاً » .

ملحق رابع

ملاحظات حول بعض ردود فعل المغاربة تجاه الدعوة إلى الإصلاح في القرن 19 ، من خلال وثيقة موضوعية

بعد عام 1860/1276 صار من ذيول أزمة تطوان : ظهور أشكال من الأقتراحات الإصلاحية « المزعومة » الواردة من الخارج ، وكان من أغربها طرح إشكالية « حرية العقيدة بالمغرب » . وهو مطلب ظهر ـ للمرة الأولى ـ بواسطة اليهودي ذي الجنسية الانجليزية : السير موسى مونتفيوري ، فوفد على المغرب عام 1864/1280 ، وحظي بمقابلة السلطان محمد الرابع ، حيق قدم له مطلب الحرية ليهود المغرب .

وقد عقب الناصري[1] على هذا الاقتراح ، حتىً انتهَى في انتقاده إلى هذه القولة : « واعلم أن هذه الحرية التي احدثها الفرنج في هذه السنين : هي من وضع الزنادقة قطعاً . لأنها تستلزم إسقاط حقوق الله ، وحقوق الوالدين ، وحقوق الإنسانية رأساً » .

وبعدما حلل هذه الأمور عقب قائلاً : « وضابط الحرية عندهم (الفرنج) لا يوجب مراعاة هذه الأمور ، بل يبيح للإنسان أن يتعاطَى ما ينفر عنه الطبع ، وتأباه الغريزة الإنسانية : من التظاهر بالفحش والزنا وغير ذلك إن شاء ، لأنه مالك أمر نفسه ، فلا

---

(1) « الاستقصا » دار الكتاب ـ البيضاء 9/114 -115 .

يلزم أن يتقيد بقيد ، ولا فرق بينه وبين البهيمة المرسلة إلا في شيء واحد ، هو إعطاء الحق لإنسان آخر مثله ، فلا يجوز له أن يظلمه ، وما عدا ذلك فلا سبيل لأحد على إلزامه إياه . . . » .

* * *

وإلى هذا : عرف مؤتمر مدريد (1880/1297) تدخلاً مماثلاً ، وجاء ـ في هذه المرة ـ بمبادرة الكاردينال نينا كاتب الدولة في الفاتيكان ، فوجه للمؤتمر ـ بواسطة سفير النمسا ـ مذكرة بشأن حرية العقيدة في المغرب[2] .

ومع غياب نص مذكرة الفاتيكان : يترجح أنها نفس الكتاب الذي تعقب عليه الوثيقة المغربية التي نقدم لها بهذا المدخل ، حيث يبدو أن أعضاء مؤتمر مدريد تبنوا هذه المذكرة ، وبعثوا بها ـ باسمهم ـ إلى السلطان الحسن الأول ، فكانت ضمن المراسلات المتبادلة بين النائب محَمد بركاش والسلطان حين انعقاد المؤتمر ، ثم عهد الحسن الأول إلى قاضي فاس : محمد (بن عبد الرحمن العلوي المدغري)[3] بكتابة مشروع للجواب عن المذكرة ، فحرره هذا بعد استشارة العلماء المعنيين بالأمر دون الإشارة لأسمائهم .

ونشير ـ استقبالاً ـ لهذا الجواب ـ بـ « الوثيقة المغربية » ، ولرسالة المؤتمر بـ « المذكرة » .

* * *

وتبتدىء الوثيقة المغربية ببيان مصدر المذكرة ، وتلخص نقطها كالآتي :

« الحمد لله ، اجتمع أجناس النصارَى ، وكتبوا كتاباً أجابهم عنه قاضي الجماعة مولانا محَمد عام 1297 » .

فتشير هذه الفقرة إلى مؤتمر مدريد : « إجتمع اجناس النصارَى » ، ويؤكد ذلك تاريخ « عام 1297 » : نفس تاريخ انعقاد المؤتمر الذي يوافق سنة 1880 .

---

(2) « مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب » للأستاذ عبد الوهاب ابن منصور ، المطبعة الملكية ص 102 .
(3) ترجمته في « سلوة الأنفاس » 1/205 -206 .

وبعد هذا تأخذ الوثيقة المغربية في تلخيص نقط المذكرة كالآتي :

1 ـ ان البابا يطلب اجراء حرية الأديان في المغرب ، وبين قوسين : جاء التعبير عن البابا بـ « البابص » : حسب الاستعمال الدارج الذي كان يطلق على رئيس الأساقفة .

2 ـ تستند المذكرة في مطلب حرية العقيدة إلى ظهير السلطان محمد الرابع لمن تسميه الوثيقة المغربية بموشي ، وهو السير موسَى مونتفيوري سابق الذكر ، والظهير ورد نصه عند الناصري[4] .

3 ـ إن هذا الظهير لم يتحقق تطبيقه بتمامه ، ولم تقع مساواة جميع الرعية في الحقوق والتشريع .

4 ـ إن السلطان العثماني منح الحرية لغير المسلمين في بلاده[5] ، مما يدل على أن هذا المبدأ موافق مع الدين الإسلامي .

5 ـ إن أعضاء مؤتمر مدريد متشوقون إلى أن ينتهج الحسن الأول نهج السياسة العثمانية ، وينتظرون ما يصدر عنه في هذا الصدد بالنسبة للمتساكنين الآن في المغرب وفيما يستقبل ، حتىً يكون التشريع في المغرب جارياً على مقتضَى الكتاب الحسني الذي يتوقعون صدوره ، وبذلك يتحرر اليهود ، ولا يمنعون من الحقوق السياسية . . .

* * *

ومن هنا تبدأ الوثيقة المغربية في مناقشة نقط المذكرة ، فعن النقطة الأولى تشير إلى استشارة العلماء في مطلب حرية الأديان في المغرب ، وتستخلص النتيجة في هذه الفقرة :

---

(4) « الاستقصا » 9/113 -114 .

(5) إشارة إلى التنظيمات التي أعلنها السلطان العثماني عبد المجيد الأول ، ونص فيها على المساواة بين أفراد الرعية ، وهي التي تعرف باسم « خط كولخانة » .

« . . . فحرية الأديان بالمعنى المعروف عند من قال بها ، والحالة المقررة الشهيرة عند أربابها : خارجة عن الدين بالدليل والبرهان ، مضادة له كما يختلف فيه اثنان ، فلا سبيل إلى العمل بها ، والا تبطلت الشريعة ولم يبق تعويل عليها » .

وعن مبادرة السلطان : العثماني ، ومحمد الرابع : كان من جواب العلماء عن ذلك : « إن العلماء حكام على الملوك ، والأمراء حكام على الناس ، فتصرفات الملوك تعرض على الشرع ، فما وافقه منها يقبل ويعتمد ، وما لا فلا ، إذ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ، كما ورد » .

وبعد هذا تجيب الوثيقة عن نقطة أخرى هكذا : « وأما ما ذكرتم من أن حضرة والدنا المقدس أعطَى دلائل كثيرة من سماحته وإحسانه لغير المسلمين ، وانكم طامعون في جانبنا أن يكون لنا حرص على ذلك مثل العثماني : فالأمر كما حكيتم وطمعتم ، إذ لا نحب لهؤلاء إلا الخير التام . . . . فنظرتكم فيهم ووصيتكم عليهم : تراعى ولا تهمل . . . » .

وعن المساواة في الحقوق والتشريع : تقول الوثيقة : « وأما أمر المساواة أمام الشريعة : فإن كان المراد من ذلك التسوية أمام الشريعة : بحيث لا يفضل أحد ـ أياً كان ـ على واحد ، ولا يلحق البعض من البعض ظلم ولا جور : فهذا أمر جاءت به شريعة الإسلام ، ولم يزل معمولاً به من أول الإسلام حتىّ الآن . . .

وان كان المراد غير ذلك من أوجه التسوية : كتناكح أو شهادة أو لباس أو مركب أو غير ذلك ، فهو أمر فيه بيننا وبينهم شروط . . . » .

ومن هذه الفقرة والنماذج قبلها : يمكننا أن نستنتج طابع التفكير الوطني خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وبالضبط لدَى جماعة العلماء .

فيوجهون الوطنية وجهة إسلامية صرفة ، ويدافعون التدخلات الأجنبية بمصادمتها لواقع التشريع الاسلامي .

كما يدعمون سياسة الدولة بأفكار منتزعة من السياسة الإسلامية .

وفي هذا الاتجاه يحالفهم النجاح أحياناً ، كواقع هذه الوثيقة لما تعلن أن الملوك مسؤولون أمام العلماء ، فتصرفات الملوك تعرض على الشرع . . .

وأيضاً : كواقع موقفها من عرض « حرية العقيدة » .

وإلى هذه الصرامة في عدد من الأحكام ، تجنح الوثيقة إلى الليونة واللباقة عند الاقتضاء : « ومما تواتر واشتهر بين الناس ، أنكم معاشر الأجناس ، لا تسعون في هدم قاعدة لإصلاح أخرى ، ولا توافقون على ذلك ، إنما المسموع عنكم المذكور ، سيما عند صدور هذا الجمع المشهور ، أنكم تحافظون على إبقاء كل دين على قواعده الأصلية ، وسير أهله على شروطه المقررة المرعية . . . » .

* * *

والآن ، ستكون خاتمة هذا المدخل : الإشارة إلى أن الوثيقة التي تقدم لها لا تزال مخطوطة في نسختين : خاصة ، والثانية بالخزانة الملكية ضمن مجموع رقم 11,322 .

نص الوثيقة

الحمد لله، اجتمع أجناس النصارَى ، وكتبوا كتاباً أجابهم عنه قاضي الجماعة مولانا محَمد عام 1297 ، ونص الجواب :

وبعد : فقد وصل كتابكم صحبة خديمنا باركاش ، ووقع منا بالبال ما تضمنه من أن البابَّص الكبير يطلب إجراء حرية الأديان في المغرب .

وأن حضرة والدنا السلطان سيدي محمد أعطَى دلائل كثيرة من سماحته وإحسانه للرعايا غير الإسلام عام كذا وكذا ، وأنعم بكتاب التحرير عام كذا على موشي ، وفي هذا الكتاب توضيح أن جميع رعية المغرب تكون لهم المساواة أمام الشريعة ، بحيث لا يقع لأحد منهم ظلم في نفس ولا مال .

وان الظهير المذكور أبطل كثيراً من الأوامر عن غير المسلمين .

لكن إلى الآن لم تبطل بتمامها ، إذ لا زال البعض منها يستعمل في بعض الأماكن داخل الإيالة ، فلم يحصل لهم حرية التصرف في دينهم ، فخولف المقصود من الظهير الشريف والقاعدة العامة ، وهي مساواة جميع الرعية في الحقوق وأمام الشريعة .

وأن السلطان العثماني وافق على ذلك ، وكتبه في شريعة بلاده عام كذا ، وأثبته من بعده عام كذا ، مع أنه ـ لا شك ـ موافق مع الدين المحمدي .

وانكم طامعون في جانبنا أن نكون لغير المسلمين كالسلطان العثماني ، إذ لا يمكن الواجب إلا بذلك ، وتنتظرون ما يصدر في الأمرين :

الأول جميع المستقرين ـ الآن ـ في المغرب وفيما يستقبل : لهم اتباع دينهم بلا تعرض .

الثاني وقوع الأذن من الدولة أن تكون نصوص الشريعة الثابتة في المغرب جارية على مقتضى نص الكتاب الشريف ، وحينئذ لا يكون فرق أمام الشريعة بين الرعية المسلمين وغيرهم ، ولا يكلف اليهود بتلك الأمور ، ولا يمنعون من الحقوق السياسية ، وتكون لهم الحرية في جميع الاشغال كغيرهم من المسلمين ، وأنه إن وقع ذلك يظهر نفعه للكرسي الشريف وإيالته ، ويفتح بذلك باب جديد من السعادة ، إلى آخره .

* * *

فاعلموا ان ما ذكرتم من أن والدنا المقدس أعطى دلائل كثيرة من سماحته واحسانه لغير المسلمين ، وأنكم طامعون أن يكون لكم حرص على ذلك ، مثل ما طلبه البابص الكبير من إجراء حرية الأديان في المغرب : هو في هذا الوقت متعسر بل متعذر ، وقد عرضنا ذلك على أعيان الدولة : علماء ديننا فنفروا منه وأنفوه ، إذ لم يعتادوه في دينهم ولا عرفوه ، وقالوا إن العمل بذلك على الإطلاق ، يؤدي إلى كثرة الفتن والهرج والشقاق .

واحتجوا بأن الأمر الشائع المشهور ، المقرر لدَى الخاصة والجمهور ، أن دين الاسلامية : الأمة المحمدية منقول بالسند الصحيح المتواتر ، من أوله إلى الآن رواية الأكابر عن الأكابر ، خصوصية تفضل بها الحق سبحانه حسبما اقتضته حكمته ، وأبرزته عن سابق علمه وارادته قدرته ، يريد به كتابه القرآن العظيم ، الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم﴾ ، تكفل الله به فهو محفوظ على مر الأزمان ، لا يلحقه تبديل ولا تغيير ولا يطرق ساحته بهتان .

وعليه فحرية الأديان بالمعنَى المعروف عند من قال بها ، والحالة المقررة الشهيرة عند أربابها ، خارجة عن الدين بالدليل والبرهان ، مضادة له كما لا يختلف فيه إثنان ، فلا سبيل إلى العمل بها ، والا تبطلت الشريعة ولم يبق تعويل عليها .

وما ذكرتم من أن السلطان العثماني وافق على ذلك وأثبته من بعده ، وأن السلطان سيدي محمد أنعم على موشي بكتاب التحرير : أجابوا عنه بأن ذلك ـ على فرض وجوده وصحته ـ لا يلزم الأمة ، لما تقرر من أن المدار على ما ثبت بطريقته المعلومة وخصوصيته ، والأمر في هذا بخلاف ذلك ، فلا سبيل إلى العمل بما هنالك .

وأيضاً قد تقرر أن من قواعد دين الاسلام ، وأركانه الشهيرة عند الخاص والعام ، ان العلماء حكام على الملوك ، والأمراء حكام على الناس ، فتصرفات الملوك تعرض على الشرع ، فما وافقه منها يقبل ويعتمد ، وما لا فلا ، إذ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، كما ورد، على أن كتاب التحرير المشار إليه ـ إن لم يصرح فيه بشيء خاص ـ يمكن حمله على التحرير من أمور العمل بها غير مناف للدين ، ولا خارج عن سنن المهتدين .

ومما تواتر واشتهر بين الناس ، أنكم معاشر الأجناس ، لا تسعون في هدم قاعدة لاصلاح أخرى ، ولا توافقون على ذلك ، إنما المسموع عنكم المذكور ، سيما عند صدور هذا الجمع المشهور ، أنكم تحافظون على ابقاء كل دين على قواعده الأصلية ، وسير أهله على شروطه المقررة المرعية ، إذ بذلك يكمل التوافق ويقع الانتظام ، ويقل الهرج في الأقطار بين الأنام .

وأما ما ذكرتم من أن حضرة والدنا المقدس أعطَى دلائل كثيرة من سماحته وإحسانه لغير المسلمين ، وأنكم طامعون في جانبنا أن يكون لنا حرص على ذلك مثل العثماني ، فالأمر كما حكيتم وطمعتم ، إذ لا نحب لهؤلاء إلّا الخير التام ، والاحسان العام ، وعلى ذلك كان عملنا معهم فيما فات من الزمان ، وعليه يكون عملنا فيما يأتي ، بل نريد معهم في الخير بحول الله على ما كان ، فنظرتكم فيهم ووصيتكم عليهم تراعي ولا تهمل .

غير أن ذلك يناسب أن يكون فيما لا يتفاقم فيه الأمر ، أما ان أحدث على الرعية الأمر الذي لا يألفوه فيرد ولا يقبل ، والتأني في الأمور ومباشرتها بالرفق ، هو مجمع الخير ، وضده : في العجلة والخرق .

وأما أمر المساواة أمام الشريعة ، فإن كان المراد من ذلك التسوية أمام الشريعة بحيث لا يفضل أحد أياً كان على واحد ، ولا يلحق البعض من البعض ظلم ولا جور : فهذا أمر جاءت به شريعة الاسلام ، ولم يزل معمولاً به من أول الإسلام حتىّ الآن ، فمن خالفه حاد عن الحق وتعرض للملام ، وان كان المراد غير ذلك من أوجه التسوية كتناكح أو شهادة أو لباس أو مركب أو غير ذلك ، فهذا أمر فيه بيننا وبينهم شروط ـ من ابتداء عقد الذمة من خليفة نبينا سيدنا عمر رضي الله عنه ـ ثابتة الدعائم محكمة الربوط ، لا يمكن أن يفعل فيها ما يخالف الدين ، وإلا كان فاعله في ديننا من الملحدين ، وعلى ذلك كان لهم السكنىَ معنا والاستقرار ، والمعاملة والمخالطة في الأسواق والطرق والديار .

وما ظلم من أبقَى ما كان واتبع ، وإنما الظالم من خالف ما كان وابتدع .

وأما ما يتعلق بالرواتب وانها لا زالت لم تبطل بتمامها، وان البعض منها لا زال : فجوابه أن من يستعمل منهم أياً كان في أمر كيف ما كان ، فإنما يستعمل بأجرته وعن طيب نفسه ، وحيث كان الأمر كذلك فلا معنىً للتشكي به ، ولا للتظلم بما هنالك ، فالسير مع جميعهم : اليهود المراكشية وغيرهم على مقتضَى الحق والعدل هو أصل شريعتنا ،

وعليه عمل أهل ملتنا ، وان وقع لأحد خلاف ذلك فمن غير شعور منا ، ولو رفع ذلك إلينا لأنكرناه ورددناه ، وما أقررناه .

بل جل اليهود في هذه الأزمنة هم الذين خرجوا عن طورهم ، وصاروا يتطاولون على المسلمين بالقول والفعل ، فرفعوا أنفسهم فوق قدرهم ، وأكثروا من التعامل بالأموال الكثيرة مع الأخلاط من غير تمييز بين من يصلح لذلك ومن لا ، مع أن التمييز هو حق ذوي التثبت والاحتياط ، وزادوا أنهم كثيراً ما يعاملون من ليس بذي درهم فضلاً عن دينار ، فإذا حل الأجل أتوا بكتاب حميّتهم الخاصة ظناً منهم أنهم مظلومون ، فيفعل ذلك تقليلاً للهرج ، وميلاً لحسن الجوار ، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى اقتضائه من بريء لكونه قريب المدين في القبيلة والدار ، وكنا بصدد شرح هذا الأمر لكم ، لعلمنا أنكم لا توافقون عليه عند مراجعتكم ، واجتماعكم في ناديكم ، لما فيه من الظلم الكثير ، والفساد الكبير ، إذ ما بين المسلمين واليهود في ذلك إلا سلوك طريق شرعنا ، والمعسر أنظره الله كما هو ثابت بنص كتابنا ، على أن ذلك مضربهم في الحال والمثال .

أما الأول فلكون الذي أخذ منه ذلك وهو بريء قضاءاً عن غيره، ربما أوقع باليهودي رب الدين مكروهاً : قتلاً أو غيره على وجه لا يشعر به أحد ، وقد وقع شيء من ذلك وشاهدوه ، وها هم بين أظهركم يخبرونكم بذلك ان لم يكتموه ويجحدوه .

وأما في المثال فلأن المغرب كثير التقلبات ، فإذا وقعت فترة أوقع البعض بالبعض منهم ما لا يليق من فظيع التصرفات ، ومرادنا نفعهم وارشادهم لحسن الجوار مع المسلمين ، ليكونوا بخير معهم فيما يحدث وما يأت ، كما كانوا كذلك فيما مضى وفات ، وهذا أمر ضروري لا ينكره عاقل ، فضلاً عن فاضل .

وبالجملة لو أطلعتم كل الاطلاع على ما يدافع عنهم المخزن ويقاسيه في شأنهم لعذرتم من يحاول أمرهم ، وتعجبتم من فعلهم ، ولا يعرف حق النعمة الا عند فقدها ، ومن لم يشكرها فقد تعرض لزوالها .

وقول الكتاب انهم ليست لهم حرية التصرف في دينهم ، وها هم في كنائسهم في

مواضع سكناهم يفعلون ما أرادوا ، ولم نسمع أن أحداً قط تعرض لهم في أمر دينهم : أعيادهم وأنكحتهم ومعاملتهم مما عوهدوا على عدم التعرض لهم فيه ، ولا مشوش عليهم في شيء من ذلك .

نعم ان كان المقصود رفاهية خاصة عوهدوا على تركها ، فهذه في احداثها ضرر ، إذ ذاك يؤدي إلى التفاقم وكثرة الهرج في الرعية ، وهم بأنفسهم يعترفون بذلك إن صدقوا اللّه وأحسنوا الطوية ، ولا حيف ولا عار على أحد في حمله على سبيله المعروف ، وشكله المعتاد له المألوف ، انما الحيف والعار في إحداث ما لم يعهد ، والإقدام على قواعد مؤسسة من قديم بالنقض والهد ، وترك كل قوم في مثل هذا وما اعتادوه : هو أولى ، بل الواجب في باب السياسة الذي ينبغي اعتماده .

وقول الكتاب : يقع الإذن من الدولة إلى آخره : جوابه إن الجاري على ما تقدم من أن من قواعد ديننا ان العالم حاكم على الملك لا العكس : أن يكون ما تضمنه الظهير الشريف معروضاً على نصوص الشريعة الثابتة ، فيرد الظهير للنصوص ، ولا ترد النصوص للظهير إلا لو كان الملك حاكمًا على الشرع ، والأمر بالعكس ، ولو قيل بذلك لبطلت الأديان جملة ، وصار المدار على الملك، وهو خلاف الواقع .

وبالجملة فالمعهود منكم والمنقول بالتواتر عنكم انكم تتأملون حق التأمل في النوازل ، ولا تسرعوا ولا تعجلوا في أمر حتىّ تبحثوا ويتبين الحق من الباطل .

وهذا شأن كل من يتولى بين الناس أمر الفصال ، لا بد أن يسمع من الجانبين ، ثم يتأمل الجواب بعد تأمل الدعوَى والمقال، فيرجع حينئذ ما قواه الدليل والبرهان ، ويلغي ما ظهر ـ بالنظر الصحيح ـ تلاشيه وبان .

وها هي النازلة والدعوَى وجوابها بيد ناقد بصير، فليبالغ في التأمل والتحرير .

ملحق خامس

مقيدة عن دراسة العلوم الرياضية
والفلكية بمكناس خلال القرن 19

عرض الكتاب بين ملامح يقظة المغرب الحديث موضوع دراسة العلوم الرياضية والفلكية عبر تسع مدن ، وبعد نشره ـ في الطبعة الأولى ـ ظهرت إضافات جديدة عن نشاط هذا الاتجاه في مدينة مكناس ، والمعني بالأمر مقيدة دونها أحد الذين أفادوا من هذه المبادرة : محمد العلمي بن أحمد بن رحال البخاري .

ولحسن الحظ فإن المؤلف يسجل معلومات عن حياته لما يعرض اسمه بين الأسماء الواردة بالمقيدة ، وبالضبط عند الترجمة التي تحمل رقم 40 ، فيشير إلى نسبه وأساتذته الذين درس عليهم ، وبعدد وظائفه بالبلاط الحسني ثم العزيزي ، كما يذكر اشتغاله بتدريس بعض فروع الرياضيات والفلك بمكناس وغيرها ، مع لائحة بأسماء الآخذين عنه، فضلاً عن ارتسامات أخرى عن نشاطات حتى فترة تحرير المقيدة التي نقدم لها، حيث يبدو أن تاريخ تأليفها كان عام 1341هـ أو بعده بقليل .

وخلال هذا التاريخ وقبله انطلاقاً من بدء فترة الحماية : يقع الاستغناء عن معظم الإطارات المخزنية القديمة ، فينزوي المترجم ، ويشتغل بخطة العدالة ـ مع قاضي أحواز مكناس ـ في دكان بحي بريمة : مضيفاً لذلك ـ أحياناً ـ إلقاء دروس في الحساب والفلك بمسجد عودة وغيره ، إلى أن أدركته وفاته ـ بنفس المدينة ـ عام 1937/1356.

* * *

والآن نشير إلى أن هذه المقيدة كتبها برسم ابن زيدان : مؤرخ مكناس الرائد ، حسب إشارة من المترجم لما يذكر اسمه عند رقم 40 .

وقد جاءت صياغتها ضعيفة تعبيراً وإعراباً وهلهلة في التراكيب ، غير ان مضمونها يوثقه اعتمادها من جهة ابن زيدان في « إتحاف أعلام الناس » ، فهو يفيد منها ـ دون أن يشير لها ـ عند ترجمته للأسماء الواردة بالمقيدة ارقام 5 ، 12 ، 38[1] وسواها ، كما اعتمدها في أخبار «بعثة طرفاية »[2] ، ثم حلاّ المؤلف ـ مرتين ـ « بالعدل الرضي »[3] ، ومن هنا يمكن الاطمئنان ـ الى حد ـ إلى أخبار هذا التقييد .

وهو يتناول ـ أصالة ـ ذكر طلبة الجيش البخاري ـ بمكناس ـ المرشحين لدراسة العلوم الرياضية والفلكية بمبادرة من أربعة سلاطين علويين : المولى عبد الرحمن بن هشام ، ومحمد الرابع ، والحسن الأول ، والعزيز ، فيبرز أسماءهم ، والأساتيذ الذين درسوا عليهم ، ووظائفهم ، ودرجة ثقافتهم ، وأحياناً تلاميذهم .

وإلى هذا : يستطرد المؤلف إفادات جديدة عن الثقافة الرياضية والفلكية لعدد من الشخصيات : السلطان محمد الرابع ، والقائد الجيلاني بن حم البخاري ، وعبد الله بن احماد ، ومولاي احمد الصويري ، وغيرهم .

وأيضاً : يفصل الحديث عن بعثة طرفاية ، حيث كان أحد أعضائها ، وكذلك تفاصيل الأشغال الكثيرة لحنطة أفْرَاكْ ، ولما كان هذا الموضوع الأخير وسابقه يبتعدان عن ملامح يقظة المغرب الحديث : لم أثبتها ، واقتطعتها من المقيدة التي نمهد لعرضها ، ثم نشرت القسم الموضوعي منها .

---

(1) قارن مع « إتحاف أعلام الناس » 4/313-314 .
388/4 .
355/5 .

(2) « المصدر » 380/1 وما بعدها .

(3) « المصدر » 392/1 , 465 .

وقد جاء كتاريخ لنشاط العلوم الرياضية والفلكية بين اوساط نخبة البواخر في مكناس خلال القرن 19 ، حيث كانت هذه الطبقة تتوزع السكنى في مناطق معينة من هذه المدينة ، وخصوصاً في أحياء الزيتون ، والحصيني ، وروى مزين ، كما يتميزون في شاراتهم وعاداتهم ونخوتهم ، قبل أن يندوج أبناؤهم مع عامة السكان في العصر الحاضر .

* * *

إن هذه المقيدة أصلها بخط مؤلفها ، وتشتمل على 48 ص ضمن دفتر ـ مستطيل قليل العرض ـ كان في خزانة الأستاذ المرحوم إدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني بفاس ، وعن هذا الأصل استخرجت مصورة منه على الورق ، غير ان أماكن قليلة منها جاء تصويرها غير واضح ، مما جعل مواضع قليلة من هذه المستخرجة يتخللها بياض يسير ، وقد طال انتظاري للفرصة المواتية للوقوف ـ مرة أخرى ـ على نسخة المؤلف دون جدوى ، ولما كانت البياضات يسيرة ولا تؤثر في مساق المضمون : بادرت ـ الآن ـ إلى نشر القسم الموضوعي من المقيدة ، بعد مقارنته بالمصورة والتعليق عليه ، ليكون ذيلاً متمماً لنشاط الدراسات الرياضية بمكناس خلال القرن 19 ، حسب ص 138 ، 139 ، 140 من هذا الجزء الذي نذيل عليه بهذا الملحق .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان أسماء بعض طلبة الجيش السعيد البخاري الذين كان انتخبهم المقدس مولانا عبد الرحمن لتعليمهم علم الحساب وعلم الوقت ، بقصد الإعانة له على الأوقات المفروضة وغيرها من أوقات العبادات الليلية والنهارية الخ(*) .

وما انتخب ـ أيضاً ـ ولده بعده : المولى سيدي محمد المقدسّ .

وكذا ما انتخبه ـ أيضاً ـ ولده : المولى سيدنا ومولانا الحسن قدس سره . وكذا ما انتخبه منهم ـ بعده ـ سيدنا ومولانا عبد العزيز الخ .

(*) هذه الإشارة هنا وفي مواضع أخرى : اختصار لكلمة « إلى آخره » .

فجلهم أبناء أكابر هذا الجيش المبارك ، وجلهم أساتيذ ، وبعضهم له الحظ في علم العربية والفقه .

فمنهم من كان ملازم الخدمة الشريفة سفراً وحضراً .

ومنهم من كان بها حضراً فقط كالأمناء والعلافين بالأرحى الخ .

ومنهم من تعلموا الحساب فقط .

ومن تعلم التوقيت هم الذين يسافرون صحبة الركاب الشريف ، بقصد ما ذكر أعلاه من مهمات أمور الدين . . .

وأعيانهم يعرفون علم التعادل (كذا) بالأزياج[4] لحركة الكواكب السبعة[5] السيارة في البروج ، وما يعرض لها عند حركتها بذاتها : استقامة ، أو رجوعاً في الخمسة المتحيرة للخنوس والكنوس[6] ، والنيرين : لهما الخسوف والكسوف ، وما ينشأ عنها من الأحكام النجمية ، وعلم الزيارجة[7] وأحكامها ، ويلحق ذلك علم الأشكال الرملية[8] ، والكل يسمى نصبة فلكية[9] ، وهم الماهرون في التوقيت وعلم الأرصاد بالآلات المعروفات عنهم (كذا) ، وهم الحيسوبيون الخ .

---

(4) الأزياج جمع زيج ، وهو إسم للجداول الموضوعة لتعديل الكواكب ، فينقسم كل جدول ـ طولاً وعرضاً ـ إلى مربعات يرسم بداخلها الأعداد المعنية بالأمر ، ووظيفة هذه الجداول أن تستخرج ـ بواسطتها ـ الحركات الطولية والعرضية للكوكب المرصود ، حتى يعرف موضعه في دائرة فلك البروج لأي وقت فرض ، كما يعرف منها زمن حصول الكسوف للشمس والخسوف للقمر وما إلى ذلك .

(5) الكواكب السبعة هي الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل .

(6) الخمسة المتحيرة هي عطارد والكواكب المذكورة بعده وشيكا ، والكواكب ـ على العموم ـ تارة يكون سيرها مستقيًا : من المشرق الى المغرب ، وهو واقع الشمس والقمر : « النيرين الأعظمين » .

والخمس المتحيرة يختلف سيرها : سرعة وبطئاً وتوسطاً ، فتسير تارة مستقيمة ، وتارة راجعة إلى الوراء بعد وقفة قصيرة تسمى « الكُنَّس » ، أما الخنس فهو حركة هذه الكواكب عند رجوعها إلى الوراء .

(7) يرجع في التعريف بهذا العلم إلى كشف الظنون نشر مكتبة المثنى ببغداد : ع 948 -949 .

(8) يرجع في التعريف بهذا العلم الى المصدر الأخير : ع 912 .

(9) من مقدمات علم الأحكام النجومية .

وأما أصحاب علم الحساب أجلهم وأفضلهم من يحسن علم الفرائض ، والماهرون منهم أعني الحيسوبيون (كذا) هم الذين يعرفون علم الهندسة وأشكالها ، ودوائرها وخطوطها المتصلة كالمربعات والمثلثات، والمساحات والأرصاد والمقادر وعلم المسطرة وغيرها .

والمنفصلة كالأعداد المبسوطة والمركبة ، ومنه تسيطر صفائح سطرلاب والربع المجيب والمقنطر ، وتسيطر الرخامات المبسوطات والمنكوسات الخ .

وهذا القسم اشتركا (كذا) فيه الماهرون في علم الميقات والماهرون في علم الحساب .

وفريق من أصحاب الحساب يعرفون علم تمبجيت ، وهو علم ا رتفاع المهاريز والمدافع للرمي ، وعلم الرياسة البحرية وسير مراكبها ، وهذا الفريق شارك رصاد الكواكب الثابتة للاهتداء بها ليلاً ، وقل منهم من اجتمعت فيه معرفة ما ذكر أعلاه . . .

***

وسبب ما ذكر يمتته هو أن المولى عبد الرحمن كان تخالف مع جيش الوداية وما صدر له منهم . . . [10]

إذ ذاك بسط لهم اليد في أمور المخزنية ، وجعل منهم الحناطي الداخلين والخارجين ، وأسكنهم بإزاء الدار العالية من فاس العليا ، ولما شقوا العصا وأخرجهم منها ، أسكن بها مكانهم قبيلة شراكة وأولاد جامع ، ونهض ركابه الشريف لمكناس .

ولما أقام بها أمر وصيفه الباشا القايد محمد بن العواد البخاري الخلطي البوجنوبي[11]

---

(10) عن واقعة الودايا يرجع الى الاستقصا نشر دار الكتاب بالبيضاء سنة 1956 : 32/9-41 .

وللشيخ عبد الكبير بن المجذوب الفاسي الفهري تقييد في شرح هذه الواقعة ألفه في شكل مقامه ، وسماه « إعراب الترجمان عن قضية الأوداية مع مولانا عبد الرحمن » ، منه نسخة - بخط مؤلفه - في الخزانة الملكية : قسم المجموعة الزيدانية رقم 3305 .

(11) هو ابن العواد الكبير : القائد ، الطالب : محمد بن عبد الله ، ثم كان باشا بمكناس أيام نفس العاهل : القائد الجيلاني إبن العواد ، ويوجد بنفس المدينة زنقة تحمل إسم « درب ابن العواد » أسفل حي الكدية قريباً من سوق الدقاقين وسوق الجزارين .

أن ينتخب من الجيش السعيد عشرة من الطلبة أولاد أعيانهم ، يقرأون علم الحساب وعلم الوقت للمهمات وأمور الدين ، وإعانة لأمير المؤمنين : بمقابلتهم الأوقات النهارية بالأعمال المعروفة ، والليلية بإعلامه بأوقاتها المعينة ، والأحزاب القرآنية .

ولما مثلوا بين يديه عين لتعليمهم الفقيه البركة العلامة البحر الزاخر ، المشارك الماهر : سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد فتحا بصري المكناسي(12) ، وكانت له معرفة بثمانية عشر علمًا كان يدرس جلها ، عدا ما لا يمكن إلا للخواص من الطالبين ، نفع الله المسلمين بعلومه وأسراره رحمه الله آمين ، وأمر لهم بالكسوة والصلة ، ونهض ـ بالسلامة ـ قاصداً ما هو بصدده من أمور المسلمين .

ولما رجع ـ بالسلامة ـ وجد أربعة من العشرة نجبوا في علم الحساب والتوقيت ، والباقون في علم الحساب فقط ، فأمر مولانا باشاه المذكور أن يجعلهم علافين في الأرحي(13) الستة المعلومة : الذين هم-1 رحى عبيد الزنقة ،-2 ورحى الجوارم ، -3ورحى سعادة ، -4ورحى سعود ، -5ورحى الزمراني ، وزاد سيدنا-6 رحى تافللت ، فجعل كل واحد منهم على رحى الخ .

والأربعة النجباء صحبهم ـ سيدنا معه ـ بقصد الخدمة الشريفة كما ذكر ، وهم .

1 ـ الفقيه الوجيه ، الأستاذ السيد بوسلهام بن سي علي بن المؤذن الخلطي البوجنوني(14) ، وهو أنجبهم ، وكان يحسن قراءة السبع ، قرأ على الفقيه الأستاذ البركة السيد محمد بن الخليفي ، كان يدور بمكتب حمام الجديد ، ونفع الله (كذا) ، ولما قرأ زوجه شيخه ابنته ، فأتى منها بولده السيد محمد الآتي ذكره أمام(15) ، وكان مولانا يأمره أن

---

(12) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 287/5-288 .

(13) جمع رحى : فرقة من الجيش تشتمل على ألف جندي بين فارس وراجل .

(14) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 76/2-77 .

(15) عند الترجمة رقم ٢٢ .

يقرأ أمامه قراءة السبع في وقت معين مدة من الزمان ، وعند ختم كل سلكَة يجعل له الختام ، ويحتفل له بأنواع المأكولات والمشروبات ، ويحضر به أعيان دار المخزن : من وزراء وحجاب وأمناء وكتاب وغيرهم الخ ، بعد مواساته وإكرامه له ، ولا زال عند مولانا في مكانة إلى أن مرض بفاس ، وطلب أن يقدم لداره بمكناس ، وبقي ملازماً الفراش إلى أن توفي عام خمسة وستين بعد المائتين والألف .

2 ـ وثاني النجباء الأبيع : الفقيه البركة العلاف : السيد محمد ضما بن عب البخاري[16] ، كان رحمه الله في غاية ما يكون فيما ذكر عنهم ، وقد اشتهر بالكرم عند الخاص والعام ، حتى إن دخل بيديه ما يساوي جرمه وزناً ذهباً لأنفقه في سبيل الله حالاً ولا يبالي ، وكان كثيراً ما يتعاهد مكاتب المذررين لإدخال السرور على الصبيان بإكرام مؤدبهم ، وهذا حاله : التعرض للنفحات الدنياوية والأخروية بالسعي على قدميه مع كبر سنه ، لأنه عمر ، ولما كان تقاعد على الخدمة الشريفة لما ذكر من عدم القوة ، جعل علافاً بأحد الأراحي الستة المذكورين ، إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ بمكناس في أيام مولانا الحسن الخ .

3 ـ وثالثهم : الفقيه الأديب الحسيب الحيي : السيد محمد ضما بناصر النسب ، يعرف بمولى الدور ، بلغ الغاية في الخدمة والنباهة ، ولا سيما فيما ذكر عنهم ، ولما تقاعد عن الخدمة كان علافاً كبيراً برحى الجوارم المعروفة ، وكان ذو (كذا) همة عالية وسمت حسن ، ولا يمر بداخل المدينة إلا راكباً على بغلة السريجة المعتبرة ، وكان هذا حاله في جميع الأوقات ، ولا يرى ـ غالباً ـ إلا بعد مرات ، توفي ـ رحمه الله ـ بمكناس في أيام المولى الحسن الخ .

4 ـ ورابعهم : الطالب الأجل ، المبجل الأمثل : السيد الطاهر بن القائد محمد

---

(16) يستعرض الحاج العربي المشرفي قواد الجيش أيام س محمد 4 إلى أن يقول : « ومنهم ـ أيضاً ـ الذين يقبضون مؤونات الجيش كل يوم . . . الفقيهان : السيد ابن عب ، والسيد صالح » ، حسب « الحسام المشرفي » خ ، ع ، ك 2276 : ورقة 148 .

الـرغاي النسب ، وكانت له ثلاث رتب : علافا ، مع التوقيت ، والأذان لأنـه كـان له صوت حسن ، وسمت مستحسن ، في غاية ما يكون من اللطافة والصولة ، توفي رحمه الله .

وقد كانوا في غاية ما يكون من القيام في أعمالهم ، ومقابلة أوقاتهم الدينية حضراً وسفراً الخ ، وكان المولى عبد الرحمن معتنياً بهم ، مموهاً بقدرهم ، بالغ في الإحسان اليهم كما ينبغي لأمثالهم ، وعين لهم بنيقة ـ جيدة ـ بالدار العالية ، وأطبق حيطانها بالملف ، وخامية لبابها معلقة بأخراص من فضة ، وجعل لهم فيها فروش (كذا) وزرابي وغطاء ، وحسكة ومنار وسامرة بالزيت ، وطبلة وقمقوم نحاس وصطلة للوضوء ، ومجانات معلقة بداخلها ، ومجانات الطوق الرافعات (كذا) ، وأعطاهم جميع ما يحتاجون اليه من آلات التوقيت المعروفة عند أربابه ، والكساوي الفاخمات (كذا) ، والسروج الجيدة ، والخيول المسمومة ، والمعينة من الأروى السعيد : يركبونها في السفر ، ووقت نزولهم ترد لمرابطها ، وعين لهم الطعام من الكشينة السعيدة : من جميع مأكله من الكشينة البرانية ، وكذا يوجه لهم (كذا) كشينة العيال بعض ما يأكله منه ، وكذا الشمع والسكر والأتاي ومواعنه : من المجمر والنقرج (كذا) وغير ذلك ، وعين لهم من يقابلهم فيما ذكر ومما يحتاجون إليه : من حنطة الفرايجة : أصحاباً لهم ، وفي السفر تضرب لهم قبة جيدة بإزاء الأفراج السعيد : يحملها كبير الأفراك بما فيها مما ذكر الخ ، وهكذا ينبغي للملوك القائمين بالدين وحقوق العباد ، عاملهم الله بفضله ، وفي هذه المبالغة زيادة نكال ونكاية لمن لم يشكر النعم ، والله عزيز ذو انتقام ، وقال تعالى فمن تاب من بعد ظلمة وأصلح الآية .

5 ـ ثم الطالب المبجل ، الناسك الأفضل ، التالي كتاب الله عز وجل: السيد المعطي بن العناية النسب ، الغرباوي السفياني المعتكي أولاد علال[17] ، كان يحفظ رواية ابن كثير ويحسنها ، وكان ـ إذ ذاك ـ في حنطة الفراش السعيدة ، وهيوالتوقيت خطة واحدة ، وكان وقع بينه وبين كبيرها مناوشة ، فتشكى على سيدنا وطلب منه أن يجعله من

(17) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 313/4-314 .

جملة الموقتين ، فقال له ـ رحمه الله ـ ألك معرفة بعلم الوقت والحساب ؟ فقال نعم سيدي : أتقنها غاية الإتقان ، فأمر مولانا بامتحانه لدى الفقيه الماهر ، العلامة النحرير ، موقت القراويين الحبابي الفاسي[18] ، فوجده كما ينبغي ، فأخبر سيدنا بأنه يعرف ما ذكر معرفة تامة ، ويحسن طرقه ومواده ، فأنعم عليه سيدنا بالكسوة ، وأعطاه مجانة الطوق من ذهب ، ولم تتقدم لمن قبله .

وهذا كان قبل الأربعة النجباء المذكورين ، وحسنت خدمته ، وكان عند سيدنا في مكانة ورفعة إلخ ، ولما وقعت المكيدة المعلومة بكُبكّب مع الودايـة وعظم الأمر : إختفى سيدنا وفر بنفسه مع ثلاثة نفر وهو رابعهم ، وفي هذه الحالة وهو يعلمه بالأوقات والساعات إلى أن وصل للغرب الأيسر ، فنزل عند خادمه الأفلح ابن يش ، واجتمعت عليه تلك القبائل : سفيان وبني مالك وطليكْ والخلط ، إلى أن لحقوا (كذا) به مسخرو جيشه الأسعد بجميعهم ، وقدم مع الجميع وتوجه لفاس ، وأوقع بهم أعني الودايـة ، وأخرجهم من فاس الجديد عن آخرهم للبادية ، وأسكن بها قبيلة شراكة إلى هذا العهد ، كما تقدم في السبب الموجب لانتخاب من ذكر من الطلبة بعد الانتقام من الظلمة ، ولا زال بالخدمة الشريفة إلى أن وجهه مؤدباً للشريفات بنات سيدنا للعرائش .

6 ـ وبعد ما تقاعد على الخدمة نفع الله به عدد (كذا) كثير من طالبي هذا الفن : فمنهم الفقيه البركة الخير الناسك ، الأمين الكبير بالاعتاب السعيدة : السيد بوعزة بن العربي يعرف بالفشر النسب[19] ، وكان تقدمت له الخدمة بحنطة الفراش السعيد ، وكان ملازم (كذا) لصلاة الخمس مع سيدنا ، والحزب مع الموقت ، فلما رأى مولانا ملازمته

---

(18) القصد إلى الحاج محمد بن الطاهر الحبابي ، المترجم في « سلوة الأنفاس » 360/2 .

(19) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 2/77-79 ، وقرأت بخط ولده عبد السلام آتي الذكر : « توفي والدنا رحمه الله . . . سيدي بوعزة ، بن المرحوم المنعم : القائد العربي ، بن المرحوم المقدس بالله : سيدي بوعزة السفياني : يوم السبت 11 حجة عام 1300 ، ودفن بالزاوية الدرقاوية التي كانت ـ في القديم ـ بجامع الأقواس بابن العراصي المجاورة لداره ، رحم الله الجميع . . . » .

كلف به من يقرأ معه الحساب : وهو الفقيه البركة السيد محمد بن عب المتقدم الذكر، ولما نجب جعله سيدنا علافاً بالأعتاب الشريفة هنا بمكناس، إلى أن أمر أمره رحمه الله .

7 ـ وقرأ أيضاً مع الفقيه العدل البركة الأفضل : السيد صالح النسب الحلموني[20] ، وكان تقدمت له الخدمة بالحنطة ، وهو عدل ببريمة[21] ، وكان آخر عمره ملازم مجلس العلامة السيد المفضل السوسي بين العشائين ، ومهما سمع اسمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا قال : الله ، وارتفع من محله وسقط على الأرض مغشياً عليه ، وظهر ذلك بعده في أحد أولاده الاربعة الذكور ، وبنتيه : إحداهما كانت تحفظ قراءة البصري ، والثانية تحفظ ورش[22] ، وتوفي رحمه الله .

8 ـ وقرأ عليه ـ أيضاً ـ الطالب الخير الأمثل : السيد العناية بن صالح الحلموني النسب ، البركة الخير ، كان مقدماً بالمقام السعيد : بضريح مولانا إسماعيل رضي الله عنه ، إلى أن توفي رحمه الله .

9 ـ وقرأ عليه ـ أيضاً ـ العلاف الطالب الأجل سيدي قاسم النيار ، الملازم تلاوة القرآن العظيم في جميع أوقاته ، وكان مقدم (كذا) بمقام ولي الله تعالى المشهور البركة : سيدي عمرو الحصيني نفع الله به ، وبضريح مولانا إسماعيل ـ أيضاً ـ إلى هذا العهد ، وتوفي رحمه الله .

وقرأ مع عدد كثير من الطلبة غير المذكورين ، توفي ـ رحمه الله ـ في ربيع الثاني عام ستة وسبعين ـ بموحدة ـ ومائتان (كذا) وألف ، ودفن بروضة سيدي أحمد الضاوي بسوق الغزل ببريمة .

* * *

وقد أمر مولانا أعزه الله باشا مكناس أن ينتخب له ـ أيضاً ـ عدد (كذا) آخر من

---

(20) ترجمة في « إتحاف أعلام الناس » 387/4.

(21) سيذكر المؤلف عند الترجمة رقم 40 : أن هذه الناحية هي المعهودة لجلوس العدول من البواخر .

(22) إحدى البنتين تسمى « فضيلة » ، وكانت بقيد الحياة عام 1307 هـ .

أعيان جيشه السعيد ، فمنهم من وجههم لفاس وتطوان والعرائش وغيرهم ، فنجب منهم عدد في الحساب والتوقيت والتعديل ، وطلعوا للخدمة الشريفة صحبة الركاب السعيد .

10 ـ وهم الفقيه الأجل ، المبجل الأفضل : السيد محمد ، بن المنعم البركة الأستاذ المذرر المتقدم الذكر : السيد محمد ابن الخليفي ، ولازم الخدمة إلى هذا العهد ، وكان علافاً لمسخري البخاري ، وكان كبير الموقتين ، توفي بمكناس رحمه الله .

11 ـ والطالب البركة الأمثل : السيد محمد يدعي شَطْر النسب المالكي[23] ، قرأ علم الحساب والتوقيت : بعمل الربع وبعمل الحساب ، وروضة الأزهار ، والتعديل ، وكان يحفظ قراءة البصري ، توفي رحمه الله ، قرأ على الفقيه السيد التهامي الزرهوني بالعرائش ، وقرأ أيضاً ـ بذكره ـ على السيد عبد الخالق الأودي وعلى بريط النسب بثغرَ طَنجة .

12 ـ ثم الفقيه الجهبود الماهر ، السيد صالح بن يوسف النسب[24] ، كان قرأ مع المذكورين أعلاه ، مع شطر المذكور قبله ، وكان يحفظ قراءة العشرين : الكبير والصغير ، ويحسنها ، ولما تقاعد على الخدمة كان علافاً بأحد الأرحى الستة ، ونفع الله به .

13 ـ ومن جملة من قرأ عليه السبع والعشرين : الفقيه الحسيب ، الناسك المبجل الأفضل ، المذرر العدل : السيد علال يدعى أبا علال ، بن السيد صالح العدل الحلموني[25] المتقدم الذكر ، كان مذرراً ، نفع الله به ـ أيضاً ـ عدد كثير (كذا) من أولاد المسلمين ، قرأ عليه عدد من الأساتيذ وغيرهم مع صغر سنه ، حتى كان تضرب به الامثال ، وتَرد عليه الوفود من الجبال بقصد القراءة عليه ، . . . رحمة الله علينا وعليه .

---

(23) سيذكره المؤلف بين أساتذة عبد القادر بن المعطي الغرباوي : عند الترجمة رقم 38 .

(24) ترجمته في « إتحاف اعلام الناس » 388/4 .

(25) ترجمته في « نفس المصدر ». 5/480-481.

وأخويه (كذا) اللذين هما أكبر منه : كبيرهم الطالب الأستاذ العدل السيد العربي ابن صالح[26] ، رجل من أهل الخير والكرم ، ومحباً (كذا) لآل البيت وحمله القرآن العظيم ، ولعباد الله الصالحين ، كان قوي الطبع ، درب اللسان ، مهدار كلام (كذا) ، حتى لا يسوغ للحاضرين أمامه كلام ، وكثيراً ما يتفاخر بالثناء على هذا الجيش السعيد ، وذكر قوتهم وبسالتهم وكرمهم وحيائهم ومحاسنهم وأعيانهم وخدمتهم على قدر محبتهم الخ .

وكانت (كذا) غبطة ومحبة في الشيخ الكامل مولاي محمد بنعيسى رضي الله عنه ، وكان يلهج بها في جميع المحافل ، وكان مقدماً على الطلباء ، ويلزمهم الحزب بالمقام السعيد بعد صلاة العصر ، ويجعل لهم في بعض الليالي الإكرام بالضريح المبارك ، ولا سيما في الليالي المعتبرات ، وكان يلزم بعض أعيان المدينة بالطعام والطيب والشموع : الذين فيهم محبة أهل الله ، ومن تأخر صالكْ له بخيله ورجاله حتى يودي ما وظف عليه ، وكان يسمى عند الطلباء بالباشا .

ومن محاسنه أنه كان يجعل للطلباء (لكَمَ وقرّد) في الليالي العظام ، بمقام الشيخ الهمام : أعني ماعوناً كبيراً من الطوس مملوء (كـذا) بالطوبة ، ويجعل فيه ما ينيف على الثلاثة أرطال من السمن المذاب ، وما يزيد على الأربعة أرطال من غبرة السكار ، ولا يبقى أحد من تلك الجموع إلا أكل منها وهم أكثر من المائة .

وإن كانت عنده وليمة أو عقيقة أفرط في أنواع الأطعمة ، ويختم بالمذكورة ، وذلك دليل على خيارته وحسن نيته ، وإن رأى بمجلس حلوة مصنوعة أو عسل (كذا) خرج عن حاله ، وهو الذي خلف والده المرحوم فيما أخبر عنه آنفاً : من كونه إن كان بمجلس من مجالس العلم والأفاضل ، وسمع حديثاً أو معجزة عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاح وخر مغشياً عليه .

---

(26) كان بين معلمي الأميرات في قصر المدرسة بمكناس ، حسب « العز والصولة . . . » 79/1 .

وكان تقدمت له خدمة بالحنطة السعيدة ، ولم تتقدم له معرفة في الفن ، وتقاعد ملازماً للشهادة ، كان طالباً ذلك من مولانا الخ .

14 ـ وأخوه المذرر الأستاذ العدل ، الحيي الخير الأمثل : السيد الحاج المحجوب ، كان خيراً ذاكراً ذو مروة وأخلاق حسنة ، توفي ـ رحمه الله ـ قبل السيد العربي أخاه (كذا) ، وكانوا يدعون النسب ، كأولاد بوجنون المتقدمين الذكر .

15 ـ هذا ومن جملة المتتخبين من الطبقة الثالثة من هذا الجيش المبارك السعيد : الطالب الأمجد السيد المجذوب بن القائد العناية النسب[27] ، كان جدياً ، قوي النفس ، حسن السمت ، كان يحسن الحساب والتوقيت ، كان والده كبير مسخري البخاري ، ولما تقاعد عن الخدمة كان علافاً بالأرحى المعلومة ، وكاتباً مع صهره الباشا القائد حم بن الجيلاني ، توفي رحمه الله بمكناس .

16 ـ وأخوه : الأستاذ سي عبد السلام : حاد قافي علم الحساب .

17 ـ وثانيهم الطالب الأجل ، الأستاذ السيد العربي بن السيد بو عزة الفشر ، وتمادى على الخدمة إلى آخر أيام المولى الحسن ، توفي رحمه الله بمكناس .

18 ـ وباقي الطلبة المنتخبين لما ذكر : جلهم قرأوا علم الحساب ونجبوا فيه فقط ، وجلسوا بمكناس : فمنهم من كان يذرر : كالطالب النبيه السيد المحجوب بن عبد الرحمن النسب ، كان حيسوبياً صرفاً ، وكان يحسن رواية البصري ، وكان إماماً ومذرراً بمسجد روي مزيل قرب سيدي علي منون نفع الله به .

19 ـ وكذا الطالب الأديب ، الحيسوبي : السيد محمد بن رابح النسب .

20 ـ وكذا الطالب البركة النجيب في فن الحساب : السيد محمد بن عمرو النسب الفلالي ، كان علافاً برحى تافللت .

---

(27) سيذكره المؤلف بين أساتذة عبد القادر بن المعطي الغرباوي : عند الترجمة رقم 38 .

21 ـ وكذا الطالب الخير الأمثل ، البركة : السيد محمد بن يش النسب ، كان عدلاً ببريمة ، وكان لا يفارق السيد بناصر المتقدم الذكر في الأربعة النجباء : بقصد العمل والمذاكرة معه .

وعدد كثير منهم لم نجد و (كذا) من يخبرنا بهم ، رحم الله الجميع .

* * *

ولما توفي المولى عبد الرحمن قدس الله سره ، وتولى الإمارة بعده خليفته وولده الأسعد الأرشد : سيدي محمد . . . ضابطاً بلغ الغاية في علم الحساب وما يتفرع منه من علم الأرصاد وأحوال الفلك ، ويحسن علم الهندسة والهيئة والتعادل بالأزياج لحركة الكواكب ، وعلم الميقات والنصبة الفلكية ، والأحكام النجمية .

قرأ ـ رحمه الله ـ على عدد من أكابر علماء هذه الفنون : منهم الداهية الأكبر الطالب : القائد الجيلالي بن حم البخاري[28] ، كان ماهراً فيما ذكر عدا علم الهندسة : يعرف منه ما يحتاج إليه ، وكذا له معرفة تامة بالأوفاق وأسرار الحروف والأعداد ، كان كبير المشور السعيد وقته ، ولما كبر سنه تولى باشا بفاس الادريسية مدة ، ثم ولي ـ أيضاً ـ باشا بثغر طنجة ، إلى أن توفي ـ بها ـ رحمه الله ، وتولى مكانه ـ بفاس ـ الفقيه الماهر الأمثل ، النبيه : السيد عبد الله بن أحمد .

وكذا سيدنا المولى سيدي محمد بن عبد الرحمن : أخذ عن الطالب الأفضل ، الماهر في علم الفلك :

السيد الحاج عبد السلام يدعي الفلكي[29] : كان بالخدمة السعيدة إلى أن توفي رحمه الله .

---

(28) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس » 2/110-111 .

(29) انظر عنه « مظاهر يقظة المغرب الحديث » : الطبعة الأولى 1/168-169 .

وكذا أخذ علم الهندسة والهيئة وتمبنجيت : عن الماهر سي عبد الله العلج ، أو سي عبد الرحمن العلج[30] الخ .

وكان يقرأ معه وصيفه الفقيه السيد عبد الله بن أحماد النسب ، وأخوه الفقيه سي موسى : نشأوا معه ولازموه إلى أن توفي قدس الله سره ، وسي عبد الله هذا لازم معه قراءة ما ذكر من هذه العلوم ، حتى حاز منها الحظ الوافر ، وكان من أمرهما ما هو مسطر لكل منهما صدر هذا المقيد الخ .

وقد ألف تأليفاً في علم المسطرة لم يأت أحد بمثله[31] .

ولما تمهد ملكه، وحسنت سيرته وسياسته : أمر على عدد نحو الأربعين من جيشه السعيد ، وغيره من سكان فاس العليا والمنشية بمراكش والصويرة وأسفي والجديدة ومولاي أبي شعيب أزمور و. . . وأصيلا والرباط وسلا وغيرهم، وعين لهم العالمين بهذه الفنون بفاس ، بعد ما أعطوا الكساوي والصلات والمؤونة المياومة، فمن نجب منهم في الحساب والتوقيت طلع للخدمة مع الموقتون (كذا) ، ومن علم الحساب طلع لخدمة طلبة الهندسة صحبة الركاب الشريف الخ .

22 ـ فمن جملتهم الطالب الماهر المتقدم الذكر : السيد محمد ، بن بو سلهام الخلطي[32] الأستاذ المذكور صدرا للطلبة النجباء الأربع المنتخبين أولاً .

قرأ القرآن العظيم ورواية سيما : على خاله الفقيه البركة السيد محمد بن الخليفي المذكور كبير الموقتين ، كان تأخر عن الخدمة لما وقع بينه وبين الفقيه شطر المتقدم ، ورجع ـ أيضاً ـ للخدمة بعد وفاة مولانا عبد الرحمن قدس الله سره .

---

(30) الواقع أن اسمه عبد الرحمن ، انظر عنه « المصدر الأخير » 105/1، 167 .

(31) عن هذا التأليف ونشاط مؤلفه في بعث دراسة الرياضيات والفلك بمغرب ق 19 : يرجع إلى « نفس المصدر » 145/1-150، 164-165.

(32) أنظر عنه « المصدر ذاته » 99/1-100 ، وهناك ست وثائق تتصل بمهماته التوظيفية ، وهي الواردة نصوصها بملحقات هذه المقيدة عند الأرقام 1-6 .

وقرأ من علم الهندسة ست مقالات من قلدس المعروف ، وكان يحسنها غاية ، ويتقن علم الحساب بمنية الإمام ابن غازي ـ رحمه الله ـ على الشريف الأجل ، العالم الماهر : مولاي ادريس البلغيثي الفاسي[33] ، وكذا علم الميقات والتعديل على أربابه .

وطلع للخدمة الشريفة ولا زال ملازماً للخدمة إلى أن تقاعد عن الخدمة في هذا العهد أيام المولى يوسف لما كبر سنه ، ولا زال قيد الحياة إلى الآن ، أطال الله عمره .

وفي أيام المولى الحسن كان عنده في مكانة ، لأجل خدمته وضبطه وتحقيقه للأمور ، ولصدقه وجده ، وكان يوجهه للمراحل التي ينزل بها سيدنا عند سفره وانتقاله في جميع أقطار المغرب من إيالته السعيدة : من سوس إلى وجدة إلى سجل ماسة وإلى وادي نون .

وأمره أن يجعل له كناشاً يجمع فيه تلك المراحل بسوائعها ودقائقها ومقامه بها وما وقع فيها من الأمور المهمات وعدد الحركات : كل واحدة بتاريخ العربي والعجمي كما هو مبين صدر هذا المقيد عنه مشافهة من كناشة ، لأنه كان جعل نسختين : إحداهما دفعها لمولانا المقدس ، والأخرى بقيت تحت يده إلى هذا العهد الذي نقلت فيه .

ومن نجابته أنه كان وجهه سيدنا لثغر العرائش وأمر باشاها سي التهامي بن (بياض) .

أن ينتخب له عدداً من الطلبة من أبناء أعيانها ، لأنها كانت في القديم دار سكنى هذا الجيش السعيد ادالة ، ولا زالوا (كذا) أحفادهم يعرفون إلى الآن ، فعين له عدد كثير ، وقرأ معهم علم الحساب والميقات إلى أن نجبوا في مدة قريبة .

ثم أيضاً رشحه المولى عبد العزيز لتعليم جيش قصبة المنشية من مراكش ، فاجتهد في تعليمهم ما ذكر إلى أن نجبوا وامتحنوا بأبي الخصيصات بالدار العالية ، بمحضر الفقيه

---

(33) « المصدر ذاته » 105/1 .

العالم السيد الاخصاصي[34] ، كان يحسن علم ما ذكر ، وكان قاضياً بمدينة تازة ، ثم صار من أعيان الكتاب ، وبمحضر سي المصطفى بن موسى وكاتبه الآتي ذكرهما بعد ، فنجبوا بعدما أنعم عليهم مولانا بالمونة ، وبعد الامتحان خرجت لهم الكسوة ، وطلع البعض منهم للخدمة بالخنطة السعيدة ، وحاصله نفع الله على يده أناساً سفراً وحضراً ، ولا زال ينتفع منه إلى الآن ، جزاه الله بالإحسان .

23 ـ وكذا الطالب الأجل السيد ادريس بن القائد محمد الفيضي النسب الفلالي[35] ، كان حاذقاً فيما ذكر .

24 ـ وكذا الطالب اللبيب السيد العباس الرغاي .

25 ـ وكذا الطالب الخير الذاكر : السيد الجيلاني بن بلخير النسب ، يلقب ـ عند الطلبة ـ بطمطام ، كان مكلفاً عند سيدنا يخبره في الطريق يوم الرحيل بكل ساعة مضت ، إلى أن يصل في تلك المرحلة للدار الذي ينزل بها ، وكان سيدنا يلقبه بالبحري ، لأنه كان سأله عن مرحلة فقال ذهبت منها إلى شاطيء البحر ، وهذا سبب ما لقبه به الخ .

26 ـ وكذا الطالب الخير الأمثل ، التالي كتاب الله عز وجل : السيد محمد يدعي خرويو النسب ، كان على فترة ، وكان يجود القرآن ، ومن خيارته كان أمره سيدنا أن يحضر معه بعد الفجر وفراغه من قراءة الحزب بدويرة بمسجده بالدار العالية بجامع الرملة ، ويتلو معه القرآن العظيم ، ويختم معه سلكة بعد سلكة مدة مقامه بمراكش في تلك الحركة ، وأخبر أن سيدنا يحفظ القرآن حفظاً متقناً كما ينبغي الخ .

---

(34) إسمه محمد بن محمد ، وتوفي عام 1354هـ ، حسب « إتحاف المطالع » .

(35) ترجمته في « إتحاف اعلام الناس » 31/2 .

27 ـ وكذا الطالب العلاف في محل والده السيد محمد بناصر النسب المذكور ، وكان لا يحسن مما ذكر إلا التوقيت والحساب . . .

28 ـ هذا وغير من ذكر فيهم من نجب في علم الحساب والهندسة إلى آخره : فمنهم الطالب الأديب الحيي : السيد قاسم بن محمد يدعى الدامي النسب[36] ، كان في غاية ما يكون فيها ذكر ، وكان المولى الحسن وجهه مكلفاً بالمدفع وغيره مع ادالة العسكر والطبجية لخنفرة ببلاد زيان ، وطال جلوسهم هناك سنين حتى تأهلوا ، ولخيارته ومروءته جعلوه هناك قاضي ، إلى هذا العهد أيام المولى يوسف وقدم بأولاده وعياله وأقام هنا بداره ببريمة نحو العام ، وتوفي رحمه الله .

29 ـ وكذا الطالب النجيب السيد قاسم السلاوي النسب ، كان جده باشا بمكناس ، وكان في غاية ما يكون في الحساب والتوقيت وتسيطر الرخائم ، ولا زالت رخامة من عمله مكسرة على أحد المقابر بمولاي عبد الله بن أحمد المكاوي خارج البلد ، رحمه الله .

30 ـ ومن جملتهم الطالب الخير الأمثل : السيد إدريس بن المرحوم الطالب السيد أحمد البرنوصي[37] ، كان مكلفاً عند العلاف الكبير بكتب قائمة المؤونة المياومة : أعيان وحناطي ومخزن وعسكر ، يتلقى ذلك من علافين (كذا) المذكورين ويثبتهم فيها ، ويدفعها وزير الحرب : العلاف الكبير لسيدنا يوقع عليها بتنفد ، وبعد هذا يعلم العلاف الكبير ـ بيده ـ كل بطاقة مثبتة في القائمة على حدتها ، فيحوزونهم (كذا) العلافة ، وكل واحد يدفع بطاقته لأمين الصائر ، فيمكنه من مشونة المكلف لهم بذلك الخ .

وأما والده المذكور سي أحمد رحمه الله : كان أسود اللون ، وكان توجه بمكاتب للمكلفين لأحد قبائل جبالة ، فمر على جماعة وسلم عليهم فردوا عليه ، والحالة هذه

(36) ترجمته بـ « المصدر الأخير » 5/530-535 .

(37) ترجمته بـ « المصدر الأخير » 2/29 .

وفرسه أدهم ، وسلهامه أسود ، فقال أحدهم : ظلمات بعضها فوق بعض ، فسمع ذلك فحمل عليهم بفرسه وأخرج سيفه بيده ، وكمل لهم الآية بقوله : إذا أخرج يده يفتك بهم ، فعلموا أنه طالب ، ورحبوا به غاية الخ .

توفي سي ادريس المذكور بسايس كان مريضاً ، ودفن بروضة الشيخ الكامل رضي الله عنه في . . . .

ألحقنا الله به مسلمين .

31 ـ ومنهم الطالب الحسيب السيد أحمد بن القائد محمد الشاذلي[38] ، كان نجيباً غاية في علم الحساب ، ومناسب (كذا) في الهندسة ، وكان يكلفه كبيرهم بتعليم الطلبة الذين يتخلفون بحنطتهم : الحساب ، حتى يكون في مجلسه ما يزيد على العشرين من الطلبة بمسجد مولاي اليزيد بقصبة المنشية الخ .

وكبير المهندسين ـ إذ ذاك ـ الشريف الأجل ، الفقيه المبجل : مولاي أحمد الصويري ، وكان عند المولى سيدي محمد في مكانة ، لأنه كان شيخ الجماعة وقته في جميع الفنون المتعلقة بعلم الحساب والهندسة وما يتعلق بأحوال الفلك والهندسة وغير ذلك ، وهو الذي علم الشريف مولاي ادريس البلغيثي ـ المذكور ـ الهندسة وغيرها ، وكان بارعاً فيما ذكر عنه ، وكذا المولى سيدنا الحسن : كان يلاحظه ويجله ، وكان جلوسه وقت المخزنية مع وزير الحرب ، حتى انه طلب من مولانا الحضور بالحديث الشريف بمجلس سيدنا فأذن له ، وكان يجلس خلف الستر مع العلماء ، وهذه أعظم مزية مكانة عنده ، توفي ـ رحمه الله ـ بمراكش أيام المولى عبد العزيز .

32 ـ ومن النجباء المذكورين : الطالب النبيه : السيد الحسين النسب الترجي ، كان يحسن الهندسة ، لأنه قرأ مقالاتها الثلاثة عشر ، ويعرف علم الوقت ، وكان كلفه كبيرهم بالمدافع والمهارز يباشرهم ، وكذا بالخزائن التي هناك ـ بالدار البيضاء ـ لإقامة

---

(38) ترجمته بـ « المصدر الأخير » 467/1 .

المدافع المذكورة والبارود هنا بمكناس ، إلى أن توفي رحمه الله .

33 ـ وكذا معينه الطالب الخير : السيد الطيب بن سي الفاطمي النسب البخاري ، كان حيسوبياً فقط ، وكان بعد ذلك تأخر بزاوية سيدنا ومولاي أحمد التجاني ، قائم (كذا) بتنظيفها ومباشرتها غاية ، إلى أن توفي رحمه الله أيام المولى يوسف .

34 ـ وكذا من أعيانهم الطالب الخير المبارك ، الذاكر : السيد سليمان بن السيد الطاهر الرغاي[39] المذكور في الطبقة الأولى .

35 ـ وكذا ابن أخيه الطالب الأجل ، الخير الذاكر الأمثل : السيد عبد الرحمن النسب ، ابن الطالب البركة السيد العربي[40] ، كانت تظهر له كرامات ، وكان من جملة طلبة الهندسة ، وبعد ذلك انتقل لخنطة التوقيت ، ولا زال هو وعمه سليمان المذكور قيد الحياة الخ .

36 ـ وكذا الطالب الأجل ، الحيسوبي : السيد عبد السلام النسب التروجي ، كان مكلفاً بتطوان بسقالاتها ومدافعها ما يزيد على العشرين سنة فأكثر ، الى أن قدم أيام المولى عبد الحفيظ ، وأقام بمكناس نحو العامين الى أن توفي رحمه الله .

37 ـ وكذا الطالب الشجاع الأجل : السيد الجيلاني النسب التروكي ، حيسوبياً (كذا) ، وكانت له معرفة في ارتفاع المدفع والمهراز ، ولا زال قيد الحياة الى الآن الخ .

* * *

ولما توفي المولى سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن بمراكش قدس سره ، وتولى بعده خليفته وولده الأسعد : الملك سيدنا ومولانا الحسن ، الذي حاز من المحاسن كل وصف

---

(39) سيذكره المؤلف بين أساتذة عبد القادر بن المعطي الغرباوي ، آتي الذكر عند الترجمة رقم 38 .
(40) صار مقدم المشهد الإدريسي بزرهون ، إلى أن توفي أواخر الستينيات هـ .

حسن ، ولما تمهد ملكه وحسنت سيرته وسياسته : أمر وصيفه باشا مكناس : القائد حم بن الجيلاني النسب السرغيني[41] ؛ أن ينتخب له من الجيش السعيد عشرة من الطلبة ـ أولاد الأعيان ـ عند رجوعه من حركة سوس الأولى ، فحضروا لديه وهو جالس على سرير ملكه بداخل قبة الزاج التي تشرف على غرسة البحراوية بطرف مدرسة الدار العالية ، وكبير مشوره الطالب القائد ادريس بن العلام النسب[42] ، يقدم الطلبة واحداً بعد واحد ، وكبير الموقتون (كذا) السيد محمد الخليفي ـ صدر الطبقة الثانية العبد الرحمانية ـ يعرف بهم ، فصدر بنحو الأربعة منهم الذين كانوا يقرأون السبع ، فقال له سيدنا أكلهم أساتيذ ؟ فقال لسيدنا : لكنهم كلهم طلباء كما ينبغي ، وفيهم ثلاثة يعرفون الميقات والحساب ، فأجابه سيدنا بقوله : يقدم لهم ، ومراد المكلف المذكور أن يلزمهم سيدنا الخدمة في ذلك الوقت لاعانة من قبلهم في الخدمة والحزب ، فقال سيدنا أعزه الله : الجيلاني الرحالي موقت المسجد الأعظم يقرأون عليه الخ ، ونهض ركابه الشريف متوجهاً وقاصداً لما هو بصدد (كذا) ، وهي حركة سوس الثانية ، ولما رجع منها وحل ركابه الشريف مكناس : أمر بطلوع من نجب من الطلبة المذكورين للخدمة ، فطلع منهم الثلاثة المشار عليهم أعلاه ، فصلوا مع سيدنا العصر بمسجده بالدار العالية : بالمدرسة ، ولما خرج الامام والمؤذنون والموقتون وسيدنا أمام المحراب ، فالتفت بوجهه السعيد مقبلاً عليهم ، فجلسوا بين يديه حذو ركبتيه ، وابن الخليفي قائم على رؤوسهم أمام سيدنا ، وسيدنا يبحثهم ويتذاكر معهم ، حتى بحثهم على علم التعديل فأخبروه أنهم ما قرأوا غير عمل التسهيل ، فقال ـ رحمه الله ـ لا بد من قراءتهم التعديل بعمل المنهاج ، وهو الامام بن البناء رحمه الله ، عليه شيء من الأزياج ، فأجابه ابن الخليفي : سيدي نطلب اعانتهم لنا الآن على الأوقات ، وهم يقرأون ما ذكر سيدنا ، فساعده على ذلك ، وأنعم عليهم بالكسوة والمؤونة وملازمون للأعتاب الشريفة ، ويعين لهم وقتاً لقراءة ما ذكر على شيخهم الرحالي مدة مقام سيدنا بمكناس ، فأقام به عام واحد (كذا) داخل فيه

---

(41) توفي في تارودانت أوائل عام 1318 هـ .

(42) كان والده العربي السفياني قائد المشور أيام السلطان أبي زيد بن هشام ، وتوفي أواخر عام 1317 هـ .

الخروج لحركة بني مجلد ورجوعه منها بالسلامة لمكناس أيضاً .

وشيخهم هو الفقيه الجهبود الماهر في هذه الصناعة : السيد الجيلاني النسب الرحالي[43] ، كان رجل (كذا) ذاكر زاهد موصوف بالكرم ، وهو مقدم الطائفة الكتتية[44] ، وكان من أهل السر ، وكان مولاي أحمد الصويري يلازمه في مستودع المسجد الأعظم في غير أوقات المخزانية متى أم سيدنا بمكناس ، الى أن توفي ـ رحمه الله ـ عام ثمانية بعد الاثنا عشر مائة[44ك] ، ودفن بزاوية شيخه سيدي المختار الكنتي بمكناس .

قرأ ما ذكر على الفقيه العالم الفاضل : السيد المكي الجنان المكناسي[45] ، وكان رجل (كذا) صاحب أحوال ، وكان الفقيه الحبابي الفاسي يقول للطلبة : هذا ابن غازي وقته ، وقرأ على غيره من علماء هذا الفن في كل أرض .

كان علافاً على حنطة الأفراج السعيد ، وكاتباً مع كبيرها القائد المدني ، ومهما سمع بأحد في الغرب والحوز الا يذهب إليه ، ولا يحتاج لمشورة القائد المذكور حتى يرجع في الوقت الذي يرجع فيه ـ أيضاً ـ لحنطته ، وهذا سبب خدمته معهم . وكانت له معرفة بالفقيه السيد عبد الله بن أحماد المذكور ، وتسبب له في التوقيت بمكناس بعدما زوجه بنته ، ولم يعقب ، وبقي إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ في الوقت المذكور أعلاه الخ .

38 ـ والطلبة الثلاثة الذين طلعوا للخدمة هم الطالب الأجل الأستاذ : السيد عبد القادر ، بن المنعم السيد المعطي بن العناية[46] المتقدم الذكر ، الذي كان ميقاتياً قبل

---

(43) ترجمته في « إتحاف أعلام الناس» 2/112-114 ، وعن المزاول الشمسية التي خططها : يرجع الى « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/162 .

(44) من الوثائق التي تتصل باعتناقه للطريقة الكتتية : رسالة كتبها لصهره عبد الله بن أحمد عن أشغال بناء الزاوية الكتتية بمكناس ، حيث سيرد نصها عند الملحق رقم 7 .

(44ك) الصواب في تاريخ وفاته عام 1309هـ .

(45) ذكره أبو اسحاق ابراهيم التادلي ضمن أشياخه ـ بفاس ـ في الميقات والتعديل ، انظر « مظاهر يقظة المغرب الحديث » 1/96 .

(46) ترجمته في « اتحاف أعلام الناس » 5/355-356 .

الأربعة المذكورين النجباء أيام المولى عبد الرحمن ، وولده هذا يحسن علم الحساب والتوقيت من طرقه ، قرأ هو والمذكورين (كذا) بعده ، - قبل تعيينهم - على الفقيه الماهر ، العالم المشارك : سيدي أحمد بن العربي العرائشي المكناسي[47] ، تقدم التعريف به في غير هذا المقيد ، قرأ عليه التوقيت والتعديل هو والثالث ، والثاني قرأ عليه معهما علم الوقت فقط ، وقرءا عليه ما شاء الله من الفقه والنحو ، كما قرأوه على الفقيه المبجل ، الجهبود المدرس المحقق : سيدي الطاهر يدعي باحد المكناسي ، وكذا على الفقيه العدل : السيد محمد بن حلام المكناسي ، وعلى الفقيه الأديب الكاتب العدل : السيد الغالي السنتيسي ، رحم الله الجميع ، وعلم الحساب كان قرأه على السيد سليمان الرغاي المذكور مهندساً ، وقرأ المقنع هو ومرافقه الثالث على الطالب الحاذق المتقدم : السيد المجذوب بن العناية ، وكذا قرءا الربع المجيب وروضة الأزهار على الفقيه البركة السيد محمد شاطر ، كما قرءا - معاً - روضة الأزهار على العرائشي المذكور ، وكذا قرءا عليه الستينية في علم الوقت بالحساب الخ ، ولما نهض مولانا لحركة بني مجلد تأخر الأول لضرر كان به ، والثاني والثالث توجها صحبة الركاب الشريف لفاس الخ .

39 - والثاني : الطالب السيد المصطفى بن القائد محمد بن موسى ، أخ الطالب الأجل : القائد الجيلاني بن موسى النسب ، كبير مشور مولانا عبد الرحمن وقته ، كان خيراً ديناً ، وكان يقوم الثلث الأخير من الليل لتلاوة القرآن وللتهجد به منذ نشأ ، وكان هذا وصفه حضرا وسفرا إلى أن لقي الله ، فهنيئاً له ، ألحقنا الله به مسلمين ، كان في غاية ما يكون في علم الحساب ، كان تقدم له من جملة الطلبة الذين تعينوا للقراءة أيام المولى سيدي محمد ، وقرأ علم الوقت على الفقيه الرحالي والفقيه العرائشي ، وكان يحسن عمل الربع المجيب والستينية .

ولما تولى الوزارة الفقيه النزيه ، النجيب الحاذق ، السياسي : السيد أحماد بن

---

(47) ترجمه ابن زيدان باسم أحمد بن الحاج عبد القادر ، حسب « اتحاف أعلام الناس » 1/455-456 .

الفقيه الوزير السيد موسى بن أحماد بعد الحجابة : حسنت أخلاقه وسياسته ، واستقم (كذا) أمره الخ ، وقد تقدم الكلام عـليه لما توفي والده رحمه الله الخ : عين له محلاً يكون به مع الطالب الأديب ، الأستاذ السيد حمان بن عزيز النسب الفلالي[48] ، وهو أمين الداخل عنده بداره ، كان ذو (كذا) مروءة وجد وصدق وديانة ، فأنزله معه ليعينه على الأوقات الليلية ، وكذا بالنهارية ، ويقيم الصلاة في الأوقات الخمس ، والحزب في وقتيه مع المكلفين عنده من الطلبة والأصحاب الداخلين والوصفان المقابلين الخ .

40 ـ والثالث وصيفكم محمد العلمي ، ابن وصيفكم الطالب الحبي أحمد بن رحال[49] : كان أديباً أليفاً عفيفاً ، لطيف الخلق والخلق ، هيناً ليناً عاقلاً ، يؤثر على نفسه من غلبة الكرم عليه ، متأدباً بآدابكم ، متخلقاً بخلقكم ، نشأ بالأعتاب الزيدانية ، كان محباً لهم ومحبوباً عندهم ، ولا يفارق مجالسهم ، حتى كأنه أخاً صادقاً لهم ، كان يجالس سيدنا جدكم مولانا عبد الرحمن ، وأخوه (كذا) مولانا أحمد ، ومرافق (كذا) لعمكم مولانا عبد القادر[50] ، لأوصافه المحمودة الجميلة ، ولعلمه وأدبه وذكائه وفصاحته وفطنته .

وكان لا يجالس إلا الأكابر من ذوي الرياسة وأهل العلم والفضل ، حتى انتخب وكان من جملة الكتاب بالأعتاب الشريفة ، لنجابته ونباهته ، وخطه الرفيع ، وقلمه البريع (كذا) ، إلى أن لازم مراقبة مقام جده والتنبيه لما لا بد له من الاصلاحات ، والزيادات المستحسنات ، وذلك بإذن مولاي حسني .

فاجتمع شمله مع مرافقه هذا أحمد بن رحال : كان ـ قبل ـ في أيام المولى عبد

---

(48) له ذكر ـ عرضي ـ بالمصدر الأخير 393/1 .

(49) ترجمته « بالمصدر ذاته» 1/ 465-466، وعنه يتحدث المؤلف في الفقرات الموالية ، فيوجه الخطاب للمؤرخ ابن زيدان المقترح لكتابة هذه المقيدة .

(50) ترجمته « بنفس المصدر » 5/353-354 ، والأوصاف التالية إليه تشير .

الرحمن مذرر بمكتب سيدي النجار ، لأنه كان يحسن تجويد القرآن بصوت حسن ، وكان علافاً برحى الكوارم ، وكان عدلاً بباب بريمة المعهودة لهذا الجيش ، وما تخلف عنها ـ إلى أن لقي الله ـ ما ينيف على الستين سنة ، وكان نائباً على الأمين العلاف الكبير : الفقيه السيد بوعزة الفشر : أبي الموارث ووكيل الغياب ، لصدقه وأمانته .

وشقيقه الطالب الضرير ، الأستاذ السيد عياد : كان يحسن قراءة السبع ، وكان يؤدب الشرفاء والشريفات أبناء الملوك : كأولاد مولاي المهدي بن عبد المالك ، وأبناء مولاي عمر ومولاي عبد المالك ، وكان مولانا عبد الرحمن يلاحظه ويصله ، وإن قدم لهذه الحضرة السعيدة يكسيه ويكرمه ، وكان نفذ له مصرية بالتوتة داخل درب القطوط ، مراعة (كذا) لخدمة والدهما مع مولانا سليمان ، قدس الله سره .

كان عنده كبير حنطة المحفة ، وتأخر مكلفاً بها في أول أيام المولى عبد الرحمن ، إلى أن توفي رحمه الله ، ودفن بروضة الولي الأشهر ، العالم الأكبر : الامام السهيلي بمراكش بازاء باب ضريحه ، وهناك نخيلة على رأسه .

وهو القائد الحاج رحال بن عياد النسب ، الحسناوي المختاري : من الكبارتة أجعانته ، ينتسبون لسيدي لحسن يعرف بعريان الرأس وجبان الماء . . . كان ينتسب إدريسياً ، وجدهم سيدي عبد القادر بولقرنات ، ولا أدري من والد أحدهما أوجده ، نفع الله بهما .

وأما والدتها الخيرة البركة دفينة زاوية مولانا إدريس الأكبر رضي الله عنه : من ذرية الولي الكامل : يعرف بسيدي محمد فتحا بن بوزيان بالقنادسة بوادي الساورة من أعمال توات ، ومن جملة خدامه آل تولال ، وكان رجل من ذريته يتلاقى مع والدنا على أنه قريبه يسمى سيدي الماحي ، كان عدلاً سكناه بقصبة تلال ، توفي رحمه الله . . .

هذا : وثالث الطلبة المذكورين محمد يدعى العلمي بن رحال : كان مدررا بالمسجد المرفوع بباب عيسى ، ينتسب لمولاي عبد الله بن حمد المكاوي ، كان يصلي فيه

الجماعة في المغرب والعشاء إلى الآن ، كانت طلبته الشريفة الفاضلة لآل مليكة بنت مولانا عبد الرحمن لتأديب ولد أخوها (كذا) مولاي عمر وأخته ، ولأجل ذلك اجتمع عليه عدد كثير من حمام الجديد وغيره مدة تزيد على الخمسة أعوام .

الى أن طلع للخدمة الشريفة عام أربعة وثلاثمائة وألف . . . وكان ينزل عند الفقيه الحاجب السيد أحماد بن موسى ، وكان وجهه سيدنا مع أحد أشياخه : السيد محمد ابن بوسلهام لاستيعاب المراحل من مكناس إلى مهدية ، الى العرائش ، الى أصيلة ، الى طنجة ، الى تطوان ، ورجعا ـ معاً ـ الى القصر الكبير ، وافترقا كما أمر سيدنا : فتوجه ابن بوسلهام المذكور على وزان الى فاس الى أن رجع لمكناس ، والثاني : رجع من القصر على وسط الغرب إلى مكناس ، وكان وافق خروجهما من مكناس اليوم الأول من الليالي ، ولم يروا شمساً في تلك المدة عدا أربعة أيام من كثرة الأمطار ، ويوم الأخير من الليالي دخل فيه الثاني لمكناس .

وكان قبل هذا كلفه الحاجب المذكور بالدخول لمحل قراءة مولاي عمر نجل مولانا الحسن ، وهو وأخويه مولاي أحمد ومولاي اسماعيل الزيداني رحمهم الله ، وأمره أن يكتب بلوحة مولاي عمر سطرين في ابتداء هذه الجهة ، وسطرين في الأخرى ، ويقرأ معه ما تقدم له من المرشد المعين ، وذلك في صباح كل يوم ، ولما رجع من الكلفة أمره ـ أيضاً ـ بالدخول لأنجال سيدنا للمباشرة المذكورة ، إلى أن نهض مولانا متوجهاً لحركة بني مجيلد ، وقطع النظر عن حركة المراسي ، وذلك عام الخمسة . ولما رجع منها لمكناس بالسلامة ، ونهض منه لفاس وأقام بها ما شاء الله ، ونهض منها قاصداً زيارة القطب الكامل : مولانا عبد السلام بن مشيش ، رضي الله عنه ، والتبرك برجال تلك الجبال ، نفع الله بهم ، وذلك عام 6 ، الى أن حل ركابه الشريف بمدينة تطوان ، الى طنجة وأصيلاً والعرائش ، ومنها رجع على وسط الغرب ، ودخل لمكناس وأقام به يوم I (كذا) ، ورجع لفاس بالسلامة والعافية وأقام بها ، الخ .

ومنها وجه هذا الثالث لمراكش بقصد الخدمة مع نجله الأمجد ، سيدي مولاي

محمد فتحاً : موقتاً وعلافاً على جميع الحناطي المنتخبة له ، وكبير المشور ابن يط الشرقي ، والفقيه العلامة الجهبوذ المشارك : سيدي الحاج المختار بن عبد الله النسب : هو الوزير ، وذلك كله بقصد خلافة النجل المذكور ، وأمر جميع عمال الحوز والدير وسوس بالحركة معه بقصد القدوم على مولانا للغرب ، وأمرهم بالتخييم برباط الفتح إلى أن تلاقى مع سيدنا هناك . . .

وهذا بعد ما نفد للميقاتي المذكور أعلاه : فرس جيد من الأروى السعيد بسرجه ، وبغلة ، وأمة ، وتينْدا طرّاحية ، ومجانة الطوق في أحسن ما يكون ، وشكلها غريب ، على وجهها إثنا عشر حجرة . . .

وكذا كان كلفه سيدنا الفقيه العلامة الوزير سيدي الحاج المختار بن عبد الله بكناش المضمن معه ، وكان من جلسائه بعد الفراغ من المخزنية . . .

وفي عام تسعة وجهه ـ أيضاً ـ مع نجله الفقيه المنعم مولاي عمر لوجدة وأنكاد ميقاتياً وعلافاً على الحناطي مع الشريف ، وكلفه الشريف بمقابلة روائه وهو ير بغال الحمارة لحمل أثقالها ، وكان عند الشريف في مكانة وصدق وجد .

وفي اليوم الذي كان الشريف متوجهاً وقدم لوداع سيدنا بأبي الخصيصات : وجه سيدنا على القائد محمد بن الحفيان كبير الأفراج السعيد ، وقال له : هافلان علاف عندكم على الحنطة من هذه الساعة ، لكن حتى يرجع من الكلفة مع مولاي عمر إن شاء الله . . .

وأقمنا بخدمتنا بالاعتاب الشريفة إلى أن وجهوا عليّ من جملة العلافة ، فدفعوا لنا مكاتب تسراد العدائر السعيدة : من خيل وبغال وإبل بالغرب ، لأن القاعدة بعد رجوع مولانا من الحركة : يوجه جميع هوائر البغال والخيل المضافة للأروى السعيد وإبل الأثقال ، فحوزت مكاتب الغرب الأيسر : الحباسي ، وابن عودة ، والرمش ، وقواد قبيلة شراردة ، ودخلت لمكناس وأقمت بها ثمانية وعشرين يوماً ، وتوجهت لمراكش وحللت بها في متم حجة الحرام عام 1314 .

وفي غده فاتح عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف وبعد ما مضت منه خمسة أيام : وجه علي الفقيه الوزير السيد أحماد ، وألزمني الجلوس بداره نيابة عن السيد المصطفى بن موسى الميقاتي المتقدم الذكر ، كان مقابلاً له بداره في جميع الأوقات النهارية والليلية ، وكان وجهه صحبة أخيه الفقيه السيد محمد فتحاً لجنس الأبروص لغرض شريف ، فأقمت مقام المنوب عنه بعدما أنزلني بالدويرة التي يقرأون بها أنجاله[2] بداره : منهم الطالب الأرضي الأفلح ، السيد العباس الحيسوبي الأنجح ، وأولاد[4] أخيه السيد محمد المذكور ، وأولاد [3] أخيه وزير الحرب وقته : السيد سعيد ، وكذا نزول الفقيه النحرير ، الأستاذ العلامة المدرس بالقرويين : سيدي محمد الغمري أصلاً ، الفاسي قراراً .

ولما قدم السيد المصطفى من الغرض المذكور وتلاقى مع الفقيه : قال له قل لحمان : فلان النائب يبقى هنا مع أولادنا بالمحل ، وفي جميع الأوقات يحضر معنا ، ويكون جلوسكم واحد (كذا) : أعني الميقاتيين ، والطالب الأستاذ السيد حمان بن عزيز النسب : كان أميناً مصدقاً عنده ، ومكلفاً بجميع أموره وخزائنه وبداره ، وجميع الداخل عليه وعلى المخزن تحت يده ، ولا يخرج من الدار عدا لصلاة الجمعة ، ويرجع حالاً ، لأن الفقيه ـ رحمه الله ـ كان يحتفل في كل جمعة لبعض الأشراف والعلماء وجميع الكتاب في روض معتبر له بالدار ، وفي دويرة أخرى له هناك بالدار ، الى أن خرج لحركة الشاوية عامة ، بعدما كان قدم أمامه أخاه الطالب السيد البشير خليفة سيدنا في محلة قاهرة ، كما ذلك مبين في محلة بمراحل تلك الحركة مع سيدنا ، إلى أن ظفر برعاة الأعشاش وبغاتهم وطغاتهم ، وقبض على ألوف منهم ، ووجههم للأحباس بمراكش ومكناس وفاس وتطوان ، كما كان فعل قبل بقبيلة الرحامنة لما سعوا في الأرض الفساد مع كبيرهم الطاهر ابن سليمان ، وفرقهم على الأحباس الخ .

ولما رجع سيدنا مظفراً مسروراً من الشاوية لمراكش ، وأقام بها مدة واستقامت الأمور وتمهد ملكه وانتشر الأمن في جميع أقطار المغرب : توفي الفقيه المذكور السيد أحماد ، ولم يترك بعده من أصحاب السياسة أحد (كذا) في ذلك الوقت مع المولى عبد العزيز الخ .

ثم قام معه أتم قيام الشجاع الدرغام : القائد المهدي المنبهي ، لأن له عصابة وقوة بإخوانه ومن انحاش إليه من جل قبائل الحوز ، واستولى على الأمور كاستواء بشر على العراق ، إلى آخر ما حدث في ذلك حتى استوى الماء والخشب ، والكل مبين في محله بحوادثه : كظهور أبي حمارة الخ ، وذلك مثبت ـ أيضاً ـ بمحلة بتاريخه الخ .

وهذا الفقيه الوزير المذكور ـ رحمه الله ـ كان في غاية القيام في أمور الرعية والاهتمام بها ، لا سيما حقوق الضعفاء والأرامل ، لأن المولى عبد العزيز ـ لصغاره (كذا) ـ كان خالي الذهن من السياسات ، ولا يعرف دسائس الناس وأحوالهم وما هم عليه من الحيال ، فاستولى عليه كي لا يطلع عليه أحد من الكبراء والوزراء ، ولا يتلاقون به إلا في الأعياد ، وكل واحد منهم يدفع ما هو واظفه (كذا) بيد الفقيه ، والفقيه يمكن سيدنا من ذلك ، ويبصره في الأمور وكيفية العمل بما يوقع عليه : بالتنفيذ ، أو صار بالبال ، وكيف تكون ملاقاته مع خدامه ، وبما يجيبهم به عن مقاصدهم ، أو توبيخ من أوجب عليه التوبيخ ، حتى ثبت واستيقظ من غفلته ، ومن غلبة الحياء المانع للتصرف ، وكان مانعاً له من التكاسل والركون للراحة الخ .

ومع هذا لم يشغله شيء ، ومع هذا لم يشغله ما ذكر عن أوقات الصلاة النهارية ـ مع الجماعة ـ بداره ، حتى مع الوصفان الصغار من جملة أصحابه ، ويسوي الصفوف بيده ، وكذا صلاة العشاء والفجر ، وأما المغرب فإن وجده الحال بدار المخزن فيصلي مع كتابه وبعض من حضر من الحناطي ، وإن خرج من دار المخزن قبلها فيصليها معنا بداره ، وكان طلب منا التأخر على صلاتها بنحو ثلث ساعة ، وإن لم يظهر فنصلوها ، ومهما قدم يحضر معنا بالحزب ، وحين يبقى ربع الحزب يقول : إقرأوا بالفلالي ، لأنكم ـ أهل مكناس ـ تحسنون ذلك ، وهم السيد حمان بن عزيز المذكور ، والميقاتيين ، والسيد ادريس أجانا المكناسي ، مع من حضر من الأئمة ، وذلك بعد المغرب والفجر .

وفي شهر رمضان المعظم يقوم غاية القيام بالتراويح ، وكذا في العشرة الآخرة منه : يحيي ويختم السلكة ليلة بعد ليلة على العادة ، وطلب مني أن أنتخب له عشرة من طلبة

هذا الجيش السعيد بقصد ما ذكر ، فيصلي معنا ما قدر عليه بعد العشاء ويدخل لداره ، وعند السحور يخرج الطعام والأتاي ، ويأمرنا أن نؤخر خمسة أحزاب الأخرة من السلكة ليحضرها معنا ، وحين يبقى للفجر نحو الساعة فأقل : يخرج ويحضر الختام . وبعد قراءة الحزب يدفع سي حمان ريالاً لكل واحد بيده ، إلى أن يخرج رمضان الخ ، وكذا إن وجدنا الحال بالحركة كحركة الشاوية : لا تكون فيها عدا التراويح بعد العشاء وقبل الفجر للاشفاع : السيد المصطفى قائم بسلكة التراويح بعد العشاء ، وإني والسيد ادريس أجانا قائمين بعد السحور : كل واحد منا يقوم في ليلة ، هذا ما شهدناه منه .

وأما عمله بداره : فقد أخبرنا عنه أنه حين يفرغ من حقوق النفس والأهل والعيال : يتوجه للقيام والأوراد والأذكار والأدعية ،وربما كانت طريقته كنتية .

وكانت له صحبة وغبطة في الشيخ ما العينين وفي أولاده وتلامذته ومن هو متعلق به ، حتى إن الشيخ ـ رضي الله عنه ـ جعل فيه تأليفاً سماه بالمسائل ـ أو المطالب أو ما في معناها ـ الأربعين الاحمدية الخ ، لأنه ـ رحمه الله ـ كان طلب من الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أربعين مطلباً يمن الله بها عليه ، فمدحه الشيخ في هذا التأليف المذكور ، وأثنى عليه ، ويذكر كل طلب بلفظه ويجيبه عنه ، ويقول : أنظر هذا الرجل وما هو عليه من التكاليف ومع هذا لم يغفل عن الله ، وأعظم مطالبه الختم بالحسنى ، والالهام لما فيه مصالح العباد ، والقيام بحقوقهم قدر الطاقة ، وكذا وكذا ، إلى آخره .

وقد ختم الله له بالخير وبالحسنى والحمد لله ، بشهادة من أخبرنا بذلك عنه . وهو سيدنا الفقيه العالم العلامة ، المشارك الماهر الأكمل : سيدي محمد بن مبارك الغيغائي[51] ، كان ملازماً له ، ومحل نزوله معه بداره ، وكان مكلف (كذا) عنده بمباشرة الكتب التي تنسخ ، ومن جملة من يؤم به الخ ، فلما حضرته الوفاة وجه عليه ، فلما دخل عليه وجده جالس (كذا) بالفراش ومتكئاً على الوسادات من الجانبين ، فأمره بقراءة القرآن العظيم وهو يسمع ، لأنه كان له صوت

---

(51) ترجمته في « الإعلام » المراكشي : المطبعة الملكية 7/168-170 .

حسن نحيف ، وكان يجوده غاية ، وسي حمان بباب القبة في مقابلته ، فأمره أن يحضر له ماء زمزم فأتاه به ، فصار يضع الماء في كفه ويمسح به وجهه وهو يحرك شفتيه وهو متجلد ، حتى غلب عليه الحال ، فأشار للفقيه أن يتم القراءة ، ونادى سي حمان فأمره أن يضعه على يمينه ، فخرج الفقيه ودخلوا على سي حمان الإماء المكلفين بالدار ، فأشار لهم يغطون وجهه ففعلوا ، ظناً منهم غلبة النوم ، وأشار لهم يخرجون عنه فخرجوا ، وأقاموا بباب القبة ، وحيث رأوه غبط في النوم دخلوا يتجسسون عليه ، فنادوه فلم يجبهم ، فوجدوه صار إلى عفو الله ، رحمه الله وألحقنا به مسلمين ، وقد كنت بداري ووجدني الحال شكياً ، فسمعت الصياحة والنياحة فقمت وخرجت إلخ ، حتى لحقت باب الدار داخلاً إلى أن أخرجوه الإماء على النعش ، فحملناه للباب الثاني : الفقيه المذكور الذي باشر غسله ، والسيد حمان ، وسي المصطفى الميقاتي المتقدم ، فدخلوا الصحافة وأخذوه وأخرجوه للباب الثالث الذي فيه جميع من حضر لتشييع جنازته في الوقت الفلاني من اليوم الفلاني من الشهر الفلاني عام كذا ، ودفن بكذا ، رحمة الله علينا وعليه آمين ، والوقت واليوم والتاريخ مقيد تحت سيادة صاحب الكناش الخ .

* * *

وأما من قرأوا عليه من الطلبة : أولهم الطالب الأجل ، الحيسوبي الأمثل ، الميقاتي المعدل الأكمل : السيد قاسم بن الأستاذ السيد عبد القادر الحسناوي النشواني[52] المذرر ، قرأ معه ـ أولاً ـ الحساب بالقلصادي ، ونظم ابن سعيد : « المقنع » ، والتوقيت برسالة المارديني على الربع المجيب ، وبعض أمور تتعلق بذلك ، وأما عمل التعديلات قرأه على شيخينا : سيدي الجيلاني الرحالي ، وسيدي أحمد العرائشي ، رحمهما الله بمنه ، وأفاض علينا من بركاتهم آمين ، وذلك عام 1302 بمسجد الزيتونة . ثم قرأ عليه ـ أيضاً ـ الفقيه العلامة قاضي الجماعة بمكناس : سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري

---

(52) ترجمته في « اتحاف أعلام الناس » 5/535-536 ، وهو والد الطالب الحي السيد عبد السلام ، المؤدب بمسجد حاموش في حي القنوط بمكناس .

الحسني[53] ـ تغمده الله برحمته ـ بعض أبواب من القلصادي والمقنع وعمل الربع بالخيط : ببيته بالمدرسة الفلالية[54] بمكناس ، عام أعلاه .

ثم قرأ ـ أيضاً ـ مع البركة العلامة قاضي الأحواز : سيدي أحمد بن يوسف الناصري[55] نظم المقنع والربع عام 1307 .

وقرأ مع الشريف العدل الفقيه سيدي حسن المنوني[56] الحساب والمقنع والربع وبعض أعمال التوقيت عام 1312 .

وقرأ ـ أيضاً ـ مع الشريف العدل سيدي مولاي محمد ـ فتحاً ـ الموقت بجامع النجارين[57] ، بن الفقيه المنعم سيدي محمد المنوني[58] ، كان ميقاتياً بالمسجد المذكور وكاتباً بالاعتاب الشريفة رحمه الله ، وذلك عام 1335

وكذا قرأ مع الطالب الأديب الحيي السيد العباس ابن المنعم الفقيه الوزير السيد أحماد بن موسى بن أحماد : عمل الحساب بالقلصادي فقط أعلاه .

وكذا قرأ عليه الشريف الطالب سيدي المهدي يدعى أب هدي بن سيدي محمد ابن المهدي الإسماعيلي[59] مؤدب الشرفاء بمسجد الشاوية خارج باب الستينية : الحساب بالقلصادي . . . يحسن جزأي الصحيح والكسور الخ : عام 1340 .

---

(53) ترجمته في « نفس المصدر » 299/4-300 .

(54) بيته هو الملاصق لمصلى هذه المدرسة يسار الداخل له .

(55) ترجمته عند عبد الحفيظ الفاسي في « معجم الشيوخ » 146/1-147 ، وكانت وفاته ليلة 22 شعبان عام 1355 هـ ، ومن غده دفن في الزاوية الناصرية بحي باب البرادعين .

(56) ترجمته عند محمد المنوني في « وثائق ونصوص . . . » ص 146-183 .

(57) من صدور الشهود بمكناس ، وبها توفي عشية الأربعاء 23 شوال عام 1371 هـ ، حسب « المصدر الأخير » ص 203 .

(58) ترجمته في « اتحاف أعلام الناس » 277/4 .

(59) توفي يوم الجمعة 11 شعبان عام 1362 هـ .

وكان تقدم له آخر عام 1309 : كان أمره الفقيه السيد أحماد بن موسى وهو حاجب بإذن من سيدنا : أن يحضر القراءة مع أنجال سيدنا ، وهو مولاي عمر ومولانا عبد العزيز ومولاي جعفر ومولاي عثمان ومولاي يوسف بمسجد بوطويل بالدار العالية بفاس ، كانوا يقرؤون علم الحساب على مولاي أحمد الصويري المتقدم الذكر ، وأمر هو بالمطالعة معهم قبل القراءة ، ويحضر معهم وقتها ، وبعد فراغهم منها يراجع معهم ، وبعده يأتي الفقيه الماهر موقت المسجد الأعظم بالعليا : السيد أحمد التواتي[60] يقرأ معهم التوقيت ويحضر هو معهم قبله والقراءة والمراجعة ، وهذا كان برمضان المعظم عامه ، وانتهى العمل حين عوشروا بعد العشرين منه الخ .

* * *

هذا : ونرجع لباقي الطلبة الموقتون (كذا) .

41 ـ السيد بن عيسى بن محمدا السحيمي الحسناوي الميقاتي ، وتقاعد على الخدمة ، وكان من أصحاب الباشا الحاج بنْعيسَى بن حم ، ولا زال ـ إلى الآن ـ مرافق لأولاده .

42 ـ والطالب السيد بوسلهام بن الخلطي ، يحسن علم الوقت ، ويرفع بالقوس ، ويعدل ببعض الأزياج إلى الآن .

43 ـ والسيد العربي بن المسن البركة الطالب السيد محمد الشريدي ، كان والد والده باشا هنا بمكناس ، كان ميقاتياً ، ويصلح الماجانات ، وهي حرفته .

44 ـ ثم السيد عبد الوهاب بن سي ادريس الفيضي ، يحسن عمل الحساب والوقت .

45 ـ وكذا الطالب السيد محمد الخليفي بن القائد محمد قرمودة : كان يعرف علم الحساب قرأه على الفقيه السيد الجيلاني الرحالي ، وتولى قائد المائة بمسخري البخاري .

---

(60) ترجمته عند عبد الكبير بن هاشم الكتاني في « زهر الأس في بيوتات فاس » : خ ، ع ، ك 1281 : ج 1 عند ذكر بيت بني التواتي .

46 ـ وكذا الطالب الأستاذ سي محمد بن بوعزة الفشر ، كان مذرراً ، وقدر الله عليه وضرب أحد تلامذته كان ساء عليه الأدب فمات من حينه ، وبقي بالسجن نحو العام ، ولما تسرح رجع للخدمة .

47 ـ وأخوه الفقيه الحيسوبي الأمين بالاعتاب الشريفة : السيد مُحمد بن بوعزة الفشر[61] .

48 ـ وكذا الطالب الخير السيد محمد بن الخليفي ابن الحاج بو سلهام : ولد الحنة ، كان في حنطة الهندسة ، ويعرف علم الوقت ، كان قرأه على كاتبه ، ووالده سي الحاج بو سلهام كان علافاً على عسكر الآغا الخوحة أيام المولى سيدي محمد . . .(ولما) تقاعد على الخدمة وجه عليه الوزير السيد محمد المفضل غريط ، وكلفه في الحركة بجميع قشة وكما نيته ، وفي الحضر يجلس بباب قبتة للمشورة ، وبقي معه إلى أن عجز لم يقدر على الخروج من منزله ، إلى أن توفي هنا الخ .

49 ـ والطالب الحيسوبي الحادق سي الجيلاني يدعى لبحر النسب الجبوري ، كان قايد المابة بمسخريهم .

50 ـ وابن عمه سي الميلودي الجباصي من أولاد إبن موسى ، كان حيسوبياً وفي حنطة الهندسة ، وحين تقاعد على الخدمة صار محترفاً : جبابدي وخياط .

51 ـ وكذا السيد ادريس يدعى ولد الحرة ، كان حيسوبياً ، وكان مكلفاً بملزومة الدقيق المياومة للدار العالية بالله ، بوصلها بنفسه الخ .

52 ـ والطالب الميقاتي السيد محمد بن سي العربي بن القائد المعطي الزعري ، كان كبير المسخرين ، يدعي ابّ عزيزي .

---

(61) هناك ظهيران حسني وعزيزي يقران محمد بن بوعزة الفشار على وظيفة الأمانة بقصري المدرسة والمحنشة بمكناس ، وثانيهما يشرك مع المذكور ـ في الأمانة ـ أخاه الأستاذ الحيسوبي السيد عبد السلام الفشار ، المتوفى صبيحة الإثنين 5 ربيع الثاني عام 1356 هـ ، والظهيران سيرد نصهما عند الملحقين رقم 9،8 .

ملحق 1 :

رسالة من الحاجب موسى بن أحمد إلى محمد بن بوسلهام بالإذن له بالرجوع من العرائش بعد تعليم طلبتها الحساب والتوقيت

محبنا الأعز الأرضي ، الموقت : السيد محمد بن بوسلهام البخاري ، أمنك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

وبعد : فقد وصلنا كتابك مخبراً بقضائك الغرض الذي كلفت به من تعليم طلبة العرائش الحساب والتوقيت ، وانهم حصلوا ما قرأت معهم من الكتب التي ذكرت ، وظهرت نجابتهم ، واشتقت للرجوع لمحل خدمتك .

وقد كتب بذلك العامل ، وأجيب بأن يحسن إليك ويوجهك ، ليتوجه من يقرأ معهم الهندسة إن شاء الله ، فأقدم على بركة الله ، وقد دعا لك مولانا ـ نصره الله ـ بخير ، وعلى المحبة ، والسلام .

في 29 جمادى الأولى عام 1294 .

موسى بن أحمد لطف الله به .

« العز والصولة . . . » 2 /149

ملحق 2 :

رسالة من س الحسن 1
توصي بمساعدة محمد بن بوسلهام في مهمة مخزنية

كافة خدامنا الأرضين : أعيان آيت عطه : وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فنأمركم أن تستوصوا خيراً بحامله الطالب محمد بن بوسلهام الميقاتي الموجه لاختبار طريق تافلالت ، وتقفوا معه فيما يعرض له من جهتكم من كل ما يرجع لعمله الموجه بقصده،وقوف حزم واعتناء به وبمن معه،وتوجهوا من يصاحبهم حتى يخرجوا من تراب إيالتكم ، والسلام .

23 رمضان المعظم عام 1310 .
صح من أصله

ملحق 3 :

رسالة من الوزير الصدر
أحمد بن موسى توصي بمساعدة محمد بن
بوسلهام في مهمة مخزنية

أحبتنا وخدام سيدنا الأرضين : كافة قواد الشاوية،أمنكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله ، بوجود مولانا نصره الله .

وبعد : فيأمركم سيدنا ـ أعزه الله ـ أن توجهوا مع الطالب الميقاتي السيد محمد بن بوسلهام الموجه لاختبار الطريق : من يدله عليها ، ويبصره بغثها وسمينها ، إلى أن يقضي

الغرض الذي توجه لأجله ويرجع ، واستوصوا به خيراً ولا بد ، وعلى المحبة ، والسلام .

في 24 جمادى 2 عام 1313

صح من أصله

ملحق 4 :

رسالة إلى باشا مراكش في شأن ترشيح محمد بن بوسلهام لتدريس الحساب والتوقيت بجامع المنصور مع بعض طلبة الجيش

الباشا علال ولد احمد أمالك ، وبعد فالإثنا عشر طالبا من اولاد الجيش السعيد الذين عينوا لقراءة التوقيت بجامع المنصور : قد عين لتعليمهم الميقاتي الطالب محمد بن بوسلهام البخاري ، وبيِّن له كيفية العمل في القراءة معهم .

وهو أن يجعل معهم نصاب من القلصادي في الحساب صباحاً ، ونصاب من المقنع بين الظهرين ، وبعد الفراغ من نصاب المقنع يقرأ معهم الربع .

ونفذ لكل واحد من الطلبة خمس أواقي من الأحباس ، وخمس أواقي من المستفاد : مياومة ، وأمر الناظر وأمين المستفاد بدفع ذلك على يدك ويد مولاي المصطفى القاضي .

وأعلمناك لتكون على بال ، حتى لا يقع تراخي في القراءة ولا في أوقاتها المعينة ، ولا في المرتب ، والسلام .

26 رجب عام اعلاه : (1316) .

سجل مكاتب عزيزية

بالخزانة الحسنية رقم 439

ص 179

ملحق 5 :

ظهير عزيزي بتعيين
محمد بن بوسلهام مؤقتاً بمنار جامع
المنصور بمراكش

يعلم من كتابنا هذا أسمى الله مقداره ، وأجرى على فلك الإسعاد مداره ، أننا ـ بحول من له الحول والقوة ، والطول والمنة ـ كلفنا وصيفنا الطالب محمد بن بوسلهام البخاري بأمر التوقيت بمنار جامع المنصور بالمنشية ، بالحضرة المراكشية السمية ، وطوقناه القيام بوظيفة على العموم والإطلاق ، والشمول والاستغراق .

على أن يسلك فيه مسلك المعتبرين من الموقتين ، ذوي الإصابة في تعديلهم وتوقيتهم المحققين ، حتى يجعل ذلك في حصن التحصين ، ويقوم بواجبه قيام عارف حازم ضابط أمين ، وأذنا له في جعل النائب عنه من أهل الفن العارفين به لعذر من الأعذار ، كسفر أو شبهه .

فنأمر ناظر أحباس المسجد الجامع المذكور أن يعلمه ، وينفذ ما هو معد لميقاته ، ويعمل بمقتضاه في الورود والصدور .

صدر به أمرنا ـ المعتز بالله تعالى ـ في 24 ربيع الثاني ، عام 1318 .

صح من أصله

ملحق 6 :

ظهير عزيزي بالإنعام على
محمد بن بوسلهام بدار بمراكش

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره ، وجعل فيما يرضي الله ورسوله طيه

ونشره : أننا ـ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ـ أنعمنا على وصيفنا الطالب محمد بن بوسلهام الميقاتي : بالدار المعروفة لولد سيدي عياد ببو طويل بالمنشية السعيدة ، التي كانت بيد عياد الجمال وبيد النزق بعده ، وسوغنا له الانتفاع بها من غير كراء يلزمه فيها .

فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ، والسلام .

صدر به أمرنا ـ المعتز بالله تعالى ـ في 24 ربيع الثاني ، عام 1318 .

صح من أصله

ملحق 7 :

رسالة الجيلاني الرحالي
عن أشغال بناء الزاوية الكتنية
بمكناس ، حسب اشارة لها عند التعليق رقم 44

سيدنا وعوض والدنا ، الفقيه العلامة الأمجد، السميدع النحرير الأرشد : سيدي عبد الله بن القائد أحمد ، أمنك الله ورعاك ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله .

هذا : وقد وصلنا كتابك الأعز ، مخبراً بما أخبرك به الولد الصالح البار ، الفقيه سيدي الحاج المختار ، من عدم نيلنا للجير لبناء الزاوية المختارية ، نفعنا الله وإياك بصاحبها ، آمين .

وكتاب آخر للباشا ، القائد حم بن الجيلاني : بما ينهض عزمه ويقويه ويشد العضد .

وأمرتنا فيه بالقدوم إليه وتمكينه من كتابه، فقد امتثلنا الأمر، فلما قرأه وأطلعناه على كتابنا ، أجاب بما يسرنا ، وأظهر الفرح والنشاط ، وانفصلنا على انه يقدم بعد غد للزاوية

حتى يراها ، فترصدنا له فقدم علينا موفياً بالوعد ، ثم اقتضى الحال أن ندخله لدارنا حين قدم علينا للمسجد الأعظم ، فأدخلناه وأكرمناه بما يناسب قدره ، فخرجنا قاصدين الزاوية المباركة ، فلما رآها فرح ودعا لك هو والحاضرون بخير ، تقبل الله آمين .

ثم قال : كم فرض عليّ ؟ فأجبته بألفي مثقال ، فقال اللحم والدم لشيخنا سيدنا ومولانا المختار ، ثم إنه أمر أصحاب الجير أن يصنعوا لنا كوشة ، وقال : كلما احتجتم إليه من الجير وغيره يصلكم ، واحسبوا علينا ثمنه ، إلى أن تستوفي العدة ، وإن يسر الله الزيادة فنزيد ، فأجبناه بالدعاء الصالح ، وذهب بسلام .

وها نحن أجبنا سيادتك بما صدر منه بالقول ، وسنجيبك ـ بحول الله ـ بما يصدر منه بالفعل ، فجزاك الله عنا خيراً ، آمين ، فلقد أفصحت وبينت على المراد ، وأعربت عما كان منا يراد ، أبقاك الله لنا ذخراً ولجميع العباد ، وعلى المحبة ، والسلام .

في 5 ربيع النبوي الأنور ، عام 1303 .

كناشة بالخزانة الحسنية رقم 3916 .

من المجموعة الزيدانية : ورقة 267 .

ملحق 8 :

ظهير حسني بإقرار محمد بن بوعزة الفشار على وظيفة الأمانة بقصري المدرسة والمحنشة بمكناس

اقررنا ـ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ـ حاملة وصيفنا الأرضي ، الطالب ، محمد بن بوعزة الفشار ، على ما كان مكلفاً به والده ـ رحمه الله ـ من أمور جانبنا العالي بالله بهذه الحضرة المكناسية صانها الله : من كل ما يحدث بالمدرسة والمحنشة حرسهما الله بعزه وعنايته ، وألبسهما رداء نصره وهيبته : من الزيادة أو النقصان في المؤنة

الشهرية ، وتقييد ضحية العيد الموجهة لهما ، والوقوف عليها حتى تصل ، والخليع في وقته ، وتنفيذ ضرورياته على حسب العادة فيه ، وتنفيذ ما يدفع لهما عادة في المواسم ، مع الشرفاء والشريفات خارجها ، وغير ذلك من كل ما هو من متعلقات دارنا السعيدة ، فهو الواسطة في جميعه ، والمتولي الكتابة فيه .

ومنها مطالعة الأمناء له على قائمة صائر الدار العالية بالله ليعلم عليها باسمه .

ومنها مفاتح خزائن جانبنا العالي بالله ، وما يجعل فيها يكون على يده .

ومنها ما يفرض على البرابر من الحطب والبياض ، يكون قبوله منهم وإخراجه من محل خزنه على يده .

ومنها تنفيذ الزيادة أو النقصان في قائمة راتب الجيش البخاري ومن في حكمه ومؤنته كذلك .

ومنها تقييد وصفان جانبنا ـ العالي الله ـ بباب مراح ، وتفريق رواتبهم عليهم ، وغير ذلك مما ينفذ لهم من زرع وغيره .

ومنها أمور بوابة أعتابنا الشريفة وما أضيف إليها ، مما يقبضونه من الكسوة والزرع والصلة وغير ذلك : فعلى يديه .

ومنها ما هو بأچدال السعيد من الغنم وتقييده ، مع ما زاد وما نقص ، وجزه في وقته ، ودفع صوفته لمن تدفع له عادة ، والبقر الحلوب الذي يكون بالزريبة ، وتقييد عدده ، مع نتاجه ، وتوجيهه ـ بعد جفافه وإحصاء عدده على من يجعل ـ عادة ـ في ذمته ـ لعزيب العرائش ، على يد خديمنا الأمين الحاج أحمد المسعودي وأمناء مرسى العرائش وعاملها ، وليكن يوجه لنا نسخة من خطوطهم بوصوله إليهم ، ويبقى الأصول تحت يده ، والخيل : الذكور والإناث ثمة أيضاً ، وتنفيذ علفها ، وضبط أمورها : من زائد وناقص : فكل ذلك على يديه ، وهو الواسطة فيه .

إقراراً تاماً ، شاملاً عاماً ، نأمر الواقف عليه من عمالنا ، وولاة أمرنا ، أن يشدوا عضده على ذلك ، والسلام .

صدر به أمرنا ـ المعتز بالله ـ في رابع قعدة الحرام ، عام 1301 .

صح من أصله

ملحق 9 :

ظهير عزيزي بإقرار محمد بن بوعزة الفشار على وظيفة الأمانة بقصري المدرسة والمحنشة بمكناس

جلدنا ـ بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ـ لما سكه وصيفنا الأرضي ، الطالب محمد بن بوعزة الفشار ، حكم ما بيده من ظهير سيدنا الوالد قدس الله ثراه ، المتضمن إقراره على ما كان مكلفاً به والده المذكور من أمور جانبنا العالي بالله بمحروسة مكناسة الزيتون ، التي من جملتها تنفيذ ما يحدث من الزيادة أو النقصان في المؤ ن الشهرية لدارنا العالية بالله ثمة : المدرسة والمحنشة صانهما الله برعايته ، والبسهما رداء عزه وعنايته ، وكذا تقييد ضحية عيد النحر الموجهة لها ، والوقوف عليها حتى تصل محلها ، والخليع اللازم لها ، ودفعه في وقته بجميع ما يلزم من ضرورياته ، مع تنفيذ ما عهد دفعه لها من عوائد مواسم الليالي الكبار ، ولمن في حسابها من الشرفاء والشريفات خارج الدار ، وغير ذلك من كل ما هو من متعلقات دارنا السعيدة المذكورة : فهو الواسطة في جميعه ، والمتولي الكتابة فيه .

ومنها مطالعة الأمناء له على قائمة صائر دارنا العالية بالله ، ليعلم عليها باسمه .

ومنها مفاتح خزائن جانبنا العالي بالله ، وما يجعل فيها يكون على يده .

ومنها ما يفرض على البرابر من الحطب والبياض ، يكون قبوله منهم وإخراجه من محل خزنه على يده .

ومنها تنفيذ الزيادة أو النقصان في قائمة راتب الجيش البخاري ومن في حكمه ومؤنته كذلك .

ومنها تقييد وصفاف جانبنا ـ العالي بالله ـ بباب مراح وتفريق رواتبهم عليهم ، وغير ذلك مما ينفذ لهم من زرع وغيره .

ومنها أمور بوابة أعتابنا الشريفة وما أضيف إليها : مما يقبضونه من الكسوة والزرع والصلة وغير ذلك فعلى يده .

ومنها ما هو بأكدال السعيد : من الغنم وتقييده ، مع ما زيد فيه وما نقص ، وجزه في وقته ، ودفع صوفته لمن تدفع له عادة ، والبقر الحلوب الذي يكون بالزريبة ، وتقييد عدده مع نتاجه ، وتوجيهه ـ بعد جفافه وإحصاء عدده على من يجعل ـ عادة ـ في ذمته ـ لعزيب العرائش ، على يد خديمنا الأمين المسعودي وأمناء مرسى العرائش وعاملها ، وليكن يوجه لنا نسخة من خطوطهم بوصوله إليهم ، ويبقي الأصول تحت يده ، والخيل : الذكور والإناث ثمة أيضاً ، وتنفيذ علفها ، وضبط أمورها من زائد أو ناقص ، فكل ذلك على يده ، وهو الواسطة فيه .

تجديداً وإقراراً تامين ، نافذين عامين .

وعززناه في ذلك كله بأخيه وصيفنا الطالب عبد السلام ، وجعلنا يده معه فيه يداً واحدة ، لما ثبت عندنا من صدقهما .

نأمر الواقف عليه من عمالنا ، وولاة شريف أمرنا ، أن يعمل بمقتضى ذلك ، ويشد عضدهما عليه ، والسلام .

في 14 جمادى الثانية ، عام 1318 .

صح من أصله

ملحق سادس

16 وثيقة عن استشارة السلطان الحسن الأول لنخب من مدينة فاس وما إليها في نازلة اقتصادية

شهدت سنة 1886/1303 ظاهرة استشارية انطلقت من مبادرة السلطان الحسن الأول ، وجاءت في موازاة إلحاح نواب الدول بطنجة في الترخيص لهم باستيراد السلع المغربية الممنوع وسقها في القانون المغربي آنذاك : كالحبوب والأنعام والبهائم وما إليها .

ونظراً لظروف المغرب جنح السلطان الى حل يرخص لتجار الدول المعنية في وسق ما طلبوه ، غير أنه علق ذلك على قصد الاختبار والتجربة ، وقيده بشروط ، وحدد مدته في ثلاث سنين .

ثم رأى أن يطرح هذا الحل لاستشارة شعبية استمرت تفاصلها دفينة بين مجموعة من الوثائق الموضوعية ، والآن : عرف من مستندات هذه المبادرة طائفة مهمة كانت أولاها هي رسالة الاستشارة السلطانية الموجهة إلى فاس ، ونظيرتها إلى سلا ، وهذه الأخيرة يحتفظ بنصها الناصري في « الاستقصا »[1] ، أما رسالة فاس فهي تتصدر مجموعة وثائق يصل عددها الى ستة عشر نصاً عن استشارة نفس المدينة .

---

(1) نشر دار الكتاب بالدار البيضاء سنة 1956 : 9/182-184 .

فيأتي بعد الوثيقة الأولى جوابها من طرف عامل فاس : عبد الله بن أحمد البخاري .

الوثيقة الثالثة : شهادة عدلية بمحضر الاجتماع الأول والثاني بجامعي القرويين والأندلس لسماع تلاوة الرسالة الملكية والجواب عنها .

الرابعة : جواب العلماء .

الخامسة : جواب الشرفاء العلويين .

السادسة : جواب الشرفاء الأدارسة ومن إليهم .

السابعة : جواب الحاج عبد السلام المقري .

الثامنة : جواب شرفاء أهل تلمسان .

التاسعة : جواب المرابطين .

العاشرة : جواب عامة أهل فاس .

الحادية عشرة : جواب التجار .

الثانية عشر : جواب الحاج أحمد المراكشي .

الثالثة عشر : جواب أهل قصبة النوار .

الرابعة عشر : جواب أولاد الحاج .

الخامسة عشر : الجواب الحسني لعلماء فاس .

السادسة عشر : الجواب الحسني لباقي أصناف المجيبين .

ويعود الفضل في الاحتفاظ بمجموع هذه الوثائق إلى مؤرخ الدولة الحسنية : أحمد ابن محمد بن حمدون ابن الحاج[2] .

* * *

---

(2) « الدرر الجوهرية . في مدح الجلالة الحسنية » : ج 2 مخطوط خ . ح رقم 512 : في نسخة غير مرقمة الصفحات ، وهذا المصدر غير تاريخ المؤلف للدولة العلوية باسم « الدر المنتخب المستحسن . . . » .

والمهم من هذه النصوص هو طبيعتها الاستشارية ، فالوثيقة الأولى تحلل أبعاد الاختيار الحسني للخروج من الأزمة ، ولا تراه حلاً غير قابل للمناقشة ، وإنما تأخذ بعين الاعتبار القرار النهائي الذي يصير إليه المستشارون ، وهكذا يأتي أواخر الرسالة السلطانية : « . . . ولتعلموا أنكم لن تزالوا في سعة ، فإن ظهر لكم ذلك فالأمر يبقى بحاله ، وإن ظهر لكم ما هو أسد وأحوط في الدفاع عن المسلمين فاعلمونا به ، اذ ما نحن إلا واحد من المسلمين » .

وطبقاً لتعليمات هذه الرسالة : قام كل من عـاملي فاس وسلا بحشد الناس ـ خاصتهم وعامتهم ـ إلى المسجد الجامع ، لسماع الكتاب الحسني ومناقشته ، وفي فاس ـ حسب الوثيقة الثانية ـ « جمع عموم الناس والخصوص بجامع القرويين لسماع تلاوة الخطاب المنوه به ، وقرىء على المنبر قراءة تفهيم لما تحت عباراته ، حتى أدركه الأمي والقاري ، والمستوطن والطاري » .

ثم انعقد الاجتماع الثاني ـ بجامع الأندلس ـ لتلقي أجوبة المستشارين حسب أصنافهم ، فكان أغلب هؤلاء واقعين في مناقشاتهم ، إنطلاقاً من العلماء ، إلى الأشراف ، الى المرابطين والعامة والتجار .

ولما رفعت الأجوبة الى السلطان ـ حسب الوثيقتين 15، 16 ـ نوه بالمستشارين الذين كانوا صرحاء في أجوبتهم ، ثم عتب على الذين وافقوا على الاختيار الملكي دون تعقيب .

ومن هنا : فإن الوثائق التي نقدم لها تكشف عن لون من الديمقراطية في مبادرة السلطان ، وفي التجاوب معه من جهة أكثر المستشارين .

***

ومما يعمق آفاق هذه البارقة الديمقراطية : موقف بعض الحاضرين لسماع الخطاب الملكي بفاس وسلا ، فقد جهروا بمعارضتهم للحل السلمي ، ونادوا بالدعوة للجهاد لحل الأزمة ، وذلك ما تقدمه رسالة عامل فاس ـ بالوثيقة الثانية ـ في هذه الصياغة :

« . . . حتى انتدب في القوم رجل ـ أبله ذو أحوال ـ ينادي بالجهاد ، وتابعه على ذلك بعض الصبيان والأخلاط الذين لا مقر لهم ولا مهاد . . . » .

وعن سلا يقول الناصري[3] بعد عرض الرسالة السلطانية : « ولما قرىء هذا الكتاب على خاصة الناس وعامتهم أجابوا كلهم بأن الرأي ما رآه السلطان وفقه الله ، إلا ما كان من بعض العامة الأغمار ـ الذين لم يجربوا الأمور ، ولا اهتدوا إلى النظر في العواقب ـ فانهم قالوا : ما نعطيهم إلا السيف ، لكن لم يلتفت إليهم » .

* * *

ومن جهة أخرى : فإن من مؤشرات ترحيب العلماء بظاهرة الاستشارة الحسنية : أن فقهاء فاس حرروا في النازلة جوابين احتفظ بأحدهما ابن الحاج[4] ، ثم نشرهما ـ معاً ـ محمد المهدي الوزاني في « النوازل الصغرى »[5] ، وأثبت ابن زيدان[6] مصورة عن أصل أحدهما .

كما أن الناصري كتب جواباً ـ عن الموضوع ذاته ـ في رسالة مطولة أثبتها بنصها في « الاستقصا »[7] .

ومن جهة أخرى فإن بيعة فاس الحفيظية : استغلت الاستشارة الحسنية في هذه النازلة وسواها ، فنظرت بها وهي تطلب من الحفيظ بعث هذه الظاهرة ، فتقول البيعة ضمن مطالب الأمة :

« . . . وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية : فلا

---

(3) الاستقصا 184/9 .
(4) هي التي تحمل رقم 4 بين الوثائق التالية .
(5) ط . ف 321/1-325 .
(6) « إتحاف أعلام الناس » 2/ : أمام ص 390 .
(7) 184/9-192 .

يبرم أمر منها إلا بعد الصدع به للأمة ، كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للذمة » .

* * *

والآن : ينتهي بنا المطاف إلى عرض نصوص الوثائق الستة عشر ، استناداً الى سياق ابن الحاج في الدر الجوهرية ، وقد تبينا أنه أثبتها جميعها ، مع مقابلة الرسالة الأولى بنظيرتها الواردة في « الاستقصا »[8] ، ومعارضة الوثيقتين ـ 16,15ـ بنصيهما في « إتحاف أعلام الناس »[9] ، وعدا ذلك حافظت على سياق إبن الحاج كما عرضه في تاريخه المنوه به ، وفيما يلي نص ذلك :

---

(8) 184-182/9 .

(9) 393-389/2 .

- 1-

ظهير شريف في شأن طلب بعض الروم تسريح بعض المسائل الممنوعة الوسق

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

« الحسن بن محمد الله وليه ومولاه »

وصيفنا الأسعد الأرضي ، الطالب عبد الله بن أحمد ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد فقد كان طلب بعض نواب الأجناس بطنجة على وجه الخير والمحبة ـ فيما سلف من أعوام ـ تجديد شروط التجارة بقصد تسريح المسائل الممنوعة الوسق : كالحبوب مطلقاً ، والأنعام والبهائم ، ونحو ذلك ، ونقصان صاكة الخارج ، ذاكرين أن تسريح ذلك فيه النفع لبيت المال وللرعية ، وهذه مدة من خمسة أعوام ونحن ندافع ونسادد ونقارب بما يقتضيه الوقت والحال ، عملاً بقول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في وقائع وقضايا : « سددوا وقاربوا » ، حرصاً على ابقاء ما كان ، إذ لا أقل منه سيما في هذا الزمان ، الذي أشار له صلى الله عليه وسلم بقوله : « يأتي على الناس زمان يمر فيه الحي على قبر الميت فيقول ليتني مكانك » ، وحاشا لله أن نتسبب للمسلمين في غلاء ، أو نوافق لهم على ضرر ، وكفى بالله شهيداً ، وكيف والله سبحانه قد استرعانا عليهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » .

والآن اشتد حرصهم على ذلك وتمالئوا فيه على كلمة واحدة وصمموا عليه، ولما أفضى الحال الى ما أفضى اليه مما لا ينبغي ، ولم يكن (إلا) الاعلان بذلك والمشاورة فيه

مع من يعتد به : استشرنا فيه مع جميع من يشار له بالخير والفضل والدين والعقل والذكاء والدهاء ، موثوقاً بديانته وأمانته ، فلم يشيروا فيه بخير ، واتفقوا (على) أن لا مصلحة في تسريح ذلك أصلاً ، وبينوا ما يترتب على الكل من المفاسد .

ففصل الحيوان أول ما يترتب على تسريحه من الضرر غلاؤ ه على ضعفاء الرعية ، بل يؤ دي الى فقده بالكلية من هذه الايالة ، وأشياء أخر لا يفي بها التعبير هنا .

وفصل النقص من صاكة المراسي يترتب عليه ضعف المدخول الذي منه يقوم المخـزن الجـيش والعسكر ومصالح الرعية ، وأعظمها تضعيف الرعية بالقبض منهم : كتضعيف المكوس وضرب الخراج عليها تقوية لبيت المال والجيوش .

وما أبداه بعض نواب الأجناس الراغبون في تسريح ذلك من المصالح المالية العائدة على رعيتنا السعيدة على مقتضى ما ظهر لهم : ردوه ما يطول شرحه ولا يفي به قرطاس .

ولما رأينا الأمر استحال إلى أسوأ حال أو كاد ، تداركنا هذا الخرق بالرفْء ، وجنحنا الى السلم ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ الآية ، وارتكبنا اخف الضررين .

فاقتضى نظرنا الشريف ـ إن ظهر لكم درءاً لتلك المفاسد المقدم على جلب المصالح ـ أن يساعدوا على تسريح مسائل بقصد الاختبار ، من تلك الأمور الممنوعة الوسق : كالقمح والشعير وذكر ان البقر والغنم والمعز والحمير ثلاث سنين فقط ، على شرط الاختبار في المنفعة التي ذكروها في تسريحه ، الكل بأعشاره المعلوم في مثله ، على أن يكون تسريح ذلك ـ في وقت غلته مع وجود الخصب ـ مدة ثلاثة أشهر ، وبعد مضيها يثقف ، ولا يسمع من أحد كلام في تسريحه ، ولا يقبل منه عذر فيه ، وفي العام القابل ـ إذا كان صالحاً ـ يسرح ثلاثة أشهر بقصد الاختبار أيضاً ، وإذا كان ناقصاً لا يقع اختبار بتسريحه المدة المحدودة ، ويبقى مثقفاً ، على أن ذلك ليس بشرط ، وإنما هو على سبيل الاختبار حتى يظهر .

ولتعلموا أنكم لن تزالوا في سعة : فان ظهر لكم ذلك فالأمر يبقى بحاله ، وإن ظهر لكم ما هو أسدّ وأحوط في الدفاع عن المسلمين فاعلمونا به ، إذ ما نحن إلا واحد من المسلمين .

وأعلمناكم بما كان ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ، وتأسيساً بالشارع ، وإلا « قُلْ ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين » ، والسلام .

في : 6 رجب الفرد عام 1303 هـ .

- 2-

جواب السيد عبد الله عن الظهير أعلاه إجمالاً وأولاً لمولانا

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

يعلم مولانا ناصر ملة الاسلام ، وحامي البيضة التي لا زالت ـ بوجوده ـ خافقة الأعلام ، المستفرغ في المدافعة عنها نفائس أوقات الليالي والأيام ، المعتصم في مجاهدته بعزة الله وعناية جده عليه الصلاة والسلام ، أبقى الله خالص أعماله محقق النتائج ، وحاصل أمله في تزايد لا يقاوم برمل عالج :

إنه ورد عليّ شريف كتابه الهائل أمره ، المعنون عن تحمل مولانا في الدفاع عن المسلمين ما لا يستطاع شكره ، معلمًا بما كان طلبه بعض نواب الأجناس من تجديد شروط التجارة بقصد تسريح ممنوعات الوسق التي بها قوام الأنفاس : كالحبوب مطلقاً ، والأنعام والبهائم ، والنقصان مما يترتب على الخارج من قدر الصاكة اللازم ، محسنين مطلبهم بما في ذلك من النفع لبيت المال ، والرعية المستغنية بعزة المتعال ، وطول أمد مدافعة مولانا عن ذلك ، واهتمامه في نصيحة المسلمين جميع الطرق والمسالك ، إلى أن اشتد منهم ذلك التمالؤ والحرص والتصميم ، وأفضى الحال إلى ما لا يمكن معه إلا المشاورة مع من له في مقامها أهلية وتقديم ، فلم يشر أحد ممن يعتد به في ذلك بمصلحة ، وأبدوا ما يترتب عليه من المفاسد الواضحة : كالغلاء وضعف مدخول الخراج ، الى غير ذلك من المضار التي لها تحت ما ذكر انطواء واندراج ، وردهم ما وجه به الراغبون من المصلحة المالية بما يطول .

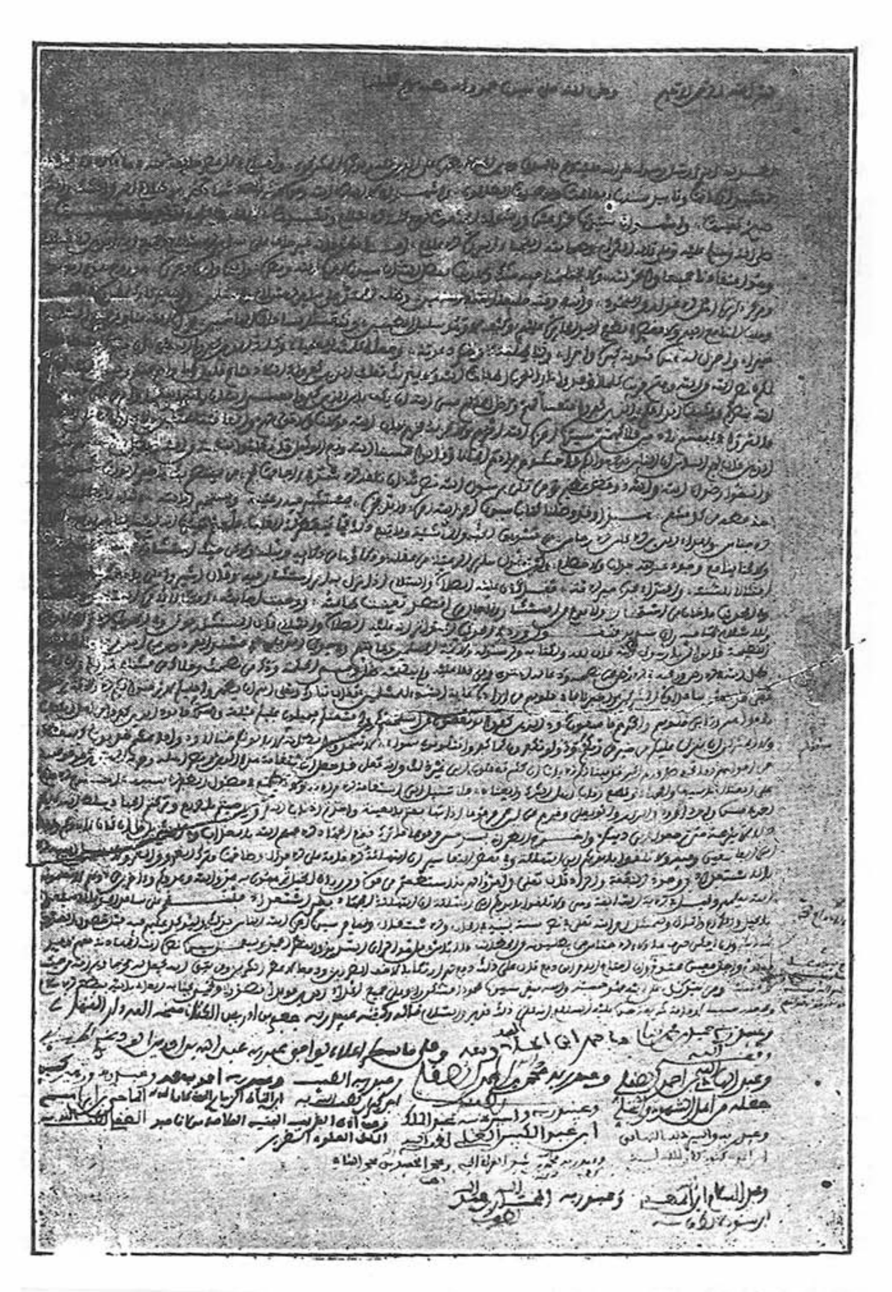
(*) مولانا ما استحال اليه الأمر برفء خرقه ، وارتكاب أخف الضررين جرياً على ما عهده المسلمون من شفقته ورفقه، وهو ما اقتضاه النظر الشريف من مساعدتهم على تسريح القمح والشعير وذكر ان البقر والغنم والمعز والحمير : ثلاثة أشهر في كل عام من ثلاثة أعوام ، على شرط اختبار المنفعة التي ذكروا ، ووجود الخصب ووقت الغلة وأداء الأعشار المعلومة الإلزام ، واستأشر ـ أيده الله ـ رعيته في هذا الوجه إن ظهر ، أو إبداء ما رأوه أسد وأظهر .

فليعلم سيدنا أني لما قرأت الكتاب، وجولت النظر في بداية إفشائه لمن توجه إليهم الخطاب ، ترجح عرضه ـ أولاً ـ على أهل الأنظار : كالقاضي وبعض العلماء والمحتسب والنقباء والنظار ، فعرض عليهم بمحل مخصوص ، واتفقت آراؤ هم على تأخير الجواب حتى يمعن النظر ويعاد عرضه على عموم الناس والخصوص .

فجمع الناس بجامع القرويين لسماع تلاوته ، وقرىء على المنبر قراءة تفهيم لما تحت عباراته ، حتى أدركه الأمي والقاري، والمستوطن والطاري، وانهملت العيون بمدرار الدموع ، وانفطرت القلوب بالزفرات الثائرة بين الأحشاء والضلوع ، وظهر في الناس اضطرار عظيم ، وابتهال بسؤال المعونة والتأييد من الله لمولانا بقلب صميم ، والتصريح بالخروج فيما يأمر به لو يجري على النفس والمال ، ابتغاء مرضاة الله وطاعة خليفة سيد الأرسال .

حتى انتدب في القوم رجل أبله ذو أحوال ينادي بالجهاد ، وتابعه على ذلك بعض الصبيان والأخلاط الذين لا مقر لهم ولا مهاد ، ومبلغهم من العلم أن ذلك عين الطاعة ، وأربح تجارة وبضاعة ، فأخرج الرجل المنادي إخماداً للهرج والترويع ، وانفصل المجلس على إعادة الجمع بجامع الأندلس لتلقية جواب الجميع .

(*) هكذا في المخطوط الوحيد الذي يحتفظ بهذه الوثيقة ، وكأنه سقط هنا كلمة « فتدارك » .


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

جواب علماء فاس لمولاي الحسن في قضية الوسق، وهو الجواب الثاني الذي تشير له الوثيقة الثانية «اتحاف أعلام الناس» ج 2

ثم وقع الجمع به في اليوم المعهود ، وذكرت كل طائفة ما تلقاه منهم الشهود ، حسبما بالرسم الواصل لسيدنا حاوياً لذلك ، وبمحوله خطوط القاضي والعلماء بما اختاروه في الجواب عما هنالك ، مع تقييد خاص من عندهم خارج عن الجواب(*) ، طلبوا إنهاءه ـ أيضاً ـ لشريف الأعتاب .

كما وجهت الكتاب الشريف للزاوية الإدريسية بزرهون ، وسمع تلاوته ـ بجامع خطبتها ـ العلماء والأشراف والمرابطون ، ومن حضر من الزراهنة أهل المداشر ، وكل طارق وعابر ، فأجابوا ـ أيضاً ـ بما يصل سيدنا طيه .

وكل من أجاب استحسن ما ارتضاه نظر مولانا وأمضاه ، والتزم العمل بمقتضاه ، معترفين بكون سيدنا لا يختار للمسلمين إلا ما كان خيراً ، وأن الإدراكات لو اجتمعت على قلب واحد ما بلغت شأوه تجربة وسبراً ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا ، وما زاده بعضهم في جوابه هو قيد فيما اقتضاه إن سلمه ، وعلى(**) لمولانا ، والسلام .

20 شعبان عام 1303 هـ

(*) التقييد المشار له هو الذي أثبت إبن زيدان مصورة من أصله في « إتحاف أعلام الناس » ج 2 قبالة ص 390 ، كما نشر نصه محمد المهدي الوزاني في « النوازل الصغرى » 1/321-323 ، ط . ف .

(**) بياض بالأصل .

- 3 -

شهادة عدلين بالجواب الأول

الحمد لله ، لما ورد كتاب مولانا امير المؤمنين ، الموجه عنان العناية لحماية المسلمين ، ذي المفاخر التي شهد بفضلها الخاص والعام ، والمآثر المكاثرة للغمام ، الذاب عن حرم الإسلام ، القائم بشريعة جده عليه الصلاة والسلام ، الحاوي كل وصف بسَن ، فخر الملوك ابي علي مولانا الحسن ، أطال الله وجوده ، وأبقى في الصالحات افعاله المحمودة ، على خديمه الناصح في خدمته ، القائم بامتثال شريف أمره في سره وعلانيته ، الفقيه العالم البركة : سيدي عبد الله بن أحمد .

بأن بعض نواب الاجناس بطنجة طلب ـ فيما سلف من أعوام ـ تجديد شروط التجارة بقصد تسريح المسائل الممنوعة الوسق : كالحبوب مطلقاً ، والأنعام والبهائم ونحو ذلك ، ونقصان صاكة الخارج ، ذاكرين أن تسريح ذلك فيه النفع لبيت المال وللرعية ، وأنه ـ نصره الله ـ لما رأى الأمر استحال إلى سوء حال أو كاد ، جنح للسلم بارتكاب أخف الضررين .

فاقتضى نظره الشريف مقدماً لدرء المفاسد المقدم على جلب المصالح : ان يساعدوا على تسريح مسائل بقصد الاختبار من تلك الأمور الممنوعة الوسق : كالقمح والشعير وذكران البقر والغنم والمعز والحمير : ثلاث سنين فقط ، على شرط الاختبار في المنفعة التي ذكروها في تسريحه ، الكل بأعشاره المعلوم في مثله ، على أن يكون تسريح ذلك ـ في وقت غلته مع وجود الخصب ـ مدة من ثلاثة أعوام ، وبعد مضيها يثقف ولا يسمع من أحد كلام في تسريحه ، معلمًا ـ نصره الله ـ أن الأمر لا زال في سعة ، ومستشيراً ـ أيده الله ـ فيه مع أهل الإشارة من رعيته ، مقتفياً في ذلك بجده صلى الله عليه وسلم ، بحيث إن ظهر ذلك بقي الأمر بحاله ، وإن ظهر ما هو أسد وأحوط في الدفاع عن المسلمين فليكن الإعلام به .

أمر الباشا المذكور ـ رعاه الله ـ ولديه الفقيهين الجليلين الأفضلين : الخليفة الأسعد ، سيدي محَمد ، والفقيه المدرس العالم : سيدي المختار : بالنيابة عنه بالقيام بذلك ، لما قام به من العذر المقبول ، وأحضر العلماء والشرفاء ، والأعيان والتجار والنبلاء ، وأهل الرأي والدهاء ، وعامة الناس ، بجامع القرويين عمره الله بذكره ، وقرىء عليهم الظهير الشريف حتى استوعبوا ـ فهمًا ـ الخطاب المنير ، وطلبا ـ رعاهما الله ـ ممن يعتد برأيه ممن ذكر الجواب عما ذكر بما يظهر لهم بعد التأمل وإمعان النظر ، وفق ما أمر به مولانا المنصور بالله .

ثم اجتمع المشار لهم بعد فسحة الإمهال ، ورجوع ما جمح من العقل والبال ، بجامع الأندلس عمره الله ، وانتظم كل ذي وصف بصاحبه ، وتشاوروا فيما بينهم في ذلك ، فأجابت كل فرقة ممن بين أسفله بما قيد عنهم بالإشهاد عليهم به ، أو بخط اليد ، والسلام .

فمن حضر لما ذكر كما ذكر ، قيده في حادي عشر شعبان المبارك ، عام ثلاثة وثلاثمائة وألف .

- 4 -

جواب العلماء وفر الله جمعهم بمحول شهادة العدلين

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

بعدما ورد الظهير الشريف ـ المكتوب بمحولة ـ على الباشا الأسعد ، السيد عبد الله بن أحمد ، في شأن ما طلبه بعض نواب الأجناس بطنجة من تسريح ما طلبوه من الوسق إلى آخر ما تضمنه حسبما حوله ، مشيراً ـ ايده الله وسدده ـ أهل الإشارة من رعيته ، واطلعنا عليه وفهمنا مضمنه .

أجبنا بمثل ما أجاب به أهل الصلاح والخير والدين المشار لهم بالظهير الشريف : من أنه لا خير في تسريح ما ذكر لهم بوجه ولا حال ، لا ظاهراً ولا باطناً ، لما يترتب على ذلك من المفاسد التي لا تحصى ، مع أن المسلمين والحمد لله ـ ببركة مولانا المنصور بالله ـ في شدة القوة مالاً ورجالاً ، وسيدنا ـ نصره الله وأدام عزه ـ لا نشك نحن ولا جميع المسلمين في شدة حرصه على جلب المصالح ودفع المضار عن الاسلام وأهله ، ومن المقرر المعلوم أنه إذا اجتمع ضرران ارتكب أخفهما ، ولا ريب في كون مولانا ـ المنصور بالله ـ اختار الأخف فيما اقتضاه نظره السديد من تسريح بعض ما طلبوه على الوجه المبين بالظهير الشريف بقصد الاختبار ، لكن لما شاور مولانا ـ دام مجده وفخره ـ فيما اقتضاه نظره السديد ، تأسياً بالرسول عليه الصلاة والسلام ، إذ شاور ـ عليه السلام ـ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ـ لما أحاطت القبائل بالمدينة ـ في أن يبذل للمشركين ثلث الثمار لما خاف أن تكون الأنصار ملت القتال ، فقالا : إن كان هذا من الله ـ سبحانه وتعالى ـ سمعنا وأطعنا ، وإن كان رأياً فما أكلوا منها في الجاهلية ثمرة إلا بشراء او قرى ، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام ، فلما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عزمهم على القتال ترك

ذلك ، إبن عرفة عن المازري : « فلو لم يكن الإعطاء عند الضرورة جائزاً ما شاور فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

اقتضى نظرنا أن لا ينفذ لهم من الحيوانات شيء أصلاً ، لما فيه من عظيم الضرر الفادح ، لأنه يؤدي إلى قطعها بالكلية ، وإنما يسرح لهم القمح والشعير لاختبار دعواهم النفع على الوجه المذكور في الظهير الشريف .

وعلى شرط أن يتسوقوه من المراسي فقط ، لا من غيرها ، لأن التسوق بغيرها يؤدي إلى انقطاعه من المغرب بالكلية ، وينشأ عند مفاسد عديدة : كادعائهم نهب أموال كثيرة ، وقتل نفس ، وإذايتهم الحاضري والبادي بدعوى ذلك ، ويتعذر الجبر .

وعلى شرط أن لا يسلموا فيه لأحد : لا من أهل الحاضرة ولا من اهل البادية .

وعلى أن يتسوقوا عدداً لا ضرر فيه على المسلمين .

وإن أمكن أن يعين مولانا ـ المنصور بالله ـ أمناء ثقات في المراسي يكون التسوق ـ على الوجه المذكور ـ على أيديهم فحسن .

ونظر سيدنا ـ نصره الله ـ مع هذا أوسع ، والمولى ـ سبحانه ـ يديم عز مولانا المؤيد بالله ، ويحيي به سنة جده عليه الصلاة والسلام ، وفي التاريخ حوله .

حميد بن محمد بناني وفقه الله .

وعبد ربه : جعفر بن ادريس الكتاني ، منحه الله دار التهاني .

وعن اذن الشريف العلامة مولانا عبد الملك العلوي الضرير .

واحمد بن محمد إبن الحاج .

وعبد ربه : عبد الله بن إدريس الودغيري ، لطف الله به .

وعبد الهادي بن أحمد الصقلي ، جعله الله من أهل الشهود والتجلي .

وعبد ربه : محمد بن احمد الصقلي ، لطف الله به .

وعبد السلام بن المهدي إبن سودة ، لطف الله به .

وعبد ربه : الطيب إبن كيران ، لطف الله به .

وعبد ربه ورهين كسبه : الماحي بن إبراهيم الصقلي ، لطف الله به .

وعبيد ربه وأسير ذنبه : التهامي بن المدني كنون ، لطف الله به .

وعبد ربه ورهين ذنبه : عبد الملك بن عبد الكبير العلمي ، لطف الله به .

وعبيد ربه : احمد بن محمد ابن الخياط الزجاري الحسني ، كان الله له آمين .

ومحمد الحفيد بن محمد الشامي ، لطف الله به .

ومحمد بن رشيد العراقي الحسيني ، كان الله له بمنه .

وعبد ربه واسير ذنبه : المكي بن احمد الحسني الوزاني ، لطف الله به .

- 5 -

جواب الشرفاء العلويين المذكورين اسماؤهم يمنته أسفل شهادة العدلين

بالجواب الإجمالي

الحمد لله بعد أن فهم الشرفاء العلويون المسطرة أسماؤ هم بالطرة يمنته ما أشار به مولانا المنصور بالله مما قيد مضمنه أعلاه : أجابوا جواب اتفاق بأنهم اختاروا ما اختاره ـ نصره الله ـ من السلم أو غيره ، بحيث إن رجح بنظره السديد أحد الأمرين فقد اختاروه والتزموا الوقوف عنده .

فمن استوعب ما ذكر ممن ذكر ، قيده عنهم في غد التاريخ أعلاه ، مع معرفته لهم .

الشرفاء العلويون

النقيب مولاي المأمون بن مولاي الطيب .
النقيب مولاي محمد بن مولاي علي .
النقيب مولاي عبد القادر .
مولاي قاسم بن الحسن الصوصي
مولاي محَمد بن أحمد العلوي .
مولاي ادريس بن الطايع البلغيتي .
مولاي ادريس بن الشريف النسب .
مولاي بو بكر بن مولاي أحمد الشريف العلوي .
مولاي بن عبد الواحد النسب (كذا) .
مولاي رشيد بن علي بن سلمان (كذا!) .
مولاي علي بن سعيد النسب .
سيدي محَمد بن عمر بن اليزيد النسب .

- 6 -
جواب الشرفاء الأدارسة بعده

الحمد لله بعد أن فهم الشرفاء المسطرة أسماؤهم بالطرة يمنته مضمن الظهير المنيف :

أجابوا بمثل الجواب أعلاه حرفاً حرفاً .

فمن استوعب منهم ما ذكر كما ذكر قيده عنهم ، وهم عارفون قدره وبأكمله ، وفي التاريخ أعلاه .

الشرفاء الأدارسة

مقدم الروضة الشريفة سيدي فضول الرامي .
مولاي الكبير بن عبد السلام الادريسي .
مولاي أحمد بن العربي الصقلي .
مولاي الحسن بن سيدي حفيد الطاهري .
سيدي الحسن بن سيدي المكي العراقي .
سيدي العباس بن سيدي جعفر العمراني .
سيدي أحمد بن علي المسفر .
سيدي عبد الله بن عبد السلام الوزاني .
سيدي الكبير بن سيدي محمد الكتاني .
سيدي محمد بن سيد حفيد الدباغ .

- 7 -

جواب الأمين الحاج عبد السلام المقري ومن معه

الحمد لله .

أجاب الأمين الأرضي : السيد الحاج عبد السلام بن الفقيه سيدي مُحمد المقري والخليفة الحاج أحمد الرائس وأرباب البصر : الحاج الطاهر بناني والسيد العربي الصفار : بمثل الجواب أعلاه حرفاً حرفاً .

فمن سمع منهم ما ذكر كما ذكر قيده عنهم ، وهم عارفون قدره وبأكمله ، وفي التاريخ أعلاه .

ومنه وكذا أجاب الناظر السيد الهادي صفيرة بمثل ما أجاب به الحاج عبد السلام المقري والحاج أحمد الرائس ومن ذكر معهما ، صح به في تاريخه .

- 8 -
جواب شرفاء أهل تلمسان

الحمد لله .

بعد أن فهم شرفاء تلمسان الظاعنون بهذه الحضرة الادريسية ـ المسطرة أسماؤ هم يمنته ـ مضمن الظهير الشريف صدره : أجابوا بأنه لا نظر يوازي مولانا المؤ يد ، ولا رأي يداني رأيه المسدد ، غير أن تسويق الروم لما ذكر فيه على كل الناس ، من الضرر ما لا يحويه قرطاس ، لكن ما أنتجه مولانا ـ نصره الله ـ هو أحوط لِلرّعية ، وأجنح لهم من شدة البلية .

على أن يكون التسويق المدة المذكورة على الوجه المشار له من المراسي فقط ، لا يتعدونها لسواها ، ولا يتجاوزون غاية منتهاها ، فلا يكون لهم تسويق عند أعراب أو في مدن ، ولا يمكنون من سلم لأحد فيها يسرح ، وإنما يُضرب لهم الحد المحدود بتسويقهم من المراسي من غير افتيات ولا مجاوزة ، وإلا لو مكنوا على الإطلاق ، لعم الناس آفة الجوع وخسروا واختل الميثاق ، والنظر التام ، لمولانا الإمام ، أبقى الله وجوده للأنام .

في التاريخ أعلاه .

شرفاء تلمسان

النقيب مولاي أحمد بن سيدي عبد الله بن منصور .
مولاي أحمد بن مصطفى بن دلة .
سيدي الحسن بن سيدي مُحمد مسواك .
سيدي محمد بن أحمد الفرْوي .
سيدي مُحمد بن مَحمد الملياني .
سيدي المختار بن الصديق العام .
سيدي الحسن بن حساين القيسي .
سيدي قدور بن سيدي محمد بو عبد الله .
سيدي أحمد بن محمد النسب .
سيدي يوسف المعسكري .

- 9 -
جـواب المـرابـطين

الحمد لله .

أجاب المرابطون المسطرة أسماؤهم بالطرة يمنته بمثل الجواب أعلاه يليه حرفاً حرفاً ، وزادوا أنه لو كان مولانا ـ المنصور بالله ـ ينصب وكيلاً عنه بالمراسي هو الذي يتولى التسويق لما أشير اليه ، وهو الذي يباشر المعاملة معهم ، بحيث لا يكون لهم إذن في مباشرتهم ذلك بأنفسهم أصلاً .

فمن استوعب منهم ما ذكر قيده عنهم في التاريخ أعلاه .

المرابطـون

سيدي الحسن بن سيدي أحمد العبدلاوي .
سيدي علال بن عبد المجيد الفاسي .
سيدي الطيب بن سيدي البدوي زويتن .
سيدي حساين بن علي الحمومي .
سيدي عثمان بن سيدي عبد المجيد .
من آل الولي سيد أحمد إبن يحيى .

- 10 -
جواب عامة أهل فاس

الحمد لله ، بعد أن بُين لعامة هذه الحضرة الإدريسية المسطرة أسماؤ هم يمنته مضمن الظهير الشريف صدره ، وتأملوه وأمعنوه : أجابوا بمثل الجواب أعلا أعلاه يليه : من أنه لو حد التسويق من المراسي أيام تسريحه في المدة التي جنح مولانا المنصور بالله لكان أسلم ، وللمصيبة أهون ، على أن لا يمكن واحد من الروم من السلم لأعرابي أو مدني في حب أو أنعام أو دواب .

فمن استوعب منهم ما ذكر قيده عنهم في التاريخ أعلاه .

أهل عدوة الاندلس

سيدي عبد الوهاب بن علال الشامي .
بوعزة بن علال التازي .
سيدي المهدي ابن العباس .
سيدي محمد بن عبد الواحد المشاط .
الحاج عبد الرحمن الرندة .
سيدي عبد الرحمن بو خريص .
الحاج عبد الكريم ابن حدُّ .
الحاج المكي بن حفيد بوزبع .
الحاج محمد بن قاسم بريشة .
الحاج محمد بن الحاج محمد الجرندي .

اللمطيون

الحاج أحمد بن إبراهيم فرج .
الحاج العربي بن البدوي البواب .
الحاج أحمد بن علي الجرندي .
الحاج محمد بن عبد السلام الغماد .
الحاج محمد بن عبد الواحد السقاط .
سيدي مُحمد بن مَحمد مَنْطرس .
سيدي محمد بن عبد الكريم بناني .
عبد السلام بن عبد الرحمن يزرور .
أحمد بن علال البيطار .
الحاج حمان بن الحسن ابن المجدوب .
قدور بن عبد الغني ابن كيران .

أهل الاندلس

(كـذا)

الحاج عبد السلام بن العياشي ابن زكري .
سيدي محمد بن السيد العربي الندلسي .
الحاج عبد الله بن الحاج التهامي بوزبع .
الحاج حرازم بن الحاج محمد العلج .
محمد بن الحاج محمد عباد .
الحاج أحمد بن السيد برادة .
الحاج الطيب بن الحاج حرازم جسوس .
الحاج حماد بن الحاج محمد الشادلي .
الحاج محمد بن قاسم ابن عبد الجليل .
الحاج ادريس بن سيدي محمد ابن سالم .
سيدي محمد بن الشاوي ابن مولود .
سيدي محمد بن قاسم البغدادي .
الحاج محمد بن السيد العربي بنيس .

- 11 -

جـواب التجـار

الحمد لله .

بعد أن فهم التجار بهذه الحضرة الادريسية ، المحفوفة السنية ، مضمن الظهير الشريف صدره،وأيقنوه وعلموه ، وهم المذكورون بالطرة يمنته : أجابوا بأن الرعية بها ضعف حال ، وما طُلب يأتي على جميعها باستيصال الهلاك العام ، وما رآه مولانا المنصور بالله من تسريح الحبوب ـ المدة التي رآها المبينة أعلاه ـ ذاك أسد رأياً وأحوط .

على أن يكون مسواقها من المراسي فقط لا يتجاوز المتسوق دونها ، ولا يجاوزها في حين ، ولا يسلمون لأحد ، ولو مُكنوا من ذلك على عمومه لادعى أقوام منهم الانتهاب ، وانه ضاع له عدة أموال ، ونحو ذلك يلزم في تمكينهم من السلم ، وفي كل يلزم الغُرم لبيت المال عمره الله .

وأما فصل الحيوان فإنهم لو مُكّنوا منه ـ خُصوصاً أو عموماً ـ لعم الناس البلاء ، ونزل بهم ـ مدة العمر ـ الغلاء ، وانقطعت عوامل الحرث .

وزاد النفر الخمس أسفل يمنته : بأنه لا تنقطع مادة الضرر إلا إذا حُد لهم القدر الذي يتسوقونه من الأوسق ، وإلا استأصلوا هذا المغرب قحطاً .

فمن استوعب ما ذكر ممن ذكر قيده عنهم وهم عارفون قدره وبأكمله ، وفي التاريخ أعلاه .

التجـــار

الحاج علال بن عبد الرحمان ابن زاكور

الحاج محمد بن الحاج بن محمد النسب

الحاج ادريس بن الحاج محمد بنيس
سيدي محمد بن عبد السلام جسوس
الحاج محمد بن عبد المجيد ابن كيران
الحاج محمد بن الحاج قدور النسب
الحاج المدني بن أحمد التازي
الحاج محمد بن العربي القباج
الحاج محمد بن الحاج عبد الكريم بناني
المحتسب الحاج المهدي بن الحاج محمد النسب
أحمد بن الحاج محمد السميرس النسب
الحاج عبد المجيد بن الحاج محمد بن عبد الرزاق ابن شقرون
الحاج علال بن الحسن النسب
الحاج محمد بن المعطي ابن يعيش
عبد الرحمن بن الحاج عبد الغني الكوهن
الحاج محمد بن الحاج عزوز بنونة
الحاج محمد بن محمد بن الطيب برادة
الحاج العربي بن الحاج عبد الكريم ابن موسي
سيدي عبد الوهاب بن عبد السلام التازي
الحاج محمد بن المدني القباج
الحاج محمد بن الحاج العساوي برادة
الحاج محمد بن الحاج محمد بن المدني بنيس
الحاج عبد القادر بن الحاج محمد النسب
الحاج المعطي بن الحاج البرنوصي ابن مليح
الحاج عثمان الحاج عبد الكريم التويمي ابن جلون (كذا) .
الحاج العربي بن الحاج محمد بنيس

- 12-

جواب الحاج أحمد المراكشي

الحمد لله ، أجاب التاجر الحاج أحمد بن الحاج محمد المراكشي بأن ما اقتضاه نظر مولانا المنصور بالله من مساعدة بعض الأجناس في تسريح ما بكتابه الشريف أعلاه : سديد ، غير أن الإطلاق فيما ذكر يتوقع منه ضرر كثير ، إذ المباشرون لما ذكر تجارهم ، وإذا سُلطوا على حب المغرب وذكر ان ما ذكر : ربما استأصلوه في أقرب مدة ، لكثرة ما بأيديهم ، وعدم مبالاتهم بارتفاع الأسعار ، وتركوا الرعية جائعة لهفانة ، والمعهود من عقال الأجناس أنهم لا يرضون هلاك أمة بالجوع .

فإن ظهر لمولانا أن يعين لهم قدر ما يتسوقونه في أشهر العام ، بحيث يكون غير مجحف بالرعية : فهو أحوط ، ونظر مولانا أسد وأتم .

فمن استوعب منه ما ذكر كما ذكر قيده عنده بعد معرفته ، في غد التاريخ أعلاه .

- 13-

جواب أهل قصبة النوار

الحمد لله، بعد أن اطلع أهل قصبة النوار المسطرة أسماؤهم بالطرة يمنته على ما تضمنه الظهير الشريف مما أشير اليه صدره : أجابوا بأن مالهم ورقابهم لمولانا المنصور بالله ، لأنهم من جملة جيشه المنصور المؤيد ، وجنده الظافر المعضد ، ولأجل ذلك كان اختيارهم فيما اختاره مولانا نصره الله ، عارفين قدره وبأكمله ، وعرف عين البعض وعرف بمن عداه ، في ثامن عشر الشهر أعلاه .

أهل قصبة النوار

المقدم سيدي محمد بن الحاج محمد الفلالي
الحاج عبد الله بن الحاج العربي النسب
القائد الحاج محمد بن عبد الله النسب
الحاج الصديق بن مبارك النسب
الصديق بن المكي النسب
سيدي محمد بن عمر النسب
الحاج أحمد بن بوشتة النسب

- 14 -

جواب أولاد الحاج

الحمد لله ، بعد أن بُين لجماعة أولاد الحاج المسطرة أسماؤهم بالطرة يُمْنته ما تضمنه الظهير الشريف صدره : أجابوا بأن ما أجاب به أهل فاس هو جوابهم ، لأنهم في حكم أهل فاس ، معدودون في حومة من حومها ، عارفون قدره وبأكمله ، شهد به عليهم في حادي وعشري الشهر أعلاه .

أولاد الحــاج

الشيخ قدور بن بزيان الجرّاري
الشيخ الجلاني المعروب
الحاج علي بن السبع
عبد الله بن العياشي العشي
محمد بن عبد الله الحميدي الحافي
مبارك بن قدور العشي
أحمد بن عيسى الناصري
قدور بن سليمان المجاني
علي بن الطيب الناصري
قدور بن الأخضر الجلاني
الجلاني بن يعگوب الحميدي
محمد بن عيسى العجالي
قدور بن عبد الكريم العجلالي
لكبير قدور الزناتي

محمد بن سعيد القفيري
الحاج محمد بن قدور الزناتي
محمد بن دحمان النسب
الطالب مبارك بن أحمد الحميدي
البقال بن علي القفيري
سعيد بن عبد الكريم العشي
محمد بن عبد القادر الحميدي

- 15-

جواب مولانا عما كتب به الفقهاء خصوصاً

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً .

الحسن بن محمد الله وليه ومولاه

الفقهاء الأرضين المبرزين من القضاة والعلماء بفاس ، الحماة الهداة الذين للعامة من مصباحهم اقتباس ، وفر الله جمعكم ، وصان من كدر الحوادث نبعكم ، وشكر سعيكم ، وأدام لصالح العمل هديكم ، وسلام الله عليكم ورحماته وتحياته وبركاته .

أما بعد : فقد وصل ما قيدتموه فيما استشرتم فيه من تسريح ممنوع الوسق وذكر ان الحيوان لبعض الأجناس ، المقررة لكم شروطه المبنية من الاختبار والاحتياط على أساس ، ناهجين في ذلك منهج حكم الكتاب وصحيح الأخبار على سبيل الاطلاق ، الذي لا يخلو فيه لقيود المصلحة اعتبار ، مستظهرين كون منعهم من ذلك ـ إن اقتضاه النظر ـ أولى من الإسعاد ، ولو أفضى لعقد مدة تنقضي لتمام حُصول القوة والاستعداد ، لصدور ذلك منكم عن عقائد أمسك الإيمان زمامها ، وعزائم جردت بيد التوكل حُسامها ، فأوريتم بذلك زناداً ، وناجيتم به في مسرح الضمائر مراداً ، إذ هو في الحقيقة إفصاح بالواجب ، وصدع بأمر الله الذي ليس للعزائم عنه حاجب ، فقمتم فيه بلازم الوظيف ، وتخلصتم ببثه من وعيد الكتمان المقرر بالذكر المحكم والحديث الشريف ، وأديتم بذلك واجب النصيحة التي هي عنوان صدق العقيدة ، وعضد الايمان الذي به يُمنح المفاز مقليده ، على أن النصيحة شرط في البيعة وفرض على كل مسلم ، فكل قلب خلا من كوكبها المُنير مظلم ، كما أخرجه الشيخان عن جرير قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أبايعك على الاسلام ، فشرط عليّ : والنصح لكل مسلم ، الى آخره وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الطبراني : « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس

منهم ، ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ولرسوله ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم » .

وتنبيهكم على الحمل على موافقة الدين ، والتفصي مما ينافي سنة سيد المرسلين : أتيتم فيه بحق التذكير والموعظة ، وطرد سوام التواني عن الهمم المستيقظة ، إذ التساهل في اتباع السنة رأس المهالك ، وداعية النوائب التي تضيق بها المسالك ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «لكل عمل شِرّة ولكل شرّة فترة ،فمن كانت شِرّته إلى سنتي فقد اهتدي، ومن كانت شِرّته الى غير ذلك فقد هلك » ، على أن من صلح فبهداية الله ، ومن أساء فذلك في الحقيقة ابتلاء بطريق العدل من مولاه ، فكلا العملين بإلهامه وتوفيقه ، وكل يعمل على شاكلته وطريقه ، لقوله تعالى : ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الطبراني : « اعملوا فكل ميسر لما خُلق له » ، من خلقه الله لواحدة من المنزلين وفقه لعملها .

وإننا ـ لمزيد عنايتنا بالرعية وشفقتنا عليهم ـ لنتحمل السهر لتنام أجفانهم ، ونرضى بطول الكد لتستريح في الأجل ولدانهم ، ولا نالوا في إرادة الخير بهم جهداً ، وإقامة معالم السنة فيهم هدياً ورشداً ، حيث استودعنا الله إياهم ، واسترعانا صغراهم وجلاهم ، وفيما أخرجه الإمام مسلم « ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لم يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة » ، فلا نُمْهل في تدبيرهم نصحاً ، ولا نهمل ـ بحول الله ـ ما يثمر لهم نجحاً ، ونمرد لهم من قوارير العزة صرحاً ، وقد أخذتم في اهتمامكم بالمتعين أحكاماً لعمل وظيفكم المعتاد ، وأداء لما طوقتموه من شد عضد الهداية والإرشاد .

هذا ولما كانت المصلحة في هذا الوقت اقتضت ما استشرناكم فيه ، وأوجبت ـ بطريق النظر ـ تسكين ما ينافيه : قدمناه ريثما تقترن طوالع العزم ـ إن شاء الله ـ في بروج سعده ، ويأتي الله بالفتح من عنده ، وما زلنا ولا نزال ـ بحول الله ـ نصرف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح، ونذوذ عن جانب الرعية عقربها بسماك رامح، والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد ، ويغنينا بتدبيره عن أقيسة التدبير والارتصاد .

والسلام في 22 رمضان عام 1303 هـ .

- 16-

جواب مولانا أيده الله تعالى لكل من أجاب مولانا ممن عين قبل

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

وصيفنا الأرضي الأنجح ، الطالب عبد الله بن أحمد ، وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وبعد : وصل جوابك عما أصدرناه استشارة لأهل فاس ، فيما استظهرنا المساعدة عليه لبعض الأجناس: من تعليق وسق بعض ما طلبوه على ما قرر لكم من الشروط، التي اعتبار المصلحة فيها بقيْد الاختبار منوط ، شارحاً ما ظهر منهم عند عرضه عليهم من الاضطرار ، الدال على تخليص مناهلهم من كدر الاغترار ، ومعلّما بتوجيه الرسمين المتضمن أحدهما لجواب كل عُصبة من طوائفهم المتيامنة ، والآخر لجواب أهل الزاوية (الكبرى مع الزراهنة)(*) ، مع تقييد في ذلك خاص لعلماء فاس .

فأما تقييد العلماء فوصل ، وبإقبال نظرنا السديد اتصل ، وقد أدوا فيه الواجب تذكيراً ونصحاً ، وصدعوا من الحق بما شيدوا به في منهج الهداية صرحاً .

وأما الرسمان فطولع بهما علمُنا الشريف كذلك ، واستُوعب النظر فيهما بطريق الاستقراء ما هنالك ، فأعربا عن مضمن المشهود عليهم بوجه يستوفيه ، وقررا حكم اهتمامهم بنتيجة الاستشارة مع تفاوتهم فيه .

فأما أهل تلمسان فقد أحسنوا في إشارتهم بكون تسويق ما أشير له من المراسي فقط ، دون المدن والبوادي ، مع عدم التمكين من السلم لأحد ، وأدوا بذلك واجب

(*) هذا الجواب لم يرد نصه في « الدر الجوهرية » .

النصيحة ، عن عزائم صحيحة ، ولا غرابة في ذلك ، إذ ليس من رأي كمن سمع : فجزاهم الله خيراً .

وكذلك المرابطون والتجار ، مع من خُص إحضاره من أهل الحومات الذين نحوا نحو أهل تلمسان ، مع استظهار المرابطين نصب وكيل بالمراسي وعدم الضرب على يده ، وزيادة التجار عدم التمكين من الحيوان مُطلقاً ، واستدراك البعض منهم تحديد ما يوسق من الحَب بمقدار لا يتجاوز حده ، وتنبيه الحاج أحمد المراكشي على تقييد التسوق في أشهر العام ، بحيث يكون غير مجحف بالرعية ، فجزى الله الجميع خيراً ، وعاملهم بمقتضى نياتهم سراً وجهراً .

وأما الشرفاء العلويون ومن بعدهم من أهل النسبة ، مع المقدم الرامي ومن تلاهم من الأمين المقري والحاج أحمد الرايس وأرباب البصر ومن نحا نحوهم : في رد الأمر إلينا فيما أبدينا استظهاره ، والموافقة والاقتصار عليه من غير نتيجة استشارة ، فقد أدّوا في ذلك من الواجب بعضه ، حيث لم يشيروا بمقتضى سبر الأمر بعد مسهم نبضه .

وأما أهل زرهون فمن قبيل هؤلاء ، غير أنهم معذورون ، إذ لم يبلغوا مبلغهم في الذكاء ، والحذق والدهاء .

على أننا ما زلنا ولا نزال ـ بحول الله ـ نصرف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح ، ونذوذ عن جانب الرعية عقربها بسماك رامح ، والله نسألُ أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد ، ويغنينا بتدبيره عن أقيسة التدبير والارتصاد .

وها جواب العلماء عما كتبوا به يصلك صحبته .

والسلام في 22 رمضان المطهر عام 1303 هـ .

ملحق سابع

رسالة من السلطان الحسن الأول إلى عامل فاس حول الإعلان لمن أراد الانخراط في الجيش النظامي ، وهي ملحقة بنهاية الباب الثاني ص 87

وصيفنا الطالب عبد الله بن أحمد ، وبعد فنأمرك أن تطلق النداء بالمدينة على أن من أراد الدخول لنظام العسكر السعيد عن طيب نفس من غير اكراه عليه ، ويحرر ويوقر ما دام في الخدمة ، وتكون له الكسوة الكاملة والمؤنـة الكافية بحول الله ، وعلى أن لا يكون استعماله إلا في أطراف المدينة وما قاربها ، بحيث لا يجاوز عدوة الرباط ، نعم إلا إذا كان رباط في سبيل الله ، ويخدم ثلاث سنين ثم يسرح .

فلتصرف وجه اعتنائك لذلك ، وقم على ساق الجد فيه ، واجعله من أهم أمورك ، أصلحك الله ، والسلام .

في 11 محرم عام 1302 .

دفتر التسجيل للمكاتب الحسنية :

في خزانة خاصة

دليـل المنشـور من الأبحـاث والمؤلفـات
التي أنجـزهـا المؤلف

أولاً - في تاريخ المغرب الحضاري

1 - « العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين » . . . نشر معهد مولاي الحسن بتطوان سنة 1950 - ص 294 .

نشرة ثانية بالأوفسيط سنة 1977/1397 .

2 - « ركب الحاج المغربي » . . . نشر معهد مولاي الحسن بتطوان ، سنة 1953 - ص 104 .

3 - « مظاهر يقظة المغرب الحديث » : الجزء الأول ، مطبعة الأمنية بالرباط ، عام 1392-1973 - ص 347 : من منشورات وزارة الثقافة والأوقاف .

- نشرة ثانية ومعها الجزء الثاني بمبادرة دار الغرب الإسلامي في بيروت عام 1984/1405 .

4 - « وثائق ونصوص » : عن أبي الحسن علي بن منون وذريته ، المطبعة الملكية بالرباط ، عام 1396 = 1976 - ص 315 .

5 - « ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين » من منشورات كلية الأداب والعلوم الانسانية بالرباط 376 ص .

2/5 - « المصادر العربية لتاريخ المغرب » من منشورات كلية الآداب بالرباط ، الجزء الأول : 272 ص .

* * *

6 ـ « استقرار كثير من أصول القومية المغربية ، في الفترة المرينية والوطاسية[1] » ، مجلة دعوة الحق : العدد الثامن ، السنة الحادية عشرة ، عام 1388 = يوليوز 1968 ، ص 107 -111 .

7 ـ ترجمة نفس المقال إلى الفرنسية ، مجلة هيسبريس سنة 1968 ، الجزء 2 ص 219 - 227.

* * *

8 ـ « معرض المخطوطات العربية بمكناس » . . . مجلة تطوان : العددان الثالث والرابع « مزدوج » ، سنة 1958 - 59 ، ص 97 - 108 .

9 ـ « مكتبة الزاوية الحمزية » . مجلة تطوان . . العدد الثامن ، سنة 1963 ، ص 67 - 177 .

10 ـ « المخطوطات التونسية بالمغرب » ، مجلة المغرب التي تصدر عن وزارة الممثل الشخصي : العددان 6 و 7 «مزدوج»، دجنبر 1965، ص 50ـ62 .

11 ـ « ترجمة مغربية لفهرس الاسكوريال » ، مجلة البحث العلمي : العدد السادس ، السنة الثانية ص 16 - 23 ، سنة 1385 = 1965 .

12 ـ « معطيات جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق عبر سبع سنوات » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الرابع ، السنة 17 ، ص 117 - 121 .

13 ـ « المصادر الدفينة في تاريخ المغرب[2] » ، مجلة « البحث العلمي » ، السنة الثالثة، العدد الثامن 1386/1966 ، ص 117 - 135 .

ـ نشرة ثانية منقحة ومزيدة : نفس المجلة : السنة الرابعة : العدد العاشر 1387/1967 ، ص 9 - 29 .

---

(1) أعد برسم ندوة جمعية تاريخ المغرب : 12 — 13 ماي 1967 بالرباط .

(2) اعد برسم « ندوة جمعية تاريخ المغرب » : 20 — 23 ماي 1966 بالرباط .

14 ـ « مجمـوعـات المصـــادر التـاريخيـــة » ، مجلة البحث العلمي . السنة العاشرة ، العدد 20 - 21 مزدوج ، ص 83 - 95 .

15 ـ « الجزيرة العربية في الجغرافيات والـرحلات المغـربية ومـا اليها[1] » ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد 29 - 1978/1398 ـ ص 150 - 187 .

16 ـ « الكناشات المغربية » ، مجلة « المنـاهل » : العـدد الثاني ، صفـر ـ مارس 1975/1395 ، ص 196 - 232 .

17 ـ « وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس » ، مجلة دعوة الحق : السنة العاشرة ، العدد الثاني ، شعبان ـ ديسمبر 1966/1386 ـ ص 104 - 106 .

18 ـ « شهادات باستمرار السيادة المغربية على الصحراء الغربية » ، مجلة « الاعتصام » : السنة الثانية ، العدد الثالث ـ ص 20 - 22 ، 1976/1396 .

19 ـ « وثيقتـان جـديـــدتـان من ذيـــول مـوقعـــة وادي المخـازن » : مجلة « الايمان » : السنة الثامنة ، العـدد 77 ، شعبان ـ يـوليوز 1978/1398 ـ ص 69 - 73 .

ـ نشرة ثانية : مجلة « دعوة الحق » ، السنة التاسعة عشرة ، العـدد الثامن ، رمضان ـ غشت 1978/1398 ـ ص 30 - 32 .

* * *

20 ـ « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » . . مجلة اللسان العربي : العدد الأول صفر 1384 = يونيو 1964 ، ص 52 - 66 .

ـ نشرة ثانية مزيدة لنفس المقال ، « صحيفة معهد الدراسات الاســلامية في

---

(1) أعد برسم « الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية » ، حيث أنعقد بالرياض 23 — 28 أبريل 1977 .

مدريد » : المجلدان 11 ، 12 ص 329 - 358 ، سنة 1963 - 1964 .

ـ نشرة ثالثة لنفس المقال مزيدة أكثر ، « دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، ص 74 -91 ، يناير سنة 1967 .

21 ـ « أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي » مجلة دعوة الحق : العدد الثاني ، السنة التاسعة ص 101 - 104 ، شعبان 1385 = ديسمبر 1965 .

* * *

22 ـ « فصلة تصف الدراسة بالقرويين أيام المنصور السعدي » . . مجلة « البحث العلمي » : العدد السابع ، السنة الثالثة ، ص 241 - 266 سنة 1385/ 86-1966.

23 ـ « مدخل الى تاريخ القرويين الفكري » . . الكتاب الذهبي لجامعة القرويين سنة 1379 -1960 ، ص 182 -187 .

24 ـ « كراسي الاساتذة بجامعة القرويين » . . . مجلة دعوة الحق : السنة التاسعة، العدد الرابع ص 91 - 97 ، مع العددين الخامس والسادس : ص 91 - 97 وص 117 - 119 ، سنة 1385 = 1965 .

25 ـ « موضوعات مغربية عن نظم التعليم الأصيل » مجلة « الرسالة التربوية » : العدد الأول ، محرم ـ يناير 1976/1396 ـ ص 74 - 77 .

26 ـ « وصية تعليمية لأبي حامد الفاسي » : بالعدد الخامس من مجلة « كلية الشريعة » بفاس ، ص 17- 30 .

* * *

27 ـ « ترجمة فقيد الاسلام محمد المدني ابن الحسني » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد العاشر، السنة الثالثة ، ص 76 - 82 ، صفر 1380 = يوليوز 1960

28 ـ « حياة فقيد المغرب محمد المختـار السوسي » ، « مجلة الايمـان » : العدد الخامس، السنة الأولى ، ص 42 - 52 ، قعدة 1383 = أبريل 1964 .

29 ـ « حياة الفقيد محمد ابن الفقيه » . . . جريدة الميثاق » : العدد 53، السنة الثالثة ، العدد 54، السنة الثالثة ، سنة 1384 = 1964 .

30 ـ « الشريف الأدريسي » مجلة « دعوة الحق » : السنـة التاسعـة ، العدد الثامن ، ص 75 - 86 ، صفر 1386 ـ جوان 1966 .

31 ـ « مؤرخ مكنــاس ابن زيـدان » . . . مجلة « دعــوة الحق » : السنـة العاشرة ، العدد الأول ، ص 93 - 99 ، رجب 1386 = نوفمبر 1966 .

32 ـ « محمـد بن الحسين العـرائشي شيـخ الجمـاعــة بمكنـاس » ، نفس المجلة : العدد التاسع والعاشر « مزدوج » ، السنة الحادية عشرة ، جمادى 1 ، 1388 = غشت 1968 ، ص 108 -115 .

33 ـ « جوانب من حياة الفقيد : عبد الكريم ابن الحسني » ، المجلة ذاتها : العدد الأول ، السنة 16 ، ص 182 -183 .

34 ـ « الترجمة العلمية لقاضي مكناس : محمد بن أحمد السوسي » ، نفس المجلة : العدد السابع ، السنة 16 ، ص 80 - 92 .

35 ـ « محمد السائح : في منهجية تدريسه للحديث . ومن خلال أوضـاعه المنوعة » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الخامس ، السنة 17 ـ ص 108 - 114 .

36 ـ « شيوخ ابن حزم في مقروءاته ومروياته » : مجلة « المناهـل » : العدد السابع ، ذو القعدة ـ نوفمبر 1976/1396 ، ص 241-261 .

37 ـ حـل مشكلة تتصـل بـاسم وعصـر مؤلف الـروض المعـطار » : نفس المجلة : العدد العاشر ، ذو الحجة ـ نوفمبر 1977/1397 ـ ص 367 - 372 .

38 ـ « ترجمة ابن بطوطة » : مجلة « دعوة الحق » : السنة 19 ، العدد 5 ، رجب ـ ماي 1398/1978 ـ ص 13 - 20 .

* * *

39 ـ « ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد التاسع والعاشر «مزدوج» ص 97 - 111 ، ربيع الأول والثاني ـ يوليوز ـ غشت 1386/1966 .

40 ـ « المولديات في الأدب المغربي » ، مجلة دعـوة الحق : السنة الثـانية عشرة ، العدد السابع ، ربيع الأول ـ يونيه ، 1389/1969 ـ ص 62 - 65 .

41 ـ « مجموعات مغربية في المـدائح النبـوية » ، مجلة الثقـافة المغـربية : العدد 4 ص 87 - 102 ، صفر ـ أبريل 1391/1971 .

42 ـ « مدائح نبوية مغربية » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد التاسع والعـاشر « مزدوج » السنة 15 ، ربيع الأول ـ ماي 1393/1973 ، ص 157 -161 .

43 ـ «تـاريخ حفـلات الشموع بـالمغـرب »، مجلة «الفنـون» : السنـة الأولى، العدد السادس والسـابع « مـزدوج » ، ربيع الثـاني ـ جمادى الأولى / مـايو ـ يـونيه 1394/1974 ، ص 34 - 38 .

44 ـ « مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البريـة صلى الله عليه وسلم » ، مجلة « دعـوة الحق » : السنـة 18 العــدد 4 ، جمـادى الأولى ـ مــاي 1397/1977 ، ص 20 - 31 .

* * *

45 ـ « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي » ، نفس المجلة : السنة الحادية عشرة ، الـعدد الـرابع ، قعدة 1386 = فبراير 1968 ، ص 51 - 62 .

46 ـ « ثلاث رسائل من المغرب الى ليبيـا » ، نفس المجلة : السنة الثـانية عشرة ، العدد الرابع ، ذو الحجة 1388 = مارس 1969 ، ص 42 - 47 .

47 ـ « اربع وثائق علوية ضد بدع الشورة والافراح » ، نفس المجلة : السنة الرابعة عشرة ، العدد الثالث ، عام 1391 = 1971 ، ص 51 - 59 .

48 ـ « التربية والتثقيف للأمراء العلويين » ، استجواب نشر في مجلة التعاون الوطني عام 1968 ، ص 14 - 15 .

49 ـ « مـلامح الحـركة الأدبيـة في العصـر العلوي الأول » ، مجلة « دعـوة الحق » : السنة الخامسة عشرة ، العدد الأول ، محرم 1392 = مارس 1972 ، ص 82 - 89 .

50 ـ « عبد الرحمان الجامعي الفاسي حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير » ، نفس المجلة : العددان الرابع والخـامس « مزدوج » ، السنـة 16 ، ص 77 - 89 .

51 ـ « ملامح الحركة الأدبية في العصر العلوي الثـاني » ، المجلة نفسها : العدد الثامن ، السنة 15 ، ص 84 - 87 .

* * *

52 ـ « مركز المصحف الشريف بالمغرب » ، مجلة « دعوة الحق » : السنـة الحادية عشر ، العدد الثالث ، ص 71 - 77 .

53 ـ « تـاريخ المصحف الشـريف بالمغـرب » ، مجلة معهد المخـطوطات بالقاهرة : المجلد الخامس عشر ، الجزء الأول ، مايو 1969 ، ص 3 - 47 .

نشرة ثانية : .مجلة « دعوة الحق » : العدد 4 من السنة 22 ، ص 9 - 29 .

54 ـ « صحيـح البخاري في الـدراسات المغـربية » ، « مجلة مجمـع اللغة العربية بدمشق » : ج 3 مجلد 49 ، ص 500-549 .

ـ نشرة ثانية مزيدة : مجلة « دعوة الحق » : العـدد الأول ، السنة 17 ، ص 56 - 79 .

55 ـ « ذيل وتكملة لموضوع صحيح البخـاري في الدراسـات المغربيـة » ، مجلة دعوة الحق : العدد الثاني والثالث مزدوج ، السنة 17 ، ص 113 - 115 .

* * *

56 ـ « مناقشة أصول الديـانات في المغـرب الوسيط والحـديث[1] » : مجلة « البحث العلمي » ، السنة الخامسة ، العدد الثالث عشر ـ ص 23 - 32 .

57 ـ « مواقف المغرب ضد الحملات الصليبيـة » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة الثالثة عشرة ، العدد الثالث ، عام 1390 = 1970 ، ص 50 - 61 .

* * *

58 ـ « المـوسيقى الأندلسيـة بالمغـرب » ، مجلة «البحث العلمي»: السنـة السادسة العدد 14 و15 « مزدوج»، سنة 1969، ص 147-177، وقد فاز بجائزة المغرب سنة 1969 .

ـ نشرة ثانية مزيدة في مجلة « التراث الشعبي » العراقية ، العدد 6 . السنة 10 ص 31 -64 .

59 ـ « صناعة الأسلحة النارية بالمغرب » مجلة « دعوة الحق » : السنة الثالثة عشرة ، العدد الثامن ، عام 1390 = 1970 ، ص 50 - 61 .

60 ـ « التصـوير بـالمغرب الاسـلامي في القديم » ، نفس المجلة : السنـة الرابعة عشرة ، العدد الأول والثاني « مزدوج » عام 1390 = 1971 ، ص 83 - 92 .

* * *

---

(1) أعد برسم « الموسم الثقافي » 1968 بالرباط .

61 ـ « الورقة المغربية » ، القسم الأول : مجلة « البحث العلمي » : السنة السابعة ، العدد 16 ، 1970 ، ص 37 - 65 .

ـ القسم الثاني : نفس المجلة ، السنة الثامنة ، العدد 18 ، 1391 = 1971 ـ ص 17 - 47 .

ـ القسم الثالث : مجلة « دعوة الحق » : العدد 10 السنة 16، ص 80 -92.

ـ القسم الرابع : مجلة « دعوة الحق » : العدد الثاني ، السنة 18 ، ص 45 -56 ، ربيع الأول ـ مارس 1397/1977 .

* * *

62 ـ « ملامح عن الحياة المغربية في رمضان » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد التاسع ، السنة الرابعة عشرة ، شوال 1391 = نونبر 1971 ، ص 136 -138 .

63 ـ « مشاهد عمالية من واقع مغرب الأمس » ، نفس المجلة : العدد الرابع ، السنة الخامسة عشرة ، جمادى الثانية 1392 يوليوز 1972 ، ص 113 - 115 .

64 ـ « لمحات عن سير الرياضة البدنية في التعليم المغربي القديم » ، نفس المجلة : العدد الخامس والسادس « مزدوج » ، السنة الخامسة عشرة ، رمضان 1392 = أكتوبر 1972 ، ص 139 - 143 .

65 ـ « قطعة عن نشاط الرماية الشعبية بالجنوب المغربي » ، مجلة « الباحث » : السنة الأولى ، المجلد الأول ، 1972 ، ص 107 - 136 .

66 ـ « أضحية العيد في أدب الغرب الاسلامي » : مجلة « المناهل » : العدد 5 ، ص 216 - 227 .

* * *

67 ـ « دليل القصبة الاسماعيلية بمكناس » : مجلة «دعوة الحق » ، السنة العاشرة ، العدد الرابع ، ذو القعدة ـ مارس 1386/1967 ، ص 107 -120 .

68 ـ « التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور » : مجلة « الثقافة المغربية » : العدد السابع ، ص 21 - 56 : القسم الأول .

69 ـ « حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الثاني ، السنة 16 ، ص 130 - 153 .
مع العدد الثالث من السنة نفسها ، ص 153 - 163 .

70 ـ « الحصون والقلاع العسكرية . كفن أصيل في العمارة المغربية » : مجلة « الفنون » ، السنة الرابعة ، العدد الثاني ، ص 107 - 110 .

* * *

71 ـ « ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة[1] » : « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » ، ج 4 : المجلد الحادي والخمسون ، 1396/1976 ـ ص 827 - 882 .

نشرة ثانية مزيدة : مجلة « دعوة الحق » ، السنة 18 ، عدد 7 — 8 مزدوج ، شعبان ـ رمضان ـ غشت ـ شتنبر 1397/1977 ، ص 75 — 82 .

مع العدد التاسع من السنة نفسها : ص 68 — 84 .

نشرة ثالثة ضمن سجل « أشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب العربي وحضارته » : 75/2 — 113 .

72 ـ « الطابع الخاص للحضارة المغربية في العصر الوسيط »[2] ، « مجلة كلية

---

(1) أعد برسم « المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته » ، المنعقد بتونس : 24 — 29 ديسمبر 1974 .
(2) أعد برسم « ملتقى أبي لبابة » في مدينة قابس أيام 27 — 30 أفريل 1978 ، وبهذه المناسبة نشرت المحاضرة في =

الاداب والعلوم الانسانية » : جامعة محمد الخامس : العدد الثالث والرابع مزدوج ، سنة 1978 ، ص 81 — 96 .

73 ـ « خطة الحسبة في المغرب » : مجلة المناهل ، ، العدد 14 ، ربيع الثاني ـ مارس 1979/1399 ، ص 209 — 234 .

74 ـ « عادات مغرب الامس بمناسبة حلول السنة الهجرية » : مجلة « الارشاد » ، العدد السادس من السنة العاشرة ، 1978/1399 ، ص 12 — 15 .

75 ـ « ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس » : مجلة « المناهل » : العدد 6 ، رجب ـ يوليوز 1976/1396 ، ص 224 — 257 : القسم الاول .

76 ـ « الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية[1] : مجلة المناهل : العدد 17 ، ص 47 — 99 .

77 ـ « نماذج من اهتمامات المؤلفين العرب بالمقدمة الخلدونية »[2] : منشور ضمن سجل « أعمال ندوة ابن خلدون » .

= شكلها الأول ودون تعاليق : باعتناء مجلة جوهر الاسلام التونسية : السنة العاشرة ، العدد 7 — 8 مزدوج ، 1978/1398 ، ص 6 — 13 .

(1) أعد برسم الندوة العلمية بتونس : 25 محرم ـ 2 صفر 15/1400 — 21 ديسمبر 1979 : بمناسبة ذكرى مرور ثلاثة عشر قرناً على تأسيس الزيتونة .

(2) أعد برسم ندوة ابن خلدون ، التي نظمتها كلية الآداب بالرباط : 14 — 17 فبراير 1979 .

ثانياً : دراسات اسلامية

78 ـ « مقاصد التشريع الاسلامي » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد الثامن ، السنة الثانية ، ص 26 -33 ، قعدة 1378 = ماي 1959 .

79 ـ « اسرار الصيام الروحية والمادية » . . . مجلة دعوة الحق : العدد الخامس ، السنة السادسة ، ص 34 -37 ، رمضان 1382 = فبراير 1963 .

وعن هذه المجلة نشرته مجلة ، « الخرطوم » ، التي تصدرها وزارة الاعلام والعمل لجمهورية السودان ، عدد يناير 1966 ، الموافق 9 رمضان 1385 ، ص68 -71 ، في باب : « من صحافة العالم » .

وقد كان نفس المقال ـ أيضاً ـ أول مجموعة أحاديث رمضان الاذاعية لعام 1381هـ ص 2 -7 ، نشر وزارة الاوقاف المغربية .

80 ـ « هدى الاسلام في التربية والتعليم » ، مجلة الايمان ، العدد 7 و 8 « مزدوج » : السنة الاولى ، ص 81 -85 ، محرم وصفر 1384 = يونيه ـ يوليوز 1964 .

81 ـ « موقف الاسلام ازاء الضوائق العامة » . . . مجلة « دعوة الحق » السنة الثالثة ، ص 15 -17 ، شوال 1379 = أبريل 1960 .

82 ـ « طابع الاسلام بين الاديان » ، وهو الموضوع الذي تقدمت به الى « المؤتمر الاسلامي العالمي للسيرة النبوية » المنعقد في باكستان ، من 1 الى 12 ربيع النبوي 1396هـ/3-14 مارس 1976م : مجلة « دعوة الحق »السنة 17، العدد 8، شوال ـ أكتوبر 1976/1396 ، ص 87 -106 .

83 ـ « باكستان وطن المنجزات والمشاريع الاسلامية » : « نفس المجلة » السنة 17 ، العدد 9 ، ذو القعدة ـ نوفمبر 1976/1396 ، ص 113 -123 .

84 ـ « ارتسامات عن المؤتمر الاسلامي العالمي للسيرة النبوية بباكستان » المجلة ذاتها ، السنة 17 ، العدد 10 ، محرم ـ دجنبر 1976/1397 ، ص 10 -16 .

85 ـ «هدى الإسلام في القصد إلى يسارة التكليف» : مجلة كلية الشريعة بفاس ، العدد 2 ، السنة الاولى ، ربيع الثاني ـ مارس 1977/1397 ، ص 40 -46 .

86 ـ « منهجية التعليم في الاسلام » : مجلة « دعوة الحق » ، السنة 19 ، العدد الاول ، محرم ـ يناير 1978/1398 ، ص 13 -17 .

87 ـ « هدى الاسلام في تنظيم الاقتصاد المنزلي» : نفس المجلة ، السنة 19 ، العدد التاسع ، شوال ـ شتنبر 1978/1398 ، ص 26 -38 .

88 ـ « الندوة الاسلامية الرابعة بالقيروان » : المجلة ذاتها » ، السنة 20 ، العدد الأول ، صفر ـ يناير 1979/1399 ، ص 35 -41 .

89 ـ « وظيفة المدرسة في المجتمع الاسلامي المعاصر »[1] : « نفس المجلة » ، السنة 20 ، العدد 6 -7 « مزدوج » ، رجب ـ شعبان/ يونيه ـ يوليوز 1979/1399 ، ص 78 -82 .

90 ـ «منوعات عن تلاوة القرآن الكريم بالترجيع والنغم» مجلة «الهداية» التونسية ، السنة 6 ، العدد 4 ، ربيع الثاني . جمادى الاولى ـ مارس ـ أفريل 1979/1399 ، ص 12 -14 .

ـ نشرة ثانية مزيدة في مجلة « دعوة الحق » : السنة 21 ، العدد 2 ، جمادى I ـ 1400/ أبريل 1980 ص 33-36 .

---

(1) أعد برسم الندوة الاسلامية الرابعة بالقيروان : 6 — 10 ربيع النبوي 14/1398 — 18 فبراير 1978 .

ثالثاً : فهارس مكتبية على حدة

91 ـ لائحة المخطوطات المحفوظة في خزانة تمكروت باقليم ورزازات : جزآن مطبوعان بالآلة الراقنة : الاول سنة 1973/1393 .

الثاني : سنة 1974/1394 .

205 ص تستوعب 4184 مخطوطاً .

92 ـ فهرس المخطوطات المحفوظة ، في الخزانة العامة بالرباط : قسم حرف كـ : الجزء الاول : بالآلة الراقنة ، سنة 1974/1394 .

132 ص تستوعب 404 مخطوطات .

93 ـ منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الملكية بالرباط عدا المقدمة : في جزء منشور بمطبعة فضالة 1978/1398 .

213 ص تستوعب 252 مخطوطاً ووثيقة .

94 ـ الجزء الاول من « الفهرس العام للخزانة الملكية » : مطبوع بالآلة الراقنة . سنة 1983/1403 : 314 ص تستوعب 438 مخطوطاً .

ومن المنشورات القديمة :

95 ـ « أول مدرسة أسست بالمغرب » . . . « ملحق جريدة المغرب للثقافة المغربية » : العدد 8 ، الخميس 3 ربيع الآخر عام 1357 = 2 جوان 1936 ، ص 120 ، وهو أول مقال نشرت في هذا الصدد .

96 ـ « تاريخ الراية المغربية » ، نشر ـ تباعاً ـ بجريدة الرأي العام : اعداد : 31 و 34 و 35 عام 1367هـ = 1947 .

97 ـ « علاقات المغرب بالشرق » ، نشر طرف يسير منه في جريدة الرأي العام . . . السنة الخامسة ، أعداد : 219 -220 -221 -222 ، عام 1371 = 1951 ، ومعظمه ضاع أثناء سنة 1954م ضمن أبحاث أخرى مخطوطة .

98 ـ « مركز المغرب في الشمال الافريقي » . . . جريدة الرأي العام » اعداد : 662 و 664 و 667 ، عام 1377 = 1957 .

* * *

أبحاث جد نشرها

99 ـ « رواية مشرقية لكتاب الشفا من طريق الرحالة الأندلسي أبي الحسين بن جبير » مجلة « المناهل » : العدد 19 ، ص 392 -399 .

100 ـ « صداقة اربعين سنة مع مؤرخ فاس عبد السلام إبن سودة » ، مجلة « المناهل » : العدد 20 ، ص 195 -205 .

101 ـ « كتاب الشفا للقاضي عياض : من خلال رواته ورواياته ومخطوطاته الأصيلة » ، مجلة « المناهل » : العدد 22 ، ص 305 -423 .

102 ـ « لوحة عن تاريخ الخط العربي » ، مجلة « المناهل » : العدد 24 ص 238 -266 : القسم الأول .

103 ـ « الوراقة العلوية عبر سبعة عقود من المائة الهجرية الثالثة عشر » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد 4 ، السنة 23 ص 10 -24 : القسم الأول .

104 ـ « لمحة عن تاريخ الخزائن الملكية بالمغرب الأقصى » ، مجلة « دعوة الحق » : العدد 228 ص 8 -17 .

105 ـ « مخطوطات مغربية في علوم القرآن والحديث » ، « مجلة دار الحديث الحسنية » : العدد 3 ص 53 -122 .

106 ـ « دور اثنين من مؤلفات إبن سينا في الدراسات الطبية بمغرب العصر الوسيط[1] ، « مجلة التراث العربي » : العددان 5- 6 . السنة الثانية ص130- 149 .

---

(1) أعد برسم ندوة « الفكر العربي والثقافة اليونانية » التي نظمتها كلية الآداب بالرباط : 7 — 10 مايو 1980 .

107 ـ « ملاحظات حول بعض ردود فعل المغاربة تجاه الدعوة الى الإصلاح في القرن 19 : من خلال وثيقة موضوعية »[1] .

« مجلة كلية الأداب » بالرباط : العدد 9 ص 145 -153 .

108 ـ « دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي عبر عصر بني مرين »[2] ، مجلة « دعوة الحق » : العدد 230 ص 27 -35 .

109 ـ « وثيقة إسماعيلية تهتم بتثقيف الوصيفات » ، مجلة « الارشاد » : العدد الثاني : السنة الرابعة عشر ، ص 35 -36 .

110 ـ «إرتسامات عن المؤرخ الرائد محمد داود»: «الملحق الثقافي» لجريدة العلم: السبت 29 شوال 28/1404 يوليوز 1984: العدد 703 . « انوال الثقافي » 2 بتاريخ السبت 7 يوليوز 1984 .

---

(1) مساهمة في الجلسات الرشدية بكلية الأداب بالرباط .

(2) أعد برسم « ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والاسلامي » بالرباط ، نظمها معهد البحوث والدراسات العربية عام 1983/1403 .

فهرس الموضوعات

6 ـ محاولات لتطوير بعض الصناعات

7 ـ تقدم نسبي في التجارة الخارجية

8 ـ تجديد العملة

9 ـ تشريع لموظفي الديوانات

10 ـ تنظيم البريد

11 ـ انبعاث في ميدان التعليم

12 ـ الترجمة الى العربية

13 ـ موضوعات فلكية جديدة :

14 ـ موضوعات جديدة متنوعة

15 ـ خرط وتقنينات حديثة

16 ـ أطر حديثة من أفراد البعثات ومن اليهم

17 ـ الطباعة الحجرية الفاسية

18 ـ الطباعة السلكية

19 ـ مثقفون يتأثرون بالنهضة الغربية الحديثة

20 ـ مواقف ضد الامتيازات الاجنبية

21 ـ توجيهات حول تنظيم الجيش

26 ـ طلائع المعارضة الشعبية

كلمة ختامية

ملاحق 7

دليل المنشور من الابحاث والمؤلفات التي أنجزها المؤلف

فهرس الرسوم

PREFACE

Avec l'avènement du 19è siècle, le Maroc a connu un courant innovateur, courant qui bien que de portée limitée, diverses couches populaires y participèrent à côté des dirigeants.

Aussi, je me suis astreint d'exposer dans ce premier tome tous les renseignements épuisés à travers ma documentation relative à ce courant, et ceci sans aucune discrimination entre les partis ayant contribué par le biais de ce dernier, en vue de donner naissance à un Maroc moderne.

C''est ainsi qu'après s'être largement influencé du modèle turc et de l'Orient arabe, le rôle du pouvoir à cette époque visait des tentatives d'introduction de certaines réformes quant à la situation générale que vivait le Maroc du 19è siècle.

Aussi a-t-on vu des réformes officielles toucher l'appareil administratif, la défense, l'économie et les communications à quoi il faut ajouter un foisonnement d'Etudes de certaines sciences tels que les mathématiques, l'astronomie, l'art militaire, ce mouvement culturel a donné lieu au départ de délégations marocaines en vue de poursuivre des études soit en Egypte, soit en Europe. A côté de ce développement des sciences précitées, d'autres activités culturelles ont vu le jour voire des essais d'interprétariat et de traduction dans la langue arabe, l'invention de nombreux appareils astromiques, l'apparution d'ouvrages en matière d'astronomie et de sciences mathématiques, basés sur les théories modernes de raisonnement, l'imprimerie arabe fut introduite pour la première fois au Maroc.

Par ailleurs un autre courant ayant revêtu un aspect moderne fit son apparition dans le rang des savants et érodits, c'est ainsi que certains d'entre eux se sont lancés dans la création littéraire - afin

de rivaliser les apports étrangers - et ceci tantôt en matière d'organisation militaire et administrative, tantôt pour faire l'appel au combat; d'autres furent fortement influencés par les connaissances et les sciences modernes. Cette activité n'était pas l'exclusivité des hommes de sciences, mais fut accompagnée d'un début de presse arabe pour la première fois au Maroc, et d'une participation massive des hommes de lettres au renforcement d'un tel courant, notamment à la suite d'une initiative de l'opposition populaire.

C'est pourquoi j'ai accordé une importance à un tel sujet en le cernant de près, d'autant plus que j'ai déjà publié un certain nombre d'articles - à ce propos - dans des revues marocaines en langue arabe, je n'ai d'ailleurs point modifié le fond de ces derniers, par contre j'ai introduit quelques modifications dans le contenue et l'ordre des idées en les enrichissant d'éléments dépassant ainsi le tiers de ce premier tome; j'ai aussi porté beaucoup d'intérêt quant à la suite et l'harmonie des études publiées dans les revues et reprises dans ce premier tome et ceci afin de leur donner l'aspect d'un ouvrage.

En outre j'ai veillé à ce que certaines recherches faites auparavant par d'autres auteurs, ne constituent pas l'importance majeure de cet ouvrage, je me suis contenté d'en faire une source de références pour le lecteur. Par contre j'ai déployé le maximum d'efforts afin de mettre en vedette - après être restées longuement ignorées - des études nouvelles qui constituent d'ailleurs la quasi-totalité des matières traitées dans ce tome.

En ce qui concerne la documentation, j'ai été amené à consulter des bibliothèques aussi bien privées que publiques et quelquefois même - à défaut d'ouvrages - certaines transcriptions et gravures figurant sur des monuments historiques. Et pour le besoin j'ai justifié le contenu et la validité du texte, soit par le biais des archives, soit par d'autres textes à travers lesquels j'ai complété mon étude, afin que le lecteur ou le chercheur soit aussi satisfait que possible et disposera des références qu'il jugera nécessaires.

Rédigé à Rabat, le Vendredi 29 Choual 1392 – 1er décembre 1972.

L'Auteur,

Traduit de l'Arabe au Français par
MENOUNI Fouzia.